

كتاب السيف الصقلي

فى

الرد على شبهات اليهود وال المسيحيين حول الاسلام
وهو رد على الرسالة المسيحية المسمى بالبرهان الجليل
على صحة التوراة والإنجيل

تأليف

الشيخ العلامة / التميمي الدارى

تقديم وتحقيق وتعليق

نادى فرج درويش العطار

من كلية الشريعة جامعة الأزهر
و قسم الدراسات العليا فى
كلية الحقوق جامعة القاهرة

الناشر
مركز ابن العطار للتراث
بالمقاهرة

83 935U
BR 4478
03/08 31150-92 Group

Z12006
ST 2 (1)

كتاب

السيف الصقىل

فى

الرد على شبهات اليهود وال المسيحيين حول الاسلام
وهو رد على الرسالة المسيحية المسماة بالبرهان الجليل
على صحة التوراة والإنجيل

تأليف

الشيخ العلامة / التميمي الدارى

تقديم وتحقيق وتعليق

نادى فرج درويش العطار

من كلية الشريعة جامعة الأزهر
و قسم الدراسات العليا فى
كلية الحقوق جامعة القاهرة

النشر
مركز ابن العطار للتراث
بالمقاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَنْكِحْ حَلْقَةً مِنْ الْمُؤْمِنِينَ
عَلَىٰ حَارِمَةٍ مِنْ حَارِمَاتِ الْمُنْكَرِ

أهدى المؤلف كتابة هذا السلطان العثماني
عبد الحميد خان أمير المؤمنين وطبع
بمطبعة المحرروسة مصر سنة ١٣١٢ هـ وعلى
هامشه كتاب تتوير الأذهان تأليف الشيخ محمد
زكي الدين سند . وحقوق الطبع والنشر محفوظة
لمركز ابن العطار للتراث بالقاهرة - طبعة

٢٠٠٤ هـ ١٤٢٥ م

رقم الإيداع ٢٠٠٤/١٧١١٥

فهرس وتقسيم كتب العهد القديم (التوراة)

اختصار

اسم السفر
القسم الأول: الخليقة والناموس

تك	التكوين
خر	الخروج
لا	اللاوبيين
عد	العدد
نت	التنمية

القسم الثاني: تاريخ العهد القديم

يش	يشع
قض	قضاة
را	راغوث
اصم	صمونيل الأول
صم	صمونيل الثاني
امل	الملوك الأول
مل	الملوك الثاني
أخ	أخبار الأيام الأول
أخ	أخبار الأيام الثاني

القسم الثالث : أناشيد وأمثال وحكمة

أي	أيوب
مز	المزامير (الزبور)

أ	الأمثال
ج	الجامعة
ن	نشيد الأنساد

القسم الرابع: أسفار الأنبياء

إ	إشعياء
إ	إرمياء
م	مراثى إرمياء
ح	حزقيال
د	دانياel
ه	هوشع
ب	بونيل
ع	عاموس
و	عوبديا
ي	يونان
س	ميحا
ن	ناحوم
ح	حقوق
ص	صفنيا
ح	حجائى
ز	زكريا
م	ملخى

عدد أسفاره ٣٩

فهرس الكتب اليونانية من الترجمة السبعينية

اسم السفر

اختصار

طو	طوبيا
يه	يهوديت
أس (يو)	أستير (يونانى) يه
حك	الحكمة
سى	يشوع بن سيراخ
با	باروك
إر (يو)	رسالة إرمياء
دا(يو)	دانياel (يونانى)
١ مك	المكابيين الأول
٢ مك	المكابيين الثاني

فهرس وتقسيم كتب العهد الجديد (إنجيل)

اسم السفر

اختصار

القسم الأول : تاريخ البشرة وأعمال	الرسول
مت	متى
مر	مرقس
لو	لوقا
يو	يوحنا
بر	برنابا

الديداكي
أعمال الرسل

القسم الثاني : الرسائل

رو	رومة
١ كور	كورنثوس الأولى
٢ كور	كورنثوس الثانية
غل	غلاطية
أف	أفسس
في	فيليبي
كو	كولوسسي
١ تس	تسالونيكي الأولى
٢ تس	تسالونيكي الثانية
١ تم	تيموثاوس الأولى
٢ تم	تيموثاوس الثانية
تي	تيطس
فل	فيلمون
عب	عبرانيين
يع	يعقوب
١ بط	بطرس الأولى
٢ بط	بطرس الثانية
١ يو	يوحنا الأولى
٢ يو	يوحنا الثانية
٣ يو	يوحنا الثالثة
يهو	يهوذا

القسم الثالث : رؤيا يوحنا

رؤيا يوحنا

رؤ

عدد أسفاره ٢٧

هذا الكتاب

ألف المسلمين من قديم الأيام كتبوا بينوا فيها للمسيحيين أن التوراة محرفة عمداً، وأن الأنجليل محرفة عمداً، وأن اليهود خدعوهم وخدعواهم عن دين الإسلام الذي هو الحق من ربهم ، وجعلوهم في وجه المسلمين؛ ليتحارب المسلمون والمسيحيين ، ولا يصاب اليهودي بأذى، وأبعدوهم عن الله بالتلثيث وصلب المسيح وفداء البشرية ، وشغلوهم بموضوعات بينية عن البحث العميق في الدين الصحيح . ومن هذه الكتب الذائعة الصيت كتاب أدلة الوحدانية في الرد على الملة النصرانية . وقد أهداه مؤلفه للملك الكامل الأيوبي ^ك . وكتاب إظهار الحق الذي ألفه الشيخ رحمة الله الهندى لمقاومة المبشرين بالمسيحية في الهند . وهذا الكتاب الذي سماه مؤلفه "السيف الصقىل" وأهداه إلى السلطان العثمانى عبد الحميد خان ^ك.

وألف المرسلون الأميركيان في "مصر" في سنة ألف وتسعمائة ميلادية كتاباً اسمه "الهداية"^(١) للرد على إظهار الحق . والسيف الصقىل . وطبعوه في أربعة أجزاء وبينوا فيه: أن القرآن مجوف، وأن الأحاديث النبوية من تأليف رواة مجهولين . وقالوا : إن محمدًا ليس

^(١) طبع دار ابن العطار للتراث بالقاهرة تأليف نادى فرج درويش العطار

نبياً من الله ، وقالوا : إن القرآن لا يدعو إلى محسن الأخلاق ... إلى غير ذلك من الأقوال التي لا يرتاب عاقل في كذبها .

لذلك . رأينا أن ننشر السيف الصقيل ؛ ليتبين منه للعالم غيره علماء المسلمين على دينهم ، وما في كتبهم التي يقدسونها من الكذب على الله ورسله .

ورأينا أيضاً : أن نرد على مؤلفي الهدایة ، رداً حسناً مؤيداً بالأدلة من التوراة والأنجيل على أن كتبهم التي يقدسونها مكتوبة بأيديهم وفيها من الأغلاط ما لا يحصى ولا يعد ، وعلى أن القرآن كتاب الله . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . أى أن التوراة المحرفة التي في زمانه ليس فيها نصوص تدل على بطلانه . والتوراة الأولى غير المحرفة لا تدل على بطلانه . لأنه تنزيل من حكيم حميد . يقول الله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾

وممّا في الكتب الثلاثة

١- إظهار الحق . وهو كتاب من جزأين

٢- الهدایة وهو كتاب مكون من أربعة أجزاء

٣- الرد على الهدایة . وهو كتاب مكون من أربعة

أجزاء

١ - من إظهار الحق :

جرت عادة المسلمين في مجادلة المسيحيين أنهم يبدأون بالتوراة؛ لإثبات تحريفها ، ثم يُثْنُون بالأنجيل لنفس الغرض من التوراة .
والتوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام خمسة أسفار هي : التكوين والخروج واللوبيين " الأخبار " والعدد وتنمية الاشتراك والأسفار الخمسة التي يقدسها السامريون ، تُعرف بالتوراة السامرية . والتى يقدسها العبرانيون تعرف بالتوراة العبرانية . والتى يقدسها المسيحيون تعرف بالتوراة اليونانية، ويقدسها بعض اليهود مع المسيحيين .

وأضاف العبرانيون أربعة وثلاثين سفرا إلى توراة موسى عليه السلام هى: يشوع والقضاة وراغوث وصموئيل الأول والثانى والملوك الأول والملوك الثانى وأخبار الأيام الأول وأخبار الأيام الثانى وعزرا ونحمنا وأستير وأيوب والمزمائير (زبور داود) والأمثال والجامعة ونشيد الأنساد وإشعيا وإرميا ومراثى إرميا وحزقيال ودانיאל وهوشع وبونيبل وعاموس وعوبديا ويونان وميخا وناحوم وحبيق وصفنيا وحجى وزكريا وملاخى .

وأضاف المسيحيون وبعض اليهود العبرانيين سبعة أسفار إلى التسعة والثلاثين سفرا هى : طوبيا " قمان " ويهوديت والمكابيّين الأول والمكابيّين الثانى والحكمة ويشوع بن سيراخ وباروك .

ومؤلف إظهار الحق أورد أمثلة على الاختلافات بين نسخ التوراة الثلاث ذكر منها:

يقول مؤلف إظهار الحق ما نصه:

"الباب الثاني في إثبات التحرير وهو قسمان: لفظي ومعنوي ولا نزاع بيننا وبين المسيحيين في القسم الثاني لأنهم يسلمون كلهم صدوره عن اليهود في العهد العتيق في تفسير الآيات التي هي إشارة في زعمهم إلى المسيح وفي تفسير الأحكام التي هي أبدية عند اليهود، وأن علماء بروتستنت يعترفون بصدوره عن معتقدي البابا في كتب العهدين، كما أن معتقدي البابا يرمونهم بهذا رمياً شديداً، فلا احتياج إلى إثباته. يبقى القسم الأول وقد أنكره علماء بروتستنت في الظاهر إنكاراً بلغاً للتغليط جهال المسلمين وأوردووا أدلة مموهة مزورة في رسائلهم ليوقعوا الناظرين في الشك، فهو محتاج إلى الإثبات. فأريد إثباته في كتابي هذا بعون خالق الأرض والسموات، وأقول: إن التحرير اللفظي بجميع أقسامه يعني بتبدل الألفاظ وزيادتها ونقصانها ثابت في الكتب المذكورة. وأورد هذه الأقسام الثلاثة على سبيل الترتيب في ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول : في إثبات التحرير اللفظي بالتبديل :

اعلم أرشدك الله تعالى أن النسخ المشهورة للعهد العتيق عند أهل الكتاب ثلاث نسخ "الأولى" النسخة العبرانية وهي المعترضة عند اليهود وجمهور بروتستنت "والثانية" النسخة اليونانية وهي التي كانت

معتبرة عند المسيحيين إلى القرن الخامس عشر من القرون المسيحية ، وكانوا يعتقدون إلى هذه المدة تحريف النسخة العبرانية . وهي إلى هذا الزمان أيضاً معتبرة عند الكنيسة اليونانية ، وكذا عند كنائس المشرق وهاتان النسختان تشتملان على جميع الكتب من العهد العتيق " والثالثة " النسخة السامرية وهي المعتبرة عند السامريين وهذه النسخة هي النسخة العبرانية لكنها تشتمل على خمسة كتب من العهد العتيق فقط أعني الكتب الخمسة المنسوبة إلى موسى لأن السامريين لا يسلمون الكتب الباقية من العهد العتيق وتزيد على النسخة العبرانية في الألفاظ والقرارات الكثيرة التي لا توجد فيها الآن وكثير من محققى علماء بروتستانت مثل كني كات وهيلز و هيوبى كينت وغيرهم يعتبرونها دون العبرانية ، ويعتقدون أن اليهود حرفوا العبرانية وجمهور علماء بروتستانت أيضاً يضطرون في بعض المواضع إليها ويقدمونها على العبرانية كما سترى إن شاء الله تعالى . وإذا علمت هذا فأقول :

اليونانية	السامرية	النسخة العبرانية	
٢٣٠	١٣٠	١٣٠	آدم <small>ألفاظ</small>
٢٠٥	١٠٥	١٠٥	شيت <small>ألفاظ</small>
١٩٠	٩٠	٩٠	أنوش
١٧٠	٧٠	٧٠	قينان
١٦٥	٦٥	٦٥	مهلاني

٢٦٢	٦٢	١٦٢	بارد
١٦٥	٦٥	٦٥	حنوك
١٨٧	١٨٧	١٨٧	متواسلح
١٨٨	١٨٢	١٨٢	لامك
٦٠٠	٦٠٠	٦٠٠	نوح <small>القطب</small>

الشاهد الأول :

إن الزمان من خلق آدم إلى طوفان نوح القطب على وفق العبرانية ألف وستمائة وست وخمسون سنة ١٦٥٦ وعلى وفق اليونانية ألفان ومائتان واثنتان وستون ٢٢٦٢ وعلى وفق السامرية ألف وتلثمانية وبسبعين سنتين ١٣٠٧ وفي تفسير هنري ولسكات جدول كتب فيه في مقابلة اسم كل شخص غير نوح القطب من سني عمر هذا الشخص سنة تولد له فيها الولد ، وكتب في مقابلة اسم نوح القطب من سني عمره زمان الطوفان . والجدول المذكور هذا يبين أن في النسخ المذكورة في بيان المدة المسطورة فرق كثير واختلاف فاحش؛ لا يمكن التطبيق بينها ولما كان نوح القطب في زمان الطوفان ابن ستمائة سنة على وفق النسخ الثلاث وعاش آدم القطب تسعمائة وثلاثين سنة فيلزم على وفق النسخة السامرية أن يكون نوح القطب حين مات آدم القطب ابن مائتين وثلاثة وعشرين سنة وهذا باطل باتفاق المؤرخين وتكذبه العبرانية واليونانية على وفق ١٦٥٦ ١٣٠٧ الأولى بعد موت آدم القطب بمائة وست وعشرين سنة وعلى وفق الثانية بسبعمائة واثنين وثلاثين سنة ٧٣٢ ولأجل الاختلاف الفاحش ما أعتمد يوسفيس

أنبيهودي المؤرخ المشهور المعتبر عند المسيحيين على نسخة من النسخ المذكورة ، واختار أن المدة المذكورة ألفان ومائتان وست وخمسون سنة .

الشاهد الثاني :

أن الزمان من الطوفان إلى ولادة إبراهيم عليه السلام على وفق العبرانية مائتان واثنتان وتسعون سنة ٢٩٢ وعلى وفق اليونانية ألف واثنتان وسبعين سنة ١٠٧٢ وعلى وفق السامرية تسعمائة واثنتان وأربعون سنة ٩٤٢ وفي تفسير هنري واسكات أيضًا جدول مثل الجدول المذكور لكن كتب في هذا الجدول في محاذاة اسم كل رجل غير سام من سنى عمره سنة تولّد له فيها ولد وكتب في محاذاة اسم سام زمان تولد له فيه ولد ، بعد الطوفان والجدول المذكور هذا :

الأسماء	النسخة العبرانية	السامرية	اليونانية
سام	٢	٢	٢
ارفشد	١٣٥	١٣٥	٣٥
قينان	١٣٠	*	*
شالح	١٣٠	١٣٠	٣٠
عاير	١٣٤	١٣٤	٣٤
فاللغ	١٣٠	١٣٠	٣٠
رعو	١٣٢	١٣٢	٣٢
سروغ	١٣٠	١٣٠	٣٠
ناحور	٧٩	٧٩	٢٩
تارح	٧٠	٧٠	٧٠

فهمها أيضاً اختلاف فاحش بين النسخ المذكورة لا يمكن التطبيق بينها ولما كانت ولادة إبراهيم القطّلة بعد الطوفان بمائتين واثنتين وتسعين سنة ٢٩٢ على وفق النسخة العبرانية وعاش نوح القطّلة بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة ٣٥٠ كما هو مصريح به في الآية الثامنة والعشرين من الباب التاسع من سفر التكوين فيلزم أن يكون إبراهيم القطّلة حين مات نوح القطّلة ابن ثمان وخمسين سنة. وهذا باطل باتفاق المؤرخين وتكذبه ٩٤٢ ٢٩٢ اليونانية والسامرية إذ ولادة

إبراهيم العليّة بعد موت نوح العليّة بسبعين سنة واثنتين وعشرين سنة على وفق النسخة الأولى وبخمسين سنة واثنتين وتسعين سنة على وفق النسخة الثانية تزيد في النسخة اليونانية بطن واحد بين أرفخشاد وشالح وهو قنان، ولا يوجد هذا البطن في العبرانية والسامرية. واعتمد لوقا الإنجيلي على اليونانية فزاد قينان في بيان نسب المسيح ، ولأجل الاختلاف الفاحش المذكور اختلف المسيحيون فيما بينهم ، فنبذ المؤرخون النسخ الثلاث في هذا الأمر وراء ظهورهم وقالوا إن الزمان المذكور ثلاثة واثنان وخمسون سنة ٣٥٢ وكذا ما اعتمد عليها يوسيفس اليهودي المؤرخ المشهور وقال إن هذا الزمان تسعمائة وثلاث وتسعون سنة ٩٩٣ كما هو يقول في تفسير هنري واسكات. واكتستان الذي كان أعلم العلماء المسيحية في القرن الرابع من القرون المسيحية وكذا القدماء الآخرون على أن الصحيح النسخة اليونانية واختاره المفسر هارستلي في تفسيره نيل تفسير الآية الحادية عشر من الباب الحادي عشر من سفر التكوين وهيلز . على أن الصحيح النسخة السامرية ويفهم ميلان . محققا المشهور هورن إلى هذا في المجلد الأول من تفسير هنري واسكات: " إن اكتستان كان يقول إن اليهود قد حرفوا النسخة العبرانية في بيان زمان الأكابر الذين قبل زمن الطوفان وبعده إلى زمن موسى العليّة وفعلوا هذا الأمر لتصير الترجمة اليونانية غير معتبرة ، ولعناد الدين المسيحي ، ويعلم أن القدماء المسيحيين كانوا يقولون مثله ، وكانوا يقولون إن اليهود حرفوا التوراة في سنة مائة

وثلاثين من الپسنين المسيحية " انتهى كلام التفسير المذكور " [انتهى من إظهار الحق]

٢ - وما في كتاب الهدایة - تالیف المرسلون الأمريکان بمصر

سنة ١٩٠٠ م

إبراهيم والكواكب

سورة الأنعام « فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ » - أى على إبراهيم - « اللَّيلُ رَأَى كُوكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَفْلَئِنَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لِأَكُونَ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ »

ولمفسريهم في هذه الأقوال آراء شتى فمنهم من قال : إن إبراهيم قال هذا القول قبل البلوغ . أى في حال طفوليته قبل قيام الحجة عليه واستدل أصحاب هذا القول على صحته بقوله « لَنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لِأَكُونَ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ » وهذا يدل على نوع تحير . وقيل : إن كلامه هذا كان بعد بلوغه . وأولوا عبارة القرآن بما يأتي : وهو أن إبراهيم أراد أن يعرفهم جهلهم وخطأهم في تعظيم النجوم وعبادتها بأن أراهم النقص الداخل عليها بسبب الغيبة والأفول . ثانيا : قالوا : إنه قال هذا القول على سبيل الاستفهام وهو استفهام إنكار . وإسقاط حرف الاستفهام كثير في

كلام العرب. وثالثاً: إنه قال هذه على وجه الاحتياج. كأنه قال لهم: لو كان إليها كما تزعمون لما غاب. وغير ذلك من الأوجه التي اعتذروا بها عن وقوع إبراهيم في عبادة الكواكب. والقول الحق الذي يغنى عن كثرة التأويل : هو الوارد في التوراة من أن إبراهيم كان يعبد الله ، وكان والده من شعبيه تعالى: وقد تقدّم أن أبا إبراهيم كان من شعب الله المعترفين بوحدانيته المطاعين لأوامره فلا يتوقع أن إبراهيم المتربي في مخافة الله يقول عن الكواكب : إنها ربه ، حتى وإن كانت غايته إقناعهم ببطلان معبدتهم ؛ فإنه تُوجَد طرائق كثيرة لدرك المقصود بغير هذه الطريقة . طريقة المواربة والمخاتلة . وحاشا لخليل الله من ذلك . وأنت ترى أنه لما رأى العلماء قُبِح هذا الأمر ؛ أخذوا في تأويل عبارة القرآن بطرق شتى . فالإسلام والأغنم التعویل على كتاب الله ، ونبذ ما سواه ظهرياً " أ . هـ

٣- من الرد على شبهة إبراهيم والكواكب :

يقول مؤلفو الهدایة : إن أبا إبراهيم كان مؤمناً بالله ، ولم يكن يعبد الأصنام .

والرد عليهم : هو أن التلمود ومخطوطات البحر الميت وإنجيل برنابا. كل هؤلاء ذكرروا أن قوم إبراهيم كانوا يعبدون الأصنام ، وأن أبا إبراهيم كان يصنع الأصنام ويبيعها . ونذكر يوسابيوس القيصري : أن أبا إبراهيم كان اسمه " آزر Edher " وقال دنيس دال في كتابه

المصادر الأصلية للقرآن : The original source of the Quran

اليهود الشرقيين كانوا يقولون : إن اسم أبيه آزر Zereh

وهذا هو نص قصة إبراهيم عليه السلام من إنجيل برنابا :

"فقال عندئذ يسوع : إنكم تكونون مجانين إذا كنتم لا تعطون حواسكم الله لتشتروا أنفسكم حيث يستقر كنز المحبة ، لأن المحبة كنز لا نظير له ، لأن من يحب الله كان الله له ، ومن كان الله له كان له كل شيء ."

أجاب بطرس : قل لنا يا معلم كيف يجب على الإنسان أن يحب الله محبة خالصة ؟ فأجاب يسوع : الحق أقول لكم : إن من لا يبغض أبيه وأمه وحياته وأولاده وامرأته لأجل محبة الله^(١) ؛ فمثل هذا ليس أهلاً أن يحبه الله ١٠ أجاب بطرس : يا معلم لقد كتب في ناموس الله في كتاب موسى : "أكرم أباك لتعيش طويلاً على الأرض"^(٢) . ثم يقول أيضاً : "ليكن ملعوناً الابن الذي لا يطيع أبيه وأمه"^(٣) . ولذلك أمر الله بأن يُرجم مثل هذا الابن العقوق أمام باب المدينة وجوباً^(٤) بغض الشعب . فكيف تأمرنا أن نبغض أبيانا وأمنا ؟

أجاب يسوع : كل كلمة من كلماتي صادقة . لأنها ليست مني بل من الله الذي أرسلني^(٥) إلى بيت إسرائيل . لذلك أقول لكم : إن كل

(١) لو ١٤: ٢٦ - ٢١: ٢١ - ١٨: ٢١

(٢) بيو ١٤: ٢٤

(٣) تث ٢٧: ١٦

(٤) تث ٢٠: ١٢

(٥) تث ٢٧: ١٦

ما عندكم قد أنعم الله به عليكم . فـأى الأمرين أعظم قيمة؟ العطية أم المعطى؟ فـمـتـى كان أبوك أو أمك أو غيرهما عثرة لك في خدمة الله ؟ فـانـبـذـهـمـ كـأـنـهـمـ أـعـدـاءـ . أـلـمـ يـقـلـ اللهـ لـإـبـرـاهـيمـ : "اـخـرـجـ منـ بـيـتـ أـبـيـكـ وـأـهـلـكـ وـتـعـالـ اـسـكـنـ فـيـ الـأـرـضـ التـىـ أـعـطـيـهـاـ لـكـ وـلـنـسـلـكـ^(١)" . ولـمـاـ قـالـ اللهـ ذـلـكـ ؟ أـلـيـسـ لـأـنـ أـبـاـ إـبـرـاهـيمـ كـانـ صـانـعـ تـمـاثـيلـ يـصـنـعـ وـيـعـبـدـ آـلـهـةـ كـانـبـةـ ؟ لـذـلـكـ بـلـغـ العـدـاءـ بـيـنـهـمـ حـدـاـ أـرـادـ مـعـهـ أـبـ أـنـ يـحـرـقـ اـبـنـهـ .

أـجـابـ بـطـرـسـ : إـنـ كـلـمـاتـكـ صـادـقـةـ . وـإـنـ أـضـرـعـ إـلـيـكـ أـنـ تـقـصـ عـلـيـنـاـ كـيـفـ سـخـرـ إـبـرـاهـيمـ مـنـ أـبـيـهـ ؟ أـجـابـ يـسـوـعـ : كـانـ إـبـرـاهـيمـ اـبـنـ سـبـعـ سـنـينـ لـمـاـ اـبـتـدـأـ أـنـ يـطـلـبـ اللهـ . فـقـالـ يـوـمـاـ لـأـبـيـهـ : يـاـ أـبـتـاهـ مـنـ صـنـعـ الـإـنـسـانـ ؟ أـجـابـ الـوـالـدـ الغـبـىـ : الـإـنـسـانـ . لـأـنـىـ أـنـاـ صـنـعـتـكـ وـأـبـىـ صـنـعـنـىـ . فـأـجـابـ إـبـرـاهـيمـ : يـاـ أـبـىـ لـيـسـ الـأـمـرـ كـذـلـكـ ؟ لـأـنـىـ سـمـعـتـ شـيـخـاـ يـنـتـحـبـ وـيـقـولـ : يـاـ إـلـهـ لـمـاـ لـمـ تـعـطـنـىـ أـوـلـادـاـ ؟ أـجـابـ أـبـوـهـ : حـقـاـ يـاـ بـنـىـ . اللهـ يـسـاعـدـ الـإـنـسـانـ لـيـصـنـعـ إـنـسـانـاـ وـلـكـنـهـ لـاـ يـضـعـ يـدـهـ فـيـهـ . فـلـاـ يـلـزـمـ الـإـنـسـانـ إـلـاـ أـنـ يـتـقـدـمـ وـيـضـرـعـ إـلـىـ إـلـهـ وـيـقـدـمـ لـهـ حـمـلـاـ وـغـنـمـاـ لـيـسـاعـدـهـ إـلـهـ . أـجـابـ إـبـرـاهـيمـ : كـمـ إـلـهـاـ هـنـالـكـ يـاـ أـبـىـ ؟ أـجـابـ الشـيـخـ : لـاـ عـدـ لـهـمـ يـاـ بـنـىـ .

فـحـيـنـذـ أـجـابـ إـبـرـاهـيمـ : مـاـذـاـ أـفـعـلـ يـاـ أـبـىـ إـذـاـ خـدـمـتـ إـلـهـاـ وـأـرـادـ بـيـ الـآـخـرـ شـرـاـ لـأـنـىـ لـاـ أـخـدـمـهـ ؟ وـمـهـماـ يـكـنـ مـنـ الـأـمـرـ فـإـنـهـ يـحـصـلـ بـيـنـهـمـ شـقـاقـ وـيـقـعـ الـخـصـامـ بـيـنـ الـآـلـهـةـ وـلـكـنـ إـذـاـ قـتـلـ إـلـهـ الـذـىـ يـرـيدـ بـىـ

شرا ؟ إلهى فماذا أفعل ؟ من المؤكد أنه يقتلنى أنا أيضا ؟ فأجاب الشيخ
ضاحكا : لا تخف يا بنى لأنه لا يخاصم إله إلهها . كلا فان في الهيكل
الكبير ألوفا من الآلهة مع الإله الكبير بعل . وقد بلغت الآن سبعين
سنة من العمر، ومع ذلك فإنى لم أر قط إليها ضرب إليها آخر . ومن
المؤكد أن الناس كلهم لا يعبدون إليها واحدا . بل يعبد واحد إليها،
وآخر آخر . أجاب إبراهيم : فإذا يوجد وفاق بينهم ؟ أجاب أبوه : نعم
يوجد . فقال حينئذ إبراهيم يا أبي أى شئ تشبه الآلهة؟ أجاب الشيخ :
يا غبى إنى كل يوم أصنع إليها أبيعه لآخرين لأشتري به خبرا ، وأنت
لا تعلم كيف تكون الآلهة ؟ وكان فى تلك الدقيقة يصنع تمثلا . فقال :
هذا من خشب النخل وذاك من الزيتون وذلك التمثال الصغير من العاج
انظر ما أجمله . ألا يظهر كأنه حى . حقا لا يُعوزه إلا النفس .
أجاب إبراهيم : إذا يا أبي ليس للألهة نفس فكيف يهبون الأنفاس؟ ولما
لم تكن لهم حياة فكيف يعطون إذا الحياة؟ فمن المؤكد يا أبي أن هؤلاء
ليسوا هم الله . فحنق الشيخ لهذا الكلام قائلا: لو كنت بالغا من العمر
ما تتمكن معه من الإدراك ؛ لشجست رأسك بهذه الفراس . ولكن
اصمت إذ ليس لك إدراك . أجاب إبراهيم: يا أبي إن كانت الآلهة
تساعد على صنع الإنسان فكيف يتأتى للإنسان أن يصنع آلهة؟ وإذا
كانت الآلهة مصنوعة من خشب فإن إحراق الخشب خطيئة كبرى .
ولكن قل لي يا أبى: كيف وأنت قد صنعت آلهة هذا عددها لم لم

تساعدك الآلهة لتصنع أولاداً كثيرين فتصير أقوى رجل في العالم؟
فحق الأب لما سمع ابنه يتكلم هكذا.

فأكمل الابن قائلاً : يا أبا هل وجد العالم حيناً من الدهر بدون بشر؟ أجاب الشيخ نعم . ولماذا ؟ قال إبراهيم : لأنني أحب أن أعرف من صنع الإله الأول فقال الشيخ : انصرف الآن من بيتي ودعني أصنع هذا الإله سريعاً ولا تكلمني كلاماً فمتى كنت جائعاً فإنك تشتهي خبزاً لا كلاماً . فقال إبراهيم : إنه لا إله عظيم . فإنك تقطعه كما تريد وهو لا يدافع عن نفسه . فغضب الشيخ وقال : إن العالم بأسره يقول إنه الإله وأنت أيها الغلام الغبي تقول كلاً؟ فو آلهتى لو كنت رجلاً لقتلتك ولما قال هذا ضرب إبراهيم ورفسه وطرده من البيت .

فضحك التلميذ من حمق الشيخ، ووقفوا منذهلين من فطنة إبراهيم . ولكن يسوع وبخهم قائلاً : لقد نسيتم كلام النبي القائل : "الضحك العاجل نذير البكاء الآجل" ^(١) وأيضاً: لا تذهب إلى حيث الضحك بل اجلس حيث ينوحون لأن هذه الحياة تنقضي في الشقاء ثم قال يسوع : ألا تعلمون أن الله في زمن موسى مسخ ناساً كثيرين في مصر حيوانات مخوفة لأنهم ضحكوا واستهزءوا بالآخرين احذروا من أن تضحكوا من أحد ما ؛ لأنكم بقاء تكون بسببه. أجاب التلميذ: إننا ضحكنَا من حماقة الشيخ.

(١) ح ٧ :

فأجاب حينئذ يسوع : الحق أقول لكم : كل نظير يحب نظيره فيجد في ذلك مسرة . ولذلك لو لم تكونوا أغبياء لما ضحكتم من الغباوة . أجابوا : ليرحمنا الله قال يسوع : ليكن كذلك حينئذ قال فيليبس : يا معلم كيف حدث أن أبا إبراهيم أحب أن يحرق ابنه ؟ أجاب يسوع : لما بلغ بـلـغ إبراهيم اثنـى عشرـة سـنة من العـمر قال له أبوه يومـا مـا : غـدا عـيد كـل الـآلهـة . فـلـذـكـ سـنـذـهـبـ إـلـىـ الهـيـكـلـ الكـبـيرـ وـنـحـمـلـ هـدـيـةـ لـإـلـهـيـ بـعـلـ الـعـظـيمـ . وـأـنـتـ تـتـخـبـ لـنـفـسـكـ إـلـهـاـ . لأنـكـ بـلـغـتـ سـنـاـ يـحـقـ لـكـ مـعـهـ اـتـخـاذـ إـلـهـ . فأـجـابـ إـبـرـاهـيمـ بـمـكـرـ : سـمـعاـ وـطـاعـةـ يـاـ أـبـيـ فـبـكـرـاـ فـيـ الصـبـاحـ إـلـىـ الهـيـكـلـ قـبـلـ كـلـ أـحـدـ . وـلـكـ إـبـرـاهـيمـ كـانـ يـحـلـ تـحـ صـدـرـتـهـ فـأـسـاـ مـسـتـورـةـ . فـلـمـ دـخـلـ الهـيـكـلـ وـازـدـادـ الجـمـعـ ؛ خـبـاـ إـبـرـاهـيمـ نـفـسـهـ وـرـاءـ صـنـمـ فـيـ نـاحـيـةـ مـظـلـمـةـ فـيـ الهـيـكـلـ . فـلـمـ اـنـصـرـفـ أـبـوـهـ ؛ ظـنـ أـنـ إـبـرـاهـيمـ سـبـقـهـ إـلـىـ الـبـيـتـ وـلـذـكـ لـمـ يـمـكـثـ لـيـفـتـشـ عـنـهـ .

ولما انصرف كل أحد من الهيكل أغلق الكنة الهيكل وانصرفوا . فأخذ إبراهيم إذ ذاك الفأس وقطع قوائم جميع الأصنام إلا الإله الكبير بعلا فإنه وضع الفأس عند قوائمه بين جذاد التمايل التي تساقطت قطعا لأنها كانت قديمة العهد ومؤلفة من أجزاء ولما كان إبراهيم خارجا من الهيكل رأه جماعة من الناس فظنوا أنه دخل لسرقة شيئا من الهيكل فأمسكوه .

ولما بلغوا به الهيكل ورأوا آلهتهم محطمة قطعا صرخوا منتحبين : أسرعوا يا قوم ولقتل الذي قتل آهتنا . فهرع إلى هناك نحو عشرة آلاف رجل مع الكهنة وسألوا إبراهيم عن السبب الذي لأجله حطم آلهتهم . أجاب إبراهيم: إنكم لاغبياء . أقتل الإنسان الله . إن الذي قتلها إنما هو الإله الكبير . ألا ترون الفأس التي له عند قدميه إنه لا يبتغي له أندادا.

فوصل حينئذ أبو إبراهيم الذي ذكر أحاديث إبراهيم في آلهتهم . وعرف الفأس التي حطم بها إبراهيم الأصنام . فصرخ : إنما قتل آهتنا ابنى الخائن هذا ؛ لأن هذه الفأس فأسى . وقصن عليهم كل ما جرى بينه وبين ابنه . فجمع القوم مقدارا كبيرا من الحطب . وربطوا يدى إبراهيم ورجليه . ووضعوه على الحطب ووضعوا نارا تحته . فإذا الله قد أمر النار بواسطة ملائكة جبريل أن لا تحرق عبده إبراهيم . فاضطررت النار باحتمام وحرقت نحو ألفي رجل من الذين حكموا على إبراهيم بالموت . أما إبراهيم فقد وجد نفسه مطلق السراح . إذ حمله ملاك الله إلى مقربة من بيت أبيه دون أن يرى من حمله . وهكذا نجا إبراهيم من الموت .

حينئذ قال فِيلُبُس : ما أعظم هي رحمة الله للذين يحبونه . قل لنا يا معلم كيف وصل إلى معرفة الله ؟ أجاب يسوع : لما بلغ إبراهيم جوار بيت أبيه خاف أن يدخل البيت فانتقل إلى بعد عن البيت ، وجلس تحت شجرة نخل حيث لبث منفردا . وقال: لا بد من وجود الله ذى

حياة وقوه أكثر من الإنسان لأنه يصنع الإنسان . والإنسان بدون الله لا يقدر أن يصنع الإنسان.

حينئذ التفت حوله وأجال نظره في النجوم والقمر والشمس فظن أنها هي الله ولكن بعد التبصر في تغيراتها وحركاتها قال : يجب أن لا تطراً على الله الحركة ولا تحجبه الغيوم وإلا فنى الناس . وبينما هو متحير سمع اسمه ينادى : يا إبراهيم . فلما التفت ولم ير أحداً في جهة قال : إنني قد سمعت : يا إبراهيم . ثم سمع كذلك اسمه ينادي مرتين آخرين : يا إبراهيم . فأجاب : من يناديني ؟ حينئذ سمع قائلاً يقول : إنه أنا ملاك الله جبريل . فارتاع إبراهيم : ولكن الملاك سُكِّنَ روعه قائلاً : لا تخاف يا إبراهيم لأنك خليل الله . فإنك لما حطمت آلة الناس تحطيمها ؛ اصطفاك إلى الملائكة والأنبياء حتى أنك كُتُبْتَ في سِفِّرِ الحياة^(١).

حينئذ قال إبراهيم : ماذا يجب على أن أفعل لأعبد إلى الله الملائكة والأنبياء الأطهار ؟ فأجاب الملك : اذهب إلى ذلك الينبوع واغتسل لأن الله يريد أن يكلمك . أجاب إبراهيم : وكيف ينبغي أن أغتسل ؟ فتبَدَّى له حينئذ الملك يافعاً جميلاً واغتسل من الينبوع قائلاً : افعل كذلك بنفسك يا إبراهيم . فلما اغتسل إبراهيم قال الملك : ارتق ذلك الجبل لأن الله يريد أن يكلمك هناك . فارتقى إبراهيم الجبل كما قال له الملك .

(١) ف ٤ : ٣

ولما جثا على ركبتيه قال لنفسه : متى يا ترى يكلمنى إله الملائكة؟ فسمع صوتاً لطيفاً يناديه : يا إبراهيم . فأجابه إبراهيم : من يناديني ؟ فأجاب الصوت : أنا إلهك يا إبراهيم . أما إبراهيم فارتاع وغفر بوجهه الأرض قائلاً : "كيف يُصفع عبده إلك وهو تراب ورماد^(١)؟" حينئذ قال الله : "لا تخف بل انھض لأنى قد اصطفيتك عبادى وإنى أريد أن أباركك وأجعلك شعباً عظيماً . فاخرج إذاً من بيت أبيك وأهلك وتعال اسكن في الأرض التي أعطيتكها أنت ونسلك" . فأجاب إبراهيم : إنى لفاعل كل ذلك يا رب ولكن احرسنى لكيلاً يضرنى إله آخر ، فتكلم الله قائلاً : "أنا الله أحد . ولا إله غيري . أضرب وأشفى أميت وأحيي . أنزل إلى الجحيم وأخرج منه . ولا يقدر أحد أن ينقذ نفسه من يدى^(٢)"

ثم أعطاه الله عهد الختان . وهكذا عرف الله أبواناً إبراهيم ولما قال يسوع هذا رفع يديه قائلاً : الكرامة والمجد لك يا الله ليكن كذلك "

[برنابا ٢٦ - ٢٩]

الأحكام الفقهية

في التوراة

وقد اهتم علماء علم مقارنة الأديان اهتماماً عظيماً بإظهار التحرير القصدى المتعتمد فى كتاب التوراة . خاصة أسفار موسى

(١) تك ١٨ : ٢٧

(٢) تث ٣٢ : ٣٩

الخمسة ، ولم يهتموا كثيراً بإظهار الأحكام الفقهية الشرعية حتى نسى الناس أن التوراة كتاب فقه .

لذلك أفتُ كتابنا الموسوم بالأحكام الشرعية في التوراة - النص والتفسير؛ لأظهر للناس في جميع أنحاء العالم أن التوراة كتاب فقه . والفقه فيها فيه إصر وأغلال . وأن الله أنزل القرآن ليرفع الإصر والأغلال . ولذلك يجب عليهم أن يشكروا الله على نعمة القرآن لأنه أنزله لمصلحتهم . وبيّنت في هذا الكتاب ما في التوراة عن محمد ﷺ . وأنكر هنا نصاً من كتابنا الأحكام الفقهية في التوراة يشير إلى الإصر والتخفيف ، وأن محمداً رسول الله حقاً وصادقاً .
النص :

يقول الله تعالى في محكم كتابه الكريم :

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالذِّي أَوْحَيْنَا إِلَيْكُمْ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تُفَرِّقُوا فِيهِ كُلُّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَعْلَمُ بِمَا فِي الْأَلْوَانِ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ سَمِيعٌ مُّسَمِّعٌ رَّبِّكَ إِلَى أَجْلٍ مُّسَمَّى لَقُضِيَ بِيَتَهُمْ وَكَانَ الَّذِينَ أَوْرَثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٌ فَلَذِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أَمْرَتَ وَلَا تَتَبَعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ أَمَّنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتابٍ وَأَمْرَتُ لِأَعْدِلَ يَسِّنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةٌ بَيْنَنَا وَيَسِّنَكُمُ اللَّهُ يَجْمِعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ

الْمَصِيرُ وَالَّذِينَ يُحَاجِجُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجَبْتَ لَهُ حُجَّهُمْ دَاهِخَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ
غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٤﴾

والدين الذى شرعه الله لنوح القىمة لجميع المؤمنين الناجين معه من الغرق ؛ هو أن يستسلم المرء لإرادة الله ويقوم سلوكه على تشریعات الله . وقد شرع الله للمؤمنين الناجين وألزمهم بما شرعه لهم .
ومما جاء في كتاب التوراة عن هذه الشريعة :

" وبارك الله نوحا وبنيه و قال لهم أثروا و اكثروا و املوا
الأرض ولتكن خشيتكم ورهبتم على كل حيوانات الأرض وكل طيور
السماء مع كل ما يدب على الأرض وكل اسماك البحر قد دفعت إلى
أيديكم . كل دابة حية تكون لكم طعاما كالعشب الأخضر دفت إليكم
الجميع غير أن لحمها بحياته دمه لا تأكلوه وأطلب أنا دمكم لأنفسكم فقط
من يد كل حيوان أطلبه و من يد الإنسان أطلب نفس الإنسان من يد
الإنسان أخيه سافك دم الإنسان بالإنسان يسفك دمه لأن الله على
صورته عمل الإنسان فأثروا أنتم وأكثروا وتولدوا في الأرض و
تكاثروا فيها " [تك ٩ : ٧-١]

فقد أباح فيها كل المطعومات ولم يستثنى من المطعومات شيئاً.
لا الميتة ولا لحم الخنزير ولا الدم . وانتشرت هذه الشريعة في كل
مكان حل فيه إنسان من المؤمنين الناجين وعلمتها أولاده . وهكذا إلى

أن أنزل الله التوراة على موسى عليه السلام وحل فيها وحرم وجعلها شريعة لقومه وللأمم إلى أن يأتي النبي أمى من بنى إسماعيل عليه السلام .

والتوراة لأنها تؤدب الناس إلى مجئ هذا النبي الأمى، وتهيئ عقولهم لتقبّل شريعته ، ولان هذا النبي سيكوننبياً لجميع الأمم ؛ جعلها الله شريعة عامة ليسهل على الأمم الإيمان بمحمد ﷺ وكان بنو إسرائيل شهداء على الناس بمجئ محمد ﷺ **﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ آمَنَّ بِهِ وَأَمْرُكُمْ عَوِيقَةٌ وَأَتَمُّ شَهَادَةَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾**

وغزا أنبياء بنى إسرائيل بلاد الكفر وعلموهم دين الله . ومن أحكامه: الإيمان بمحمد إذا ما ظهر . فإن في التوراة : " يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك . مثلى له تسمعون " [تث ١٨]

وقال داود عليه السلام عن محمد ﷺ : " ويملك من البحر إلى البحر ، ومن النهر إلى أقصى الأرض" وقال : إن الله يصلى عليه دائماً ويصلى لأجله دائماً . اليوم كله يباركه " [مز ٧٢]

ومن ذلك يعلم أن محمداً ﷺ كان الناس في جميع الأمم يسمعون عن مجده . ولذلك سارعوا في الدخول في الإسلام وسهلوا على العرب فتح البلاد ، وحسن إسلامهم .

وإذا ثبت أن التوراة من أحكامها حكم الإيمان بنبي يظهر من بعد
موسى ؛ يثبت أن شريعة التوراة شريعة مؤقتة . غير مؤبدة...إلخ"

وقد بين المؤلف في هذا الكتاب النفيس أن دين الإسلام هو الدين
الذى اصطفاه الله للعالم أجمع وأن التوراة محرفة وكذلك الإنجيل
وأثبتت صحة القرآن ونبوة محمد ﷺ ودفع مطاعن المبشرين بال المسيحية
عن الإسلام . فجزى الله المؤلف خير الجزاء ، وجعل هذا الكتاب فى
ميزان حسناته **(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بُنُونٌ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقُلُبٍ سَلِيمٍ)**

نادى فرج درويش العطار

١٥ يوليو ٢٠٠٤ م

كلية الشريعة / جامعة الأزهر

وقسم الدراسات العليا فى

كلية الحقوق / جامعة القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

حمدًا لمن أنزل على عبده الفرقان، وخصه بالحفظ من التغيير والتبديل والزيادة والنقصان. والصلوة والسلام على من خص بنسخ جميع الشرائع والأحكام، سيدنا محمد المبعوث إلى كافة الأمم المنعوت. في التوراة والإنجيل، المتحققة بظهوره دعوة أبيه إبراهيم الخيل. صلى الله عليه وعلى آله ذوى المجد والشان، وأصحابه المؤيدين بأقوى الحجة والبرهان.

أما بعد

فيقول راجى العفو والفتح من مولاه الكريم البارى، بكر بن السيد عمر بن السيد أحمد بن السيد موسى التميمي الدارى: إن بتوفيق الله قد وقفت على رسالة لبعض أذكياء المسيحيين، من فرقة بورستت فى الرد على أئمة المسلمين فى مسألة النسخ والتحريف عدد صحائفها ثمانية عشر. صحفة بالقطع الثمن. مطبوعة بحروف

مصرية سنة ألف وثمانمائة وثلاثة وثمانين ميلادية. بمطبعة الإنكليلز
في مدينة أورشليم - أى القدس الشريف - التابعة إدارتها إلى الدولة
العثمانية الإسلامية. سماها " البرهان الجليل على صحة^(١) التوراة
والإنجيل ".

زعم فيها: أنه أقام الحجة القاطعة على المسلمين في مسألتي
النسخ والتحريف، وأنه استتبط من الآيات القرآنية صحة التوراة
والإنجيل وأن النسختين الموجودتين في أيديهم؛ الآن هما عين الموجود
ذكرهما في القرآن. وقد أوجب فيها على أهل الإسلام الاهتمام
بشأنهما، والقيام بما فيهما من الأحكام؛ لينالوا بذلك السعادة الأبدية
والحياة السرمدية .

مع ما في آخرها من الطعن والتكييف الصريح والاستخفاف
بالحضرة النبوية.

(١) يعرف المسلمون: أن التوراة التي بيد اليهود؛ يقدسها النصارى كتقديسها لها. ولذلك
أول نقد يتوجه به المسلم لليهودي وللنصراني هو إثبات المسلم لأى واحد منها أن
التوراة محرفة باللفظ. أى أن اليهود كتبوها بأيديهم، بعدما كانت مكتوبة بيد الله عز
وجل. وبعدما يثبت المسلم تحريف التوراة، يخص النصراني بتحريف آخر. وهو
تحريف الانجيل.

واليهودي وللنصراني يقوم كلاً منها بإظهار تحريف في القرآن. وما ذلك منها إلا خوفاً
من إسلام اليهود والنصارى. وعدم انتفاعهم بأموالهم. وهم يعلمون أن القرآن خالي من
التحريف. فقد قال تعالى: (لَكُنَ الرَّاسِخُونَ فِي الْكِتَابِ مِنْهُمْ وَلَمْ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ) وقال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ
نَرْتَقُ الذِّكْرَ وَكَاتِبُهُ لَهُ لَعَلَّهُ لِمَحَاجِفُهُنَّ)

وقد نشرها مبشر وهم في الأقطار، من القرى والأمسار، مع أن
نشر مثل هذه الرسالة وطبعها في بلاد الإسلام؛ اعتداء زائد خارج عن
رسوم النظام. لكن الباطل كسيح بل قبيح، وأن غطّي وجهه بكل مليح.
ولما كان ديننا القويم وصراطنا المستقيم. يطالينا برد الشكوك
والشُبه ويرخص لنا بمكافأة المعذبين بمثل ما اعتدوا به ؛ أردت أن أرد
على هذا المفترى، وأبین له إفکه وخطأه الجلىّ . وإنى وإن كنت ليس
لي أهلية لهذا الشأن لحدوث سنى وقرب العنفوان. ولشغف البال
بحوادث الأحوال ، لكن الاتكال على معونة الواحد المنان، يرفع عن
العبد قيودات الأزمان؛ فلذلك شرعت في المطلوب، راجياً تمام
المرغوب. مراعيًا صحة النقل لما يلزم عن التفاتات الفخام، مستمدًا
التوفيق من الملك العلام. وسميته " السيف الصقيل في الرد على رسالة
البرهان الجليل " ليقطع لسانها، ويمزق حجتها ويرهانها. ثم المأمول
من عشر في هذا الكتاب، من ذوى الألباب، على شيءٍ زلَّ به الفهم
القاصر، والعزم الفاتر. أن ينظر إليه بنظر الإصلاح، ويستره بذيل
السماح. فإن الاعمال بالنيات والإنسان محل الهاوات. والفقير معترف
بقلة البضاعة، وعدم ممارسة هذه الصناعة. لكن عناية الملك اللطيف،
إذا لاحظت قد يسبق الضعف كما قيل :
إن المقادير إذا ساعدت الحق العاجز بال قادر

فأله أسأل، وبنبيه أتوسل. أن يجعله خالصاً لوجههِ الكريم،
موصلاً للفوز بجنت النعيم. وأن يرشدنا إلى الحق والصواب، ويسهل
لـى جميع الصعاب. إنه أكرم مأمول، وأعظم مسئول .
وـها أنا شارع في المقصود، بعون عناية الملك المعبد. فأقول :

التحريف في التوراة والزبور والأناجيل الأربع

قال القيس النبيل، صاحب البرهان الجليل، بعد البسمة والحمدلة والبعدية هكذا: " فلما كانت التوراة والإنجيل والزبور هى الكتب المعتبرة، وبالعمل بها تناول سعادة الدنيا والآخرة، ورأينا بعض أحبابنا المسلمين غير مهتمين بقراءتها؛ فسألناهم عن سبب ذلك فقالوا: إن علمائنا قالوا بحرمة مطالعتها لاشتمالها على التغيير والتبدل والزيادة والنقصان؛ أردنا أن نذكر بعض براهين تبطل ذلك مستنبطة من القرآن ".

أقول^(١) وبإله التوفيق، وبه الهدایة إلى أقوم طريق : إنما قال علماء المسلمين بحرمة مطالعة هذه الكتب الثلاث التي ذكرها حضرة القيس وغيرها من بقية كتب العهد العتيق والجديد؛ لما اشتملت عليه من المفاسد والمناقضات والاختلافات والغلط الكبير. وما ذلك إلا بسبب

(١) التحريف ينقسم إلى قسمين ١- تحريف لفظي ٢- وتحريف معنوى والمُؤلف المسيحي ينكر التحريف اللفظي. والمُؤلف المسلم يثبته بأدلة من التوراة والزبور والأناجيل.

والمؤلف المسيحي ينكر آيات من القرآن الكريم تتفى التحريف اللفظي في نظره- والمُؤلف المسلم يفسر آيات القرآن تفسيرا يثبت التحريف اللفظي. فعندنا قضيتان: القضية الأولى: إثبات التحريف اللفظي في التوراة والزبور والأناجيل والقضية الثانية: تفسير آيات القرآن الكريم التي تتكلم على التحريف اللفظي تفسيرا يدل على أن القرآن الكريم قد شهد بتحريف التوراة والزبور والأناجيل لفظيا وتحريفا معنويا.

وقوع التغيير والتبدل بالزيادة والنقصان، كما ستفت علیه فی محله إن شاء الله تعالى بالتفصیل الشافی، والبيان الكافی. فمن قال بحرمة مطالعة هذه الكتب؛ فهو مضطرب ومعنور لأن الكلام الإلهي مصان عن المناقضات والاختلافات والغلط. ونسبة ذلك إلى الله عَزَّلَ كفر. وكذا يصان عن تفسیق الأنبياء الكرام وتتقیصهم، ونسبة الكذب والزنا والکفر إليهم؛ لأن الله تعالى لما اصطفاهم لهذه الرتبة الشريفة؛ حفظ ظواهرهم وبواطنهم عن التلبس بمنهی عنه- نهى تحريم أو کراهة- وإنك لتعلم أيها العاقل الليب أن تلبسهم بذلك؛ يوجب تغیر أقوامهم المرسلين إليهم فلا يقادون لهم فَتُبْطَلُ فائدة بعثتهم، ويفوت الاستصلاح والغرض إلا من رسالتهم، وهو محال .

وإذا نرى هذه الكتب التي عناها حضرة القسیس تصرح وتتادى بتفسیقهم وتتقیصهم. وما نرى من نبی ذکر فيها من نوح إلى المسيح إلا ويكون فاسقاً أو کافراً أو زانياً أو من أولاد الزنا- أعادنا الله من أمثل هذه الإعتقادات الفاسدة في حق الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام- وإن كنت أرى أن أنقل ما نسبوه في كتبهم المقدسة إلى الأنبياء الكرام من الذنوب والکفریات المفتریات ولو على سبيل الإلزام؛ لكنني لما رأیت علماء بروتستنت في هذا الزمان الأخير؛ أطالوا ألسنتهم في كتبهم. كمؤلف رسالة الكندي، وصاحب ميزان الحق في الدين المبين والصراط المستقيم. سيمما في حق سید المرسلین. إطالة فاحشة لتغليط العوام الذين لا وقوف لهم على كتبهم وإفكهم؛ أحبت أن أنقل

بعضها على سبيل الإلزام وأنبراً من اعتقادها بالقلب واللسان وأستغفر
الله العظيم الشان. وليس نقلها إلا كنقل كلمات الكفر ونقل الكفر ليس
بकفر. فأقول :

من ذلك: ما جاء في العدد الثامن عشر من الأصحاح التاسع من
سفر التكوين من الترجمة الطبوعة سنة ١٨٧٠ في حق نوح عليه
السلام هكذا : "فكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك ساما وحاميا
ويافت. وحام هو أبو كنعان. هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح. ومن هؤلاء
تشعبت كل الأرض وابتداً نوح يكون فلاحا وغرس كرما. وشرب من
الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه. فأبصر حام أبو كنعان عوره أبيه
وأخبر أخيه خارجا. فأخذ سام ويافت الرداء ووضعاه على أكتافهما
ومشيما إلى الوراء وسترا عوره أبيهما ووجهاهما إلى الوراء. فلم ييصررا
عوره أبيهما. فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير.
قال: ملعون كنعان. عبد العبيد يكون لأخوه إلى هنا أهـ

ففي هذا الكلام تصريح بأن نوحاً شرب الخمر وسكر وصار
مكشوف العورة. وفيه شيء آخر: وهو أن المذنب بالنظر إلى عورته؛
حام أبو كنعان والذي عوقب باللعنة ابنه كنعان، مع أن أخذ الابن بذنب
الأب، خلاف العدل .

قال النبي حزقيال أحد أنبيائهم عليه السلام في العدد العشرين من
الأصحاح الثامن عشر من كتابه هكذا: "النفس إلى تخطئ فهى تموت

الابن لا يحمل إثم الأب والأب لا يحمل إثم الابن، وعدل العادل يكون عليه، ونفاق المنافق يكون عليه^(١)

(١) نص كلام حزقيال - الأصحاح الثامن عشر:

"وكان إلىَّ كلامَ الربِّ قائلًا مَا لَكُمْ أَنْتُمْ تَضَرِّبُونَ هَذَا الْمِثْلُ عَلَىَّ أَرْضِ إِسْرَائِيلَ قَائِلِينَ الْآبَاءَ أَكَلُوا الْحَصْرَمَ وَأَسْنَانَ الْأَبْنَاءَ ضَرَبْتَ حِيَ أَنَا يَقُولُ السَّيِّدُ الْرَّبُّ لَا يَكُونُ لَكُمْ مِنْ بَعْدَ أَنْ تَضَرِّبُوا هَذَا الْمِثْلُ فِي إِسْرَائِيلَ هَا كُلُّ النُّفُوسُ هِيَ لِي نَفْسُ الْأَبِ كَنْسُ الْأَبِ كَلَاهُمَا لِي النُّفُوسُ الَّتِي تَخْطُىءُ هِيَ تَمُوتُ وَالْإِنْسَانُ الَّذِي كَانَ بَارًا وَفَعَلَ حَقًا وَعَدْلًا لَمْ يَأْكُلْ عَلَىَّ الْجَبَالِ وَلَمْ يَرْفَعْ عَيْنِيهِ إِلَىَّ أَصْنَامِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَلَمْ يَنْجُسْ امْرَأَةً قَرِيبَهِ وَلَمْ يَقْرُبْ امْرَأَةً طَامِنًا وَلَمْ يَظْلِمْ إِنْسَانًا بَلْ رَدَ لِلْمَدْيَوْنِ رَهْنَهُ وَلَمْ يَغْتَصِبْ اغْتَصَابًا بَلْ بِذَلِّ خَبْزَهُ لِلْجَوْعَانِ وَكَسَا الْعَرِيَانَ ثُوبًا وَلَمْ يَعْطِ بَالْرِبَا وَلَمْ يَأْخُذْ مَرَابِحةً وَكَفَ يَدَهُ عَنِ الْجُورِ وَأَجْرَى الْعَدْلَ وَالْحَقَّ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَالْإِنْسَانِ وَسَلَكَ فِي فَرَائِضِي وَحْفَظَ أَحْكَامِي لِيَعْمَلَ بِالْحَقِّ فَهُوَ بَارٌ حَيَا يَحْيَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ فَانَّ وَلَدَ ابْنَاهُ مَعْتَفَاهُ سَفَاكَ دَمَ فَعَلَ شَيْنَا مِنْ هَذِهِ وَلَمْ يَفْعَلْ كُلُّ تَلْكَ بَلْ أَكَلَ عَلَىَّ الْجَبَالِ وَنَجَسَ امْرَأَةً قَرِيبَهِ وَظَلَمَ الْفَقِيرَ وَالْمُسْكِنَ وَاغْتَصَبَ اغْتَصَابًا وَلَمْ يَرْدِ الرَّهْنَ وَقَدْ رَفَعَ عَيْنِيهِ إِلَىَّ الْأَصْنَامِ وَفَعَلَ الرَّجْسَ وَأَعْطَى بَالْرِبَا وَأَخْذَ الْمَرَابِحةَ فَإِنْ يَحْيَا لَا يَحْيَا قَدْ عَمِلَ كُلُّ هَذِهِ الرَّجَاسَاتِ فَمَوْتُ دَمِهِ يَكُونُ عَلَى نَفْسِهِ وَانَّ وَلَدَ ابْنَاهُ رَأَى جَمِيعَ خَطَايَا أَبِيهِ التَّيْ فَعَلَهَا فَرَاهَا وَلَمْ يَفْعَلْ مِثْلَهَا لَمْ يَأْكُلْ عَلَىَّ الْجَبَالِ وَلَمْ يَرْفَعْ عَيْنِيهِ إِلَىَّ أَصْنَامِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَلَا نَجَسَ امْرَأَةً قَرِيبَهِ وَلَا ظَلَمَ إِنْسَانًا وَلَا ارْتَهَنَ رَهْنًا وَلَا اغْتَصَبَ اغْتَصَابًا بَلْ بِذَلِّ خَبْزَهُ لِلْجَوْعَانِ وَكَسَا الْعَرِيَانَ ثُوبًا وَرَفَعَ يَدَهُ عَنِ الْفَقِيرِ وَلَمْ يَأْخُذْ رِبَا وَلَا مَرَابِحةً بَلْ أَجْرَى إِحْكَامِي وَسَلَكَ فِي فَرَائِضِي فَإِنَّهُ لَا يَمُوتُ بِإِثْمِ أَبِيهِ حَيَا يَحْيَا أَمَا أَبُوهُ فَلَكُنْهُ ظَلَمَ ظَلَمًا وَاغْتَصَبَ أَخَاهُ اغْتَصَابًا وَعَمِلَ غَيْرَ الصَّالِحِ بَيْنَ شَعْبَهُ فَهُوَ ذَا يَمُوتُ بِإِثْمِهِ وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ لِمَاذَا لَا يَحْمِلُ الْأَبُونَ مِنْ إِثْمِ الْأَبِ أَمَا الْأَبُونَ فَقَدْ فَعَلَ حَقًا وَعَدْلًا حَفْظَ جَمِيعِ فَرَائِضِي وَعَمِلَ بِهَا فَحَيَا النُّفُوسُ الَّتِي تَخْطُىءُ هِيَ تَمُوتُ الْأَبُونَ لَا يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الْأَبِ وَالْأَبُ لَا يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الْأَبِ بَرَ الْبَارِ عَلَيْهِ يَكُونُ وَشَرُّ الشَّرِيرِ عَلَيْهِ

على أنه لو فرضنا أن الابن يحمل إثم الأب وكان ذلك من العدل فما وجه تخصيص كنعان من بين أولاد حام الناظر إلى عورة أبيه، مع أن أولاده كانوا أربعة كوش ومصرايم وفوط وكنعان كما هو مصرح به على هذا الترتيب في العدد السادس من الأصحاح العاشر من سفر التكوين؟ على أنه ما سمع أن كنعان ولا بنوه كانوا عبيداً. ولا في وقت من الأوقات بل كانوا سادة ولوكا وجباررة فلسطين وغيرهما كما يعلم ذلك من سفر التكوين.

يكون فإذا رجع الشرير عن جميع خطایاه التي فعلها وحفظ كل فرائضي و فعل حقاً و عدلاً فحياة يحيا لا يموت كل معاصيه التي فعلها لا تنكر عليه في بره الذي عمل يحياناً هل مسراة اسر بموت الشرير يقول السيد الرب إلا بر جوعه عن طرقه فيحيا وإذا رجع البار عن بره و عمل إنثما و فعل مثل كل الرجاسات التي يفعلها الشرير لفيحيا كل بره الذي عمله لا يذكر في خيانته التي خانها وفي خططيته التي اخطأ بها يموت وانتم تقولون ليست طريق الرب مستوية فاسمعوا الآن يا بيت إسرائيل اطريقى هي غير مستوية أليست طرركم غير مستوية إذا رجع البار عن بره و عمل إنثما ومات فيه فإثمه الذي عمله يموت وإذا رجع الشرير عن شره الذي فعل وعمل حقاً وعدلاً فهو يحيى نفسهرأى فرجع عن كل معاصيه التي عملها فحياة يحيا لا يموت وبيت إسرائيل يقول ليست طريق الرب مستوية اطريقى غير مستقيمة يا بيت إسرائيل أليست طرركم غير مستقيمة من أجل ذلك اقضى عليكم يا بيت إسرائيل كل واحد كطرقه يقول السيد الرب توبوا وارجعوا عن كل معاصيكم ولا يكون لكم الإثم مهلاكة اطرحوا عنكم كل معاصيكم التي عصيتم بها واعملوا لأنفسكم قلباً جديداً وروحًا جديدة فلماذا تموتون يا بيت إسرائيل لأنني لا اسر بموت من يموت يقول السيد الرب فارجعوا واحيوا"

وجاء في العدد العاشر من الأصحاح الثاني عشر من سفر التكوين في حق إبراهيم عليه السلام هكذا : " وحدث جوع في الأرض . فانحدر إبرام إلى مصر ليتغرب هناك . لأن الجوع في الأرض كان شديداً . وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لسارة امرأته أني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر . فيكون إذا رأك المصريون انهم يقولون هذه امرأته . فيقتلونني ويستبكونك . قولي أنك اختي . ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسى من أجلك فحدث لما دخل إبرام إلى مصر ان المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جداً . ورأها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون . فأخذت المرأة إلى بيت فرعون . فصنعت إلى إبرام خيراً بسببها . وصار له غنم وبقر وحمير وعيدين وامااء وأتن وجمال . فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب سارة امرأة إبرام . فدعى فرعون إبرام وقال ما هذا الذي صنعت بي . لماذا لم تخبرني أنها امرأتك . لماذا قلت هي اختي حتى أخذتها لي لتكون زوجتي . والآن هذا امرأتك . خذها واذهب " أ -

فظهر من هذه الحكاية : أنه لو لم يقل عن زوجته إنها اخته ، ما كان أخذها فرعون ، وإن الكذب بقوله هي اختي ما كان لمجرد الخوف بل كان لرجاء حصول المنفعة والخير أيضاً ، بل رجاء حصول الخير والمنفعة كان أقوى . ولذلك قدمه في كلامه . على أن خوفه من القتل مجرد وهم . سيما إذا كان راضياً بتركها فإنه لا وجه لخوفه بعد ذلك أصلاً ، وكيف يجوز العقل - أيها العاقل - صدور مثل هذا عن إبراهيم

عليه السلام وكيف يرضى بترك حريمه وتسليمها للغير، ولم يدافع دونها. حاشا جنابه الشريف أن يرضى بذلك، بل لا يرضى بمثله من له أدنى غيرة، فكيف إبراهيم خليل الله أبو الأنبياء وصفوة الأماناء .

ومثل هذا: ما جاء فى حق ابنه إسحق القىلا من أنه لما حدث فى الأرض جوع؛ ارتحل إلى أرض فلسطين وسكن فى "جرار" فسئل رجل ذلك الموضع عن زوجته فقال عنها إنها اخته لئلا يقتلوه من أجل حسنها. كما هو مصرح به فى العدد السابق من الأصحاح السادس والعشرين من سفر التكوين .

قال القيسис وليم اسمث فى الصفحة ١٦٩ من كتابه المسمى طريق الأولياء بعد أن نقل هذه الحكاية هكذا : " يا أسفى يا أسفى أنه لا يوجد كمال فى أحد من بنى آدم غير الواحد العديم النظير . والعجب أن شبكة الشيطان التى وقع فيها إبراهيم وقع فيها إسحق وقال عن زوجته إنها اخته . فيا أسفى أن أمثال هؤلاء المقربين عند الله محتاجون إلى وعظ " انتهى كلام القيسيس المذكور بلفظه . أقول: ولما تأسف هذا القيسيس تأسفاً شديداً على عدم وجود كمال فى أحد من الناس غير المسيح الواحد العديم النظير ، وعلى أن هؤلاء المقربين محتاجون إلى واعظ يعظهم؛ فلا نطيل الكلام فيه لكنى أتأسف على عدم وجود هذا القيسيس فى تلك الأيام حتى يكون واعظاً لهؤلاء المقربين والأنبياء الصالحين . ربنا لا تجعلنا من القوم الضالين ، ولا من العقول مسلوبين .

ومن طالب الأصحاح السابع والعشرين من سفر التكوين وجد فيه نسبة الكذب إلى سيدنا يعقوب القديس ثلاثة ثلث مرات وأنه خادع أباه - حاشا جنابه الشريف أن يصدر عنه ذلك - أما الخداع الذي نسب إليه في الأصحاح المذكور : فهو أن أباه إسحاق القديس لما شاخ وكبر طلب من ولده عيسو طعاماً لكي يدعوه له بالبركة التي يكون مستحقاً بها وأهلاً لمنصب النبوة . فلما سمع بذلك يعقوب عليه السلام ذهب وجاء إلى والده بالطعام المطلوب وقال له : ها أنا ولدك عيسو قد فعلت لك الطعام كما أمرتني . قم يا والدى وكل ; لكي تباركنى نفسك . فلما أكل إسحاق عليه السلام من ذلك الطعام دعا لولده يعقوب القديس بدعاء كثير وباركه لكن بنيته أنه عيسو ، لا أنه يعقوب . ومع ذلك فقد صار يعقوب القديس بسبب ذلك الدعاء مستحقاً لمنصب النبوة . ولذلك حصلت له ، بخلاف عيسو . فكما أثر ذلك الخداع عند إسحاق القديس أثر عند الله تعالى أيضاً فإن إسحاق القديس كان بصميم قلبه واعتقاده داعياً إلى ولده عيسو لا لولده يعقوب القديس لأن يعقوب جاءه بصورة أخيه عيسو وكما لم يميز إسحاق القديس بين الأخوين في حال الدعاء؛ فكذلك لم يميز الله عَزَّوجَلَّ بينهما عند إجابة الدعاء - تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً - والعجب أن ولاية الله والنبوة والصلاح تحصل بالمحال على أصول كتابهم المقدسة فلو كان حال ديانة أبي الأنبياء الإسرائيليية هكذا أو حال علم الله هكذا فللمنكر أن يقول يجوز أن يكون مبني معاملات سائر الأنبياء الإسرائيليية مع الله تعالى على الخداع والمكر كأبيهم الأعلى - والعياذ

بإله تعالى من هذه الأمور الواهية التي يكذبها البرهان وتقشعر من ذكرها جلد أهل الإيمان -

ولقد جاء في العدد الثلاثين من الأصحاح التاسع عشر من سفر التكوين في حق لوط القطّة هكذا : " وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنته معه . لانه خاف أن يسكن في صوغر . فسكن في المغارة هو وابنته . وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض . هلم نسقي أبانا خمرا ونضطجع معه . فتحيي من أبينا نسلا . فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة . ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها . ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامتها . وحدث في الغد ان الكبرى قالت للصغرى اني قد اضطجعت البارحة مع أبي . فهم نسقيه خمرا الليلة أيضا وقامت الصغرى واضطجعت معه . ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامتها . فحبلت ابنتا لوط من أبيهما . فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب . وهو أبو الموآبيين إلى اليوم . والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه عمان . وهو أبو العمانيين إلى اليوم " أه -

أقول : لو فرضنا صدق هذا الحكاية الحال وقوعها ، وأنها صادرة عن قلم موسى القطّة فما الحامل له على ذكرها ؟ وما الغرض والفائدة من بثها مع أنه لم يلحقها بوعيد عذاب ولا شديد عقاب ؟ حاشا جنابه الشرييف أن يتعرض لهنـك أعراض الأنبياء المنزـهـة أعراضـهم عن عروض مثل هذه الأعراض . وما هي إلا دسيـسة دسـها من لا يخشـى الله تعالى في الكتب السـماـوية . وهذا الإنجـيل المـتدـاـول يـشـهدـ بأنـ

لوطًا القديس بارًّا قديس. لم يقع الوهن في قدسيته وبرارته بعد نسبة هذه الحركة الشنيعة له. ففي العدد السابع من الأصحاح الثاني من رسالة القديس بطرس الثانية هكذا:

وأنقذ لوطًا البارًّا من سيرة الأردياء في الدعارة إذ كان البار بالنظر والسمع وهو الساكن بينهم يذهب يوماً فيوماً نفسه البارة بالأفعال **الأثيمة** "أـ هـ

فهذا بطرس الحواري قد أطلق عليه لفظ البار ومدحه على شدة طاعته لله تعالى، وأنا أشهد أيضًا أنه كان بارًّا، بريًّا مما نسبوه إليه على أنا ما سمعنا أن السكر يوصل إلى هذه الحركة الشنيعة. فإن السكران لا يخلو إما أن يكون سكره متوسطاً أو في أعلى طبقة. فإن كان متوسطاً يبقى له تمييز فيميز بناته عن الأجنبيةات، وإن كان سكره في أعلى طبقة يسقط حينئذ تمييزه، لكن لا يبقى في هذا الوقت قابلاً للجماع. كما شهد بذلك الأطباء والمولعون بشرب الخمر، وإلى هذا الحين ما سمعنا أن في الدنيا بأسرها أن رزيلاً من الأرزال الذين يكونون في أغلب أوقاتهم مخمورين أنه فعل مثل هذا الفعل الشنيع، وإذا كان الخمر موصلًا إلى هذه الرتبة السافلة فواً أسفى على حال المولعين بشرب الخمر، كيف يرجى نجاة بناتهم وأمهاتهم من أيدي الآباء والأبناء والإخوة، سيما إذا أضفنا ذلك إلى من يجمع نسائهم ورجالهم كأس واحد. والعجب كل العجب من هذا القديس البار بحكم الإنجيل كما ابتدى في الليلة الأولى ابتدى في الليلة الثانية وما انتبه فيها

لما فعلته معه ابنته الكبرى في الليلة الأولى. وذلك مما لا يمكن
تصوره .

وكيف يجوز العقل السليم وقوع ذلك الفعل الشنيع من ابنتى لوط
الظىء بعد أن نظرتا وقوع الخسف والعذاب في قوم أبيهما بسبب فعل
الفاحشة التي كانوا يفعلونها بالأجانب فضلاً عن الأقارب؟ ولو فرضنا
وقوع ذلك المحال وقوعه؛ لمَ لم تخسف بهم الأرض كما خسفت
بأقوامهم؟ بل كان يجب أن يعذبوا بأشد أنواع العذاب حيث رأوا
القصاص على مثل ذلك الفعل الشنيع بأعينهم. وقد نجاهم الله منه ولم
يخشوه فيما بعد وما اتعظوا. لعل أن يقال من طرف حضرة القسيس:
أن فعل هذا الأمر كان مقتضياً لـيتولد داود وسليمان ويعسى
أبناء الله من نسل هذين الولدين السعديين؛ لأن عُوبِدَ جد لـداود العظيم
واسم أمه راعوث. كما هو مُصرّح به في العدد الخامس من الأصحاح
الأول من إنجيل متى. وراغوث هذه كانت موآية من أولاد موآب ابن
سيدهنا لوط عليه السلام كما هو مصري في سفر راغوث ولأن ربعم
بن سليمان العظيم من أجداد عيسى العظيم كما هو مصري به في العدد
السابق من الأصحاح الأول من إنجيل متى واسم أمه نعمة. ونعمه هذه
التي هي أم ربعم الذي هو جد للمسيح العظيم كانت عمانية من أولاد
عمان بن لوط العظيم كما هو مصري به في العدد الثاني والعشرين من
الأصحاح الرابع عشر من سفر الملوك الأول. وهذه نعمة من جدات
ابن الله الوحيد بل الله على زعمهم. فأى شرف لـموآب وعمان ولدى

الزنا؟ أزيد من أن بعض بنات الأول صارت جدة معظمها لأبناء الله - على زعمهم- وبعض بنات الثاني الذي هو عمان صارت جدة خاصة لابن الله الوحيد، بل الله على زعمهم؟

وحيث ثبت لك أنها الليب أن نسب المسيح القديس قد وصل إلى موآب وعمان باعتبار تولده من هاتين الجدين؛ فقد صار المسيح عليه السلام موآبياً وعمانياً وما كان للعمانيين والموآبيين أن يدخلوا في جماعة الرب إلى الأبد. كما هو مصرح به في العدد الثالث من الأصحاح الثالث والعشرين من سفر التثنية من الترجمة المطبوعة سنة ١٨٤٨ ميلادية. فكيف دخل المسيح القديس في جماعة الرب بل صار رئيسهم -على زعمهم- ولا يصح أن يقال إن اعتبار النسب بالأباء لا بالأمهات فلا يكون المسيح القديس عمانياً ولا موآبياً لأننا نقول: لو كان الأمر كذلك يلزم أن لا يكون المسيح أيضاً إسرائيلياً ولا يهوداوياً ولا داويماً ولا سليمانياً؛ فإن حصول هذه الأوصاف له من جانب الأم لا من جانب الأب؛ فلا يكون حينئذ مسيحاً موعوداً به. واعتبارهم هذه الأوصاف باعتبار الأم وعدم اعتبارهم كونه عمانياً موآبياً من جهة الجدات؛ ترجيح بلا مرجح. وهو باطل. وهذا وارد على نبوة داود وسليمان عليهما السلام أيضاً باعتبار راعوث. لكن لا نطيل الكلام فيهما. فتأمل.

ومثل هذا ما جاء في العدد الثاني والعشرين من الأصحاح الخامس والثلاثين من سفر التكوين في حق رأوبتن القديس هكذا "ومضى

رأوبين^(١) وضاجع بلهة سرية أبيه وسمع أبوه بذلك " فانظر أيها الليب إلى ما نسبوه إلى رأوبين الولد الأكبر ليعقوب النبي أنه زنى بزوجة أبيه، وأبوه قد سمع بذلك ولم يجرى الحد والتعزير عليه ولا على هذه الزوجة. والظاهر أن حد الزنا بالنار كما يفهم ذلك من العدد الرابع والعشرين من الأصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوانين .

ولقد جاءَ مثل هذا الفعل الشنيع في العدد السادس من الأصحاح المذكور في حق يهودا ابنه الآخر هكذا: " واخذ يهودا زوجة لغير بكره اسمها ثamar. وكان عير بكر يهودا شريرا في عيني الرب. فأماته الرب. فقال يهودا لأونان ادخل على امرأة أخيك وتتزوج بها وأقم نسلا لأخيك. فعلم أونان أن النسل لا يكون له. فكان إذ دخل على امرأة أخيه أنه أفسد على الأرض لكيلا يعطي نسلا لأخيه. فقبح في عيني الرب ما فعله. فأماته أيضا. فقال يهودا لثamar كنته: اقعدني أرملة في بيت أبيك حتى يكبر شيلة ابني. لأنه قال لعله يموت هو أيضا كأخويه. فمضت ثamar وقعدت في بيت أبيها.

ولما طال الزمان ماتت ابنة شواع امرأة يهودا. ثم تعزّى يهودا فصعد إلى جزار غنمته إلى تمنة هو وحيرة صاحبه العلامي. فأخبرت ثamar وقيل لها: هوذا حموك صاعد إلى تمنة ليجزّ غنمته. فخلعت عنها ثياب ترملها وترقطت ببرقع وتلتفت وجلست في مدخل عينايم التي على طريق تمنة. لأنها رأت أن شيلة قد كبر وهي لم تُعط له زوجة. فنظرها

(١) في الأصل: روبيل.

يهودا وحسبها زانية لأنها كانت قد غطت وجهها. فمال إليها على الطريق وقال هاتي أدخل عليك. لانه لم يعلم أنها كنته. فقالت: ماذا تعطيني لكي تدخل علي؟ فقال إني أرسل جدي معزى من الغنم. فقالت: هل تعطيني رهنا حتى ترسله. فقال: ما الرهن الذي أعطيك؟ فقالت: خاتمك وعصابتك وعصاك التي في يدك. فأعطتها ودخل عليها. فحبلت منه. ثم قامت ومضت وخلعت عنها برقعها ولبس ثياب ترملها فأرسل يهودا جدي المعزى بيد صاحبه العلامي ليأخذ الرهن من يد المرأة. فلم يجدها، فسأل أهل مكانها قائلة: أين الزانية التي كانت في عيناي على الطريق؟ فقالوا لم تكن هنا زانية. فرجع إلى يهودا وقال لم أجدها. وأهل المكان أيضا قالوا لم تكن هنا زانية. فقال يهودا لتأخذ نفسها ثلاثة نصیر إهانة. إني قد أرسلت هذا الجدي وأنت لم تجدها ولما كان نحو ثلاثة أشهر أخبر يهودا وقيل له: قد زنت ثamar كنتك. وهذا هي حبلی أيضا من الزنى. فقال يهودا: آخر جوها فتحرق. أما هي فلما أخرجت أرسلت إلى حميها قائلة: من الرجل الذي هذه له أنا حبلی؟ وقالت: حقّ لمن الخاتم والعصابة والعصا هذه؟ فتحققها يهودا وقال: هي أبّ مني لأنني لم أعطها لشيلة ابني. فلم يعد يعرفها أيضا.

وفي وقت ولادتها إذا في بطئها توأمان. وكان في ولادتها أن أحدهما أخرج يدا فأخذت القابلة وربطت على يده قرمزا قائلة: هذا خرج أولاً. ولكن حين ردّ يده إذ أخوه قد خرج. فقالت: لماذا

اقتحمت؟ عليك اقتحام. فدعني اسمه فارص. وبعد ذلك خرج أخوه الذي على يده القرمز. فدعني اسمه زارح "أ" هـ

أقول: لا عجب ولا استغراب من نسبة هذا الفعل الشنيع ليهودا عليه حسب أصولهم المقدسة. لكنى أتعجب من نظم وتركيب هذه الحكاية ومن قولهم إن يهودا أعطى خاتمه وعصاه وعمامته لكنته رهنا على أجرا ذلك الفعل الشنيع .

وكيف يتصور إليها العاقل اللبيب من يهودا أن يذهب من ذلك المكان في رابعة النهار إلى محطة بلا عمامة ومكشوف الرأس مع أنه كان رئيساً في قومه. وإلى هذا الحين ما سمعنا في الدنيا بأسرها أن رزيلاً من الأرزال الذين يكونون في أغلب أوقاتهم في محلات الفواحش أنه أعطى عمamته رهنا على أجرا فعل مثل هذا الفعل الشنيع. والأغرب منه قولهم: إن يهودا أمر بإحراق كنته لما أخبروه أنها حبلٍ من الزنا، ولما أعلمه أنه هو الذي كان قد زنا بها وحبلاها؛ أمر بتركها وشهد لها بشدة البر وأنها أبرٌ منه. فنعم البار ونعمه الباردة الفائقة بالبر. فكيف لا وهي التي لم تكشف عورتها إلا على حميها وما زنت إلا به وقد حصلت منه بسبب هذا الزنا الواحد على ابنيين كاملين تولد من أحدهما -الذي هو فارص- أنبياء كرام داود وسليمان وعيسى^(١) عليهم السلام كما هو مصرح به في الأصحاح الأول من

(١) لا يصح الإيمان بأن عيسى تولد من "فارص" لأن عيسى عليه السلام مخلوق من الله بغير أب. وهذا في القرآن. وأما عند اليهود فإنهم يقولون بأنه مخلوق من أب هو "باندارا"

إنجيل متى. فأى شرف لثامار أعظم من أن ابنها فارص المولود لها من حميتها صار جداً لأبناء الله داود وسليمان والمسيح ابن الله الوحد بل الله -على زعمهم-؟ والأعجب من هذا قوله إن الرب قتل غيرًا زوج ثامار الأول لكونه رديًا. ورداعته لم تعلم من أى جهة كانت. أكانت هذه الرداءة أعظم من رداءة أبيه حيث زعموا أنه زنى بزوجته بعد موته، أو من رداءة عمه الكبير حيث زعموا أنه زنا بسرية أبيه، أو من رداءة فلان حيث زعموا أنه زنا ببناته بعد أن نجاه الله من عذاب قومه؟ أهؤلاء كانوا قابلين للرأفة وعدم القتل. وكان غير الذي لم تعلم خطيبته مستحقة للقتل فقتله الرب. والأغرب منه قوله إن الرب قتل أونان أيضاً زوج ثامار الثاني على خطأ عزل المنى، وما قتل أباه وأجداده وعمه على تلك الخطئات. وهذا العزل أشد ذنبًا من تلك الخطئات؟ نعود بالله أن نكون من القوم الكافرين الذين يقولون على الله ما لا يعلمون.

وحيث عرفت أيها الليبيب أن داود عليهما السلام من ذرية فارص بن ثامار المولود منها بالزنا، وداود عليهما السلام هو البطن العاشر من فارص

الرومانى. وهو -لعنهم الله- يعلمون أن مريم أمه -شرفها الله تعالى وعظمها- كانت محتجبة عن الناس جمِيعاً في هيكل سليمان. لأنها كانت منذورة لله تعالى. وأما النصارى ففي إنجيل متى: أنها ولدت المسيح وهي عذراء. ومن بعد ولادته من عذراء تزوجت مريم. وهذا من عبث النصارى في الأنجلترا. لأنها كانت منذورة بارادتها لخدمة الرب إلى الموت والمنذورة لا تتزوج. ففي الأصحاح الأول من إنجيل متى: ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر، ودعا اسمه يسوع" [متى ١: ٢٥]

المذكور كما يعلم ذلك من الأصحاح الأول من إنجيل متى وما كان
لابن الزنا أن يدخل في جماعة الرب حتى يمضى عليه الجيل العاشر،
كما هو متصريح به في العدد الثاني من الأصحاح الثالث والعشرين من
سفر التثنية، فكيف دخل داود وآباؤه في جماعة الرب بل صار من
رؤساء الأنبياء الكرام وصاحب كتاب وإلهام؟ فهو لا يخلو إما أن يكون
هذا الحكم ليس من جانب الله تعالى وما صدر عن قلم موسى الكتاب أو
أن قصة يهودا مع كنته ثamar ليست حقيقة وإنما هي من جملة
مفتيّيات بنى إسرائيل. دسها من لا يخشى الله تعالى في الكتب
السماوية حسداً منه في الأنبياء الكرام ل يجعلهم من غير أبناء للرشد.
وليس ذلك ببعيد على قوم عبدوا العجل بعد أن رأوا الآيات البيانات
والمعجزات الباهرات «رَبَّنَا لَا تُرِعْ قَلْوَنَا بَعْدِ إِذْ هَدَيْنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ».

ولقد جاء في العدد الرابع من الأصحاح الثاني والثلاثين من سفر
الخروج في حق هارون الكتاب من أنه صور العجل وعبده، وأمر بنى
إسرائيل بعبادته. ونظير ذلك: ما زعموه في حق موسى الكتاب من أنه
أمر بأن يصنع من ذهب صورة كروبيين باسطين أحجحتهما إلى فوق
ووجه كل واحد الآخر. يوضعان فوق غطاء تابوت الشهادة الذي فيه
نسخة التوراة كما هو متصريح به في الأصحاح السابع والثلاثين من
سفر الخروج مع أن موسى الكتاب قد نهى عن اتخاذ الصور أشد النهي
كما هو متصريح به في العدد الرابع من الأصحاح العشرين من سفر

الخروج أيضاً. وقد زعموا في حقه أيضاً من أنه استعفى واستقال من النبوة والرسالة فاشتد غضب الله تعالى حيث قال الرب: "ارغب منك يا سيدى أن ترسل غيري" كما أشير إلى ذلك في الأصحاح الرابع من سفر الخروج أيضاً.

فكيف يتصور أيها العاقل غضب الرب على موسى عليه السلام مع أنه من أنبيائه وأصفيائه. وغضبه إنما يكون على أعدائه؟ ونظير هذا: ما زعموه في حقه أيضاً من أن الله تعالى حرمه وأخاه هارون عليهم السلام عن الدخول إلى الأرض المقدسة لكونهما عصياء ولم يقتساه ولم يصدقاه. أمام بنى إسرائيل كما هو مصرح به في العدد الثاني عشر من الأصحاح العشرين من سفر العدد من الترجمة المطبوعة سنة ١٤٨٠ميلادية.

وقد صرّح في العدد الخمسين من الأصحاح الثاني والثلاثين من سفر التثنية أن آخر حياتهما ختمت بإعراض الله عنهم -والعياذ بالله تعالى- والأعجب من هذا ما نسبوه لسليمان عليه السلام من أنه في آخر عمره ارتد وعبد الأصنام وبنى لها المعابد. كما هو مصرح به في الأصحاح الحادى عشر من سفر الملوك الأول. فانظر أيها النبي إلى جراءة بنى إسرائيل على الأنبياء العظام كيف أنهم لم يكتفوا بنسبة المعاصي والكبائر إليهم بل تجاوزوا الحد حتى أخرجوهم عن دائرة الدين بالكلية. ويا عجباً من بنى إسرائيل كيف ساغ لهم أن يدخلوا في التوراة هذا البهتان المبين. وإذا حملهم الحسد لأنبيائهم الذين هم من

جنسهم فافتروا عليهم هذه الأمور التي يكتنها البرهان وتقشعر من ذكرها جلود أهل الإيمان؛ فلا عجب ولا استغراب من إنكارهم اسم نبينا وحذفه، وهو من غير جنسهم، ولا يستبعد ذلك من قوم قذفوا المسيح وأمه الطاهرة البتول وقد قتلوا جملة من الأنبياء الكرام بعد أن رأوا منهم الآيات البينات والمعجزات الباهرات.

وحيث ظهر لك أيها الليبيب أنهم يكفرون نبى الله سليمان عليه السلام تعرف سر قوله تعالى «وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانٌ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا» وإنه وارد للرد على من افترى ذلك وتکذیبه وليس وارداً مورد المدح وإلا لم يكن فيه كبير فائدة. إلا ترى أنه لو قيل عن أحد من آحاد الناس في مقام المدح أنه ليس بكافر لم يعد كبير مدح وربما أغضب من قيل فيه ذلك لأن الكفر من أقبح أنواع العيوب ونفيه يشعر بإمكان ثبوته ولا يستلزم نفي غيره بخلاف ما إذا أريد بذلك الرد على المفترى. فتأمل.

وقد زعموا في حق والده داود عليه السلام من أنه افتن بزوجة أوريا الحثي فقاربها وحملت منه بولد وأهلك زوجها بالمكر والخداع، ثم تزوجها. كما هو مصرح به في الأصحاح الحادى عشر من سفر صموئيل الثاني. وزعموا أن الرب قد حكم على داود عليه السلام نظراً إلى هذا الفعل الذميم على لسان النبي ناثان عليه السلام من أن الولد الذي تولد بزناه، موتاً يموت. كما هو مصرح به في العدد الرابع عشر من الأصحاح الثاني عشر من السفر المذكور. فانظر أيها الليبيب إلى حكم الرب وعلمه كيف حكم عليه وقادصه بموت ابنه وفلذة كبده المتولد

من زناه. وأما حد الزنا الذى هو القتل ما أمره بإجرائه عليه ولا على هذه الزانية. لعل الحدود والتعزيرات المذكورة في التوراة فرضها رب لابراء على الفقراء والمساكين المغلوبين لا على الملوك والسلطانين -نعود بالله أن نكون من القوم الكافرين الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون على الله ما لا يعلمون-

والأغرب من هذا أن رب قد حكم عليه أيضاً على لسان النبي ناثان بهذا الحكم وهو هكذا: "قال رب ها أنا ذا أقيم عليك الشر من بيتك وأخذ نسائك أمام عينك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك في عين هذا الشمس لأنك أنت فعلت بالسر وأنا أفعل هذا الأمر قدام جميع إسرائيل وقدام الشمس" كما هو مصرح به في العدد الحادى عشر من الأصحاح المذكور وقد زعموا أنه وفي بما وعد وهيج -والعياذ بالله تعالى- ولذا من أولاده اسمه أبשלום فنصب خيمة على السطح ودخل على جميع سراري أبيه فاضطجع معهن تجاه جميع بنى إسرائيل وقدام الشمس كما هو مصرح به في العدد الثاني والعشرين من الأصحاح السادس عشر من السفر المذكور ثم حارب أبשלום أباه داود النبي حتى قتل في تلك الملحمة عشرون ألفاً من بنى إسرائيل كما هو مصرح به في الأصحاح الثامن عشر من السفر المذكور. وهذا الولد السعيد الذي لداود النبي قد فاق رأوبين الولد الأكبر ليعقوب عليه السلام بثلاثة أوجه.

الأول: أنه زنا بجميع سراري أبيه بخلاف رأوبين فإنه زنا
بسرية واحدة.

الثاني: أنه زنا بهن تجاه بنى إسرائيل علانية وقادم الشمس
بخلاف رأوبين فإنه زنا خفية.

الثالث: أنه حارب أباه حتى قتل عشرون ألفا من بنى إسرائيل
بخلاف رأوبين لكن لا استغراب ولا تعجب من هذه الأمور لأن أمثالها
لو صدرت عن أولاد الأنبياء بل الأنبياء ليست عجيبة على حكم
وأصول كتبهم المقدسة بل أتعجب من أن زنا أبسالوم بسراري أبيه كان
بحكم الرب وعلمه، وأنه هو الذي هيجه على هذا الفعل الشنيع - تعالى
الله عن ذلك علواً كبيراً - ولا شك أن هذا كله محسن افتراء يجب رده
وإنكاره. قال الشيخ السنوسى فى مبحث العصمة للأنبياء بعد أن أنكر
هذا القصة أشد إنكاراً: "ولا شك أن فى كتب بنى إسرائيل تخليطاً
عظيماً لا يليق أن يلتفت إليه.

وقد قال على بن أبي طالب كرم الله وجهه: من حدث بما قال
هؤلاء القصاصن -يعنى اليهود- جلتته حدين لما انتهك من حرمة من
رفع الله قدره"

ومن عجيب ما جاء فى الإنجيل أن قيافا رئيس كهنة اليهود كان
نبياً بشهادة يوحنا الإنجيلي كما صرخ بذلك فى العدد الحادى والخمسين
من الأصحاح الحادى عشر من إنجيله وكلامه فى حقه هكذا: "ولم يقلْ
هذا من نفسه، بل إذ كان رئيساً للكهنة في تلك السنة، تبأً أن يسوع مُزمع أن يموت

عَنِ الْأُمَّةِ فَقُولُهُ "تَبَّاً" يَدُلُّ عَلَى أَنْ نِبُوَتَهُ يَقِينِيَّةٌ. وَهَذَا النَّبِيُّ قَدْ أُفْتَى بِقَتْلِ
الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ كَفَرَهُ وَأَهَانَهُ أَيْضًا. فَلَوْ كَانَ صَدُورُ هَذِهِ
الْأُمُورِ عَنْ قِيَافَةِ النَّبُوَّةِ وَالْإِلَهَامِ الإِلَهِيِّ فَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا وَاجَبَ
الرَّدَ - وَالْعِيَادَ بِاللَّهِ تَعَالَى - وَالْأَعْجَبَ مِنْ هَذَا مَا صَرَحَ بِهِ بُولُسُ مِنْ أَنَّ
مَسِيحَهُمْ لَمَّا صَلَبَ عَلَى خَشْبَةِ صَارَ مَلْعُونًا وَمَطْرُودًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ -
وَالْعِيَادَ بِاللَّهِ تَعَالَى - وَهَذَا يَشْعُرُ بِغَضْبِ اللَّهِ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَا يَطْرَدُ مِنْ
الرَّحْمَةِ إِلَّا الْجَاحِدُ الْمُتَوَغلُ فِي الْكُفُرِ كَابِلِيُّسُ الْمَلْعُونُ - وَالْعِيَادَ بِاللَّهِ
تَعَالَى -

فَعَذْرًا يَا صَاحِبَ الْبَرْهَانِ إِذَا قَلَنَا بِرَحْمَةِ مَطَالِعَةِ هَذِهِ الْكِتَابِ
الْمُشْتَمَلَةِ عَلَى هَذِهِ الْمَفَاسِدِ. فَإِنَّ الْأَثَمَ وَالْأَذْنُوبُ النَّاتِجَةُ عَنْ مَطَالِعَتِهَا
أَكْثَرُ مِنَ الْخَيْرِ بَلْ لَا خَيْرَ^(١) فِي مَطَالِعَتِهَا أَصْلًا. إِذْ مَطَالِعَتِهَا مَا هِيَ

(١) تحريم قراءة كتب التوراة والزبور والإنجيل على المسلمين؛ ليس من نص قرآنى، وإنما هو مفهوم ضمننا من حديث نبوى. مروى بطريق الأحاديث. ولو كان هذا الحديث صحيحًا. ما كان يعمد المؤلف عليه السلام إلى قراءة كتب التوراة والزبور والأنجيل؛ ليحتاج بها على اليهود والنصارى. وكتابه هذا يدل دلالة قاطعة على أنه كان على جانب عظيم من الفهم وجودة القرىحة وقوه العقل، فضلاً عن حسن نيته وسلامة طويته. وذلك لأن العالم اليهودى لن يسلم، ولن يخرج من التوراة آيات ينتقض بعضها ببعض؛ ليأخذها المسلم ويحتاج بها على اليهود. وكذلك العالم المسيحي. فهل يسكت المسلمون عن البحث فى كتبهم المزورة فى آيات كثيرة بينما هو لا يسكنون عن تكذيب القرآن فى قوله إنهم حرروا كتبهم، حرروا التوراة والإنجيل؟ ما عندنا فى ديننا تحريم فى شأن هذه الكتب. من جهة الاطلاع عليها. وعلماونا الأفضل لهم جهود عظيمة فى قراءة التوراة والإنجيل، وإظهار عيوبها ونقائصها، وبيان ما فيها من حق وباطل. والمؤلف نفسه فى

إلا هتك حرمة من رفع الله قدرهم وشرفهم على كثير من خلقه
وخصهم بنبوته وأكرمهم برسالته وأنتمنهم على وحيه، وجعلهم واسطة
بينه وبين خلقه .

فلا يليق أليها القسيس أن ينسب إلى هؤلاء الأنبياء الكرام ما لو
نسب إلى خوري أو قسيس بل لو نسب إلى أحد الناس، لاستكفاً أن
يحدث به عنه؛ فكيف يجوز أن تنسّب هذه الرذائل إلى أعراض الأنبياء
والصفوة الأمانة المنزهة أعراضهم عن عروض مثل هذه الأعراض
ولعمري. إن ما نسب إليهم محض اختلاف وحاشاً أن يكون من كلام
الخلق، وحيث كان الأمر كذلك فقول حضرة القسيس من أن التوراة
والإنجيل والزبور أي المشتملة على هذه المفاسد هي الكتب المعترفة ،
وبالعمل بها تناول سعادة الدنيا والآخرة غير صحيح قطعاً؛ فإنها لا
تكون كذلك إلا إذا خلت عن هذه المضامين الفاسدة وأمثالها ، واشتملت
على الأمر بعبادة الله تعالى وحده والدعاء إلى توحيده وتعظيم أمره
وتصديق رسله وتزييهم عن النعائص والرذائل والتزهيد في الدنيا
والترغيب في الآخرة، بل إذا كانت كذلك يكون الاهتمام بها والعمل
بمضامينها سبباً موجباً لشقاوة الدنيا والآخرة، سيما إذا أضفنا إلى ذلك

كتابه هذا يقول: إن عندي من كتبهم أكثر مما عندهم. وهو قد أثني حسناً على الأستاذ
الشيخ رحمة الله الهندي ونقل منه كثيراً من كتابه القيم إظهار الحق. وذكر من
مراجعةه: الإعلام للقرطبي المحدث. وغيره.

كونها مشحونة بالأغلاط والاختلافات الغير محصوره؛ فإنه لا سبيل إلى تمييز حقها من باطلها وصدقها من كذبها.

★ ★ ☆

أما قول حضرة القسيس " أردانا أن نذكر بعض براهين تبطل ذلك مستنبطه من القرآن "

فمحض دعوى من غير دليل. إذ ليس في القرآن المجيد ما ينهض دليلاً لمرامه من عدم وقوع التحريف في التوراة والإنجيل، وإنما في القرآن الكريم ما يدل على وقوع ذلك صراحة، والآيات الواردة فيه الدالة على وقوع التحريف بالتغيير والتبدل في التوراة والإنجيل؛ كثيرة جداً كانت أن لا تحصى من كثرتها. فمن ذلك: قوله تعالى في سورة المائدة: (مُّحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عن مَوَاضِعِهِ وَسُوا حَظًا مِّنَ ذُكْرِهِ) وقوله تعالى في سورة آل عمران: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَتُمْ تَعْلَمُونَ) معناه: لأى شئ تخلطون الحق الذي أنزله الله تعالى بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه بأيديكم حتى يشتبه أحدهما بالآخر؟ فإن اللبس^(١) هو الخلط يقال لبس الشئ بالشئ إذا خلط أحدهما في الآخر بحيث يتغير اتفصال أحدهما عن الآخر .

(١) ١- لبس الحق بالباطل: هو أن كاتب التوراة يكتب الحق، ويضع بعده كلمة ليست من الحق؛ ليتحير الناس في فهم المعنى المراد. مثل: "خذ ابنك وحيبك الذي تحبه إسحق" [تك ٢٢] فليس بحقيقة الكلمة باطلة وضعها بعد الحق. والدليل على أنها كلمة باطلة: هو أن الوحيد إسماعيل الذي هو مولود قبل إسحق بسبعين سنة. وفي قراءة بأربعة

وقد توعد الله لهم على ذلك الفعل بشدة العذاب في الدار الآخرة
بقوله في سورة البقرة : «فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْبُرُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَسْوِلُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
لِيَشْتَرُوا بِهِ ثُمَّاً قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ مَا كَتَبْتُ لَهُمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ
فَهَذِهِ الْآيَاتُ
الشريفة صريحة الدلالة على وقوع التغيير والتبدل في التوراة
والإنجيل . والحسن والمشاهدة شاهدان على ذلك - كما سيأتي لك أيها
اللبيب تحقيقه وإثباته في صفحات سجل محكمة هذا الكتاب إن شاء الله
تعالى بما يشفى العليل ويروى الغليل -

★ ★ ☆

عشرة سنة .

٢- تحريف الكلم من بعد مواضعه: هو أن الكاتب يرفع الكلمة الإلهية من التوراة،
ويضع بدلها كلمة تحتمل معنى الكلمة الإلهية، وتحتمل معنى الكلمة الوضعية مثل "يقيم"
لله رب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك" [١٨] فإن الكلمة الإلهية المرفوعة هي
"بني إسماعيل" لأنه مبارك فيه [١٧] ووضع بدلها "من إخوتك" التي تحتمل الدلالة على
بني إسماعيل أو على نبي سوف يكون من اليهود.

٣- تحريف الكلم عن مواضعه: هو أنه لما تعذر على اليهود من بعد تحريف التوراة من
عزراء، تغيير اللفظ . وذلك لانتشار التوراة في العالم؛ أوحوا إلى علمائهم بتأويل الكلام تأويلا
 fasda . أى تفسير النصوص لصالح منفعتهم .

٤- وأما لغة اللسان: فهو قراءة نصوص التوراة بالحان الموسيقى؛ لوهما العالم بأنهم يقرأون
نصوصا إلهية .

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل : " وإنما اقتصرنا على البراهين المستتبطة من القرآن ولم نذكر غيرها. كالمستتبطة من التاريخ الدالة على ما صدر في كل زمان لأن هذه الرسالة ليس المقصود من تأليفها إلا إقناع أحبابنا المسلمين " .

أقول وبالله التوفيق : فكما علمت أيها الصديق بأن ليس في القرآن المجيد شاهد لحضرته القسيس على صحة دعواه من عدم وقوع التحريف للتوراة والإنجيل ، فكذلك التوارييخ ليس فيها شاهد على صحة دعواه ، وما أعرض عنها في استبطاط البراهين إلا بكونها تصرح وتتادى بأعلى نداء على وقوع التحريف للتوراة والإنجيل في كل زمان من الأزمان بأقسامه الثلاثة أعني بتبدل الألفاظ وزيادتها ونقصانها . وأنا أنقل لك أيها الليبيب أقوال المؤرخين من أئمة المسلمين وأقوال المؤرخين من الوثنيين والماديين والطبيعيين وأقوال المؤرخين من المسيحيين عن تواريخهم وتفاصيلهم المعتبرة عندهم في ثبوت وقوع ذلك .

فأقول : من ذلك ما نقله القسيس هنري في المجلد الأول من تفسيره عن القسيس اكتستاين ونص عبارته هكذا : " إن اليهود قد حرفوا النسخة العبرانية في بيان زمن الأكابر الذين كانوا قبل زمن الطوفان وبعده إلى زمان موسى عليه السلام وفعلوا هذا الأمر لتصير الترجمة اليونانية غير معتبرة ولعناد الدين المسيحي . ويعلم أن القدماء من المسيحيين

كانوا يقولون مثله يعني مثل اكستاين وكانوا يقولون إن اليهود حرفوا التوراة^(١) في سنة مائة وثلاثين من الميلاد" انتهى

علم من هذا القول أن اكستاين والقدماء المسيحيين كانوا يعترفون بتحريف التوراة ويدعون أن هذا التحريف وقع في سنة ١٣٠ من الميلاد لتصدير الترجمة اليونانية غير معترفة ولعناد الدين المسيحي . وقال المؤرخ يوسي بيس المشهور في الباب الثامن من الكتاب الرابع من تاريخه هكذا: "ذكر جستن الشهير في مقابلة طريفون اليهودى عدة بشارات في حق المسيح وادعى أن اليهود أسقطوها من الكتب المقدسة" انتهى.

فهذا المؤرخ الشهير قد أقر أن جستن الشهير الذي كان من أجل قدماء المسيحيين ادعى أن اليهود أسقطوا بشارات عديدة في حق المسيح ^{الكتاب} من الكتب المقدسة وقد صدقه على هذه الدعوى أغلب علماء المسيحيين من المؤرخين والمفسرين .

وقال المفسر هارسلى في الصحيفة ٢٨٢ من المجلد الثالث من تفسيره في مقدمة كتاب هوشع هكذا: "إن المتن المقدس حرف. لا ريب فيه. وظاهر من اختلاف النسخ؛ لأن العبارات الصحيحة في العبارات المختلفة لا تكون إلا واحدة. وهذا الأمر مظنون بل أقول قريب من

(١) التحريف في ذلك الزمان. أي في سنة مائة وثلاثين ميلادية كان في أسفار الأنبياء. ولم يكن في الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى ^{الكتاب}. وهذا معروف من قرارات مجمع يمنيه؛ فإن اليهود سلموا إلى النصارى في هذا المجمع كل الكتب المقدسة.

اليقين أن العبارات القبيحة جداً دخلت في بعض الأحيان في المتن المطبوع لكن لم يظهر لي دليل على أن التحريرات في كتاب هوشع أكثر من سائر كتب العهد العتيق" انتهى.

ثم قال في الصفحة ٢٨٥ من المجلد المذكور هكذا: "هذا القول صادق البتة أن المتن العبرى في النقول التي كانت عند الناس كان بعد حادثة بختنصر بل لعل قبلها أيضاً قبليّة يسيرة في أشنع حالة التحرير بالنسبة إلى الحالة التي حصلت له في وقت ما بعد تصحيح عَزْرَا" انتهى.

أقول لما كان هذا القول في غاية الوضوح؛ غير محتاج إلى البيان. وجاء في المجلد الرابع من الكتاب المسمى بـ"أنسائي كلوبيـد باريس نقلأً عن دا كتر كنكات هكذا: "إن نسخ العهد العتيق التي هي موجودة كتبت ما بين ألف وألف وأربعين سنة. واستدل كنكات من هذا وقال: إن جميع النسخ التي كتبت في المائة السابعة والثانية أعدمت بأمر محفل الشورى لليهود لأنها كانت تخالف مخالفة كثيرة للنسخ التي كانت معتمدة عندهم. ونظرًا إلى هذا قال القسيس والتن أيضًا: إن النسخ التي مضت على كتابتها ستمائة سنة قلما توجد والتي مضت على كتابتها سبعمائة سنة وثمانمائة سنة؛ ففي غاية الندرة" انتهى.

فهذا كنكات المشهور الذي عليه اعتماد فرقـة بروتستـنت في تصحيح كتب العهد العتيق، ووالتن المذكور قد اعترفا أن النسخ التي كتبت في المائة السابعة والثانية قد أعدمت بالكلية وما وصلت إلى يد

كنكات حين التصحیح بل التي وصلت إلى النسخ التي كتبت ما بعد الألف إلى الأربعمائة. وبين وجه ذلك: وهو أن اليهود ضيعوا الكتب الأولى بأمر محفل الشورى لأنها كانت تختلف مخالفة كثيرة لنسختهم المعتمدة عندهم.

وفي تفسير القسیس آدم کلارک هكذا: "كان اليهود في عهد يوسيفوس" -يعنى اليهودي المؤرخ المشهور- يريدون أن يزینوا الكتب المقدسة باختراع الصلوات والغناء واختراع الأقوال الجديدة انتهى.

ثم قال: انظروا إلى الإلحادات الكثيرة في كتاب أستير والى حكاية الخمر والنساء والصدقة التي زيدت في كتاب عَزْزا ونَحْمِيَا. ويسمى الآن بالكتاب الأول لعزرا، وإلى غناء الأطفال الثلاثة الذي زيد في كتاب دانيال^(١)، وإلى الإلحادات الكثيرة التي ذكرت في كتاب يوسيفوس" انتهى.

(١) كتاب دانيال والكتب التي يشير إليها المؤلف. كل ذلك مذكور في الأسفار المحفوظة لدى البروتستان. وأنظر هنا من هذه الأسفار المحفوظة هذا النص. وهو من قصة الصنم بال.

"وتوفي الملك أسطواج وانضم إلى آبائه، وأخذ كورش الفارسي ملكه. فعاش دانيال برفقة الملك الذي أكرمه فوق جميع أصدقائه. وكان لأهل بابل صنم اسمه بال، ينفقون له كل يوم ستو قناطير من السميد وأربعين شاة وقططرا من النبيذ. وكان الملك يعبد بالا، وينطلق كل يوم فيسجد له، أما دانيال فكان يسجد لإلهه وحده.

فقال الملك دانيال: "لماذا لا تسجد لبالي؟" أجاب دانيال: "لأنى لا أعبد أصناما صنعتها الأيدي"، بل الإله الحي خالق السماوات والأرض الذى له السلطان على كل كان حى" فقال له الملك: "أتحسب أن بالا ليس إليها حيا، أولا ترى كم يأكل ويشرب كل يوم؟" فضحك دانيال وقال: "لا تضل أيها الملك، فهذا صنم من الطين المطلى بالنحاس، وهم لم يأكل قط ولم يشرب" فغضب الملك ودعا كهنته وقال لهم: "إن لم تقولوا لي من الذى يأكل ما نقدمه للإله بال، تموتون، وإن بينتم أن بالا يأكل هذه التقدمات بيموت دانيال لأنة جدف على بال" فقال دانيال للملك: "ليكن لى كما قلت" وكان كهنة بال سبعين كاهنا، ما عدا النساء والأولاد.

وجاء الملك وDaniyal إلى معبد بال، فقال كهنة بال: "ما نحن ننصرف إلى الخارج، وأنت أيها الملك ضع الأطعمة على المائدة وأمزج الخمر ثمأغلق الباب واختم عليه بخاتمك. وحين ترجع غدا، إن لم تجد أن بالا أكل كل شئ فإننا نموت، وإلا يموت Daniyal الذى افترى علينا" واستخف كهنة بال بالأمر لأنهم صنعوا تحت المائدة مدخلا خفيا يدخلون منه كل يوم ويأكلون كل شئ.

فلما خرج الكهنة وضع الملك الأطعمة لبال، فأمر Daniyal خدمه، فأتوا برماد ورشه فى الهيكل كله بحضورة الملك وحده، ثم خرجو وأغلقوا الباب وختموا عليه بخاتم الملك وانصرفوا فجاء الكهنة فى تلك الليلة كعادتهم، هم ونسائهم وأولادهم، فأكلوا وشربوا كل شئ.

وبكر الملك وذهب فى الغد إلى المعبد وDaniyal معه، فقال الملك: "هل الخواتم سالمه، يا Daniyal؟" أجاب "هي سالمه، أيها الملك" ولما فتحت الأبواب نظر الملك إلى المائدة الفارغة فهتف بصوت عال: "عظيم أنت يا بال، أنت حقا إله ولا غش فيك"، فضحك Daniyal وأمسك الملك وقال له: "قبل أن تدخل إلى داخل، أنظر البلاط وتعرف إلى هذه الآثار". فقال الملك: "إنى أرى آثار رجال ونساء وأولاد" وغضبت الملك، وقبض على الكهنة ونسائهم وأولادهم، فاروه الأبواب الخفية التى يدخلون منها كل ليلة، ويأكلون ما على المائدة، فقتلهم الملك وأسلم بالا إلى Daniyal الذى حطم الصنم وهىكله"

أقول: وقد قال المفسر المذكور مثل هذا في المجلد الثاني من تفسيره نيل العدد التاسع من الأصحاح الرابع والعشرين من سفر صموئيل الثاني هكذا: "قد وقعت في كتب التواريخ من العهد العتيق تحريفات كثيرة بالنسبة إلى المواضع الأخرى. والاجتهد في التطبيق عبث، والأحسن أن يسلم في أول الوهلة الأمر الذي لا قدرة على إنكاره. ومصنفو العهد العتيق وإن كانوا ذوى إلهام لكن الناقلين لم يكونوا كذلك" انتهى.

أقول: قد أنصف والله هذا المفسر من أول الوهلة. وقد أقر بوقوع التحريف في العهد العتيق، لكنه لم يقدر على التعين حيث اعترف أن التحريفات الواقعة في كتب العهد العتيق كثيرة.

وجاء في تفسير كريزاستم على إنجيل متى هكذا: "انمحى كثير من كتب الأنبياء لأن اليهود ضيعوا كتابا لأجل غفلتهم، بل لأجل عدم دياناتهم، ومزقوا بعضها وأحرقوا بعضها" انتهى.

فظهر من هذا أيها العاقل الليبيب أن اليهود مزقوا بعض الكتب المقدسة وأحرقوا بعضها لأجل عدم دياناتهم. وقد انعدمت -حفظك الله- بإعدامهم عن صفحة العالم. وإذا كان حال ديانة أهل الكتاب بالنسبة إلى الكتب الإلهية هكذا فأي استبعاد عقلي أو نقلٍ لو قلنا إنهم فعلوا مثل هذا الفعل بالعبارات التي كانت دالة على نبوة محمد ﷺ وقد عرفت أيها الليبيب من قول كنکات السابق ذكره الذي عليه اعتماد فرقه برووتستنت في تصحيح كتب العهد العتيق من أن اليهود كانوا ضيعوا

النسخ التي كانت كتبت في المائة السابعة والثامنة ومحوها عن صفحة العالم لمخالفتها للنسخ المعتمدة عندهم. وما وصل إلى يده حين التصحح إلا النسخ التي كتبت فيما بعد الألف إلى الأربعمائة. وحيث أن تحريفهم في ذاك الزمان قد وصل إلى هذه الرتبة وأثر هذا التأثير البليغ؛ فلا استبعاد في تحريفهم الكتب بعد ذاك الزمان أيضاً؛ فإن لهم مجالاً واسعاً للتحريف في كتبهم في كل زمان من الأزمان سيما إذا كان ذلك قبل إيجاد صنعة الطبع، بل الحق أن أهل الكتاب لا يمتنعون من ذلك ولا يبالغون فيه بعد إيجاد صنعة الطبع أيضاً سيما إذا أضفنا ذلك إلى فرقية بروتستنت؛ فإن التبديل والإصلاح بمنزلة الأمر الطبيعي لهم. ولذلك تراهم إذا طبعوا كتاباً من كتبهم المقدسة أو غيرها مرة أخرى يقع غالباً فيه تغيير وتبدل كثير بالنسبة إلى المرة الأولى. إما بتبدل بعض المضامين أو بزيادتها أو نقصانها أو تقديم بعض العبارات أو تأخيرها. وإذا كان حالهم هكذا فلا بد للإنسان أن يكون على تتبه تام في هذا الأمر لئلا يتهم الناقلين عن كتبهم أو يوقعهم في شبكة الغلط. فمن لم يكن واقفاً على عاداتهم يظن أن الناقل قد أخطأ والحال أنه مصيب. فاحذر وتتبه من هذا الأمر أيها العاقل اللييب .

ولنرجع إلى ما نحن فيه فأقول: ومن الأقوال التاريخية الدالة على وقوع التحريف للتوراة والإنجيل: ما قاله القسيس سورتن المشهور في تاريخه المطبوع سنة ١٨٣٧ من الميلاد من أن التوراة جعلية يقيناً ليس من تصنيف موسى عليه السلام لكنه أقر بالإنجيل، مع

اعترافه بالتحريفات الكثيرة فيه وأن الإنجيل المنسوب إلى متى ليس من تصنيفه والتحريف واقع فيه يقيناً في مواضع كثيرة وأطال الكلام جدًا في إثبات ما ادعاه بالدلائل القاطعة والبراهين الساطعة. فمن شاء الوقوف على ذلك فليرجع إلى كتابه المذكور وقال لاردنر في المجلد الثالث من تفسيره ذيل بيان فرقة مانى كيز ناقلاً عن أكستاين قول فاستس الذي كان من أعظم علماء هذه الفرقة في القرن الرابع من القرون المسيحية هكذا: "قال فاستس: أنا أنكر الأشياء التي أحقها في العهد الجديد آباؤكم وأجدادكم بالمكر وعيروا صورته الحسنة وأفضلитеه؛ لأن هذا الأمر محقق: أن هذا العهد الجديد ما صنفه المسيح ولا الحواريون بل صنفه رجل مجهول الاسم ونسبه إلى الحواريين ورفقاء الحواريين خوفاً من أن لا يعتبر الناس تحريره ظانين أنه غير واقف على الحالات التي كتبها وأدى المريدين لعيسيٍ إيذاءٌ بليغاً بأن ألف الكتب التي توجد فيها الأغلاط والمناقضات" انتهى.

فهذا الفاضل المسيحي الذي كان في القرن الرابع من القرون المسيحية كان ينادي بأعلى نداء: أن أهل التثليث قد أحقوا الأشياء التي لم تكن في العهد الجديد، وأنه من تصنيف رجل مجهول، ونسبه إلى الحواريين ورفاقهم، وأنه يوجد فيه الأغلاط والمناقضات. ولعمري إنه لصادق في هذه الدعاوى الثلاثة، وإن كان من الفرقه المبتعدة بزعم ملة بروتستنت ولقد جاء في الصحفة ١٢٤٤ من المجلد الخامس من تفسير القيسس لاردنر المذكور هكذا: "حكم على الأنجليل المقدسة

لأجل جهالة مصنفيها بأنها ليست حسنة بأمر السلطان أناسطيوس في الأيام التي كان مسألة حاكما في القسطنطينية؛ فصحت مرة أخرى "انتهى".

أقول قد ثبت من هذا القول أن هذه الأنجليل كانت غير ثابتة الإسناد من أنها إلهامية إلى عهد السلطان المذكور، ولو كانت إلهامية وثبتت إسنادها إلى الحواريين في هذا العهد المذكور فلا معنى لنسبة الجهالة لمصنفيها وتصحيفها مرة أخرى. وما يدعوه علماء بروتستنت في بعض الأحيان من أن سلطانا من السلاطين أو حاكما من الحكام ما تعرض لهذه الكتب ولا تصرف فيها؛ فباطل يقينا بشهادة تواريخهم وتفاصيلهم هذه.

وهذا القول يعوض قول علماء الجرمن والوثبيين في هذا الباب؛ فإن سلسوس كان من علماء المشركين الوثبيين في المائة الثانية من الميلاد وكتب كتابا في إبطال الدين المسيحي ونقل أكھارن الذي هو من علماء أهل الجرمن قول ذلك الفاضل المشرك في كتابه هكذا: "بدل المسيحيون أناجيدهم ثلاثة مرات أو أربع مرات بل أزيد من هذا تبديلا كأنه مضامينها بدللت" انتهى.

فانظر أيها الليبيب إلى هذا المشرك كيف ينادي ويخبر بأن المسيحيين كانوا بدوا أناجيدهم إلى عهده المذكور أزيد من أربع مرات.

وأنا اكتفى على نقل هذا القول من أقوال المشركين هربا من التطويل. وأما أقوال الفرقة التي تذكر النبوة والإلهام التي كثرت الآن في ديار أوربا التي يسميها علماء بروتستنت بالملحدين. فلو نقلت أقوالها في باب التحريف فقط لطال الكلام لكن أنقل لك قولاً واحداً من أقوالها، وأكتفى عليه خوف الإطالة. ومن شاء أزيد من ذلك؛ فليرجع إلى كتبهم المنتشرة في الأقطار المسكونة.

فأقول: قال الفاضل ياركر -الذى هو أشهر علماء الملحدين- هكذا: "قالت ملة بروتستنت إن المعجزات الأزلية والأبدية حفظت العهد العتيق والجديد عن أن تصل إليهما صدمة خفية لكن هذه المسألة لا تقدر أن تقوم في مقابلة عسکر اختلاف العبارات التي هي ثلاثة ألفاً" انتهى.

فانظروا يا منصفين إلى هذا الملحد كيف أورد الدليل الإلزامي على علماء بروتستنت استهزاء بهم، لكنه اكتفى في قوله هذا على تحقيق القسيس ميل. ولذلك قال التي هي ثلاثة ألفاً وإلا لقال مائة وخمسون ألفاً بل ألف ألف على تحقيق بعض فضلاء الملحدين. ولعمري أن هذا الفاضل لصادق في هذا القول وليس هو من باب المبالغة لأنه قلما يخرج أصحاب أو عبارة من العهد العتيق والجديد ويكون خالياً عن الغلط والاختلاف. ومن طالع هذه التسورة وهذا الإنجيل من أذكياء المسيحيين الغير متучصبين؛ يظهر له صدق هذه الدعوى بأدنى تأمل. وهذا ما أردنا إيراده في هذا الباب من أقوال

المؤرخين والمفسرين من أهل التتليث والمخالفين من الملحدين والمشركين. وأما ما جاء في هذا الباب من أقوال المؤرخين من أهل الدين الإسلامي المبين؛ فلا حاجة لنقلها لاشتهرها وتوادرها. يكفي النص عليه في الكلام القديم على لسان الصادق الأمين. وهؤلاء الموافقون والمخالفون منادون بأعلى نداء من أول القرن المسيحي إلى هذا القرن بوقوع التغيير والتبدل في التوراة والإنجيل، وليس هذه الدعوى مختصة بأهل الإسلام كما يظهر ذلك من تقرير علماء بروتستانت تغليطاً للعوام .

حجة الله البالغة

ثم قال القيسن النبيل صاحب البرهان الجليل هكذا " فقلت إن الله سبحانه وتعالى إنما خلق الإنسان لكي يعبده ويمجده جل جلاله كما ورد في القرآن ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَا إِلَّا لِيَعْبُدُونَ مَا أَرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أَرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونَ﴾

أقول وبإله التوفيق وبه الهدایة إلى أقوم طريق. إنما أتي حضرة القيسن بهذه الآية الشريفة هنا تمهيداً لكلامه الآتي، وسيقت في كلامه تعالى لبيان قبح الكفارة والمرتكبين من ترك ما خلقوا له، حيث خلقوا مهينين ومستعدين وصالحين للعبادة فخلقهم الله تعالى ممتازين عن سائر الحيوانات بالعقل والفكر والإدراك التام؛ ليستدلوا به على وجوده واتصافه بالوحدانية والقدرة والحكمة والإرادة. وهلم جراً. وخلق فيهم القدرة والحواس التي تتحصل بها العبادة؛ فأعرضوا عن ما خلقوا له، مع ما فيهم من الاستعداد والصلاحية والتهيئ الذي هو الغاية بالحقيقة . فالمعنى على هذا : وما خلقت الجن والإنس إلا مهينين ومستعدين وصالحين لعبادتي لا كالبهائم والحمير، لكن بعضهم صرف استعداده وصلوحيته في شهوات نفسه وعصيانيه وكفر به في الدار الآخرة كما توعد بذلك فيما بعد هذه الآية بقوله : «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ»

ولئلا يكون لهم حجة إن لم يقفوا موقف الاعتراف بما له عليهم من التقديس والتمجيد؛ اصطفي من بين خلقه أقواماً رسلاً يدعون إليه ويرشدون إلى سبيله وأمرهم بأوامر إلزامية افترضها على عباده وجعلها مبادلة للأغراض الفسانية والشهوات الإنسانية حتى يظهر الخبيث من الطيب والعاصي من المطيع وجعل لكل زمان وكل أمة رسولاً يدعوه للاعتراف بوحدانيته، وإلزامهم كلمة التقوى، وكانوا أحق بها. ولما كان العقل بانفراده يحيل المكالمة بينه وبين خلقه؛ جعل لرسله من المعجزات والأمور المخالفة للعادة والطبيعة ما يجر رَسَنَ التصديق إلى كل ما يأتون به من رب العالمين.

فمنهم من كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى ولكن بإذن الله تعالى، ومنهم من كانت له النار برداً وسلاماً، ومنهم من كان يدخل يده في حبيبه فتخرج بيضاء من غير سوء، ويضرب بعصاه الحجر فيخرج منه الماء، ومنهم من سخرت له الرياح تجري بأمره، ومنهم من ألين له الحديد. فكان كل ذلك داعياً إلى التصديق بكل ما جاؤوا به أنه من رب العالمين. فمن الناس من كفر بآيات الله وصد عن السبيل، ومنهم من هدأ الله فكان من المقربين. ففريق في الجنة وفريق في السعير.

ثم ختم رسالته بسيد ولده آدم وأليده بالمعجزات الباهرات فانشق له القمر ونبع الماء الظاهر من بين أصابعه الشريفة المرة بعد المرة، وحن له الجذع، وكلمه الضب، وسعت إليه الأشجار وأخبر عن الغيوب

المستقبلة فكانت كما أخبر، وأسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وخرج به في تلك الليلة إلى السماء العلا. ثم ذي فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى. وكان من أكبر معجزاته الدائمة التي لا انقضاء؛ لها القرآن العظيم المنزل على قلبه بلسان عربي «لَا يَأْتِيهِ
 الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ»، «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا هُوَ
 لَحَافِظُونَ» فسبحان من جعله في الصدور محفوظاً وفي السطور
 مسطوراً وصير كل بلية عن الإتيان بمثله حصيراً «قُلْ إِنَّمَا اجْتَمَعَتِ الْإِنْسَانُ
 وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنَ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لَيْسَ بِظَاهِرِهِ» فأرسله
 إلى كافة الناس كما قال تعالى «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ» سواء في ذلك
 العاكف والبادى والعجمى فبلغ الرسالة وأدى الأمانة إلى أهلها
 وقادى الشدائى والأحوال من قومه في سبيل هدايتهم إلى الطريق القويم
 والصراط المستقيم وأتاه من الله التأييد والنصر على أعدائه حتى قويت
 شوكة الإسلام والمسلمين وأشارقت شموس التوحيد، وزالت رسوم أهل
 الشرك والتلحاد. وقامت الحجج القاطعة، والبراهين الساطعة، على
 تصديقه بكل ما جاء به واتباع سنته وسبيله «إِنَّمَا أَهْلَ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ مِّنْ رَسُولِنَا
 مُّبِينٌ لَكُمْ عَلَى قَرْتَةٍ مِّنَ الرَّسُولِ أَنَّهُ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»

أخلاق أهل الإسلام

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل : " وجعل الله سبحانه وتعالى في مقابلة ذلك للطائع سعادة أبدية وأفراحًا مستمرة مقصودة بالذات في الدار الآخرة، ولكن لا يمكن الإنسان الوصول إلى تلك الرتبة الجليلة إلا بعد التأديب والإرشاد والتطهير والتنوير. ومن الحال أن ينال القرب من الله والتمتع بذلك الآخرة من غير أن يكون في حياته أهلاً لذلك؛ لأنه سبحانه ضرورة إله قدوس، والسماء التي يرغب العاقل في دخولها بقعة ظاهرة وزمرة المقربين الواقفين. أما عرش الجبار الذين يسرهم الانتظام في سلوكهم أطهار؛ فينبغي لمن أراد أن يكون له حظ فيما ذكر أن يكون ظاهراً حتى يستأنس الظاهر بالظاهر، وإلا فمن لم يهذب ويؤهل أولاً لنيل تلك الرتبة الرفيعة فكيف يطمع في الوقوف أمام الحضرة الإلهية وفي معاشرة الملائكة والمؤمنين الأطهار؟"

أقول: إن هذه الجمل؛ لمن محسن الكلم، وجعلها حضرة القسيس أول رسالته موافقة لأخلاق أهل الإسلام يرجو بذلك رواجها عند العوام. إذ الطهارة والتلوير اللذين يتأهل العبد بهما لنيل القرب من الله عز وجل والرتبة الرفيعة؛ من جملة أخلاقهم الذكية^(١). فالطهارة من حيث

^(١) التوراة تعلم بنى إسرائيل سوء الخلق. ويدل على ذلك: الأصحاح الرابع من سفر هوشع. ونصه: "اسمعوا قول الرب يا بنى إسرائيل إن للرب محاكمة مع سكان الأرض لأنها لا أمانة ولا إحسان ولا معرفة الله في الأرض لعن وكذب وقتل وسرقة وفسق

هـ قسمان طهارة ظاهرية وطهارة باطنية. وكلا القسمين حسن. ومن أخلاق المسلمين الطاهرين من ربة الشرك. أما الطهارة الظاهرة فهي تنظيف الأعضاء بالماء الطاهر على وجه مخصوص وإزالة الأوساخ والنجاسات والأحداث كالحيض والجناة والنفاس. كما جاء الأمر بذلك في كتابه العزيز.

يعتفون ودماء تلحق دماء لذلك تتوح الأرض وينذل كل من يسكن فيها مع حيوان البرية وطيور السماء وأسمال البحر أيضاً تتزرع ولكن لا يحاكم احد ولا يعاتب احد وشعبك كمن يخاصم كاهنا فتتعثر في النهار ويتعثر أيضاً النبي معك في الليل وأنا أخبر أمك قد هلك شعبي من عدم المعرفة لأنك أنت رفضت المعرفة أرفضك أنا حتى لا تكنهن لي ولأنك نسيت شريعة إلهك أنسى أنا أيضاً بيتك على حسبيما كثروا هكذا احتلوا إلى فأبدل كرامتهم بهوان يأكلون خطية شعبي وإلى إثمهم يحملون نفوسهم فيكون كما الشعب هكذا الكامن وأعاقبهم على طرقيهم وارد أعمالهم عليهم فيأكلون ولا يشعرون ويزنون ولا يكثرون لأنهم قد تركوا عبادة الرب الزنى والخمر والسلافة تخلب القلب شعبي يسأل خشه وعصاه تخبره لأن روح الزنى قد أضلهم فزنوا من تحت إيمهم يذبحون على رؤوس الجبال ويبخرون على التلال تحت البلوط واللبنى والبطم لأن ظلها حسن لذلك ترني بناتكم وتفسق كناتكم لا أعقاب بناتكم لأنهن يزنين ولا كناتكم لأنهن يفسقن لأنهم يعتزلون مع الزانيات ويدبحون مع النازرات الزنى وشعب لا يعقل يصرع إن كنت زانياً يا إسرائيل فلا يأثم يهوداً ولا تأتوا إلى الجلجل و لا تصعدوا إلى بيت اون ولا تحلفوا حـيـ هو الـربـ انهـ قدـ جـمـحـ إـسـرـائـيلـ كـبـرـةـ جـامـحةـ الآـنـ يـرـعـاهـمـ الـربـ كـخـروفـ فـيـ مـكـانـ وـاسـعـ اـفـرـايـمـ موـثـقـ بـالـأـصـنـامـ اـتـرـكـوهـ متـىـ اـنـتـهـتـ منـ نـبـائـهمـ زـنـىـ زـنـىـ أـحـبـ مـجاـنـاـ أـحـبـواـ الـهـوـانـ قدـ صـرـتـهاـ الـرـيحـ فـيـ أـجـنـحـتهاـ وـخـجلـواـ منـ ذـبـائـهمـ

وقد جاء الأمر به أيضاً في التوراة عند إرادة الدخول في العبادة. ولقد فعله الأنبياء والرسل الطاهرون ونحن على آثارهم مقتدون. وأما الطهارة الباطنية فهي طهارة القلب من الأوصاف الذميمة كالكبر والحدق والحسد والكذب والغصب وسوء الخلق وإضمار البغضاء لإخوانه والرياء والعجب بشأنه والغيبة والنعيم والسب والشتمة والله الحمد. فللMuslimين من هذه الطهارة الحظ الأكبر. وأما التتوير فهو تتوير القلب بالإيمان بالله تعالى إيماناً كاملاً بأن تجزم بأن الله تعالى إليه واحد منفرد في ألوهيته مقدس عن جميع الناقص موصوف بصفات الكمال ممزوج عن اتخاذ الشريك والصاحبة والولد، وأنه تعالى حي قيوم قديم أزلى أبدى عليم سميع بصير مرید حکیم خبیر رحیم رحمن صبور عادل قدوس محیی ممیت ممزوج عن أن يحل في المخلوقات أو يحل فيه مخلوق وأن ذاته لا تشبه الذوات كما أن صفاتاته لا تشبه الصفات. فهو الغنى المطلق وكل موجود مفتقر إليه ممزوج عن كل وصف لا كمال فيه. واجب الوجود لذاته منفرد باستحقاق العبودية على جميع خلقه وهو الذي خلقهم وأوجدهم من العدم إلى الوجود .

وكذلك يتور القلب بالإيمان بيوم المعاد وبحشر الأجساد ومجازاة العباد، وأن الجنة دار النعيم لمن أطاعه والنار دار الجحيم لمن عصاه. وكذلك يتور القلب بالإيمان بجميع الأنبياء الكرام والرسل الفخام إيماناً كاملاً بأن تجزم بأنهم مرسلون من جانب رب العالمين لهداية خلقه وتمكيل معاشهم ومعادهم، وأنهم معصومون من ارتكاب جميع

المعاصي ما ظهر منها وما بطن، ومن جميع النعائص والمخالفات، وإنهم بلّغوا جميع ما أمروا به بتلبيغه تلبيغاً تاماً وإنهم في أعلى مراتب الصدق والأمانة والفطانة. فمن طهر قلبه بهذه العقائد المحمودة؛ فقد تدور وصار مؤدياً ومهذب الأخلاق وأهلاً لنيل الرتبة الرفيعة في الدار الآخرة.

ولا شك أن هذه العقائد المرضية من جملة عقائد أهل الدين الإسلامي المبين لهم إذا أهل الرتبة العلوية والسعادة الأبدية وإذا كانت هذه العقائد ليست محمودة ولا ينال معتقدها تلك الرتبة الرفيعة في الدار الآخرة؛ فأى اعتقاد يكون حسناً ومحظياً لنيل تلك الرتبة الرفيعة؟
نعم إليها القيسис إنما معاشر المسلمين لا نعتقد أن الإله الواحد المنفرد في ذاته وصفاته ثلاثة، وأن الثلاثة واحد، وأن المسيح أحد هذه الثلاثة صلب على خشبة وصار ملعوناً مطروداً من رحمة الله تعالى كما صرّح بذلك قديس المسيحيين بولس بقوله "المسيح افتداانا من لعنة الناموس إذ صار لأجلنا لعنة لأنّه مكتوب في الناموس ملعون كل من علق على خشبة" وكذا لا نعتقد كما تعتقد فرقـة كاثوليك من أنه لا بد أن تصنـع الصور والتمـاثيل ويـسجد قـدامـهن وأن خـشبـة الـصلـب وـتصـاوـير الآـب الأـزـلـى وـالـروح الـقـدـس يـسـجـد لـهـا بـالـسـجـود الـحـقـيقـى الـعـبـادـى وأن صـورـ القـدـيسـين وـالـقـدـيسـات يـسـجـد لـهـا بـالـسـجـود الإـكـرامـى، وأنـهـ لا خـلاـصـ بدونـ الإـيمـانـ بـالـبـابـاـ، وإنـ كانـ غيرـ صالحـ فيـ نفسـ الـأـمـرـ، وأنـ لـبـابـاـ وـمـنـ دونـهـ الغـفـرانـ لـلـعـصـاهـ وـالـمـذـنبـينـ وـيـمـحوـ عنـهـمـ الـذـنـوبـ ولو

كانت من أكبر الكبائر سيما إذا استوفوا ثمناً وافياً من أجلها، وأن كل خمر وخبز من الخبزات ولو كانت بمقدار ملايينات غير معودة يستحيل في العشا الربانى في آن واحد ولو في مكانة مختلفة إلى المسيح الكامل بلاهوته وناسوته الذي تولد من العذراء. ولو فرض أن ملايينات من الكهنة في أطراف العالم شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً قدسوا في آن واحد يستحيل إلى المسيح الكامل بلاهوته وناسوته وأن خبراً واحداً إذا كسره الكاهن. ولو إلى مائة ألف مليون كسرة. كل كسرة منه تصير مسيحاً كاملاً. وكذا لا نعتقد أن الخورى والأساقفة يجب منعهم عن الزواج حتى يفعلوا ما لا يفعله المتزوجون.

وكذا لا نعتقد أن داود النبي زنى بأمرأة الغير وقتلها بالحيلة وأن ابني أبسالوم زنى بجميع سراري أبيه بأمر الرب وعدله، وأن أخيه أمنون زنى بأخته لأبيه وفض بكارتها وسمع أبوهما بذلك ولم يجرِ الحد والتعزير عليهما. كما هو مصرح به في الأصحاح الثالث عشر من سفر صموئيل الثاني، وأن شمشون الرسول زنى بأمرأة زانية وأنه تشق امرأة اسمها دليلة من أهالي وادى سورق، وكان يدخل إليها. كما هو مصرح به في الأصحاح السادس عشر من سفر القضاة، وكذا لا نعتقد أن يهودا النبي من أولاد ولده فارص المتولد من زناه بكتنه - على زعمهم - وكذا لا نعتقد أن الرب ندم وتأسف في قلبه على خلقه الإنسان. ولذلك محظوظ بماء الطوفان. كما هو مصرح به في العدد السادس من الأصحاح السادس من سفر التكوين .

وكذا لا نعتقد أن الرب^(١) صارع يعقوب وقوى يعقوب عليه وما أطلقه حتى باركه وسماه إسرائيل. كما هو مصرح به في الأصحاح الثاني والثلاثين من سفر التكوين. فكل هذه العبارات الفاسدة وأمثالها من المقالات الكاسدة لا نعتقد صدقها بل ننكرها أشد الإنكار. والعجب كل العجب من هذا القسيس كيف يعرض ويدعى في مقالته هذه أن المسيحيين هم الطاهرون المتأهلون لنيل الحياة الأبدية والسعادة السرمدية وهم يعتقدون صدق هذه العبارات الفاسدة والمقالات الكاسدة، التي لو عرضت على السموات لانفطرت وعلى الأرض لانشقت، وعلى الجبال لاندكت. لكن الله در من قال:

(١) قال هوشع في الأصحاح ١٢ من سفره إن الذي صارع يعقوب ملك من الملائكة. ونص كلامه: "افرایم راعي الريح وتتابع الريح الشرقية كل يوم يكثر الكذب والاغتصاب ويقطعون مع أشور عهدا والزيت إلى مصر يجلب فللرب خصم مع يهوذا وهو مزمع أن يعاقب يعقوب بحسب طرقه بحسب أفعاله يرد عليه في البطن قبض بعقب أخيه وبقوته جاحد مع الله جاحد مع الملك وغلب بكى واسترحمه وجده في بيت آبل وهناك تكلم معنا والرب الله الجنود يهوه اسمه وأنت فارجع إلى إلهك احفظ الرحمة والحق وانتظر إلهك دائمًا مثل الكنعاني في يده موازين الغش يحب أن يظلم فقال افرایم إني صرت غنيا وجدت لنفسي ثروة جميع أتعابي لا يجدون لي فيها نسبا هو خطيبة وأنا الرب إلهك من ارض مصر حتى أسكنك الخيام ك أيام الموسم و كلمت الانبياء وكثرت الرؤى وبيد الانبياء مثل أمثالا إنهم في جلعاد قد صاروا إنما بطلا لا غير في الجلجال ذبحوا ثيرانا و مذابحهم كرجم في اتلام الحقل و هرب يعقوب إلى صحراء آرام وخدم إسرائيل لأجل امرأة ولأجل امرأة رعى وبنبي أصعد الرب إسرائيل من مصر وبنبي حفظ أغاظه إسرائيل بمراارة فيترك دماءه عليه ويرد سيده عاره عليه"

وإذا أراد الله فتنة عشر وأضلهم؛ رأوا القبيح جميلاً
فإلا رادة الأزلية فرقت بين العالمين. فمنهم من أضل الله على
علم وختم على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة. فأولئك الذين
ليس لهم في الآخرة إلا النار وحطط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا
يعلمون. ومنهم من هداه الله إلى سبيل رشاده، وألزمهم خطة هدایته،
ومنه منحة كرامته وتوجه بتاج محبته فانتزعه من قيود شهواته
الطبيعية، وأخرجه من ظلمات الغواية إلى نور الهدایة، وطهره من
دنس الاعتقادات الفاسدة والمقالات الكاسدة بماء الشهود في حضرات
القدس المنزه عن كدورات النقائص المردية؛ فأصبح للكمال قد حاز،
وبحله تجمل. ليس بينه وبين الله حجاب يحجبه من التجليات الإلهية
والأسرار الربانية الصمدانية، وهو قد عكس على القيام بحقوق
عبوبيته، فأجده النفس في تحصيل مرضات ربه، ووقف عند حدوده
التي حدّها له وعلمه إياها؛ فأجاب دعوته التي دعاها إليها ولباه تلبيه
الصادق المخلص في سر سريرته وحقق ضميره وأخلص له الظاهر
والباطن والتزم أوامره فإذاها حق الأداء كما يجب أن تؤدي، واجتب
منهياته كما يحب ويرضى، واعتمد عليه في السراء والضراء والنعمة
والنقم والمحبوب والمكرور وانتدب لشريعته الغراء التي أنزلها على
أشرف مخلوق وأجل مقرب -صلوات الله تعالى وسلمه عليه- فآمن
به وصدقه واتبع كوكب الصبح الذي أنزل معه. وهو الكتاب المبين،

والفرقان العظيم، والقول الفصل، والآيات البينات التي لم يدخلها ريب
ولا شك ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدَىٰ لِلْمُسْتَقِرِينَ ﴾

فالمستمسكون له مستمسكون بحبل غير منفص؛ فإنه القول
الجامع والحكمة البالغة والدين الحق والصراط المستقيم والحاكم العادل
والنور الهدى والداعى إلى موارد الإحسان والجامع لشتيت البيانات.
سابقها ولاحقها ظاهرها وباطنها علنها وخفيها، فكل مشرب من موارد
الشرع السابقة مغترف من بحر مائه العذب الزلال، ومقتطف من
ثمار أزهاره الزاهية. قد أعد الله لمن جعله قبلة هدايته جنات تجرى
من تحتها الأنهر. له فيها ما تشتهي الأنفس وتتد الأعين خالدين فيها
ما دامت السموات والأرض. ذلك الدين القيم والملة الحنيفة السمحاء
والعروة الوثقى التي لا انفصام لها. يهدى الله إليها من شاء من
اختاره من خواص عباده الذين اصطفاهم لإعلاء كلمته وانتدبهم لإقامة
محجته، وأيدهم بالنصر والظفر وقابلهم بالإحسان، وأعد لهم الحسنة
وزيادة. والله ولـى التوفيق. لا رب غيره ولا معبد سواه.

الوحى الإلهى

ثم قال القيسن النبيل صاحب البرهان الجليل: "فالواسطة التى يهذب ويؤهل الشخص بها لعبادة الله فinal سعادة الآخرة؛ هى الدين الحق الحقيقى المخلص من الجحيم والموصى إلى النعيم. فلا يستطيع الإنسان أن يقف على جميع أحكامه بمجرد نور عقده القاصر، بل يفتقر أيضاً للحصول على كمال معرفتها إلى هداية إلهية خاصة، التى هى الوحى. ولا يُنكر الافتقار إلى هداية الله سبحانه وتعالى إلا من كان جاهلاً في الأمور الروحية وأحوال الإنسان و حاجاته الباطنية"

أقول وبالله التوفيق: إن كلام حضرة القيسن فى أمر الافتقار إلى الهدایة الإلهیة التی هى الوحى؛ أمر مسلم عند ذوى العقول السليمة والأفکار المستقیمة، ولا ينکرہ إلا من كان جاهلاً غایة الجھالة. إذ البعثة أساس العمران، وبها صوالح العباد في المعاش والمعاد. والطعن في ذلك إنما يكون مجرد عناد ومکابرة للمعلوم بالضرورة والبداهة؛ فلا يسمع كلامه وينبذ به وراء الظهور. فلو لاها ما انتظم سير العالم ولا استقام له حال ولا كانت زراعة ولا صناعة ولا تجارة ولا إدارة، إذ بها زمام العدل والإنصاف ورفع الجور والإجحاف، وعليها المدار في اتحاد الكلمة الموجبة للألفة والمحبة والتعاونة والمساعدة. فإنكار البعثة والافتقار إليها كإنكار طلوع الشمس وهي في كبد السماء ليس

دونها سحاب، والمنكر ينظر إليها بعينه ﴿فَإِنَّمَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَارُ وَكَنْ تَعْمَلُ
الْقُلُوبُ أَتِيَ فِي الصُّدُورِ﴾

ولا نطيل الكلام فيما نحن ليس بصدده. لكنى أتأسف على هذا القسيس المعترض، مع قوة فكره وشدة ذكائه؛ ما اهتدى على الدين الحق الحقيقى الذى هو الدين الإسلامى المبين المخلص من الجحيم، والموصى إلى النعيم. كيف لا وهو الدين القويم والصراط المستقيم الجامع لكل منفعة وخير، والمبعد عن كل شر وضير. المتکفل بتربية الأرواح وتهذيب النفوس وتویر القلوب وحفظ الأنفس والأموال والأعراض في السر والعلانية، الداعى إلى مكارم الأخلاق وأحسان الخصال ومحامد الفعال ومحاسن الأمور، التي يكون بها الإنسان إنسانا طاهرا متورا متأهلا لنيل السعادة الأبدية والحياة السرمدية.

فهذا دين الله المتين الذى اصطفاه إلى خير خلقه، وأقام دعائمه على محبته، وهدم أركان الضلال بركته القويم وصراطه المستقيم، وسقى من عطش من حياضه وجعله لا انفصام لعروته، ولا فك لحلقته ولا انهدام لأساسه ولا زوال لدعائمه ولا انقلاب لشجرته ولا خفاء لشريعته ولا جز لفروعه ولا ضنك لطرقه ولا سواد لوضنه ولا انطفاء لمصابيحه ولا اعوجاج لاستقامته ولا مرارة لحلوته. ولا غزو فقد ثبت أساسه وأنثرت أشجاره وفاضت أنهاره النافعة على قلوب ذويه. فمن اعتصم بحبله واستقى بوبله؛ فقد استمسك بالعروة الونقى

التي لا انفصام لها، وآل به إلى أكنااف الدّعة وأوطان السّعة ومعاقل الحرز ومنازل العزّ في العاجل والآجل .

وماذا يقول القائل في الدين الإسلامي المبين وفضائله، وقد صار عند الناس صغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم وشريفهم ووضيعهم وجليلهم وحقيرهم ومتكلّمهم وأخرسهم عالمهم وجاهلهم وشجاعهم وجبانهم وكريهم وبخيّلهم وطائعهم وعاصيهم ومؤمنهم وكافرهم وحبيهم وميتهم، مذ جاء به سيدنا وموانا محمد ﷺ هو الدين القويم والصراط المستقيم الذي ﴿لَا يأْتِيهُ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾

فهذه الجمعية التي ألفت حديثاً في مدينة "نيويورك" عاصمة جماهير "أميركا" المتحدة، من العلماء وال فلاسفة؛ فإنها قررت وجوب اتباع الدين الإسلامي المبين، ولزوم نشره في "أميركا" باتفاق مائة وستين رأياً يخالفهم أربعون. ولقد نشرت بعض الجرائد أن المخابرة لم تزل جارية عن ذلك بين "نيويورك" و "لondon".

ومن هذا. ما نشره أحد علماء الفرنساوبيين في مدينة "باريس" منذ أشهر قليلة من وجوب قيام حكومة جمهورية فرنسا بحماية نشر الدين الإسلامي في إفريقيا، وأظهر ما ينجم عن ذلك من المنافع السياسية والاستعمارية وغيرها، وأنه أقرب تأثيراً في الأنفس، وأقرب إلى الاتحاد.

قلت: قال ولو لا اشتغاله على جميع مصالح العباد؛ ما دخله الناس أفواجاً أفواجاً. فقد نقل في بعض التواريخ الصحيحة: أن أكثر من مائة مليون من الناس على اختلاف أصنافهم وتغاير أوصافهم قد دخلوا في الدين الإسلامي في أقل من قرن. ولم يعهد ذلك في دين من الأديان. ومن هذا. ما نشره أرباب الجرائد في هذه السنين من أن المترشفين بالدخول في الدين الإسلامي في القرن الماضي أعني القرن الثالث عشر من القرون الإسلامية أكثر من نحو مائة مليون أيضاً من الأصناف المختلفة في المسكونة سيما في قارة إفريقيا.

وهذا سليم بيك حموي المسيحي المصري صاحب امتياز جريدة الفرج؛ نشر منذ سنة في العدد ٢١٢ من جرينته المذكورة: أن سكان إفريقيا نحو مائة مليون بين سود وبني سبط وبينهما؛ صار أكثرهم مسلمين ولم ينزل الإسلام يمتد فيهم يوماً في يوماً مع عدم المبشرين به والداعين إليه.

ومن مدة سنتين نشرت جريدة مكارم الأخلاق في عددها الثاني والخمسين نقاًلاً عن جريدة الاتحاد وهي عن جريدة الحاضرة أن عدد المسلمين بلغ في هذه السنين في العالم ثلاثة وأربعين مليوناً وأربعين ألف نفس منهم ١٢١٥٠٠٠ بأوروبا وفي الروسيا وجزيرة البلقان و ٨٠٠٠٠٠ بإفريقيا و ٥٠٠٠٠ بأمريكا والباقي بآسيا وجزائر الأقيانوس منهم ٨٠٠٠٠٠ بالصين و ٦٠٠٠٠٠ بالهند.

قال: وإن الوثنيين بالصين والهند وإفريقيا متزاحمون على الدخول في دين الله أفواجا. أكثر الله سواد الإسلام وأعلى كلمة الحق والإيمان. والحاصل: أن الأمم بأسرها سيما أمم الإفرنج وعلمائهم مع عدم اطلاعهم على حقيقة قضايا الشريعة الإسلامية والحكم القرآنية نراهم ميالين بأطباعهم السليمة إليه. فهذا القسيس الكبير إسحاق طيلر الإنكليزي الذي قام خطيباً في محفل حافل من الإنكليز يدعوهם إلى الرجوع إلى الحق من جميع أطرافه، وطرح أردية التعصبات التي تُؤلّ بهم إلى الخسران المبين في الدار الآخرة.

وقد نقل هذه الخطبة سليم بيك حموي المسيحي المصري عن جريدة البارطان غازت الإنكليزية ثم ترجمها من اللغة الإنكليزية إلى اللغة العربية ونشرها في جريدة المسماة بالفلاح. ثم نشرها أرباب الجرائد في المسكونة لما اشتملت عليه من الحجج والبراهين القاطعة الدالة على أفضلية دين الإسلام المبين.

وحيث كان لها مناسبة قوية في هذا المقام ولا تخلو عن فائدة بل فوائد؛ أحببت أن ألقاها لك هنا حرفاً بحرف عن العدد السادس من جريدة مكارم الأخلاق المصرية للفاضل الأديب والحسيب النسيب السيد أحمد أفندي الشريف من أهالى وسكان محروسة القاهرة. وهاك هي بحروفها:

قال قرأ القسيس إسحاق طيلر بالأمس صحيفة قال فيها: إن الإسلام من حيث هو دين تبليغي. أي جعل أساسه على تبليغ عقائده

إلى الناس بطريق الدعوة، وإقامة الدليل والحجج، وتفويض الأمر للنظر والفكر في الوصول إلى المطلوب علمه من تلك العقائد، ولم يحصل أساسه على الإلزام بما لا يعقل بطريق جبرى؛ بهذا نجح في قطعة عظيمة من العالم نجاحاً يفوق الديانة المسيحية "

تحيرٌ من السامعين

الداخلون في الإسلام من الوثنيين لا أقول فيهم إنهم أكثر عدداً من الداخلين في المسيحية فقط، بل أزيد على ذلك أن المسيحية تخنس بالفعل بين يدي الإسلام. والمساعي المبنوله لتنصر الأمم المسلمة؛ ترجع إلى الخيبة رجوعاً ظاهراً. ليس أمرنا واقف عند العجز من إحداث موطن جديد لأقداماً فقط ولكن المقام الذي نحن فيه قد نعجز عن حفظه أيضاً. إن الدين الإسلامي قد انتشر آنفاً من "مراكش" إلى "جاوا" ومن "زنجبار" إلى "الصين" وهو الآن ينتشر في إفريقيا بسرعة لا يأتي عليها الوصف. فقد ضرب هذا الدين بجرانه على أرض "الكونغو" و"زمبابوى" و"أوغاندا" وهذه المملكة القوية الزنجية صارت محمدية من زمن قريب.

التمدن الأوروبي الذي يهدم الوثنية الهندية في الهند إنما يوطئ طريقاً جديداً للدين الإسلامي؛ فإن أرض الهند مائتان وخمسة وخمسون مليوناً من السكان فيهم خمسون مليوناً مسلمين، وليس بينهم من المسلمين إلا النذر اليسير والمسلمون من أهالي إفريقيا يزيدون على نصف سكانها. ولا يتعلق بغرضنا الآن بيان كيفية انتشار الدين

الإسلامى فى بداية أمره، ولكن علينا أن نبين حالته فى ثباته ودوامه وأخذه بقلوب المتمسكون به؛ فإن الديانة المسيحية أقل سطوة منه على القلوب. لذلك ترى القبيلة الإفريقية تدخل فى الدين الإسلامى ثم لا ترتد إلى الوثنية قط ولا تتصر أبداً.

نرى الإسلام أوفق ما يكون لتهذيب الأمم المتوحشة وترقيتها حالها. أما الديانة المسيحية فهى أبعد من أن تثالها عقول السذج وهى على ما نعلم من دقتها : الإسلام قد نفع التمدن أكثر من المسيحية .

تعجب من السامعين

انظروا فى تقارير أرباب المناصب من الإنكليز والعامنة من السائرين انهم اتفقوا على فوائد الدين الإسلامى فى إصلاح الأعمال البشرية. فإن الديانة محمدية إذا دخلت فى قبيلة زنجية محت من بينها الديانة الوثنية وعبادة الشياطين ورفعتها عن السجود للأباطيل وكرّهت إليها أكل لحوم البشر، وذبح الإنسان، وقتل الأولاد، ونزعتها عن معاطاة السحر، وهيأت لها من ذلك كله خلاصاً أبدياً. وأول ما يبتدأ به الوحشيون بعد الدخول فى الإسلام: لبس الثياب والنظافة ثم تتشاء فىهم عزة النفس ويكسوهم الوقار ويصير قرى الضيف عندهم بمنزلة فريضة شرعية ويندر السُّكُر وينقطع القمار. ولا يبقى أثر للمراقص المخزية ويحظر اختلاط الرجال بالنساء، وتعد العفة فى الإناث من خلق النقوى، ويبدل الكسل بالعمل، وتأخذ الشريعة مكان الأهواء، ويتحكم النظام والكياسة، وتحرم الدماء، وظلم العبيد والبهائم، ثم يفشووا

التناصح بالإحسان والأخوة والإحساس بالوجدان الأنسي. أما الاسترقاق وتعدد الزوجات فيأخذن وجهاً من الترتيب وتحمى مساوئهما.

الجمعية الإسلامية هي المستعلية على الكل بشدة قواها واجتبابها للمسكرات:

أما انتشار التجارة الأوربية فليس إلا انتشار السكر والقبائح والأخلق السافلة، والإسلام يروج بين الناس تمدنا في رتبة غير سافلة لاحتوائه على تعلم القراءة والكتابة وستر العورة والنظافة والصدق والحياء. إن رواج الإسلام وحمله الناس على التمدن من العجائب وما أقل ما نجد لو طلبنا عوضاً للمبالغ الوافرة من الأموال التي أسرفنا في تبذيرها في إفريقيا فالمتصررون يعدون بألف، والداخلون في الإسلام يعدون بعشرات الملايين. تلك أحوال يسوانا أمرها. وجهلها حماقة.

فيجب علينا أن نتبصر أمراً؛ وهو أن الدين الإسلامي لا ينافق الديانة المسيحية، بل يتفق معها. فإن ذلك الدين صوت إيمان إبراهيم وموسى عليهما السلام وفيه كثير من الأصول المسيحية وهو يخالف اليهودية في أنها كانت خاصة.

وهو دين عام لا يختص بأمة واحدة بل يعم العالم: المسلمين يعترفون بأربعة مرشدین کرام سیدنا إبراهيم خليل الله، وسیدنا موسى کليم الله، وسیدنا عیسیٰ کلمة الله، وسیدنا محمد رسول الله. ولسیدنا عیسیٰ مقام جلیل في الأربع. ولو فرضنا أن الديانة

الإسلامية لا ترمى إلى مرامي تعليمات القديس بولس؛ فهي لا تخالف المسيحية بل هي قريبة منها. وهي خير من اليهودية لإقرارها بمعجزات المسيح ونبوته. وفيما يُنسب إلى الديانة المسيحية موضوعات خيالية وضعها بعض الرؤساء من عند أنفسهم؛ فصارت بها الأقوام مشركين في أعمالهم يعبدون جماعة من القديسين والشهداء والملائكة، وظنوا أن من بعض أحكامها أن الوساخة من خصال القديسين. فجاء الإسلام وكسر مجموع هذه المفاسد والأباطيل وأظهر الأحكام الأساسية الدينية، وهي توحيد الله وتعظيمه وبذل الرهبانية بالإنسانية، وأرشد الناس إلى الأخوة الصحيحة ومعرفة الحقائق الأساسية الطبيعية الإنسانية. الدين الإسلامي لا يفرض على الناس خلع سلطان الطبيعة البشرية من مقامها الفطري، كما تفرض ذلك الديانة المسيحية في نحو الأمر بمحبة الأعداء مثل محبة النفس والأصدقاء، وبالتجزد عن قنطرة الأموال، وبإدارة الخد الأيسر لمن ضربك على الخد الأيمن وما أشبه ذلك.

لكنه يطالب العقول بما تحتمله كالاعتدال والنظافة والغفاف والقسط والثبات والشجاعة وإكرام الضيف. فإذا أكسبهم هذه الخصال سهل لهم طريق الفضائل السامية، وتجنبهم جميع الرذائل والكبائر.

الدين المسيحي يطالب بمواخاة الناس كافة:

وذلك غاية لا تتأل لكن الإسلام ينادي بمواخاة فعلية يحتوى فيها المسلمون عامة، وهذه الأخوة جعلة عظيمة يقدمها الإسلام للداخلين

فيه. فمن قبل الإسلام دخل في جمعية مئات القلوب على الإطلاق، وصار عضواً لمجمع عددهم ١٥٠٥٠٠٠ والداخل في الديانة المسيحية جديداً لا ينظر إليه بين النصارى بنظر المساواة لكن الأخوة الإسلامية أمر حقيقى. وهذه أخلاق أهل الإسلام في إفريقيا وهي الجدير بها المسلمين كافة، ولكن من الأسف أن المسلمين في جهات كثيرة فقدوا هذه الأخوة الحقيقية. عندنا يا إخوانى كثير من الأحبة في منبر الكنيسة لكن قليلاً ما نشاهدهم في المعيشة اليومية .

ضحك من السامعين:

حقاً إن القرآن بشر بجنة جسمانية لكن لها في الفضائل الإنسانية التي لا بد منها في هذا العالم أقوى تأثير. الإسلام لا ينقطع بالإنسان إلى الروحانية المحضة كما ترشد إليه التعاليم المسيحية لكنه المكتب الفرد الذي يمكن أن يتربى فيه الإفريقي ويستعد به إلى الكمال الأعلى من الإيمان. العقبتان العظيمتان المانعتان من إسلام أهالي إفريقيا هما تعدد الزوجات والاسترقاء. أما الاسترقاء فليس هو من لوازم العقيدة الإسلامية وإنما رخص فيه الشّرّع المحمدى لأنه سر اضطرارى كما رخص به موسى ومار بولس. ويد المسلم فيه أرفق وألين من يد المستعبدين في الممالك المتحدة. وتعدد الزوجات في شرع موسى عليه السلام وعمل بها داود عليه السلام والإنجيل لم يصرح بمنعها مع مخالفتها لأصوله. محمد ﷺ جعل حداً معيناً لعدد الزوجات. فخف شره وووجدت له منافع كثيرة. فهو الذي نسخ قتل الإناث وأقام لك امرأة قيماً شرعاً وبسببيه

خلصت البلاد المحمدية من الفواحش الرسمية، وهي على أعظم شناعة في المسيحية من تعدد الزوجات على قواعده المنتظمة عند المسلمين أنجح تأثيراً في صيانة النساء عن الرذائل وأخف ضرراً على الرجال من مخالطة امرأة واحدة لرجال كثرين تلك لعنة البلاد المسيحية وجود لها في بلاد الإسلام. الإنكليز الذين يجوزون توارد رجال كثرين على امرأة واحدة في المواتير. أي محلات الفواحش لا يليق بهم أن ينكروا على المسلمين الناكحين متى وثلاث ورباع.

انصتوا انصتوا:

فلنخرج الجذع الكبير من أعيننا، قبل أن نهتم بإخراج القذى من عيون إخواننا^(١) إن الشرور الأربعة التي نعدها في البلاد المحمدية وهي تعدد الزوجات والاسترقاق والتمتع بالإماء وإباحة الطلاق ليست من خصائص الإسلام بل كان معهولاً بها على أشنع صورها في الممالك المتحدة. وهي أرض مسيحية وسكانها من الإخوة الإنكليز إن المعلميين الأوربيين لا يستطيعون أن يدخلوا إفريقيا في النصرانية. فهذا شيء جرب ولم يف. فعلينا أن نعدل عن تهيج الخصم بيننا وبين المسلمين وتکذیب نبیهم وتکفیرهم ونجهد في تفہیمهم أن المسيحية لا

(١) يشير إلى قول المسيح عيسى عليه السلام في موعظة على الجبل "لَا تَدِينُوا لِكَنِي لَا تَذَأْنُوا، لَا تَكُنْ بِالْمُتَّهِنَةِ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ نَذَأْنُونَ، وَبِالْكَلِيلِ الَّذِي بِهِ تَكْلِيْلُكُمْ وَلِمَاذَا تَنْظُرُ الْقَدَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ، وَأَمَّا الْحَسَنَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلَا تَنْهَنُ لَهَا؟ أَمْ كَيْفَ تَقُولُ لَأَخِيكَ: دَعْنِي أُخْرِجَ الْقَدَى مِنْ عَيْنِكَ، وَهَا الْحَسَنَةُ فِي عَيْنِكَ؟ يَا مَرَّانِي ، أُخْرِجْ أَوْلَى الْحَسَنَةِ مِنْ عَيْنِكَ، وَجِئْنِي بِصَرْ حَيْدَأَ أَنْ تُخْرِجَ الْقَدَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ"

تخالف الإسلام بل تشابهه جداً. علينا أن نذكر أن الدين الإسلامي أشد تأثيراً في إخضاع النفوس لمشيئة الله وردعها عن السُّكُر، وحملها على الصدق وتمكين عرى الألفة والإخوة الإيمانية بينهما، وأنفذ فعلاً مما عندنا. فلنا فيهم أسوة حسنة إذا اقتدينا بهم أحسن. إن الإسلام قد نسخ السكر والقمار والبغاء. وهن ثلات لعنتات أهلken البلد المسيحية.

"فليعتبر المقامرون حاسبهم الله" الإسلام قريب جداً من المسيحية والمسلمون كأنهم مسيحيون. فتعالوا بنا نساعدهم على الكمال في دينهم ولا نسعى سعيًا عبثًا لإبطاله لعلنا نجد في الإسلام مسيحية، ونجد أن محمدًا ﷺ آخذًا بع ضد المسيح في دينه .

شاشة من الحاضرين:

انتهى. ولعمري أن هذا القيس ما أقدم على هذا الأمر إلا لما بحث في كنه الإسلام وعرف مغزاه، وعرف أيضًا في قومه المبادرة إلى الحق والصواب، وكلامه -حفظه الله- وإن كان فيه ضرب من الهذيانات في أمر التوفيق بين الديانتين، لكن جل مقصده من ذلك؛ التوصل إلى غرضه الذي هو تبيين فضائل الدين الإسلامي المبين، وكشف الحقيقة لبني جلدته ليتبعوا الحق والصواب .

وقد نقل الفاضل الشيخ حسين افندي الجسر الطرابلسى فى رسالته الحميدية فى حقيقة الديانة الإسلامية: أن رجلاً فاضلاً من علماء الإنكليز المتضلعين فى اللغات والفنون قد سعى فى بناء معبد

ل الإسلام في البلاد الإنكليزية. وأنه في عزمه؛ أن يباشر هناك بنشر جريدة عربية ليكون جل مقصده البحث عن حقيقة الدين الإسلامي وإشهار فضائله لغير العارفين به.

ولقد نشرت جريدة بيروت في العدد ٤٢٩ الصادرة في اليوم التاسع من شهر شوال من سنة سبع وثلاثمائة بعد ألف أن بعض علماء الإنكليز في بلاد الهند دخلوا في الدين الإسلامي بعد البحث والتقصير فيسائر الأديان. فحكموا بكونه الدين الحق، وأخذوا ينصحون جماهير الخلق ويدعونهم إلى الإسلام علينا فنجحوا في فعلهم. وأخذ الإسلام ينتشر في أقطار المسكونة ولا سيما في الهند والبرتغال وجزائر صوماترا.

وذكرت جريدة لافجرى أن عدد المسلمين زاد في صوماترا زيادة عظيمة منذ عشر سنين إلى الآن. فإن المجنوس وعدة الأواثان اهتدوا إلى الإسلام بواسطة الوعاظ من المسلمين الذي ساروا إلى هناك وأخذوا يحضونهم بالتبشير والإذار؛ فدخلوا في دين الله أتوا، ونبذوا نحلهم السيئة، تاركين الخرافات والأضاليل.

وقال أحد العثمانيين الذين ساروا إلى جزيرة صوماترا:

إن الأهالي المقيمين في التغور قد خضعوا لحكومة البرتغال بخلاف المقيمين في الجبال فإنهم كثيراً ما تأقروا إلى استجلاب الدولة العلوية العثمانية لحمايتهم. ومع ذلك فإن فيهم من العلماء الأعلام من

يطوف في الضياع والقرى وينشرون دين الإسلام بين النصارى
النساطرة والمجوس وغيرهم. فتجتماع فيهم أحكام الدين المبين.

وبالجملة فإن الإسلام أخذ الآن ينتشر في تلك الجهات انتشاراً
عظيماً لم يسبق له مثيل في غابر الأزمان أهـ.

وفي هذه الأيام لقد شاعت وذاعت الأخبار في جميع الأقطار من
القرى والأمصار بأن سبعين شخصاً من نصارى الإنكليز في مدينة
ليفربول وخمسة أنفار من نصارى لوندرا. فالجملة خمسة وسبعون
شخصاً من نصارى الإنكليز قد اعتنقا الدين محمدى من تلقاء
أنفسهم. وهؤلاء الجماعة المؤمنون ظهروا بمظهر جماعة خاصة،
ونصبوا عليهم رأساً اسمه الموسيو وليم. وهو أول من اعتنق هذا الدين
المتين في مدينة ليفربول. وقد اتفقت آراء هؤلاء المسلمين على عقد
مجلس مخصوص برئاسة الموسيو وليم المشار إليه للقيام بأمور الدين
في الجمعة وإجراء المawahظ. وقد اتخذوا لهم مسجداً. عدا ذلك المجلس
فهم يجتمعون يومياً في الأوقات الخمسة لإقامة الصلوات بعد الأذان
المحمدى.

وقد ألف المسيو وليم كتاباً في اللغة الإنكليزية لإثبات حقيقة دين
الإسلام وطبعه وأذاعه، وقد وصل هذا الكتاب إلى مسلمي الهند
وترجموه إلى لغة أردو. وقد ترجم أيضاً إلى اللغة العربية وطبع في
مدينة بيروت الجليلة بمطبعة جمعية الفنون في سنة تسع بعد التائمة
والألف، ونشر أيضاً وهو كتاب وجيز اسمه اعتقاد الإسلام. ثم إن

المومى إليه قد ألف كتابا آخر في الحكم الإسلامية. وهو الآن تحت الطبع على قدم النشر.

وقد أبان الموسیو ولیم -المومى إليه- أنه على استعداد تام للاهتمام بنشر الدين الإسلامي في إنكلترا بما هيأ من الوسائل والأسباب الالزمة لذلك. وهذه الأخبار قد نشرتها جريدة الثمرات في العدد ٨١٨ الصادر في ٩ جمادى الثانية من سنة ٣٠٨ بعد الألف نقلًا عن جريدة المهدب.

وقد ذكرت جريدة الثمرات أن هؤلاء المؤمنين الملتهبين غيرة في حب الله وطلب الحق يسعون بحملتهم ويبذلون جهد الطاقة آناء الليل وأطراف النهار في أن يدخلوا إنكلترا في المملكة الإسلامية مدفوعين إلى هذه الغيرة بأعمالهم ونياتهم الدينية -أكثر الله سعاد الإسلام وأعلا كلمة الحق والإيمان-

فهل لك يا صاحب البرهان أن تطرح عنك رداء التعصبات وتقتدى بهؤلاء العلماء الأعلام الذين كانوا من أبناء جلدتك وأهل مذهبك، ثم قادهم طبعهم السليم إلى اتباع الحق واليقين فتفوز معهم فوزاً عظيماً بنيل السعادة الأبدية والحياة السرمدية أو تقتدى بالعالم الألماني المدعو شومان من أهالي مدينة هاتوره، الذي جنحت نفسه الشريفة إلى التشرف بالدخول في الدين الإسلامي الجليل وقدم عريضة لحضره مولانا شيخ الإسلام السابق يلتمس من لدنه التفضل عليه ببيان حقيقة الدين وما يجب أن يعمله . فإذا كان ذلك الفيلسوف الأعمى مع

جهله اللغة العربية وعدم اطلاعه على حقيقة كتاب الله تعالى وما فيه من الحكم والأخبار بل لمجرد الدلائل الساطعة والبراهين القاطعة؛ انجذب ميله إلى الانقياد للإسلام والاندراج في سلك أهل السلام. فلعمري إنك أيها القسيس الهمام أجدر بأن يقودك طبعك السليم إلى إتباع الحق واليقين. إذ على ما بلغنى من بعض الصحاب أنك من ربى بين تجار العلم والأدب وطالع المعقول والمنقول وحاز قصبات الفنون.

فإن كان حضرة القسيس جعل تلك العلوم والمعارف تدرعاً للمباهاة والاستظهار بجاهه ومنزلته في المنافسات أو إلى اكتساب حطام الدنيا الفاني من درهم ودينار؛ فقد أتقننا أسفًا على ضياع وقته فيما لا يعني، وأوجع خواطرنا فيما لا يغنى. وليس ذلك من البر **﴿وَلَكُنَّ الْبِرُّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالثَّبَيْرِ﴾** ويقال: من غالب عقله على هواه؛ نجا، ومن غالب هواه على عقله؛ فقد ضل وغوى. ولا عنز لأحد في جهل الدين الحق المخلص من الجحيم، والموصى إلى النعيم لقوله تعالى: **﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾** قوله تعالى: **﴿وَمَنْ يَسْعَ غَيْرَ الْإِسْلَامَ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** قوله تعالى: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نُعْمَانِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾** وحجة الله قد قامت على الخلق بقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بُلْغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾** وقد أرسل نبينا محمد ﷺ إلى جميع العقلاة من الإنس والجن كما قال تعالى: **﴿وَمَا**

أَرْسَلْنَاكَ إِلَى كَافَّةِ النَّاسِ بَشِيرًا وَبَذِيرًا) فاصمِ النصْح هداكَ اللهُ إِلَى سَبِيلِهِ الْقَوِيمِ
وَصِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ وَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِ حَضْرَةِ الْقَسِيسِ شَبَهَةٌ فِي ذَلِكَ
الدِّينِ الْقَوِيمِ أَوْ خَدْعَةٌ خَدَعَهَا لَهُ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ؛ فَهَا أَنَا أَدْعُوكَ، وَمَعَهُ
عَقْلُهُ السَّلِيمُ إِلَى الْحُضُورِ لَوْطَنِي، وَمَحْلُ إِقَامَتِي مَدِينَةُ نَابُلُسُ التَّابِعَةُ
إِدَارَتَهَا إِلَى وَلَايَةِ بَيْرُوتِ الْجَلِيلَةِ. وَأَنَا بِفَضْلِ اللهِ تَعَالَى أَزَيلُ كُلَّ شَبَهَةٍ
قَامَتْ فِي نَفْسِهِ، وَأَدْفَعُ كُلَّ خَدْعَةٍ خَدَعَهَا لَهُ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ، حَتَّى يَعُودَ
إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى مُسْلِمًا مُؤْمِنًا بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ سِيدُ الْأَنَامِ فِي قَلِيلٍ مِنْ
الْأَيَّامِ. وَيَذْهَبُ وَالْأَدْلَةُ الْقَاطِعَةُ وَالْبَرَاهِينُ السَّاطِعَةُ ذَاهِبَةٌ مَعَهُ فِي
الْكَلِيَّاتِ وَالْجَزِئِيَّاتِ الَّتِي يَرِيدُ الْوَصْوُولُ إِلَيْهَا وَصَوْلًا يَنْفِي الشُّكُوكَ
وَالْأُوهَامَ.

وَهَذَا أَدْعُوكَ غَيْرَهُ مَنْ يَرِيدُ الْوَقْوفَ عَلَى حَقَائِقِ الدِّينِ الْمُبِينِ
الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَكَانَ مَنْ مِنْ سَبَقَتْ لَهُمُ السَّعَادَةُ بِحِيثُ يَأْتِيَهُ خَالِيًّا عَنِ
ظَلَمَاتِ التَّعَصُّبَاتِ الَّتِي تُؤْوِلُ بِهِ إِلَى الْخَسْرَانِ الْمُبِينِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.
وَمَهْمَا سَأَلْنَى عَنْ شَيْءٍ؛ أَحْدَثُ لَهُ مِنْهُ ذَكْرًا. وَاللهُ وَلِي التَّوْفِيقَ لِرَبِّ
غَيْرِهِ وَلَا مَعْبُودٍ سَوَاهُ.

أقسام الدين

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل: "فالأمور المتعلقة بالدين التي يخاطب الإنسان بمعرفتها ثلاثة أقسام قسم يدرك بمجرد إرشاد العقل دون هداية الوحي كوجود الله واتصافه بالحكمة والقدرة والعدل وهم جرأ فاته مستفاد عقلاً لأن العاقل متى رأى شيئاً مصنوعاً يحكم بعقله أن هذا المصنوع لا بد له من صانع موجود يبرزه من حيز العدم إلى حيز الوجود وما استفيد هذا الحكم إلا من العقل وكذلك يستدل به على بعض صفات الصانع كونه قادراً مثلاً إذ لو كان عاجزاً لما وجد هذا المصنوع. وقسم لا مدخل لإرشاد العقل فيه البته بل لا يدرك إلا بعد الهدایة الإلهیة وحصوله يكون بامضه إلهام ووحي إلهي فمن هذا القسم صفة الذات الإلهية على أي هيئة هي وبعض صفاته الأخرى وأحوال الآخرة وكيفية العبادة المرضية لله والأحكام الشرعية. وقسم يدرك بنور العقل نوعاً ما غير أنه يحتاج زيادة تبين وتأكيد إلى إرشاد يفوق إرشاد عقله القاصر العاجز عن معرفة أمور الملائكة وهي الوحي الإلهي كالبُعث وما يناله الإنسان بعد الموت من ثواب وعقاب. ولما كان أصحاب الأديان المدعون بالكتب الإلهية متفقين على افتقار الإنسان إلى الهدایة الإلهية بواسطة الوحي لم نحتاج لإيراد أدلة وبراهين مثبتة لحقيقة هذا الأمر .
أقول: إن ما أورده حضرة القسيس في هذه المقالة من أمر الافتقار إلى الهدایة الإلهية التي هي الوحي الإلهي بواسطة الرسل

الكرام؛ أمر مسلم عندنا معاشر المسلمين. وحيث أنه أقر واعترف أن أصحاب الأديان متقوون على افتقار الإنسان إلى الهدایة الإلهية بواسطة الرسول؛ فلا نطيل فيه الكلام وإن كان هذا البحث من أهم الأبحاث لتجربة بعض الملحدين في هذه الأيام على القذح في بعثة الرسول الكرام بأنها لا حاجة إليها للعباد، وأنها بأى دليل من جهة العقل تثبت. لكن غرضنا بهذا الكتاب المختصر: الرد على صاحب البرهان في أقواله التي أخطأ فيها طريق الحق والصواب، وإن شاء الله تعالى نفرد في ذلك البحث رسالة مستقلة تشفى العلیل وتزوى الغلیل.

الهداية الإلهية

ولما كان الإنسان مفتقرًا إلى الهداية الإلهية وكان لها ثمرتان: الأولى الوقوف على معرفة الأمور التي لا مدخل للعقل فيها رأساً؛ أتعم الله قدি�ماً على بنى آدم بيارسال رسلاً كرام وعلمهم حقيقة الهداية وأمرهم بتبليغها فبلغوها تبليغاً تاماً وأمرهم بكتب ما أوحى إليهم من نور وهدى وموعظة وقصص اقتضت الحكمة الإلهية ذكرها لئلا تفقد أو تعريها زيادة أو نقص أو تبديل .

أقول وبالله التوفيق وبه الهداية إلى أقوم طريق إن ما ذكره حضرة القسيس من أن الأنبياء الكرام -عليهم الصلاة والسلام- بلغوا ما أوحى إليهم تبليغاً تاماً؛ أمر مسلم عندنا معاشر المسلمين لأن الأنبياء الكرام كما أنهم معصومون في غير التبليغ؛ فكذلك في التبليغ، بل وجوب عصمتهم في التبليغ من باب أولى. إذ لو جاز عليهم الكذب في التبليغ لغات الغرض من بعثتهم ورسالتهم الذي هو إصلاح العباد. فكلام حضرة القسيس هنا في محله هو الحق. لكن يا أسف يا أسف لو كانت كتبهم المقدسة تساعده على هذه الدعوة المسلمة عند ذوى العقول السليمة والأفكار المستقيمة، لكنها كما تصرح بتفسيقهم وتکفيرهم وعدم عصمتهم في غير التبليغ، فكذلك تصرح وتتادى بأعلى نداء بعدم عصمتهم في التبليغ والعبارات الواردة في التوراة الدالة على كذبهم في التبليغ كثيرة جداً لا يمكن حصرها إلا بكلفة. فما ورد فيها مصححاً لما

ذكر ما جاء في الأصحاح الثالث عشر من سفر الملوك الأول من الترجمة المطبوعة في مدينة لندن سنة ١٨٤٨ من الميلاد "وإذا برجل الله قد أتى من يهودا بكلام الرب إلى بيت آيل ويرباع وقف لدى المذبح لكي يوقد فنادي نحو المذبح بكلام الرب وقال يا مذبح يا منبع هكذا قال الرب هودا سيولد لبيت داود ابن اسمه يوشيا وينبع عليك كهنة المرتفعات الذين يوقدون عليك وتحرق عليك عظام الناس وأعطي في ذلك اليوم عالمة قائلا هذه هي العالمة التي تكلم بها الرب هودا المذبح ينشق ويدرى الرماد الذي عليه فلما سمع الملك كلام رجل الله الذي نادى نحو المذبح في بيت آيل مد يرباع يده عن المذبح قائلا امسكوه فيبست يده التي مدها نحوه ولم يستطع أن يردها إليه وانشق المذبح وذرى الرماد من على المذبح حسب العالمة التي أعطاها رجل الله بكلام الرب فأجاب الملك وقال لرجل الله تضرع إلى وجه الرب إلهك وصل من أجلي فترجع يدي إلى فتضرع رجل الله إلى وجه الرب فرجعت يد الملك إليه وكانت كما في الأول ثم قال الملك لرجل الله ادخل معي إلى البيت ونقوت فأعطيك أجرة فقال رجل الله للملك لو أعطيتني نصف بيتك لا ادخل معك ولا أكل خبزا ولا اشرب ماء في هذا الموضع لأنني هكذا أوصيت بكلام الرب قائلا لا تأكل خبزا ولا تشرب ماء ولا ترجع في الطريق الذي ذهبت فيه فذهب في طريق آخر ولم يرجع في الطريق الذي جاء فيه إلى بيت آيل وكاننبي شيخ ساكنا في بيت آيل فأتى بنوه وقصوا عليه كل العمل الذي

عمله رجل الله ذلك اليوم في بيت آيل و قصوا على أبيهم الكلام الذي تكلم به إلى الملك فقال لهم أبوهم من أي طريق ذهب وكان بنوه قد رأوا الطريق الذي سار فيه رجل الله الذي جاء من يهودا فقال لبنيه شدوا لي على الحمار فشدوا له على الحمار فركب عليه و سار وراء رجل الله فوجده جالسا تحت البلوطة فقال له أنت رجل الله الذي جاء من يهودا فقال أنا هو فقال له سر معي إلى البيت وكل خبزا فقال لا اقدر ان ارجع معك ولا ادخل معك ولا اكل خبزا ولا اشرب معك ماء في هذا الموضع لأنه قيل لي بكلام الرب لا تأكل خبزا ولا تشرب هناك ماء ولا ترجع سائرا في الطريق الذي ذهبت فيه فقال له أنا أيضا نبي مثلك وقد كلمني ملاك بكلام الرب قائلا ارجع به معك إلى بيتك فياكل خبزا ويشرب ماء كذب عليه فرجع معه وأكل خبزا في بيته وشرب ماء وبينما هما جالسان على المائدة كان بكلام الرب إلى النبي الذي أرجعه فصاح إلى رجل الله الذي جاء من يهودا قائلا هكذا قال الرب من اجل انك خالفت قول الرب ولم تحفظ الوصية التي أوصاك بها الرب إلهك فرجعت وأكلت خبزا وشربت ماء في الموضع الذي قال لك لا تأكل فيه خبزا ولا تشرب ماء لا تدخل جتنك قبر آبائك ثم بعدما أكل خبزا وبعد أن شرب شد له على الحمار أي للنبي الذي أرجعه وانطلق فصادفهأسد في الطريق وقتله وكانت جنته مطروحة في الطريق والحمار واقف بجانبها والأسد واقف بجانب الجثة وإذا بقوم يعبرون فرأوا الجثة مطروحة في الطريق والأسد واقف بجانب

الجثة فاتوا واحبروا في المدينة التي كان النبي الشيخ ساكنا بها ولما سمع النبي الذي أرجعه عن الطريق قال هو رجل الله الذي خالف قول الرب فدفعه الرب للأسد فافترسه وقتلته حسب كلام الرب الذي كلمه به وكلم بنيه قائلا شدوا لي على الحمار فشدوا فذهب ووجد جثته مطروحة في الطريق والحمار والأسد واقفين بجانب الجثة ولم يأكل الأسد الجثة ولا افترس الحمار فرفع النبي جثة رجل الله ووضعها على الحمار ورجع بها ودخل النبي الشيخ المدينة ليندبه ويدفعه فوضع جثته في قبره ونحوه عليه قائلين آه يا أخي وبعد دفنه إياه كلم بنيه قائلا عند وفاتي ادفنوني في القبر الذي دفن فيه رجل الله بجانب عظامه ضعوا عظامي لأنك تماما سيتهم الكلام الذي نادى به بكلام الرب نحو المذبح الذي في بيت ابل ونحو جميع بيوت المرتفعات التي في مدن السامرة" انتهى.

فهذه الحكاية التي لها حق بأن تفتخر برواجها على حكايات كتاب ألف ليلة وليلة؛ صريحة في عدم عصمة الأنبياء في التبليغ أيضاً. وهذا النبي الشيخ الصادق في النبوة الذي ثبتت رسالته الحقة ونزل عليه الوحي من قبل الرب وما على المائدة؛ قد افترى على الله وكذب في التبليغ وخدع النبي الآخر رجل الله المسكين وألقاه في غضب الرب حتى افترسه الأسد وقتلته وحرم الله عليه أن يدخل قبر آباءه. فثبتت من هذا: عدم صحة دعوى القيسис في أمر التبليغ على حسب أصولهم وكتبهم المقدسة. وما ذكره وعرض به من أن الرب أمر الأنبياء بكتب

ما أوحى إليهم لئلا تفقد أو يعترضها زيادة أو نقص أو تبديل؛ غير صحيح أيضاً. إذ الغاية غير محققة. ولا يلزم من كتب الكتاب عدم فقدانه فيما بعد ذلك أو إدخال الزيادة فيه أو الإخراج منه أو تبديل بعض مضامينه بمضامين أخرى.

وهذه كتبهم المقدسة عندهم المنسوبة إلى الأنبياء الكرام المسمة بالتوراة والإنجيل مشحونة بالأغلاط والاختلافات الكثيرة. وما ذلك إلا بسبب وقوع التغيير والتبدل والزيادة والنقص. وستقف على كثير من ذلك في محله إن شاء الله تعالى بالتفصيل الشافي والبيان الكافي. مما عرض به هذا القسيس هنا من عدم وقوع التحريف في التوراة والإنجيل^(١) غير صحيح ومخالف للحس والمشاهدة، ولتصريح علماء اليهود ولتصريح المحققين من علماء المسيحيين كالمفسر آدم كلارك الذي هو من المفسرين المشهورين من فرقـة بروتستـنتـ، ولتصريح كثير من علماء هذه الفرقـة وغيرها من فرقـة المسيحـيةـ. كما عرفت

(١) شكـ المسيـحـيـنـ فـيـ الأـسـفـارـ الـخـمـسـةـ الـمـنـسـوـبـةـ إـلـىـ مـوـسـىـ :

في تفسير الكتاب المقدس -جامعة من اللاهوتيـنـ ما نصـهـ :

كثير من العلماء ينكـر بشـدةـ الأـصـلـ المـوسـوىـ لـهـذـهـ الأـسـفـارـ الـأـولـىـ، ويـقـسـمـونـ كـلـ الأـسـفـارـ الـخـمـسـةـ إـلـىـ طـبـقـاتـ يـرـجـعـ أـصـلـهـاـ إـلـىـ مـدـ مـخـلـفـةـ منـ تـارـيخـ إـسـرـائـيلـ. هـذـهـ الطـبـقـاتـ تـدـعـىـ "مـصـادـرـ"ـ أوـ "وـثـائقـ"ـ وـيـفـرـضـونـ أـنـهـاـ لمـ تـوـصلـ بـبعـضـهـاـ لـتـكـوـنـ الـوـحـدةـ الـحـاضـرـةـ قـبـلـ زـمـنـ عـزـزـاـ الـكـاتـبـ...ـ"ـ [ـصـ ٤٧ـ جـ ١ـ]ـ وـهـذـاـ معـناـهـ: أـنـ التـورـاهـ الـحـالـيـةـ الـمـنـسـوـبـةـ إـلـىـ مـوـسـىـ الـقـيـمةـ مـنـ كـاتـبـهـ عـزـراـ. فـيـ مـدـيـنـةـ بـابـلـ مـنـ بـعـدـ مـوـسـىـ بـنـحـوـ أـلـفـ سـنـةـ.

ذلك فيما تقدم وستعرف غيرها فيما يأتي إن شاء الله تعالى بما يشفى العلة ويروى الغلة.

وأما ما فقد ضيّع من كتبهم المقدسة؛ فكثير جدًا وقد علمت أيها الليبب فيما تقدم من قول الفاضل كريزاستم وعلماء كاثوليك أن اليهود ضيّعوا كتاباً من الكتب الإلهية، لا لأجل غفلتهم بل لأجل عدم دياناتهم ومزقوا بعضها وأحرقوا بعضها. والكتب المفقودة التي أفصلها لك الآن لا مجال لفرقة بروتستنت ولا لفرقة المسيحية ولا لأحد من العالم أن ينكر فقدانها من العهد العتيق والجديد. فما فقد ضيّع هذه:

الأول:

كتاب سفر حروب الرب الذي جاء ذكره في العدد الرابع عشر من الأصحاح الحادي والعشرين من سفر العدد من توراة موسى الكتاب قال هنري واسكات في تفسيره: الغالب أن موسى كتب هذا السفر لتعليم يوشع وكان فيه بيان حدود أرض موآب" انتهى سفر يasher الذي جاء ذكره في العدد الثالث عشر من الأصحاح العاشر من كتاب يوشع. وكذا جاء ذكره في العدد الثامن والأصحاح من سفر صموئيل.

الثاني:

الثالث والرابع:

سفر أخبار ناثان النبي وسفر أخبار النبي جاد الرائي الغيب.
اللذين جاء ذكرهما في العدد الثلاثين من الأصحاح التاسع والعشرين
من سفر أخبار الأيام الأول.

الخامس والسادس:

كتاب شمعيا وكتاب عدو الرائي الغيب. اللذين جاء ذكرهما في العدد الخامس عشر من الأصحاح الثاني عشر من سفر أخبار الأيام الثاني.

السابع والثامن:

كتاب مشاهدات عدو الرائي وكتاب نبوة أخيَا الشيلونى النبي اللذين جاء ذكرهما في العدد التاسع والعشرين من الأصحاح التاسع من سفر أخبار الأيام الثاني. وفي هذا العدد ذكر كتاب ناثان النبي أيضًا.

التاسع:

كتاب يaho النبي ابن حناني الذي جاء ذكره في العدد الرابع والثلاثين من الأصحاح العشرين من سفر أخبار الأيام الثاني.

العاشر:

إنجيل المسيح الذي جاء ذكره في العدد السادس والسابع من الأصحاح الأول من رسالة بولس إلى أهل غلاطية. ويعلم من كلام هذا القديس في هذين العددين أن المحرفين كانوا بصدق تحريف هذا الإنجيل وقتئذ. وهذا هو بعد زمانه قد فقد بالكلية، ولم يبقى له إلا الاسم كالعنقاء.

فكل هذه الكتب العشرة التي جاء ذكرها في كتبهم المقدسة قد انقطت وانمحت عن صفحة العالم، ولم يبق لها إلا الاسم. ولا يقدر أحد من أهل الكتاب أن ينكر فقدانها.

ولا أقول إن كتب الأنبياء المفقودة أزيد من مائة كتاب. بل أقول هنا كما قال حضرة طامس انكلس من علماء فرقه كاثوليك في كتابه المسمى بمرآة الصدق الذي طبع في لسان الهند سنة ١٨٥١ ومعنى عبارته هكذا: "اتفق العالم على أن الكتب المفقودة من الكتب المقدسة ليست أقل من عشرين كتاباً" انتهى .

ومن هنا تعلم أيها الليبيب: أن ما ادعاه صاحب "البرهان" في هذه المقالة غلط أو تغليط، منشؤه التعصب المضى. وحيث عرفت أن كثيراً من كتب الأنبياء قد انمحت عن صفحة العالم وليس لها الآن وجود بالكلية وكان من علماء أئمة المسلمين من نقل عن الكتب الإلهية بعض بشارات محمدية، ولم توجد^(١) الآن في كتبهم المتداولة عندهم؛ تعلم

(١) البشارات بالنبي محمد ﷺ موجودة في التوراة والإنجيل تحت كلمة "المسيء" أو كلمة "المسيح الرئيس" فالنبي ﷺ بحسب لسانهم هو "المسيء" أو "المسيح" ويُزعم النصارى أن عيسى بن مريم عليه السلام هو "المسيء" وزعمهم باطل. فإنه "مسيء" مثل أي نبي فيبني إسرائيل، وهو أيضاً "مسيح" مثل أي نبي فيبني إسرائيل. فإن كل واحد منهم كان يلقب بمسينا أو بمسيح. ولكن "المسيء" بالألف واللام هو النبي الأمي الآتي إلى العالم وعبر عنه بالألف واللام للدلالة على تميذه عن غيره. والذين يعرفون لغات اليهود وألقاب هذا النبي هم الذين يعرفون كل البشارات عنه في التوراة. وأذكر هنا نصاً من

كتبهم يظهر ألقاب هذا النبي وأوصافه:

فى تفسير الكتاب المقدس -جامعة من اللاهوتين ص ٩٣ تحت عنوان التبؤ والرجاء بالمسيا ما نصه:

"يوجد جانب مهم آخر لعمل الأنبياء، لا ينبغي إغفاله، فى محاولة تقدير عملهم، نحو إعداد إسرائيل للقيام بنصيبيها فى فداء البشر. وبالإضافة إلى عملهم فى استخلاص دروس من الماضي، وتبیان واجبات الحاضر، فقد وجها انتباھ الناس إلى المستقبل. ففكرة "يوم الرب" الذى فيه يعلن نفسه بقوة، لم تكن جديدة في القرن الثامن ق.م. وكان الرأى الشائع، يعني غالباً، وقتاً فيه تتصرّ إسرائيل، وبهلاك أعداؤها هلاكاً تاماً. وقد صرّح الأنبياء من الناحية الأخرى أن ذلك اليوم سيكون الشعب العاصي، يوم ظلام لا نور. وصفات الله تبدو جلية في عقاب الأئمة، سواء أكانوا أمماً أم إسرائيليين، فإن التمتع بامتيازات أسمى ليس ملجاً للمذنبين، بل هو بالأحرى، تأكيد لعقاب أشد.

على أنه كان هناك للنظرية النبوية جانب أكثر إشراقاً. فقد أشار الأنبياء إلى المستقبل، ليس فقط لإشعار الخطة وارهابهم بإدراكه قضاء يهوه العادل، بل كشفوا، بالإضافة إلى ذلك، إتمام غرضه المجيد لشعبه المختار. فقد كانت إسرائيل بحاجة، كغيرها من الأمم، إلى مثل أعلى، توجه حماسها وقواها لأدراكه. وكان من الضروري أن تثار حياتها الأدبية بالرجاء، كما تثار بالذكرى. وقد مرت عليها حقب في تاريخها كانت تستهويها أعمالشعوب التي حولها. ووجهت قلبها وطموحها، للحصول على قوة متزايدة كاسحة وعلى ثروة من دخل يأتيها من تجارة متعددة إلى أطراف بعيدة. لكن هذه الأحلام للحصول على إقبال عالمي ونفوذ دنيوي، تحطمـت بسلسلة من المـزـانـم والنـكـباتـ. إلا أن الرـجـاءـ لم يخـدمـ وـتـعـلـيمـ الأنـبـيـاءـ رـكـزـ الـانتـباـھـ عـلـىـ مـهـمـةـ الـأـمـةـ الـحـقـيقـيـةـ، وـوـبـخـ القـنـوطـ، وـذـلـكـ بـرـؤـيـاـ مـجـدـ مـسـتـقـبـلـ، يـفـوقـ كـثـيرـاـ أـسـمـىـ مـاـ حـصـلـتـ عـلـىـ الـأـمـةـ فـيـ مـاضـيـهاـ المـجـيدـ. وـمـعـ أـنـهـ كـانـ عـلـىـ الـأـمـةـ أـنـ تـقاـسـيـ، نـتـيـجـةـ لـخـطاـيـاـهـاـ، آـلـاـمـ مـرـيـرـةـ، فـنـقـدـ

الأـرـضـ، وـالـهـيـكلـ، وـالـاسـتـقـلـالـ، إـلـاـ أـنـهـ سـيـائـىـ وـقـتـ فـيـهـ يـرـجـعـ الشـعـبـ، وـيـطـهـرـ، وـيـغـتـىـ، وـيـنـمـوـ، وـيـكـونـ قـادـراـ أـنـ يـعـلـمـ شـعـوبـ الـعـالـمـ مـعـرـفـةـ الـرـبـ، وـيـرـشـدـهـمـ فـىـ طـرـيقـ الـبـرـ.

والسلام. وإنتم هذه المواجهات هو غالباً مرتبطة بشخص فريد يوصف بأوصاف متعددة، وأطلق عليه في الأيام الأخيرة لقب الميسيا، ولو أن هذا اللقب لم يذكر كاسم علم إلا مرة واحدة في الأنبياء (١٦: ٢٥، ٢٦) إنما ذكرت تنبؤات عديدة عن هذا الشخص الآتي من وقت بذرة الإنجيل (Protoevangelium) (تك ٣: ١٥) فصاعداً. لكن النبوات المتعلقة بالميسيا بلغت ذروتها في أنبياء القرن الثامن ق.م. وما بعده. فهو يبدو في كتاباتهم المثل الأعلى للنبي والكاهن والملك. والصورة للنبي تتجلّى واضحة في الجزء الثاني من إشعياء، حيث يوصف كعبد الرب، الذي دعى من البطن (٤٩: ٢) وفمه كسيف حاد، وهو نفسه سهم مبرى في كنانة الرب (٤٩: ٢) توقيظ أذنه كل صباح ليسمع كالمتعلمين. وهو يعرف كيف يغيث المعين بكلمة في حينها (٥٠: ٤) ورسالته هي بشاره للودعاء (٥١: ١) وهو رقيق في معاملة المتضائقين وردة الساقطين وهو لا يقيم فقط أسباط إسرائيل، بل يكون نوراً للأمم، وخلاصاً إلى أقصى الأرض (٤٩: ٦) وهو إذ يعتمد على معونة الله، يقوم بعمله بكل عزم وبكل ثقة، إزاء الازدراء والهوان والاضطهاد (٤٩: ٥، ٧: ٥-٧)

وقد كانت دعوة إسرائيل طبعاً، هي أن يكون نبياً للشعوب، والنبي المثالى، يمثل من هذه الوجهة، كل ما كان على إسرائيل أن يكونه. إنما توجد ناحية أخرى لهذه الصورة النبوية. هذا العبد يرى ظافراً عن طريق الألم. فرسالته ليس من يصدقها، وشخصه محقر ومرذول، وألامه يساء فهمها، وهو يساق إلى الذبح، صامتاً لا يحتاج، ويقطع، ويجعل مع الأشرار قبره، مع أنه لم يفعل ظلماً ولم يوجد في فمه غش. لكنه يتالم من أجل الخطايا شعب الله، التي وضع علىه. وعندما تجعل نفسه ذبيحة اثم عنهم، يقام من الأموات، ليقسم غنىمة مع الأعزاء، ويفرح في تبرير الكثرين. وهذا يتم نجاحه عن طريق الموت (اثن ١٣: ٥٢ - ١٤: ٥٣) والوعيد الجديد يفهم هذا الفصل باعتبار أن أمامه فرداً واحداً (انظر آع ٨: ٣٥) هو الرب يسوع المسيح، ولا يفسره عن آلامه بجملتها.

أما في الوقت الذي أعقب السبي، فيتكلم زكريا عن كاهن مثالي، هو أيضاً في نفس الوقت ملك متوج. ويبدو طبيعياً جداً أن تأخذ هذه الكلمات كأنها تشير إلى وظيفتين مارسهما شخص واحد. وهذه الصورة المثلية لا تتجلى بوضوح في الأنبياء الآخرين، لكنها سبق أن ظهرت في مز ١١٠ وفي العهد الجديد حيث تظهر أنها الفكرة الرئيسية في الرسالة إلى العبرانيين.

إنما أوضح تمثيل وأشهر رمز للمسيا، نجده في الملك الداودي. فهو يخرج من نسل داود ، في ظروف متواضعة (إش ١١: ١) ويحل عليه الروح السباعي، ولهذا لا يقضى بحسب نظر عينيه، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه، بل بإدراك أدبي حقيقى. وحكمة يتميز بالبر، والانصاف، والأمانة والعدل. وتحت حكمه الصالحة تختفي القوة الوحشية، والشر الأدبي، عندما تغطى معرفة الرب الأرض. هو محط أنظار الشعوب، وفيه يجد اليهود والأمم مشتهاهم (إش ١١) وعلى عكس غيره من الملوك والعاهلين، هو لا يحصل على ملكته، ولا يحميه بالقوة المادية. فهو لا يحتاج إلى قوة الفرمان، ولا المركبات، بل هو وديع راكب على أثان. لكن مع ذلك يمتد سلطانه من البحر إلى البحر ومن النهر إلى النهر إلى أقصى الأرض (زك ٩: ٩، ١٠: ٩)

وتوجد مجموعة أخرى من الفصول تعطي دعوى اسمى للحاكم المنتظر. فأشعياء يدعوه بكل جلاء، الإله القدير (٩: ٦) وارميأ يطلق عليه لقب "الرب برنا" [٢٣: ٦] وميخا يصرح أن مخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل (٥: ٢) وDaniel يتباً بأن "سلطانه أبي لن يزول" (٧: ١٤) ونفس الإشارة عن العظمة الإلهية لشخصه ترى في فصول أخرى، حيث لا تبدو فكرة الملكية بوضوح. ففي زكريا يوصف أنه رفيق لرب الجنود (١: ٧) وملخي يعد أن الرب، رسول العهد، سيأتي بغنة إلى هيكله (٣: ١)

هذه مختارات قليلة من عدد كبير من الإشارات إلى المخلص في الأنبياء المتأخرین، وهي تكفي، على أي حال، لتبيّن الخطوط الرئيسية لدرج النبوات الخاصة بالمسيا في هذه القرون، ولتشير إلى الطرق التي تكلم بها الأنبياء، عندما رأوا في الأفق البعيد مجده يشرق ببهاء سماوي.

بالبداهة واليقين أن تلك البشارات كانت منقوله عن أمثال هذه الكتب المفقودة. فتبه ولا تكن من القوم الغافلين.

الهـى وـالنور فـي التورـاة وـالإنجـيل

فالكتب القديمة التي اشتملت على ما أوحاه الله سبحانه وتعالى للأنبياء في الأمور المتعلقة بالدين والوسائل الموصلة إلى السعادة الأبدية هي التوراة والإنجيل وأتى على صحة ذلك القرآن حيث أتى في سورة آل عمران «نَزَّلْ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدَّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التُّورَاةَ وَالْإِنجِيلَ» وفي سورة المائدة «وَفَقَيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدَّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التُّورَاةِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدَىٰ وَوَرَ وَمُصَدَّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التُّورَاةِ وَهُدَىٰ وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ وَلِيَحُكُمُ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحُكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» وفي سورة العنكبوت «وَلَا جَادُوا أَهْلَ الْكِتَابَ إِلَيْا بِالْتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آتَنَا بِالَّذِي أَنْزَلْ إِلَيْنَا وَأَنْزَلْ إِلَيْكُمْ وَآتَهُنَا وَآتَكُمْ وَاحِدٌ وَمَنْ لَهُ مُسْلِمُونَ» وفي سورة الشورى خطاباً لمحمد ﷺ «قُلْ آمَنتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأَمَرْتُ لَا أَغْدِلُ بِيَنْكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْنَاتُكُمْ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةٌ بَيْنَنَا وَبِنَكُمُ اللَّهُ يَعْلَمُ بَيْنَنَا وَأَلَيْهِ الْمَصِيرُ»

أقول وبالله التوفيق وبه الهدایة إلى أقوم طریق: ما استدل به هذا القسیس صاحب "البرهان" من الآیات القرآنیة على أن التوراة والإنجیل أنزلهما الله قديماً نوراً وھدی للناس فهو صحيح^(۱) ولا يناظع في ذلك

(١) بقول المؤلف: إن الله وصف التوراة من قبل التحرير بالهدى والنور. وإن التسورة من بعد التحرير لا توصف بالهدى والنور. وكلامه صحيح. ولكنه لم يأت بآيات من القرآن تدل على أن التوراة من بعد التحرير صارت ظلمات. ففي أول سورة إبراهيم (٢)

مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر، وإنما النزاع في هذه الكتب المتدولة عند أهل الكتاب المسماة عندهم بالتوراة والإنجيل المشتملة على تفسيق الأنبياء الكرام وتقييصهم وإهانتهم وتكفيرهم، الواقع فيها الأغلاط والاختلافات الكثيرة؛ هل اعتراها التغيير والتبدل والزيادة والنقصان أم لا؟ فالقرآن الكريم ما شهد لهذه الكتب بالصحة ولا تعرض لها بشيء من ذلك غير أنه كذب غالب مضمونها، ونم أهلها على تحريفها، ولبسهم الحق بالباطل وكتمانهم الحق وهم يعلمون، وإرادتهم لإطفاء نور الله بأفواهم. ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون. فاحتاج صاحب البرهان بشهادة القرآن للتوراة والإنجيل المنزليين من عند الله يجيئ بأنهما نور وهدى للناس على صحة النسخ المتدولة الآن ليس فى محله، بل هو تغليط وتمويه محض. منشأ التعصب من سوء الفهم. فإن التوراة عندنا معاشر المسلمين ما أوحى إلى موسى عليه السلام والإنجيل ما أوحى إلى عيسى عليه السلام وأتى على صحة ذلك القرآن حيث جاء في سورة البقرة: ﴿وَقَدْ أَنْذَنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ أي التوراة وفي سورة

الرَّكَابُ أَنْذَنَا إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَمْأُنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَرَوَيْلَ لِلْكَافِرِ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ الَّذِينَ يَسْتَحْيُونَ حَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصْدُرُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَسْعُونَهَا عَوِيْحاً أَوْ لَكَ في ضَلَالٍ بَعِيدٍ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمَهُ لَيَبْيَسَنَ لَهُمْ لَيُضْلِلَ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرْنَاهُ بِأَيْمَانِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَارٍ شَكُورٍ﴾

المائدة في حق عيسى عليه السلام: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾ وفي سورة مريم حكاية عن كلام عيسى عليه السلام: ﴿أَتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ أي الإنجيل وفي سورة البقرة وأل عمران: ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى﴾ أي من التوراة والإنجيل. فهذا الكتابان الجليلان اللذان جاء ذكرهما في القرآن.

وأما هذه التواريχ والرسائل المنسوبة إلى متى ومرقس ولوقا ويوحنا ويعقوب وبهودا وبطرس وبولس وراغوث والقضاة والحرمة أستير ونشيد الأشاد وهوشع وصموئيل وعزرا وأخبار الأيام وغيرها من الكتب والرسائل الموجودة الآن المسمة بالعهد العتيق والجديد؛ ليست هي التوراة والإنجيل المذكورين في القرآن الكريم؛ فليسا واجبى التسلیم عندنا معاشر المسلمين، بل حكمهما: أن كل رواية من روایتهما إن صدقها القرآن المجيد الذي ثبتت صحته بالتواتر العام وقام البرهان القاطع على صدقه وصدق من جاء به؛ فهي مقبولة يقيناً، وإن كذبها القرآن؛ فهي مردودة يقيناً. قال الله تعالى في سورة المائدة خطاباً لنبیه الأکرم ورسوله الأفخم محمد ﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمَهِمِّنَا عَلَيْهِ﴾ أي رقيباً وشاهداً وأميناً على سائر الكتب المنزلة. وفي معلم التزيل للبغوى في ذيل تفسير هذه الآية الشريفة: "ومعنى أمانة القرآن: ما قاله ابن جريح رض القرآن أمين على ما قبله من الكتب، مما أخبر أهل الكتاب عن كتبهم. فإن كان في القرآن؛ فصدقوه وإن كذبوا. وقال سعيد بن المسيب والضحاك: قاضياً. وقال الخليل:

رقياً وحافظاً. ومعنى الكل: أن كل كتاب يشهد بصدقه القرآن؛ فهو كتاب الله وما لا؛ فلا" انتهى.

وحيث كان هذا القرآن المجيد مكذباً وبما يأتنا لغالب مضمونين هذه الكتب المتداولة المسماة بالتوراة والإنجيل؛ علمنا بالبداهة واليقين أنها ليسا للذين قال الله في حقهما على لسان رسوله ﷺ «وَنَزَّلَتِ التُّورَاةُ وَالْإِنْجِيلُ مِنْ قَبْلِ هُدَىٰ لِلنَّاسِ» وأما آية سورة المائدة التي استدل بها صاحب البرهان على صحة التوراة والإنجيل الموجودة في زمان الحضرة النبوية أيضاً. فإن معناها على ما في التفاسير المشهورة: «وَقَرَئْنَا عَلَىٰ أَثَارِهِمْ» أي على آثار النبيين بعيسى ابن مريم حال كونه مصدقاً لما بين يديه من التوراة بأنها منزلة من عند الله ﷺ «وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدَىٰ» للناس من الضلال ونور لهم من عمى البصيرة حال كونه مصدقاً أيضاً لما بين يديه أي لما قبله من التوراة بأنها منزلة من عند الله تعالى ولما فيها من الأحكام من عبادة الله تعالى وحده قوله «وَلِيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ» إما بكسر لام يحكم أو بتسكيتها. فعلى قراءة من كسرها فهي متعلقة بمحذوف يفسره المذكور قبله، والتقدير: وأتيناه الإنجيل لأجل أن يحكم أهل الإنجيل، وقت نزوله بما أنزل الله فيه من الأحكام. فإن المسيح الكلمة قد نسخ بعض أحكام التوراة العملية. كما يدل عليه قوله تعالى في

سورة المائدة في حكاية عيسى عليه السلام: «وَلَا حَلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ» وأما على قراءة من سكن لام يحكم فهو معطوف على فعل مقدر والتقدير «وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ» وقلنا «وَلَيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ» فيكون على هذا إخباراً وحكاية عما فرض الله عز وجل على أهل الإنجيل في وقت نزوله^(١) من الحكم بما تضمنه الإنجيل من الأحكام.

فقد حصل من هذا أن هذه الآية لا تدل على صحة الإنجيل المتداول الآن ولا على صحة الإنجيل الموجود في زمن الحضرة النبوية؛ حتى يتم لصاحب البرهان دليلاً من أن الإنجيل لو كان فيه تحريف أو تغيير أو تبديل في زمن الحضرة النبوية لما أمر القرآن أهله وقتئذ أن يحكموا بما فيه من الأحكام. قلت: وعلى فرض إرادة المخاطبين بالأمر في زمن الحضرة النبوية كما توهمه هذا القسيس؛ فلا دليل فيها أيضاً على صحة دعواه لأن من جملة الأحكام الموجودة فيه؛ الإيمان بنبوة محمد ﷺ ووجوب تصديقه وإتباعه. فإن الكتب

(١) -1- معنى أن المسيح كان يحل لهم: أنه كان يحل لهم بعض ما حرمه عليهم العلماء من تلقاء أنفسهم.

2- فرق المؤلف بين الأنجليل التي كانت في زمن محمد ﷺ وبين الأنجليل التي كانت من قبله والتي كانت من بعده. والحق في هذا الموضوع: أن الأنجليل محرفة من سنة ٣٢٥ م وانتشرت في العالم بعد هذا التاريخ. وهي من بعد تحريفها في سنة ٣٢٥ م إلى هذا اليوم لم تحرف. ومعنى «وَلَيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنجِيلِ...» أي أنه يحيلهم إلى التوراة ليحكموا بها. لأن المسيح ما نسخ التوراة. وفيها ما يدل على محمد ﷺ.

الإلهية بأسرها أمرة بالإيمان به ناطقة بوجوب الطاعة له. فعلى هذا يكون المراد بهذا الطلب ^(١) الإيمان؛ بنبوة محمد ﷺ

فإذا آمن أهل الإنجيل به وصدقوه واتبعوا النور الذي أنزل معه؛ فقد حكموا بما أنزل الله في الإنجيل «وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ» أي الكافرون. وعلى كل حال من الأحوال فلا دليل في هذه

(١) من نصوص توراة موسى عليه السلام على محمد ﷺ :

يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلا لا أعود اسمع صوت الرب الهي ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا لئلا أموت قال لي الرب قد أحسنوا فيما تكلموا أقيمت لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك و اجعل كلامي في فمه فيتكلهم بكل ما أوصيه به ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكتامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاما لم أوصه أن يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيماوت ذلك النبي وإن قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطعنان تكلم به النبي فلا تخف منه"

يتحدث هذا النص عن أوصاف عشرة لنبي الإسلام ^ﷺ ١- نبي ٢- من بنى إسماعيل ٣- مثل موسى في الحروب وفتح البلاد والانتصار على الأعداء وعمل المعجزات ٤- ينسخ شريعة موسى قوله "لَهُ تَسْمَعُونَ" ٥- ملك لقوله "لَهُ تَسْمَعُونَ" ٦- أمي "وَاجْعَلْ كَلَامِي فِي فَمِهِ" ٧- أمين على الوحي ٨- سيقضى على بنى إسرائيل الكافرين به والأمم التي تكذب بنبوته في الأيام الأولى لظهوره في معركة ياجوج وماجوج وفي هرمجدون سوهما في زمن واحد وهم أيضا معركة واحدة. الجزء الأول منها في فارس والجزء الآخر في هرمجدون ٩- لا يقتل بيد أعدائه ١٠- يتحدث عن غيب؛ فيكون.

الآية على صحة الإنجيل المتداول الآن، ولا على صحة الإنجيل الموجود في زمن الحضرة النبوية أيضًا. وطلب حكم الإيمان بنبوة محمد ﷺ لا يلزم منه عدم تحريفه وتغييره وتبدلاته كما لا يخفى. وكذلك آية العنكبوت التي أوردها حضرة القيسار فلا دليل له فيها أيضًا على صحة التوراة والإنجيل المداولين. إذ المعنى: «وَكَا تُحَاجِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ» من اليهود والنصارى إلا بالمجادلة «بِأَنَّهُمْ هُنَّ أَحْسَنُ» بأن تدعوهם إلى دين الله تعالى والتبيه على حججه وآياته باللين والرفق والملاطفة، لا بالغلظة والغضب والمخاشنة رجاء إجابتهم وانقيادهم إلى الحق. وفي هذه الآية دليل واضح على جواز المناورة والمجادلة مع أهل الكتاب لكن لا بد أن تكون على طريق اللين والرفق لا على طريق الإغلاط والغضب والمخاشنة «إِلَّا أَذِنَ اللَّهُ مَوْلَانَاهُمْ» أي من أهل الكتاب بأن أفرطوا في الاعتداء والعناد، وادعوا بأن الله شريكًا أو صاحبة أو ولدًا ولم يقبلوا النصح ولم ينفع معهم الرفق والملاطفة، أو أبوا أن يؤدوا الجزية والخارج. فجادلوهم بالغلظة والسيف، وقولوا يا معاشر المؤمنين لمن لم يفرط بالكفر والاعتداء والعناد من أهل الكتاب إذا أخبروك عن كتابهم: «أَمَّنَا بِالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ» بأن أصله منزل من عند الله «وَإِلَهُنَا» الذي أنزل علينا كتابنا «وَإِلَهُكُمْ» الذي أنزل عليكم كتابكم إلى «وَاحِدٌ وَحْنَ لَهُ مُسْلِمُونَ» أي منقادون ومطيعون له خاصة، ولا نت忤ز معه

أنبيائنا وأحبارنا ورہباننا أربابا من دون الله ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابَ تَعَالَوْا إِلَى كَلْمَةٍ سَوَاءٌ يَبَأُنَا وَيَبَأُنَّكُمْ أَلَا تَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا تَخْدِعْ بَعْضًا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تُرَكُوا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

فانظر وتأمل يا صاحب "البرهان" ولا تكن من أهل الزيف والبهتان.

وكذلك آية الشورى ليس فيها دليل على عدم تحريف التوراة والإنجيل الموجودين في زمن الحضرة النبوية؛ فإن معناها على ما في التفاسير المعتبرة: **(وقل)** يا محمد: حين تدعوا الناس من أهل الكتاب إلى التوحيد والدين الحق **(أَمَنتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ)** أي آمنت بكل كتاب نزل من عند الله سبحانه وتعالى **(وَأَمِرْتُ لِأَعْدِلَ يَنْكُمْ)** وقل يا محمد: أمرت بأن أعدل بينكم في الخصومات إذا تخاصمت **(اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ)** وكلنا عباده. وهو الذي ربانا ورباكم وأنشأنا وأنشأكم من العدم إلى الوجود، لكن **(لَمَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ)** يعني: لا نؤاخذكم بأعمالكم ولا تؤاخذون بأعمالنا. فكل منا يجازى بحسب عمله. إن خيراً فخيراً وإن شرراً **(لَا حُجَّةٌ يَبَأُنَا وَيَبَأُنَّكُمْ)** في إثبات التوحيد والدين الحق؛ لأنكم من أهل الكتاب والبراهين الدالة على دين الله. ونبوتي قد ظهرت، والحجج قد قامت وظهرت المعجزات وصرتم محظوظين ولم يبق إلا العناد وبعد العناد لا حجة ولا جدال **(اللَّهُ يَجْمِعُ يَبَأُنَا)** أي في يوم القيمة

﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ أى المرجع لفصل القضاء فيفصل بيننا وبينكم وينتقم الله منكم. وليس فى هذه الآية إلا ما يدل على المتركرة فى المحاجة اللسانية بينه ﴿وَبَيْنَ الْيَهُودَ حَتَّى تَكُونَ مَنْسُوخَةً بِآيَةِ السِيفِ وَالْقِتْلَ﴾ كما قيل.

ويذلك على هذا: ما بعد هذه الآية وهو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجَبْنَا لَهُ حُجَّهُمْ دَاهِرَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ معناها: والذين يحاجون ويجادلون فى دين الله نبيه محمدًا ﷺ من بعد ما استجاب له وصدقه بظهور المعجزات ودخول الناس فى دينه؛ حجتهم داحضة. أى باطلة فى يوم القيمة. فإنه لو لم يرسله الله ﷺ لما أيده بظهور المعجزات، ولا استجاب له بدخول الناس فى دينه أفواجاً ^(١)أفواجاً.

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا سِبْطَهُمْ﴾ يدل على طائفتين. الطائفة الأولى طائفة اليهود الم عبر عنهم بقوله ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ والطائفة الأخرى هي النصارى. وقد أباح الله للمسلم مجادلة النصارى. وحرم الله على المسلم مجادلة اليهود. لأنهم ظلموا أنفسهم بإنكار نبوة محمد ﷺ وهم موصوفون فى القرآن بالظالمين ﴿لَا يَنْالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ - ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ والكافر فى القرآن: هو اليهودى. وقد منع الله المسلم من الرد على اليهود إذا جادلوا بقوله: ﴿وَإِنْ جَادُوكُمْ فَقُلُّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ - وبقوله: ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾

وقد جاء في كتب أهل الكتاب المقدسة: أن مدعى النبوة والرسالة كذباً يقتل ويهالك هو ومن يتبعه. ودعوته لا تستمر ولا تتمد. وأما محمد ﷺ فقد انتصب لهذا الأمر العظيم مع ضعفه وفقره وقلة أعوانه وأنصاره ولم يحسن الكتابة ولا القراءة، وقام مخالفًا لجميع أهل الأرض آحادهم وأوساطهم وأمرائهم وجبارتهم وملوكهم وسلطاناتهم من عرب وعجم ووثنيين وطبعيين ويهود ونصارى. إذ كانوا كلهم على رسومات فاسدة واعتقادات كاسدة محتاجين إلى من يهددهم إلى الدين القويم والصراط المستقيم؛ فإن العرب كانوا على عبادة الأواثان، ودفن البنات في الحياة. والترك كانوا على تخريب البلاد وقتل العباد. والفرس كانوا على اعتقاد وجود إلهين ووطئ البنات والأمهات. والهند والصين كانوا على عبادة البقر والشجر والحجر. واليهود كانوا على شدة الكفر والجحود ودين التشبيه وترويج الأكاذيب المفتريات. والنصارى كانوا على القول بالحلول واعتقاد التثليث وعبادة الصليب وصور القديسين والقديسات.

وقد جاء في القرآن الكريم: «وَالَّذِينَ يُحَاجُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا أَسْتَجَبْلَهُ» والاستجابة لإبراهيم. أي أن اليهود يجادلون - بلسان الحال - من بعد ما دعا الله أن يبعث فيهم رسولاً منهم وقال له بحسب ما في التوراة: "أما إسماعيل فقد سمعت لك" وفي ترجمة: "فقد استجبت لك فيه" يجادلون بلسان الحال ويقولون لله: لماذا رفضتنا وجعلت النبوة في بنى إسماعيل؟ وقد رد الله عليهم بلسان الحال: هلا كان ذلك منكم من قبل أن أستجيب دعوة إبراهيم؟

وهكذا كانت سائر الفرق في أودية الضلال والانحراف عن طريق الحق والاشتغال ^(١) بالمحال؛ فقام عليه الصلاة والسلام بأمر مولاه ودعاهم إلى هذا الدين القويم والصراط المستقيم وضلّل آرائهم وسفه أحالمهم وأبطل ملكهم وهدم دولتهم وصيّر كل عزيز ذليلاً وكل جمع كثيراً قليلاً، وظهر دينه على الأديان في مدة قليلة، وانتشر شرقاً وغرباً في أقطار المسكونة، ولم يقدر الأعداء مع كثرة عددهم، وشدة شوكتهم، وفرط تعصبهم وبذل غاية جهدهم على إطفاء نور دينه وطمس آثار مذهبة. بل أشرقت شموس التوحيد وزالت رسوم أهل التلخيد؛ فهل يكون ذلك لأحد إلا بعون إلهي وتأييد سماوي؟ كلا والله.

وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجِجُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجَبْنَا لَهُ حُجَّتُهُمْ دَأْخِلُهُمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾

(١) العرب لم يعبدوا الأوّلئ، ولم يدفنوا البنات في الحياة. وذلك لأن الله تعالى استجاب فيهم دعوة إبراهيم وهي: **«وَاجْتَبَنِي وَبَنِيْ أَنْ تُبَدِّلَ الْأَصْنَامَ»** ولم يكن له وقت الدعوة إلا إسماعيل. وأما اليهود فإنهم هم الذين عبدوا الأصنام والعرب لم يندوا البنات في الحياة، ولم يندوا الأولاد في الحياة. وإنما الذين وأدوا البنات والبنين وقدموهم قرابين للأصنام هم اليهود. ففي سفر المزامير. المزمور ٦١ ما نصه:

بل اختلطوا بالأمم وتعلموا أعمالهم وعبدوا أصنامهم فصارت لهم شركاً وذبحوا بنיהם وبناتهم للأوثان واهرقوا دما زكياً دم بنائهم وبناتهم الذين ذبحوهم لأصنام كنعان وتدنس الأرض بالدماء وتتجسوا بأعمالهم وزنوا بأفعالهم فحمي غضب الرب على شعبه وكره ميراثه وأسلّمهم ليد الأمم وسلط عليهم مبغضوهم وضغطوهم أعداؤهم فذروا تحت يدهم مرات كثيرة أنقذهم أما هم فعصوه بمشورتهم وانحطوا بائتمهم.

وما أطربنى من قول عمالئيل -معلم اليهود- في حق الحواريين
الذى جاء نقله في الأصحاح الخامس من كتاب أعمال الرسل هكذا: "أيها الرجال الإسرائيليون احترزوا لأنفسكم من جهة هؤلاء الناس في
ما أنتم مزمعون ان تفعلوا لأنه قبل هذه الأيام قام ثوداس قائلا عن
نفسه إنه شيء الذي التصق به عدد من الرجال نحو أربعينائة الذي
قتل. وجميع الذين انقادوا إليه؛ تبدوا وصاروا لا شيء. بعد هذا قام
يهودا الجليلي في أيام الافتتاح وأزاغ وراءه شعباً غفيراً. فذاك أيضاً
هلك. وجميع الذين انقادوا إليه تشتتوا. والآن أقول لكم تحروا عن
هؤلاء الناس واتركوهم لأنه إن كان هذا الرأي أو هذا العمل من
الناس؛ فسوف ينتقض وإن كان من الله فلا تقدرون أن تتقضوه لثلا
توجدوا محاربين لله أيضاً .

ولعمري إن علماء بروتستن في تكذيب الدين المحمدي
لمحاربون الله تعالى، لكن -والله الحمد والمنة- لا يقدرون على نقضه
البنة. كما وعد الله بذلك في كتابه العزيز بقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ
بِأَنُواعِهِمْ﴾ أى بأقوالهم الباطلة ﴿وَاللَّهُ مُتَمِّنُ نُورِهِ وَكَوْكِرَ الْكَافِرُونَ﴾ أى
المشركون اليهود والنصارى.

ومن ذلك ما جاء في العدد العشرين من الأصحاح الثامن عشر
من سفر الاستثناء من التوراة عن قول الله تعالى هكذا: "وأما النبي
الذي يُطْغِي فيتكلم باسمي كلما لم أوصه أن يتكلم به أو الذي يتكلم

باسم آلهة غيري فليقتل". وجاء في العدد الخامس من الأصحاح الثالث عشر من سفر الاستثناء أيضًا . أن الأنبياء الذين لم يرسلهم رب؛ وبالسيف والجوع يهلكون . ومحمد ﷺ ما أهلكه رب . لا بالسيف ولا بالجوع، ولا قتله أعداؤه ولا صلبوه، ولكن قال الله في حقه «وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» فوفى الله بما وعد ولم يقدر أحد على قتله ولا على إهانته وصلبه حتى لقي الرفيق الأعلى، وبند الله أعدائه، وكسر سواعدهم، وشلت شملهم . وقد جاء في العدد الثالث عشر من الأصحاح الخامس عشر من إنجيل متى نقلًا عن قول المسيح عليه السلام هكذا: "كل غرس لم يغرسه أبي السموى؛ يقع"

وفي العدد الخامس عشر من الأصحاح السابع من إنجيل متى نقلًا عن قول المسيح أيضًا هكذا: "احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان و لكنهم من داخل ثياب خاطفة . من ثمارهم تعرفونهم . هل يجتون من الشوك عنبًا أو من الحس克 تينًا؟ هكذا كل شجرة جيدة، تصنع ثماراً جيدة و أما الشجرة الرديئة . فتصنع ثماراً رديئة . لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع ثماراً رديئة، ولا شجرة رديئة أن تصنع ثماراً جيدة . كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً؛ تقطع و تلقى في النار . فإذاً من ثمارهم تعرفونهم" انتهى .

وهذا القول يشهد بنبوة محمد ﷺ فإن قوله: "احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان" أى ثياب الصالحين . ولكنهم من داخل ثياب خاطفة" يخرجه عن هذه الصفة القبيحة . فلقد كان عليه

الصلوة والسلام كما نقل بالتواتر الصحيح قانعاً مكتفيًا بالقليل من القوت
أخذًا بزمام العفة والأمانة والصدق والقطانة مقتفيًا آثار إخوانه. يجوع
يومًا ويشعّ يومًا. وقد خرج من الدنيا خميصاً من زهرة الحياة، لم
يضع حجرًا على حجر حتى وصل إلى الرفيق الأعلى. وبهذا فقد اتفق
ظاهره وباطنه ولم يتعد أحدهما الآخر بل

فأق النبین فی خلقٍ وفی خلقٍ
ولم يدانوه. فی علم ولا کرم

فهذا نبينا وهذه سيرته. فلقد استوى ظاهره مع باطنه في إقامة
الدين بما أوحى إليه من ربِّه عَزَّ وَجَلَّ ولم يعش إلا عيشة العبد المتواضع
لمولاه. وخروجه من الدنيا بغير مال ولا زينة ولا شئ من زخرفها،
دليل واضح على خروجه من نسبة التواضع الظاهري الافتراضي
الباطني. فأهل الإسلام براء من تلك الصفة، فما بال نبئهم المصطفى
وهم على أثره وقد سلكوا سبيل ربهم كما اقتضته إرادته العلية وليس
الدنيا بخالية منهم، حتى نستشهد بالماضيين. ولو لا الزهد في أهل
الإسلام وتذكر أحوال القيمة وخوف العقاب وتغلبه على الرجاء لأخذوا
من الناس باليمين في أعمالهم وصنائعهم ولم يتركوا لأحد مصلحة
يرعاها، ولا كانت أوروبا والممالك الغربية ترفل في ثياب المدنية
والتقدم. فإن غالب أهل الإسلام شرقيون، ولا نقيم الدليل ونكثر الكلام
فيما كان عليه أهل الشرق من التقدم في دائرة العرفان والشرف والبذخ
فإن العالم بأسره يشهد بذلك. وما تأخر أهل الإسلام إلا بداعية الزهد

والطمع فيما أعد الله للمتقين في الجنة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر.

وإنى في عجب من ادعاء المسيحيين أن عيسى عليه السلام خاتم
النبيين ولا نبى بعده وقد يتمسكون لإثبات هذا الادعاء بقول المسيح
السابق نقله مع أن التمسك به باطل لأن المسيح عليه السلام أمر بالاحتراز من
الأنباء الكاذبة لا الأنبياء الصادقين أيضا ولذلك قيد لهم بالكذبة. نعم لو
قال: احتروا من كل نبى يأتي بعدي؛ لأن بحسب الظاهر وجه
للتمسك بهذا القول، وإن كان واجب التأويل عندهم لثبت نبوة
الحواريين وبولس ونبوة بعض أشخاص آخرين جاء ذكرهم في هذا
الإنجيل الموجود أيضا. ففي العدد السابع والعشرين من الأصحاح
الحادي عشر من كتاب الأعمال هكذا: "وفي تلك الأيام انحدر أنبياء من
أورشليم إلى إنطاكية وقام واحد منهم اسمه أغابوس وأشار بالروح أن
جوعا عظيما كان عتيدا أن يصير على جميع المسكونة الذي صار
أيضا في أيام كلوديوس قيصر" انتهى.

فهذا القول صريح في أن هؤلاء المذكورين كانوا أنبياء، وأن
واحدا منهم اسمه أغابوس أخبر عن وقوع الجدب العظيم. وفي العدد
العاشر من الأصحاح الحادى والعشرين من الكتاب المذكور هكذا:
وبينما نحن مقيمون أياما كثيرة؛ انحدر من اليهوديةنبي اسمه أغابوس.
فجاء إلينا وأخذ مِنْطقة بولس وربط يدي نفسه ورجليه، وقال: "هذا

يقوله الروح القدس الرجل الذي له هذه المنطقة؛ هكذا سيربطه اليهود في أورشليم ويسلمونه الى ايدي الأمم " انتهى . وفي هذه العبارة أيضا تصريح بأن أغابوس نبي .

وأما الأنبياء الكاذبة الكثيرون فقد ظهروا فى الطبقة الأولى بعد صعود المسيح الظاهر بكثرة كما يظهر ذلك من رسائل بولس الموجدة فى هذا الإنجيل المتداول . ففى العدد الثانى عشر من الأصحاح الحادى عشر من رسالة بولس الثانية إلى قورنثيوس هكذا: "ولكن ما أفعله سأفعله لأقطع فرصة الذين يريدون فرصة كى يوجدوا كما نحن أيضا فيما يفتخرؤن به لأن مثل هؤلاء هم رسل كذبة فعلة ماكرون مغيّرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح" انتهى .

فهذا مقدسهم بولس ينادي بأعلى نداء: أن الرسل الكاذبة الغدارين ظهروا في عهده وقد تشبهوا برسل المسيح .

وقال آدم كلارك المفسر المشهور في شرح هذا المقام: "هؤلاء الأشخاص كانوا يدعون كذباً أنهم رسل المسيح، وما كانوا رسل المسيح في نفس الأمر، وكانوا يعظون ويجتهدون، لكن مقصودهم ما كان إلا جلب المنفعة" انتهى . وفي العدد الأول من الأصحاح الرابع من رسالة يوحنا الأولى هكذا: "أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله؟ لأن أنبياء كذبة كثرين قد خرجوا إلى العالم" وهذه العبارة تفيد أن الأنبياء الكاذبة قد خرجوا في عهد

الحواريين أيضاً. وفي العدد التاسع من الأصحاح الثامن من كتاب الأعمال هكذا: "وكان قبلاً في المدينة رجل اسمه سيمون يستعمل السحر، ويدهش شعب السامرية قائلاً: إنه شيء عظيم وكان الجميع يتبعونه من الصغير إلى الكبير قائلين: هذا هو قوة الله العظيمة". وفي العدد السادس من الأصحاح الثالث عشر من الكتاب المذكور هكذا: "ولما اجتازوا الجزيرة إلى بافوس وجدوا رجلاً ساحراً نبياً كذاباً يهودياً اسمه بار يسوع". انتهى.

وحيث ظهر لك من هذه الأقوال أن الأنبياء الكاذبة الكثيرين قد خرجوا إلى العالم في زمان الحواريين؛ تعلم أن مقصود المسيح عليه السلام بقوله: "احترزوا من الأنبياء الكاذبة" التحذير من هؤلاء وأمثالهم لا من الأنبياء الصادقين أيضاً، ولذلك قال بعد هذا القول: "من ثمارهم تعرفونهم. هل يجتنون من الشوك عنباً أو من الحس克 تيناً" ومحمد ﷺ من الأنبياء الصادقين كما يدل عليه ثماره الجيدة النافعة ولو لم تكن ثماره جيدة نافعة لقطعت شجرته بحكم قول المسيح: "كل شجرة لا تصنع ثماراً جيدة تقطع وتلقي في النار" لكنها ما قُطعت ولا قلت، بل أُسست وثبتت وأثمرت ثماراً جيدة نافعة. فاضت أنهارها على قلوب ذويه، وصارت شجرة عظيمة تأوى في أغصانها طيور السماء. وقد بلغ دينه ﷺ شرقاً وغرباً وغلب الأديان كلها وامتد -ولله الحمد- دهراً طويلاً بحيث مضى على ظهوره مدة ألف وثلاثمائة وثمانين سنة إلى هذا الحين، ويمتد إن شاء الله إلى آخر بقاء الدنيا. مما ادعاه المسيحيون

من أن عيسى القىلا خاتم النبيين ولا نبئ بعده؛ باطل قطعاً. ولقد جاء في العدد السابع من الأصحاح الأول من المزامير هكذا: "لا يقوم الأشرار في الدين ولا الخطأ في جماعة الرب؛ لأن الرب يعلم طريق الأبرار أما طريق الأشرار فتهلك" وفي العدد السادس من المزمور الخامس هكذا: "ويهلك كل الذين يتكلمون بالكذب" وفي العدد السادس عشر من المزمور الرابع والثلاثين من أيضًا هكذا: "سواعد الأشرار تتكسر والرب يعضّ الصديقين. الرب عارف أيامهم وميراثهم إلى الأبد يكون. لا يخرون في أيام السوء وفي أيام الجوع يشعرون؛ لأن الأشرار يهلكون وأعداء الرب جميعاً يبددون، وكالدخان يفنون" انتهى.

فلو لم يكن محمد ﷺ من الأنبياء الصادقين الأبرار؛ لأهلك الرب طريقه وكسر سواعده وأباد ذكره من الأرض وأفناه كما يفني الدخان. على حكم كتبهم المقدسة لكنه جل اسمه وعز شأنه لم يفعل من ذلك شيئاً، بل أجاب دعوته وأثبت طريقته ونشر دينه شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً وأسسه على أعمدة اليقين، وجعله لا انهدام له ولا انقطاع له ولا فناء له ولا زوال له، وقوى شوكته وعضّ سعاده، ولم يكلَّ ولم ينكسر حتى وضع الحق في الأرض، ومجد اسمه الشريف، وأدام اسمه في الأرض والسماء، أبد الآبدية ودهر الدهارين. والألوف والملايين من أتباعه -حفظهم الله- يذكرون اسمه الشريف في كل يوم وليلة وساعة ولحظة على المنابر والمنارات، وفي الصلوات الخمس وسائر العبادات وإجراء المعاملات في أقطار الأرض من مشارقها ومغاربها،

وَقَرِي وَمَدْنَ وَقَفَارَ وَبَحَارَ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ، وَلَا يَخْلُو زَمَانٌ
مِنَ الْأَزْمَنَةِ وَلَا مَكَانٌ مِنَ الْأَمْكَنَةِ إِلَّا وَيَذْكُرُ فِيهَا اسْمُهُ الشَّرِيفِ حَتَّى لَا
يَذْكُرُ اسْمَ اللَّهِ -عَزَّ شَانَهُ- فِي الْغَالِبِ إِلَّا مَقْرُونًا بِاسْمِهِ مُعَظَّمًا مُبَجَّلًا
مَدْعُواً لَهُ بِكُلِّ خَيْرٍ، مُحَمَّدًا بِالْأَلْسُنَةِ، مُحِبَّوًا بِالْقُلُوبِ، مُفْدِي بِالْأَرْوَاحِ
مَحْفُوظَ الْمَقَامَ مَرْعِيَ الْجَنَابِ. تَسْعَى إِلَى حَضْرَةِ ضَرِيحِهِ الشَّرِيفِ كُلَّ
سَنَةِ الْأَلْوَافِ الْمُؤْلَفَةِ مِنْ مَلُوكٍ وَأَمْرَاءٍ وَأَعْزَةٍ وَكِبَرَاءٍ وَأَغْنِيَاءٍ وَفَقَرَاءٍ
يَسْلُمُونَ عَلَيْهِ وَيَطْلُبُونَ الشَّفَاعَةَ مِنْ لَدِيهِ، وَيَتَبَرَّكُونَ بِتَقْبِيلِ أَعْتَابِهِ
الشَّرِيفَةِ، وَيَمْسُحُونَ وُجُوهَهُمْ بِتَرَابِ رَوْضَتِهِ الْمَنِيفَةِ، وَتُرْفَعُ إِلَيْهِ مَدَائِحُ
الشَّعَرَاءِ، وَمُحَمَّدَ الْفَصَحَّاءِ، مَزِينَةً بِذِكْرِ مَحَاسِنِ صَفَاتِهِ، وَبَاهرَ آيَاتِهِ.
عَلَيْهِ مِنَ الصلواتِ أَفْضُلُهَا، وَمِنَ التَّحِياتِ أَكْمَلُهَا، وَلَمْ تَزُلْ شَرِيعَتُهُ ﷺ
مَعْزَزَةً مَرْفُوعَةً الْمَنَارَ مَوْفَرَةً الْأَنْصَارَ، تَقْبَسُ مِنْ أَنْوَارِهَا الْأَمْمَ
وَتَهَدَى بِشَمْوَسَهَا الْعَرَبُ وَالْعَجمُ. وَأَتَبَاعُهُ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى مَا لَثُونَ
الْأَرْضِ، مَتَّبِعونَ مَا شَرَعَ لَهُمْ مِنْ سَنَةٍ وَفِرْضٍ. وَلَا يَزِدُ الْوَنْ بِالْزِيادةِ
يَوْمًا فِيَوْمًا. وَكُلُّ يَوْمٍ تَأْتِينَا أَخْبَارُهُمُ الْمُسِرَّةُ فَتَتَشَرَّحُ لَهَا صُدُورُنَا .

فَأَيُّ ذَكْرٍ بَادَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ مَعَ مَرْوَرِ أَزِيدِ مِنْ ثَلَاثَةِ عَشَرَ قَرْنَاءِ
وَأَتَبَاعِهِ مَا لَثُونَ الْأَرْضِ. وَأَيُّ هَلَكَ هَلَكَ؟ وَأَيُّ سَوَادٍ كَسَرَتْ لَهُ؟ وَأَيُّ
فَنَاءٍ كَالْدَخَانِ فَنَى؟ فَلَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ ذَكْرِ فِي هَذِهِ الْكِتَبِ الْمُقْدَسَةِ
لِلْزَمِنِ أَنْ يَفْعَلَ بِهِ اللَّهُ جَمِيعُ ذَلِكَ النَّكَالِ، وَإِلَّا لِزَمِنِ تَخْلُفِ خَبْرِ الرَّبِّ الَّذِي
جَاءَ فِي هَذِهِ التُّورَاةِ وَهَذِهِ الإِنْجِيلِ عَلَى أَلْسُنَةِ أَنْبِيَائِهِ، لَكِنَّهُ عَزَّ شَانَهُ لَمْ
يَفْعَلْ بِهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا. فَهُوَ لَيْسَ مِنْ ذَكْرِ الْبَتَّةِ. وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ

ذكر؛ فيكون من الأنبياء الطائعين والرسول الصادقين وأحباب الله الصالحين على رغم أنف الكفرة والمشركين. وليست هذه الأخبار هي التي تتصفنا من أخبار هذه الكتب المقدسة بل غالب أصحاباتها تشهد بنبوة محمد ﷺ ولقد وصفته وصفاً بيناً واضحاً رفع كل احتمال حيث صرحت باسمه وببلده وجنسه وحليته وأطواره وسمته. غير أن أهل الكتاب حذفوا اسمه الشريف من كتبهم، إلا أن ذلك لا يجد لهم نفعاً لبقاء الصفات التي انفق عليها المؤرخون من كل جنس وملة. وهي أظهر دلالة من الاسم على المسمى. إذ قد يشترك اثنان في اسم ويتمتع اشتراكاً اثنين في جميع الأوصاف.

لكن من أمد غير بعيد قد شرعوا في تحريف بعض الصفات أيضاً ليبعد صدقها على سيد الكونين ﷺ ولم يقدّم ذلك غير تقوية الشبه عليهم لانتشار النسخ بالطبع وتيسير المقابلة بينها. فأما تبشير السيد المسيح القديس بنبوة الصادق الأمين عليه السلام فهو ثابت في هذه الأنجليل ومحقق مع تحريفها وكذلك الكتاب المنزل على موسى وزبور داود عليهما السلام وكتاب إشعيا وإرميا ودانיאל وحَبْرُوق -عليهم الصلاة والسلام-

محمد ﷺ في التوراة

فاما التوراة: فقد جاء في العدد السابع عشر من الأصحاح الثامن عشر من سفر الاستثناء هكذا "قال لى رب: نعم جميع ما قالوا. وسوف أقيم لهمنبياً مثلك من بين إخوته، وأجعل كلامي في فمه، ويكلمهم بكل شيء أمره به. ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم به باسمي؛ فأنا أكون المنتقم من ذلك النبي. فلما النبي الذي يجترأ بالكرياء، ويتكلّم في اسمى مالم أمره بأنه يقوله، أم باسم آلهة غيري؛ فليقتل. فإن أحببت وقلت في قلبك: كيف أستطيع أن أميز الكلام الذي لم يتكلّم به رب؟ فهذه تكون لك آية: أن ما قاله ذلك النبي في اسم الرب ولم يحدث؛ فالرب لم يكن تكلّم به، بل ذلك النبي صوره في تعظيم نفسه. ولذلك لا تخشأه" انتهى.

فهذه بشاره لم تصدق على غير نبينا محمد ﷺ لأنها من ذريه إسماعيل. وذراته يسمون إخوه لبني إسرائيل لأنهم من ذرية إسحق وهو أخو إسماعيل -عليهما السلام- وقد جرت عادة الكتب المنزلة بتسمية أبناء الأعماام عن بعد بعيد؛ إخوه. كما دعى في القرآن الكريم هود وصالح؛ إخوه لعاد وثمود، مع أنهما على بعد بعيد من أولاد الأعماام. وكما قيل في الأصحاح العشرين من سفر العدد من التوراة: "وارسل موسى رسلاً من قادش إلى ملك آدم قائلاً: هكذا يقول أخوك إسرائيل" مع أنهما من أبناء الأعماام على بعد بعيد.

ولا يصح أن تكون هذه البشارة في حق نبيٍّ من الأنبياء بنى إسرائيل؛ لأنَّه لو كان المقصود بكون النبي المبشر به في هذه البشارة منهم لقال وسوف أقيم لهمنبياً مثلك منهم أو من أنفسهم لا من بين إخوتهم. كما قال الله تعالى إِبْرَاهِيمَ الْكَلِيلَ لولد إسماعيل: **(رَبَّنَا وَأَبَعْثَتْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ)** وكما قال تعالى في خطاب بنى إسماعيل^(١) **(لَدَّجَاءُكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ)**

(١) كان يجب على المؤلف أن يذكر نصاً من التوراة قبل ذكر هذا النص. وهو: أن إسماعيل هو وحيد إبراهيم ووحيد هاجر ووحيد سارة؛ لأن المواعيد في إسماعيل أن يكون منهنبي؛ جاءت على اعتبار أنه هو الوحيد. وإذا لم ثبتت أن إسماعيل هو الوحيد؛ لا نقدر على إثبات نبوة محمد ﷺ وذلك لأنَّه قال لإبراهيم عقب همة بذبح ابنه الوحيد: "إِنِّي مَنْ أَجَلَ أَنْكَ فَعَلْتَ هَذَا الْأَمْرَ وَلَمْ تَمْسِكْ بْنَكَ وَحْدَكَ؛ أَبْارِكَكَ مَبَارِكَةً، وَأَكْثَرَ نَسْلَكَ تَكْثِيرًا كَنْجُومَ السَّمَاءِ وَكَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، وَيَرِثُ نَسْلَكَ بَابَ أَعْدَائِهِ، وَيَتَارِكَ فِي نَسْلَكَ جَمِيعَ أَمَمِ الْأَرْضِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِي" والنسل الموعود به هو نسل إسماعيل من محمد رسول الله ﷺ وذلك لأنَّ إبراهيم لم يكن له وقت العهد إلا إسماعيل.

ويبيان أنَّ إسماعيل هو الوحيد لسارة: هو أن سارة قالت لإبراهيم: ادخل على جاريتي هاجر لعلَّي أرزق منها بنين. فيكون إذا سارة حبَلت وولدت يكون المولود ابن سارة لا ابن أمِّه الجارية. وهذا هو النص:

في الأصحاح السادس عشر من سفر التكوين: وَأَمَّا سَارَايِ امْرَأَةَ أَبْرَامَ فَلَمْ تَلِدْ لَهُ وَكَانَتْ لَهَا جَارِيَةً مَصْرِيَّةً اسْمُهَا هاجر فَقَالَتْ سَارَايِ لَأَبْرَامَ هُوَذَا الرَّبُّ قَدْ امْسَكَنِي عَنِ الْوَلَادَةِ ادْخُلْ عَلَى جَارِيَتِي لعلَّي أَرْزُقُ مِنْهَا بَنِينَ فَسَمِعَ أَبْرَامَ لِقَوْلِ سَارَايِ فَأَخْذَتْ سَارَايِ امْرَأَةَ أَبْرَامَ هاجر الْمَصْرِيَّةَ جَارِيَتِهَا مِنْ بَعْدِ عَشْرِ سَنِينَ لِإِقْامَةِ أَبْرَامَ فِي أَرْضِ

وأما ما زعمته النصارى من أن المراد بهذا الخبر؛ لمسيح القىحة هو باطل لوجوه: الأول: أنهم من بنى إسرائيل، والمبشر به من إخوتهم.

الثاني: أنه وقع في هذا الخبر لفظ "مثلك" يعني مثل موسى القىحة والمسيح القىحة لا يصح أن يكون مثل موسى؛ لأنهم من بنى إسرائيل. ولا يجوز أن يقوم أحد من بنى إسرائيل مثل موسى، كما يدل عليه العدد العاشر من الأصحاح الرابع والثلاثين من سفر الاستثناء وهو هكذا: "ولم يقم بعد في إسرائيل نبى مثل موسى" على أنه لا مماثلة بينه

كتعن واعطتها لأبرام رجلا زوجة له فدخل على هاجر فحبلت ولما رأت أنها حبت صغرت مولاتها في عينيها فقالت ساراي لأبرام ظلمي عليك أنا دفعت جاريتي إلى حضنك فلما رأت أنها حبت صغرت في عينيها يقضى الرب بيدي و بينك فقال أبرام لساراي هذا جاريتك في يدك افعلي بها ما يحسن في عينيك فأذلتها ساراي فهربت من وجهها فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية على العين التي في طريق شور وقال يا هاجر جارية ساراي من أين أتيت وإلى أين تذهبين فقالت أنا هاربة من وجه مولاتي ساراي فقال لها ملاك الرب ارجعي إلى مولاتك وأخضعي تحت يديها وقال لها ملاك الرب تكثيرا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع ل McDonالد وانه يكون إنسانا وحشيا يده على كل واحد ويد كل واحد عليه وأمام جميع اخوته يسكن فدعت اسم الرب الذي تكلم معها أنت ايل رئي لأنها قالت اه هنا أيضا رأيت بعد رؤية لذلك دعيت البقر بئر لحي رئي ها هي بين قاس وبارد فولدت هاجر لأبرام ابنا ودعا أبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر إسماعيل وكان أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لأبرام"

وبين المسيح -عليهما السلام- لأن المسيح عليهما السلام كان رباً وإلهًا على زعم النصارى بخلاف موسى عليهما السلام فإنه كان عبداً لله تعالى وأن المسيح عليهما السلام على زعمهم صار ملعوناً لشفاعة الخلق. كما صرخ بذلك بولس في الأصحاح الثالث من رسالته إلى أهل غلاطية، وموسى عليهما السلام ما صار ملعوناً لشفاعتهم، وأن المسيح عليهما السلام دخل الجحيم بعد موته كما هو مصري به في عقائد أهل التثليث بخلاف موسى عليهما السلام فإنه ما دخل الجحيم، وأن المسيح عليهما السلام على زعم النصارى ليكون كفارة لأمته بالصلب، وموسى عليهما السلام ما صار كفارة لأمته بالصلب، وأن شريعة موسى عليهما السلام مشتملة على الحدود والتعزيرات والقصاص وایجاب الغسل والحادض والنفساء وایجاب الطهارة عند إرادة الدخول في العبادة، وأحكام المحرمات من المأكولات والمشروبات، ووجوب الختان. وغير ذلك من الأحكام بخلاف شريعة عيسى عليهما السلام فإنها فارغة عن ذلك كله. على ما يشهد به هذا الإنجيل المتداول بينهم، وأن موسى عليهما السلام كان رئيساً مطاعاً في قومه نفاذًا لأوامره ونواهيه بخلاف عيسى عليهما السلام فإنه لم يكن كذلك. ونظائر هذه كثيرة.

الثالث: أنه وقع في هذه البشارة لفظ "أجعل كلامي في فمه" وهو إشارة إلى أن ذلك النبي يكون أمياً حافظاً لكلام الله في فمه وهذا لا يصدق على عيسى عليهما السلام لأنه ما كان أمياً بل كان يقرأ. على ما يشهد به هذا الإنجيل المتداول، ولا يصدق أيضاً على نبي من الأنبياء غير محمد ﷺ لأنه هو الذي كان أمياً من بينهم، وكان ينطق بالوحى كما

قال تعالى: ﴿ وَمَا يُطِقُّ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ وبذلك تعرف سرّ وصفه به في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَسْعَونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ ﴾

وفي قوله: "ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم به باسمى فأنا أكون المنقم من ذلك" إشارة إلى كون هذا النبي مأمورا بجهاد من كفر بما جاء به من عند الله والانتقام منه بسيفه البتار. ولا يصح أن يراد بالانتقام من المنكر العذاب الأخرى الكائن في جهنم؛ لأن هذا الانتقام لا يختص بإنكار نبي دون نبي بل يعم الجميع فحينئذ يراد بالانتقام الإنقاص التشريعي الذي هو الجهاد. وهذا لا يصدق على المسيح عليه السلام لأن شريعته^(١) خالية عن أحكام الحدود والقصاص والتعزيرات والجهاد بخلاف شريعة محمد ﷺ كما لا يخفى.

(١) إن المسيح عليه السلام لم تكن له شريعة منفصلة عن شريعة التوراة. فإنه كان عليها ومصدقا لها، وحيث أتباعه على العمل بها إلى زمان ظهور النبي محمد ﷺ الذي يبشر بمقمه. وعندئذ يسمعون من كلامه. فإن قال لهم اعملوا بها فليعملوا بها، وإن قال لهم اتركوها واعملوا بشرعيتها فاتركوها واعملوا بشرعيته، وأحل لهم بعض الذي حرم عليهم من علماء بنى إسرائيل. ومن كلامه: "لا تظنوا أنني جئت لانقض الناموس أو الأنبياء" [متى ٥: ١٧] ومن كلامه: " حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً: على كرسي موسى جلس الكتابة والقديسين، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وأفعلنوه ، ولكن حسب أعمالهم لا تفعلوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون. فإنهم يخزيون أحتمالا ثقيلة عسرة العمل ويضطرونها على اكتاف الناس ، وهم لا يريدون أن يحرسوكها بإنصافهم، وكل أعمالهم يعملونها لكي تنظرهم الناس : فيغرضون

الرابع: أنه صرخ في هذه البشارة بأن النبي الذي ينسب إلى الله ما لم يأمره به؛ يقتل. فلو لم يكن محمد ﷺ نبياً صادقاً حقاً؛ للزم أن يقتل؛ بحكم هذا القول. وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز أيضاً: «وَلَوْ تَقُولَّ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَاَخْذَنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ قَطَعْنَا مِنْهُ الْوَيْنَ» وما قتل بل قال الله في حقه: «وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» وقد أوفى بما وعد ولم يقدر أحد على قتله -ولله الحمد- حتى لحق بالرفيق الأعلى، بخلاف المسيح فإنه صلب وقتل، على زعم أهل الكتاب. فلو كانت هذه البشارة في حقه؛ للزم أن يكون نبياً كاذباً، كما تزعمه اليهود أهل الكفر والجحود. والعياذ بالله تعالى. ولا يرد على هذا قتل زكرياء ويحيى -عليهما السلام- وغيرهما من الأنبياء الكرام الذين قتلهم اليهود؛ لأننا نقول: إن ذلك كان منهم بعد ثبوت نبوتهم عندهم؛ فكان ذلك منهم بغياناً وعدواناً.

عَصَابَيْهِمْ وَيَعْظُمُونَ أَهْذَابَ تِبَاهِيهِمْ، وَيَحْتَوْنَ الْمُتَكَأَ الْأَوَّلَ فِي الرَّلَائِمِ، وَالْمَحَالِسَ الْأُولَى فِي الْمَجَامِعِ، وَالشَّحِيفَاتِ فِي الْأَسْنَاقِ، وَأَنَّ يَدْعُوهُمْ النَّاسُ: سَيِّدِي سَيِّدِي وَأَمَّا أَشْنَمْ فَلَا يَدْعُوهُنَا سَيِّدِي، لَأَنَّ مَعْلِمَكُمْ وَاحِدَةُ الْمُسِيَّخِ، وَأَشْنَمْ حَمِيعاً إِخْرَاجَهُ، وَلَا تَدْعُوا لَكُمْ أَمَا عَلَى الْأَرْضِ، لَأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدَةُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، وَلَا تَدْعُوا مَعْلِمِيْنَ، لَأَنَّ مَعْلِمَكُمْ وَاحِدَةُ الْمُسِيَّخِ. وَأَكْبَرُكُمْ يَكُونُ خَادِمَةِ لَكُمْ، فَمَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَضَعَّ، وَمَنْ يَضْعِنَ نَفْسَهُ يَرْتَفَعُ. لَكِنْ وَقِيلَ لَكُمْ أَيْهَا الْكِتَّبَةُ وَالْفَرَسِيُّونَ الْمُرَاوِدُونَ ا لَا لَكُمْ تَعْلَقُونَ تَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ قُدَّامَ النَّاسِ، فَلَا تَدْخُلُونَ أَشْمَمْ وَلَا تَدْعُونَ الدَّاخِلِينَ يَدْخُلُونَ. وَوَقِيلَ لَكُمْ أَيْهَا الْكِتَّبَةُ وَالْفَرَسِيُّونَ الْمُرَاوِدُونَ ا لَا لَكُمْ تَأْكُلُونَ يَبْوَاتَ الْأَرَاملِ، وَلَعْلَةً تُطْلُوْنَ صَلَوَاتَكُمْ. لَذَلِكَ تَأْخُذُونَ دَيْنَتَهُ أَغْظَمْ. وَوَقِيلَ لَكُمْ أَيْهَا الْكِتَّبَةُ وَالْفَرَسِيُّونَ الْمُرَاوِدُونَ الْأَكْمُمْ تَعْطُوفُونَ الْبَحْرَ وَأَبْرَرُ لَتَكْسِبُوا دَخِيلًا وَاحِدًا، وَمَقْنَى حَصْلَ أَصْنَعَوْهُنَّ أَبْنَا لَهُمْ أَكْثَرَ مِنْكُمْ مُضَاعِفًا. وَوَقِيلَ لَكُمْ أَيْهَا الْقَادِهُ الْعَمِيَّانُ الْقَافِلُونَ: مَنْ حَلَّفَ بِالْهَيْكَلِ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ، وَلَكِنْ مَنْ حَلَّفَ بِدَبْقِ الْهَيْكَلِ يَتَشَرِّمُ. أَيْهَا الْجَهَالُ وَالْعَمِيَّانُ ا أَيْمَانَا أَعْظَمُ: الْذَّهَبُ أَمْ الْهَيْكَلُ الَّذِي يَقْدِسُ الْذَّهَبَ؟ وَمَنْ حَلَّفَ بِالْمَدْبِعِ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ، وَلَكِنْ مَنْ حَلَّفَ بِالْقَرْبَانِ الَّذِي عَلَيْهِ يَتَشَرِّمُ!»

كما تدل على ذلك الكتب المقدسة. وذلك جائز على الأنبياء الكرام
بخلاف ما إذا لم تثبت النبوة -كما لا يخفى -

الخامس: أن الله بين في هذه البشارة علامة النبي الكاذب هو أن إخباره عن الغيب المستقبل لا يخرج إلا صادقاً. ومحمد ﷺ أخبر عن الغيوب الكثيرة المستقبلة وظهر صدقه فيها، ووُقعت كما أخبر. وهي وقائع عظيمة قد تواترت واشتهرت عند الخاصة وال العامة، وناهيك بما جاء في القرآن العظيم من الأخبار عن الحوادث الآتية، فوجدت في الأيام اللاحقة على الوجه الذي أخبر به. قوله تعالى: ﴿تَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْعَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمْنِينَ﴾ فوقع كما أخبر. ودخل الصحابة المسجد الحرام آمنين غير خائفين. وكقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيُسْتَخْلِفُوكُمْ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُسْكِنَنَّ لَهُمْ دِيْنَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ حَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ فكان وعد الله المؤمنين بهذا القول يجعل الخلفاء منهم وتمكن الدين المرضي لهم وتبديل خوفهم بالأمن؛ فوفي الله سبحانه وتعالى وعده في مدة قليلة ودخل الناس في الإسلام أفواجاً أفواجاً. فما مات عليه الصلاة والسلام وفي بلاد العرب موضع لم يدخله الإسلام. واستخلف المؤمنين في الأرض المقدسة وغيرها ومكان فيها دينهم وملكيتهم إليها من أقصى المشارق إلى أقصى المغارب كما قال عليه الصلاة والسلام: "زُويت لى الأرض

فأُرِيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زُوِّى لى منها" معناه جمع الله لى الأرض مرة واحدة بتقريب بعيدا إلى قربها حتى اطلعت على ما فيها، وستفتحها أمتى جزءا فجزءا حتى تملك جميع أجزائها. ولأجل تقديره بمشارقها ومغاربها انتشرت ملته في المشارق والمغارب ما بين أرض الهند -التي هي أقصى المشرق- إلى بحر طنجة -الذى هو فى أقصى المغرب- ولم تنتشر فى الجنوب والشمال مثل انتشارها فى المشرق والمغرب وستتشر فىهما أيضا إن شاء الله تعالى عن قريب.

ومن هذا: قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ يُظْهِرُهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَوَّرَهُ الْمُشْرِكُونَ ﴾ وسيظهر الوفاء الكامل لهذا الوعد عن قريب. على ما هو المرجو إن شاء الله تعالى وهو على كل شيء قادر. وقال تعالى: ﴿ إِنَّا كَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ ولما نزلت هذه الآية بشر النبي ﷺ أصحابه بأن الله كفاه شر المستهزئين وأذاهم. وكان المستهزئون نفرًا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلعوا بضروب البلاء وفنون الفناء. فتم نوره وكمل ظهره. وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ وقد وقع كما أخبر مع كثرة من قصد قتله فعصمه الله تعالى حتى انتقل من دار الدنيا إلى دار منازل الحسنى في العقبى. وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرْزَقُنَا الَّذِي ذِكْرُهُ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ أي من التحريف والزيادة والنقسان وقد كان كما أخبر

به. فما قدر أحد من الملاحدة والمعطلة على تغييره وتبديله ولا سيما القرامطة، فإنهم أجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم نيفاً على خمسمائة عام، وما قدروا على إطفاء شئ من نوره، ولا تغيير كلمة من كلمه ولا حرف من حروفه ولا إعراب من إعراباته، وهو باق على حاله. والله الحمد والمنة إلى هذه المدة التي نحن فيها. أعني ألفاً وثلاثمائة وثمانين من الهجرة النبوية. بخلاف التوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب الإسرائيلية. كما سترى ذلك إن شاء الله تعالى. وقال تعالى: **(لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ)** أي التحريف بالزيادة والنقصان **(مِنْ بَيْنِ يَدِهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنِزِّلُ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)**

وحال هذا القول كالقول السابق.

وقال تعالى: **(وَإِنْ كُشِّمْ فِي رَبِّ مَمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُشِّمْ صَادِقِينَ فَإِنَّ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَكُنْ تَفْعَلُوا فَاقْتُلُوا النَّارَ الَّتِي وَقُوَّدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أَعْدَتْ لِلْكَافِرِينَ)** فأخبر تعالى في هذا القول بأنهم لا يفعلون ما تحذّفهم به البتة وقد وقع كما أخبر -ولله الحمد على إتمام هذه النعمة-

ومن الأخبار المدرجة في القرآن المجيد: قوله تعالى: **(أَمْ حَسِبُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَّثَلُ الدِّينِ خَلُوا مِنْ قَبْلِكُمْ سَهُمُ الْبَاسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولُ**

الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آتَيْنَا مَعَهُ مَسْئَلَةَ نَصْرِ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ[ۚ] فوعد الله المسلمين فى هذا القول بأنهم يزللون حتى يستتصروه وقد كان كما أخبر. وقال النبي ﷺ: "سيشتد الأمر باجتماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم" وقال أيضاً: إن الأحزاب سائرون إليكم تسعأ أو عشراً. فجاء الأحزاب كما وعد الله ورسوله وكانوا عشرة آلاف وحاصرروا المسلمين وحاربواهم محاربة شديدة إلى مدة شهر، وكان المسلمون فى غاية الضيق والشدة والرعب، وقالوا: (هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ) وأيقنوا بالجنة والنصر كما أخبر الله تعالى بقوله: «وَكَانَ رَأْيُ الْمُؤْمِنِينَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَسُلْطَانًا»

وقد خرج أهل الحديث -رضى الله تعالى عنهم- أن النبي ﷺ أخبر الصحابة بفتح :

١-مكة

٢-وبيت المقدس

٣-واليمن

٤-والشام

٥-والعراق

٦- وأن خير تفتح على يد على بن أبي طالب في غد يومه

٧- وأنهم يقسمون ملك فارس

٩ـ وأن بنات فارس تخدمهم. وهذه الأمور كلها وقعت في زمان الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - كما أخبر.

١٠ـ وأن فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعد هذا أبداً

١١ـ والروم ذات قرون كلما هلك قرن خلف مكانه قرن. أهل صخر وبحر. هيئات آخر الدهر والمراد بالروم: الإفرنج من النصارى. وكان كما أخبر وما بقي من سلطنة الفرس أثر متأ. بخلاف الروم فإن سلطنتهم وإن زالت عن الشام في عهد خلافة عمر رضي الله عنه وانهزم هرقل من الشام إلى أقصى بلاده؛ لكن لم تزل سلطنتهم بالكلية كما زالت سلطنة الفرس بل كلما هلك قرن خلفه قرن آخر.

١٢ـ وأن الفتنة لا تظهر ما دام عمر حياً. وكان كما أخبر، وكان رضي الله عنه ساداً باب الفتنة.

١٣ـ وأن المهدى - رضي الله عنه - ^(١) يظهر.

(١) اختلف علماؤنا أهل السنة في علامات الساعة. فبعضهم أثبتما. ومنها ظهور المهدى، وعودة المسيح عيسى بن مريم صلوات الله عليه وآله وسلامه وغيرهما وبعضهم لم يثبتها بحجة أن القرآن يقول إنها تأتى بعثة. وإذا ظهرت علامات فإنها لا تكون بعثة. والذين أثبتوها؛ أثبتوها بأحاديث نبوية. وقد قال بعض العلماء بأن الساعة المذكورة في القرآن هي ساعة قتال المسلمين لليهود؛ لنزع ملتهم من فلسطين والعالم. وهي المعركة المسماة بمعركة "يوم الرب" أو "معركة هرمدون" وقد قال عيسى صلوات الله عليه وآله وسلامه في شأنها: "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة؛ فلا يعلم بهما أحد، ولا ملائكة السموات إلا أبي وحده" [متى: ٢٤]

[٣٦] ومن قبل هذه المعركة علامات قال أهل الإنجيل عنها إنها نهاية الزمان. وهذا هو النص على علامات الساعة وعلى معركة الساعة من إنجيل متى: **لَمْ يَخْرُجْ يَسُوعُ وَمَضَى مِنَ الْهَيْكَلِ، فَتَقَدَّمَ تَلَامِيدُهُ لِكَيْ يُرُوَهُ أَبْنِيَةُ الْهَيْكَلِ.** فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: **أَمَا تَنْظُرُونَ حَمِيعَ هَذِهِ الْحَقَّ أَقْرُولَ لَكُمْ إِنَّهُ لَا يُرَدِّكُ هَهُنَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لَا يُنْقَضُ** . **وَفِيمَا هُوَ حَالِسٌ عَلَى جَبَلِ الرَّبِيعِ، تَقَدَّمَ إِلَيْهِ التَّلَامِيدُ عَلَى افْرَادِ قَاتِلِينَ: قُلْ لَنَا مَتَى يَكُونُ هَذَا؟ وَمَا هِيَ عَلَامَةً مَحِيقَتِ الْقِضَاءِ الدُّهْرِ؟** فَأَخَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: **الْنَّظَرُوا! لَا يُضْلِلُكُمْ أَحَدٌ.** فَإِنَّ كَثِيرِينَ سَيَّارُونَ بِاسْمِي قَاتِلِينَ: **أَنَا هُوَ الْمَسِيحُ!** وَضَلُّلُونَ كَثِيرِينَ. **وَسَوْفَ تَسْمَعُونَ بِحَرْوُوبٍ وَأَخْبَارِ حَرْوُوبٍ.** أَنْظَرُوا، لَا تَرْنَاغُوا. لَأَنَّهُ لَا أَنْ تَكُونَ هَذِهِ كُلُّهَا، وَلَكِنْ لَئِنِي الْمُتَّهَى بَعْدُ. لَأَنَّهُ تَقُومُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ وَمَمْلَكَةٌ عَلَى مَمْلَكَةٍ، وَتَكُونُ مَجَاعَاتٍ وَأُوذْنَةٍ وَزَلَازِلٍ فِي أَمَّاكنَ، وَلَكِنْ هَذِهِ كُلُّهَا مُبْتَدِأُ الْأَرْجَاعِ. حِينَئِذٍ يُسْلِمُونَكُمْ إِلَى ضِيقٍ وَيَقْتُلُونَكُمْ، وَتَكُونُونَ مُبْعَضِينَ مِنْ حَمِيعِ الْأَمَمِ لِأَحْلِ اسْمِي. وَحِينَئِذٍ يَغْتَرُ كَثِيرُونَ وَيُسْلِمُونَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَيَغْتَضِبُونَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا. وَيَشُوُمُ أَبِيَاءُ كَذَبَةٍ كَثِيرُونَ وَيُضَلُّلُونَ كَثِيرِينَ. **وَلِكُلِّتِرَةِ الْأَشْمِ ثَبَرٌ مَحْبَبُ الْكَثِيرِينَ.** **وَلَكِنْ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُتَّهَى فَهُوَ لَا يَخْلُصُ.** **وَيَكْرَزُ بِسَيَارَةِ الْمُتَّكَوْتُ هَذِهِ فِي كُلِّ الْمَسْكُونَةِ شَهَادَةً لِحَمِيعِ الْأَمَمِ.** ثُمَّ يَأْتِي الْمُتَّهَى. فَمَتَى تَطَرَّثُمْ رِحْسَةَ الْخَرَابِ الَّتِي قَالَ عَنْهَا دَانِيَالُ التَّيِّبِيَّ قَائِمَةً فِي الْمَكَانِ الْمُقْدَسِ لِتَفْهِمِ الْفَارِئِ؟ **فَحِينَئِذٍ يَهُرُبُ الَّذِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجَبَالِ، وَالَّذِي عَلَى السَّطْحِ فَلَا يَنْزَلُ لِيَأْخُذَ مِنْ بَيْتِهِ شَيْئًا، وَالَّذِي فِي الْحَفْلِ فَلَا يَرْجِعُ إِلَى وَرَاهِهِ لِيَأْخُذَ شَيْئًا.** **وَوَلَلِنَّ لِلْجَبَالِ وَالْمُرْضِعَاتِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ وَضَلُّوا لِكَيْ لَا يَكُونُ هَرِيمُكُمْ فِي شَيْءٍ وَلَا فِي سَبَتِ، لَأَنَّهُ يَكُونُ حِينَئِذٍ ضِيقٌ عَظِيمٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلَهُ مُنْذُ ابْتِدَاءِ الْعَالَمِ إِلَى الْآنَ وَلَنْ يَكُونَ.** **وَلَزَمَ لَمْ تَقْصُرْ تِلْكَ الْأَيَّامِ لَمْ يَخْلُصْ حَسَدَ.** **وَلَكِنْ لِأَحْلِ الْمُخْتَارِينَ تُقصُرْ تِلْكَ الْأَيَّامِ.** حِينَئِذٍ إِنْ قَالَ لَكُمْ أَحَدٌ **هُوَذَا الْمَسِيحُ هَذَا! أَوْ: هَذَا! فَلَا تُصْدِقُوا.** لَأَنَّهُ يَسْقُمُ مُسْحَاجَةً كَذَبَةً وَأَبِيَاءً كَذَبَةً وَيَعْطُونَ آياتٍ عَظِيمَةً وَعَحَابَاتٍ، حَتَّى يُضْلُلُوا لَوْ أَنْكُنَ الْمُخْتَارِينَ أَيْضًا. **هَا أَنَا فَدَ سَبَقْتُ وَأَخْبَرْتُكُمْ: فَإِنْ قَالُوا لَكُمْ: هَا هُوَ فِي الْبَرِّيَّةِ!** **فَلَا تَخْرُجُوا.** هَا هُوَ فِي الْمُنْخَادِعِ! **فَلَا تُصْدِقُوا.** لَأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْبَرِّ يَخْرُجُ مِنَ الْمَشَارِقِ وَيَظْهُرُ إِلَى الْمَعَارِبِ، هَكَذَا يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ أَبْنِ الْإِنْسَانِ. لَأَنَّهُ حِينَما تَكُونُ الْحَنَّةُ، فَهَنَّاكَ تَحْتَمِمُ الْسُّورُ. **وَلِلْوَقْتِ بَعْدَ ضِيقِ تِلْكَ الْأَيَّامِ يَظْلِمُ الشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ لَا يُعْطِي ضَوْءَهُ، وَالثَّجُومُ تَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ، وَقَوَافِلُ السَّمَاءَوَاتِ تَتَرَعَّزُ.** **وَحِينَئِذٍ يَظْهُرُ عَلَامَةُ أَبْنِ الْإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ.** **وَحِينَئِذٍ تَشْرُحُ حَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ، وَيَصِرُّونَ أَبْنَ الْإِنْسَانِ أَتِيَّا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَهْدِ كَثِيرٍ.** فَيَرْسِلُ مَلَائِكَتَهُ يُسُوقُ عَظِيمَ الصَّوْنَتِ، فَيَخْمَمُونَ مُخْتَارِيهِ مِنَ الْأَرْبَعِ الرِّياحِ، مِنْ أَفْصَاءِ السَّمَاءَوَاتِ إِلَى أَفْصَائِهَا. فَمِنْ شَجَرَةِ التَّينِ تَعْلَمُوا الْمُتَلَّ: مَتَى صَارَ غُصَّشَهَا رَخْصًا وَأَخْرَجَتْ أَوْرَاقَهَا، تَعْلَمُونَ أَنَّ الصَّيفَ قَرِيبٌ. هَكَذَا أَشْمَ أَيْضًا، مَتَى رَأَيْتُمْ هَذَا كَلْهَةَ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ عَلَى الْأَبُوَابِ. **الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَا يَمْضِي هَذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونُ**

- ١٤- وأن عيسى عليه السلام ينزل إلى الأرض ويلكها.
- ١٥- وأن الدجال يخرج ويقتله المسيح عليه السلام وهذه الأمور ستظهر عن قريب إن شاء الله تعالى.
- ١٦- وأن عثمان يقتل وهو يقرأ في المصحف.
- ١٧- وأن أشقي الآخرين من يصبح هذه من هذه يعني بالحياة على من دم رأسه يعني بقتله وقد استشهدوا -رضي الله عنهمـ كما أخبر.
- ١٨- وأن الخلافة بعدى ثلاثون سنة. وكان كما أخبر. وتمامها خلافة الحسن عليه السلام.
- ١٩- وأن ابني هذا -أى الحسن بن علي رضي الله عنهمـ سيد، وسيصلح الله به بين فتنتين عظيمتين. وقد وقع كما أخبر فأصلاح بين أتباعه وأهل الشام.

هذا كلام السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول. وأنا ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ، ولا ملائكة السماءات ، إلا أبي وحده . وكانت كانت أيام نوح كذلك يكون أيضاً مجيء ابن الإنسان . لآن كثروا في الأيام التي قبل الطوفان يأكلون ويتشربون ويتزوجون ، إلى اليوم الذي دخل فيه نوح الفلك ، ولم يتعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع ، كذلك يكون أيضاً مجيء ابن الإنسان . حيثند يكون أثاث في الحقل ، يُؤخذ الواحد ويترك الآخر . أثاث انطحان على الرحم ، يُؤخذ الواحدة ويترك الأخرى . اسهروا إذا لاذكم لا تعلمون في آية ساعة يأتي ربكم . وأعلموا هذا : الله لو عرف ربكم في أي هزيم يأتي السارق ، لم يسره ولم يدع بيته ينقب . لذلك كانوا أئضاً مستعدين ، لأنه في ساعة لا تظنون يأتي ابن الإنسان ."

٢٠- وأن الموتىن أى الوباء والطاعون تكونان بعد فتح بيت المقدس.
وكان هذا الوباء فى خلافة عمر رض بعمواس من قرى بيت المقدس وبها كان عسكره وهو أول طاعون وقع فى الإسلام
مات به سبعون ألفاً فى ثلاثة أيام.

٢١- وأنهم يقرؤن فى البحر كالملوك على الأسرة.

٢٢- وأن الإيمان لو كان منوطاً بالشريا لثالثه رجال من أبناء فارس.
وفيه إشارة إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة الكوفي رحمه الله وإلى غيره أيضاً من علماء الفرس حتى الغزالى وسعد التفتازانى.

٢٣- وأن فاطمة -رضي الله تعالى عنها- أول أهل لحوقاً به. فماتت رضي الله عنها بعد ستة أشهر من وفاته رض.

٢٤- وأن الحسين ابن علي رضي الله تعالى عنهم يقتل بالطفّ وهو بفتح الطاء المهملة وتشديد الفاء- مكان بناحية الكوفة على شط نهر الفرات المشتهـر الآن بكربلاـء. وكان كما أخبر.

٢٥- وقال رض لسرقة بن جعشن: كيف بك إذا لبست سوارى كسرى؟
فلما أتى بهما لعمر رض ألبسهما إيه و قال: الحمد لله الذى سلبهما كسرى وألبسهما سراقة.

٢٦- وقال عليه الصلاة والسلام: "لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضئ لها أعناق الإبل ببصري" وقد خرجت نار عظيمة على قرب مرحلة من المدينة، وكان ابتداؤها يوم الأحد مستهل جمادى الآخرى سنة أربع وخمسين وستمائة وكانت

خفيفة إلى ليلة الثلاثاء بيومها، ثم ظهرت ظهوراً عظيماً اشترك فيه الخاص والعام وكان انطفاوتها في اليوم ٢٧ من رجب، وللشيخ قطب الدين القسطلاني تأليف في بيان حالى هذه النار سماه مجمل الإيجاز في الإعجاز بنار الحجاز. وهذا الخبر من الأخبار العظيمة أيضاً لأن النبي ﷺ أخبر بخروجها قبل ظهورها بمقدار أربعين سنة. وصحيح البخاري في غاية درجة القبول من زمن التأليف إلى هذا الحين حتى أخذ تسعون ألف رجل سنه من الإمام المرحوم بلا واسطة في مدة حياته؛ فلا مجال لعناد المعاندين.

٢٧-وقال عليه الصلاة والسلام: "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك" -أى التتار- "صغر الأعين حمر الوجه زنف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة" وقد كان كما أخبر ﷺ فخرجوا مرتين. وخبرهم متواتر.

والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره، ولا ينزع غمره. وهذه المعجزة من جملة معجزاته الكثيرة المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب. وفيما ذكرناه كفاية.

فقد حصل من هذه الوجوه الخمسة التي نكرتها لك: أن هذه البشرة لا تصدق على غير محمد ﷺ لأنه من غير بنى إسرائيل بل

من إخوتهم ويماثل موسى عليه السلام في أمور كثيرة بخلاف المسيح عليه السلام
كما قد علمت ذلك بما لا مزيد عليه.

فإن قيل: إن إخوة بنى إسرائيل لا تحصر في بنى إسماعيل؛ لأن
بنى عيسو وبنى أبناء قطور زوجة إبراهيم عليه السلام من إخوة بنى إسرائيل
أيضاً. قلنا: نعم ولكن لم يظهر فيهمنبي يكون موصوفاً بالأمور
المذكورة ولم يكن وعد الله في حقهم لإبراهيم ولهاجر -عليهما السلام -
في العدد العشرين من الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين من
الترجمة المطبوعة سنة ١٨٤٨ في خطاب إبراهيم عليه السلام هكذا: "على
إسماعيل استجبت لك. هو ذا أباركه وأكبره وأكثره كثيراً جداً. فسيلد
اثني عشر رئيساً، وأجعله لشعب عظيم" انتهى. فقوله "أجعله لشعب
عظيم" إشارة إلى محمد عليهما السلام لأنه لم يكن في ولد إسماعيل من كان
لشعب عظيم غير محمد عليهما السلام وقد قال تعالى في كلامه العزيز في حكاية
دعاء إبراهيم عليه السلام لبني إسماعيل هكذا: «رَبَّنَا وَأَبَّنَا وَأَبْعَثْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتَلوُ
عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيَهُمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» وفي
العدد الحادى عشر من الأصحاح السادس عشر من سفر التكوين أيضاً
في خطاب هاجر هكذا: "وَسَنَلِدُنَ غَلَامًا وَتَدْعُونَ اسْمَهُ إِسْمَاعِيلَ إِنَّ اللَّهَ
قَدْ سَمِعَ تَعْبُدَكَ، وَيَكُونُ هُوَ وَحْشُ النَّاسِ، وَتَكُونُ يَدُهُ فَوْقَ الْجَمِيعِ، وَيَدُ
الْجَمِيعِ مَبْسُوتَةٌ إِلَيْهِ بِالْخَضْوَعِ، وَيَجْلِي عَلَى مَنْتَهِي إِخْوَتِهِ كُلَّهُمْ"

وهذا الخبر بحق محمد ﷺ أيضاً لا بجده إسماعيل عليهما السلام لأنه لم تكن يده فوق يد الجميع ولا كانت مبسوطة إليه بالخضوع، بخلاف محمد ﷺ كما لا يخفى. فكان ذكر إسماعيل عليهما السلام مقصوداً به ولده كما أن في مواضع كثيرة من التوراة ذكر إسرائيل والمقصود به بنيه. فمن ذلك قوله في السفر الخامس من التوراة: "يا إسرائيل ألا تخشى الله ربك وتسلك في سبيله وتعمل له" فهذا خطاب لبني إسرائيل باسم أبيهم

وفي العدد الثاني عشر من الأصحاح الحادى والعشرين من سفر التكوين في خطاب لإبراهيم عليهما السلام هكذا: "ومن أجل جاريتك في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها لأنه بإسحاق يُدعى لك نسل، وابن للجارية أيضاً سأجعله أمة عظيمة لأنه من نسلك" وهذا القول يدل على أن وعد الله لإبراهيم كما كان في حق إسحاق، فكذلك كان في حق ابنه إسماعيل عليهم السلام فإنه ما كان وعد الله في حقهم وأما بني عيسو وإن كان وعد الله في حقهم من جهة كونهم من نسل إسحاق عليهما السلام ولكن لم يوجد فيهمنبي يماثل موسى عليهما السلام على أنه قد جاء في الأصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين ما يثبت أن عيسو باع بكوريته التي بها استحقاق منصب النبوة والبركة لأخيه يعقوب عليهما السلام بقليل من الخبز والعدس، وهو مشتد الجوع لامتناع أخيه يعقوب أن يطعمه من ذلك مجاناً. فعلى هذا يلزم أن لا يكون في بنيهنبي على ما زعموا - وأيضاً: لا يصح أن يكون مصداق هذه البشارة ببني عيسو. على ما هو

مقتضى دعاء إسحق التقية المتصريح به في الأصحاح السابع والعشرين من سفر التكوين.

فقد حصل من هذا أن هذه البشارة لا تصدق على غير نبينا محمد ﷺ ولا بوجه من الوجه.

والأخبار الواردة في التوراة والإنجيل كثيرة جداً وغالبها تشير بأعظم تلويح وأوضح تصريح إلى نبوة سيدنا ومولانا محمد ﷺ قال في العدد السادس من الأصحاح التاسع من كتاب إشعيا التقية من الترجمة المطبوعة سنة ١٨٤٨ هكذا: "يولد لنا ولد ونعطيه أباً و تكون الرئاسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إليها قديراً أباً أبيداً رئيس السلام لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد" وهذا الخبر أيضاً لا يصدق على غير الصادق الأمين فإنه لم يكن أحد من الأنبياء، وعلامة سلطانه على كتفه غير محمد ﷺ على ما يشهد به الموافق والمخالف من المؤرخين، حتى أن كثيراً من أهل الكتاب آمن بسبب رؤيته لهذه العلامة عدا عن غيرها. وتسمى في كتب الحديث خاتم النبوة وهو على كتفه الشريف بقدر بيضة الحمام، ولم يثبت أن هذه العلامة كانت لغيره ﷺ وهو الذي دُعى بأعجب الأسماء وأغربها وهو لفظ محمد فإنه لم يسمى أحد قبله بهذا الاسم الشريف أو المراد بالاسم خاتم الأنبياء؛ فإنه مما لم يدع به أحد سواه ولا يمكن أن يدعى فيما بعد أيضاً لأنه لا نبي

بعد و كان مشاوراً لله لأن دعوته ألمت به أنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى وهو المقتدر الذى سلطه الله على أعدائه و جعله حرباً لأولئك وأبو العالم لأن أتباعه كانوا كالآباء له في الطاعة والإنقاذ وهو كالآب لهم في الشفقة والتربية، وكان رئيس السلام لأنه منع حروب الجاهلية التي كانت بين العرب التي لا فائدة فيها ولا ثمرة لها إلا إتلاف النفوس.

وأما جهاده للأعداء؛ فإنه كان لتبني الدين الذي هو دين الله المبين ولتقرير السلام بين العالم فهو من قبيل "القتل أنفى للقتل" وسلطانه يكثر يوماً في يوماً كما هو مشاهد وسلامه يكثر أيضاً لأنه كلما ازدادت أتباعه راقت الأحوال وزالت الفتن الجاهلية وهو الذي جلس أصحابه على كرسي داود عليه السلام وملكوأ مقر حكمه ومملكته. التي هي بيت المقدس. وحكموا فيها بالعدل والإنصاف ولم يزل حكم أتباعه -حفظهم الله فيها- إلى هذا الحين ويبقى إن شاء الله كما وعد إلى أبد الآبدين.

وبحسب هذه الأوصاف لا يصح أن يكون مصداق هذا الخبر على عيسى عليه السلام كما تزعمه النصارى لأن الأوصاف المذكورة لا تصدق عليه أصلاً وإن صدق بعضها لا يصدق جميعها بل لم يثبت ذلك لأحد من الأنبياء غير محمد عليه السلام وإن أدعى أحد من أهل الكتاب أن

هذا الخبر ليس المراد به محمد ﷺ فعليه أن يبين أحداً غيره توجد فيه جميع هذه الأوصاف حتى تكون الإشارة إليه.

وفي هذا القدر كفاية لأننا لو تتبعنا كتب أهل الكتاب التي جاءت معلنة بنبوة سيد العرب والعلم لرأينا أخباراً كثيرة جداً. ومقام هذا الكتاب لا يسع ذكرها، وذكر الدلائل التي يجعلها خاصة به ﷺ وما غرضنا بهذا الكتاب المختصر إلا الرد على صاحب البرهان، في أقواله التي أخطأ فيها طريق الحق والصواب. وقد جمعت كتاباً ذكرت فيه من البشائر ثلاثين. كلها تشير بأعظم تصريح إلى نبوة سيد الكونين ووجوب تصديقه واتباعه. والله ولـى التوفيق. لا رب غيره ولا معبود سواه.

تعظيم المسلم للتوراة والإنجيل

ثم قال القيسيس النبيل صاحب البرهان الجليل بعد أن أورد الآيات القرآنية السابق لك ذكرها التي استشهد بها على كون التوراة والإنجيل أنزلهما الله نوراً وهدى للناس هكذا: "فبناء على شهادة القرآن للتوراة والإنجيل بأنهم كتاب من منزلان من عند الله هدى ونوراً للناس؛ كان يجب على كل مسلم أن يعظمهما ويكتلواهما ويصدق كل ما حرر فيهما من غير شك وارتياض. سواء وافق ذلك العقل أم لا؛ لأنه لا بد لكل كتاب منزل من عند الله أن يشتمل على أمور تفوق إدراك العقل البشري حتى ينجو من آمن وبهلك من كفر. والذى يؤيد ما قررناه: أننا نجد أشياء كثيرة من الأمور المحسوسة يعجز العقل عن إدراكتها. فما بالك فى أمور الملائكة التى لم ننظر لها"

أقول وبالله التوفيق وبه الهدية إلى أقوم طريق: إن من يجده الفكر ويمنع النظر فيما تقدم من معانى الآيات الشريفة التى أوردها حضرة القيسيس فى مقالته السابقة؛ يعلم أن ما سلكه قد أخطأ فيه طريق الحق والصواب. فإنما معاشر المسلمين لا ننكر ولا ننزع فى كون التوراة والإنجيل منزلين من عند الله هدى نوراً وهدى للناس. وإنما النزاع فى وقوع التغيير والتبدل^(١) فيها. فالقرآن المجيد ما شهد لهما

^(١) فى سفر الملوك الأول / الأصحاح ١١

"وما بقية أخبار سليمان وكل ما عمل وحكمته. أفلست مكتوبة فى سفر أخبار

بالحفظ من وقوع ذلك بل صرخ بوقوعه في مواضع متعددة. ولهذا أنزل لنا هادياً ومرشدًا كاملاً مستغنياً عن الاستعانة بغيره إلا ما كان حالاً لغواضه كاشفاً لمضمته عاملأً على بيانه قائماً بحجته. وإن لنا في الأحاديث الصحيحة المتواترة لمندوحة -أى غنى- سيماء إذا أضفنا إلى ذلك كون القرآن جمع ما تفرق في الكتب السماوية جمع صحة وتحقيق، وزاد عليها أموراً كلية تلائم الإنسان في الزمان والمكان إلى ما لا نهاية؛ لاكتفى المسلمين -حفظهم الله- به دون أن ينظروا في غيره. والله در من قال فيه :

طاعت به شمس الهدایة للورى وأبى لها وصف الكمال أفالا
والحق أبلج في شريعته التي جمعت فروعاً للهدي وأصولاً
لا تذكر الكتب السوالف عنده طلع الصباح فاطفاً القديلا

فمن هنا وما نقدم تعلم الجواب عن قول القسيس: "كان يجب على كل مسلم أن يعظمهما ويتلوهما ويصدق كل ما حرر فيهما من غير شك وارتكاب" وأما قوله: "لأنه لا بد لكل كتاب منزل من عند الله أن يشتمل على أمور تفوق إدراك العقل البشري" فغير مسلم له على إطلاقه، بل إن أراد بذلك ما يكون ممكناً ولا يلزم عليه استحالة ما قبل

سلیمان؟

يقول المعلقون على هذه الفقرة: "سفر مفقود. يبدو أنه كان أحد المراجع القديمة

للملوك الأول ١١-٣

فهذا اعتراف منهم بفقدان سفر أخبار سليمان.

منه، كاشتماله مثلاً على المشابه والمجمل والمجاز. فإن ذلك مما يمكن وقوعه في الكتب السماوية وإن كان إدراك معناه مما يفوق العقل البشري فلقد ورد عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: "في كل كتاب سرّ وسرّ الله في القرآن أوائل السور" وقال على بن أبي طالب رضي الله عنه: "إن لكل كتاب صفة وصفة هذا الكتاب حروف التهجي" أى التي في أوائل السور. فهذه الحروف من المشابه^(١) الذي استأثره الله بعلمه وهي سرّ الله

(١) الحروف المقطعة في أوائل السور ليست من المشابه. وذلك لأن معناها معروفة من سورة الشورى. **﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** قوله **﴿كَذَلِكَ﴾** يدل على أن من طرق الوحي عند اليهود والنصارى. حروف مقطعة في أوائل **﴿زِر﴾** ومن أمثلة ذلك:

الزبور ١١٩ وهذا هو صورته كما هي عندهم: **طوبى للكاملين طريقا السالكين في شريعة رب طوبى لحافظي شهاداته من كل قلوبهم يطلبونه أيضا لا يرتكبون إنما في طرقه يسلكون أنت أوصيت بوصايك أن تحفظ تماما ليت طرقى تثبت في حفظ فرائضك حينئذ لا أخزى إذا نظرت إلى كل وصايك أحمدك باستقامة قلب عند تعلمي أحكام عدلك وصايك احفظ لا تتركني إلى الغاية به يزكي الشاب طريقه بحفظه إيهام حسب كلامك بكل قلبي طلبتك لا تضلني عن وصايك خبات كلامك في قلبي لكيلا أخطئ إليك مبارك أنت يا رب علمي فرائضك بشفتي حسبت كل أحكام فنك بطريق شهاداته فرحت كما على كل الغنى بوصايك الهج والأحظ سبك بفرائضك أتلذذ لا أنسى كلامك أحسن إلى عدك فاحيا واحفظ أمرك اكشف عن عيني فارى عجائب من شريعتك غريب أنا في الأرض لا تخف عنني وصايك انسحقت نفسى شوقا إلى أحكامك في كل حين انتهت المتكبرين الملائين الضالين عن وصايك دحرج عنى العار والإهانة لأنى حفظت شهاداته جلس أيضا رؤساء تقاولوا علي أما عدك فيناجي**

بفرايضك أيضا شهاداتك هي لذتي أهل مشورتي لصقت بالتراب نفسي فاحيني حسب كلمتك قد صرحت بطرقى فاستحببت لي علمنى فرائضك طريق وصاياك فهمنى فاناجى بعجائبك قطرت نفسى من الحزن أقمنى حسب كلامك طريق الكذب بعد عنى و بشريعتك ارحمنى اخترت طريق الحق جعلت أحکامك قدامي لصقت بشهاداتك يا رب لا تخزنى في طريق وصاياك اجري لأنك ترحب قلبي علمنى يا رب طريق فرائضك فاحفظها إلى النهاية فهمنى فالألاحظ شريعتك واحفظها بكل قلبي دربني في سبيل وصاياك لأنى به سرت أمل قلبي إلى شهاداتك لا إلى المكسب حول عيني عن النظر إلى الباطل في طريقك أحيني أقم لعبدك قوله الذي لمتنبك أزل عاري الذي حذرته منه لأن أحکامك طيبة هانذا قد اشتاهيت وصاياك بعدلك أحيني لتأتي رحمتك يا رب خلاصك حسب قوله فأجاوب معيري كلمة لأنى اتكلت على كلامك ولا تنزع من فمى كلام الحق كل النزع لأنى انتظرت أحکامك فاحفظ شريعتك دائما إلى الدهر والأبد وأتمشى في رحباً لأنى طلبت وصاياك وأتكلم بشهاداتك قدام ملوك ولا أخزى ولذلك بوصاياك التي أحبببت وارفع يدي إلى وصاياك التي ودبت وأناجي بفرايضك اذكر لعبدك القول الذي جعلتني انتظره هذه هي تعزىتي في مذلتى لأن قوله أحيني المتكبرون استهزوا بي إلى الغاية عن شريعتك لم أمل تذكرت أحکامك منذ الدهر يا رب فتعزيت الحمية أخذتني بسبب الأسرار تاركي شريعتك ترنيمات صارت لي فرائضك في بيت غربتي ذكرت في الليل اسمك يا رب وحفظت شريعتك هذا صار لي لأنى حفظت وصاياك نصبيي الراب قلت لحفظ كلامك ترضيت وجهك بكل قلبي ارحمني حسب قوله تفكرت في طرقى وردبت قدمي إلى شهاداتك أسرعت ولم أتوان لحفظ وصاياك حبال الأسرار التفت على أما شريعتك فلم انسها في منتصف الليل أقوم لأحمدك على أحکام بررك رفيق أنا لكل الذين يتقونك و لحافظي وصاياك رحمتك يا رب قد ملأت الأرض علمنى فرائضك خيراً صنعت مع عبده يا رب حسب كلامك ذوقاً صالحاً و معرفة علمنى لأنى بوصاياك آمنت قبل أن اذلل أنا ضالت أمـا الآن حفظت قوله صالح أنت و محسن علمنى فرائضك المتكبرون قد لفقوا على كذباً أمـا أنا

فبك قلبي احفظ وصاياك سمن مثل الشحم قلبه أما أنا بشريعتك أتلذذ خير لي أني
تذلت لكي أتعلم فرائضك شريعة فمك خير لي من ألف ذهب و فضة يداك صنعتاني
وانشاتاني فهمي فأتعلم وصاياك متوك يروتنى فيفرحون لأنى انتظرت كلامك قد
علمت يا رب أن أحكامك عدل و بالحق أذللتى فلتصر رحمتك لتعزىتي حسب قولك
لبعنك لتأتي مراحمك فاحيا لأن شريعتك هي لذتي ليخر المتکرون لأنهم زورا افتروا
علي أما أنا فأناجي بوصاياك ليرجع إلى متوك و عارفو شهاداته ليكن قلبي كاملا في
فرائضك لكيلا أخزى تافت نفسي إلى خلاصك كلامك انتظرت كل عيناي من النظر
إلى قولك فأقول متى تعزيني لأنى قد صرت كزق في الدخان أما فرائضك فلم انسها كم
هي أيام عبده متى تجري حكما على مضطهدى المتکرون قد كروا لي حفائر ذلك
ليس حسب شريعتك كل وصاياك أمانة زورا يضطهدوننى اعني لو لا قليل لأفونى من
الأرض أما أنا فلم اترك وصاياك حسب رحمتك أحيني فاحفظ شهادات فمك إلى الأبد يا
رب كلمتك مثبتة في السماوات إلى دور فدور أمانتك أست الأرض فثبتت على
أحكامك ثبتت اليوم لأن الكل عبده لك لو لم تكن شريعتك لذتي لهلكت حينئذ في مذلتى
إلى الدهر لا أنسى وصاياك لأنك بها أحبيبتي لك أنا فخلصني لأنى طلبت وصاياك
إيابي انتظر الأشرار ليهلكوني بشهاداته افطن لكل كمال رأيت حدا أما وصيتك فواسعة
 جدا كم أحبيب شريعتك اليوم كله هي لهجي وصيتك جعلتني احكم من أعدائي لأنها إلى
الدهر هي لي أكثر من كل معلمي تعقلت لأن شهاداته هي لهجي أكثر من الشيوخ
قطنت لأنى حفظت وصاياك من كل طريق شر منع رجلي لكي احفظ كلامك عن
أحكامك لم أمل لأنك أنت علمتني ما أحلى قولك لحنكى أحلى من العسل لفمي من
وصاياك أتفطن لذلك أغضبت كل طريق كذب سراج لرجلي كلامك و نور لسيبلي
حلفت فابره أن احفظ أحكام يرك تذلت إلى الغاية يا رب أحيني حسب كلامك ارتضى
بمندوبات فمي يا رب وأحكامك علمي نفسي دائمًا في كفي أما شريعتك فلم انسها
الأشرار وضعوا لي فخا أما وصاياك فلم أضل عنها ورثت شهاداته إلى الدهر لأنها
هي بهجة قلبي عطفت قلبي لأصنع فرائضك إلى الدهر إلى النهاية المتقلين أغضبت و

شريعتك أحببت سترني و مجنى أنت كلامك انتظرت انصرفوا عنّي أيها الأشرار فاحفظ
وصايا الهي أعضدي حسب قوله فاحيا ولا تخزني من رجائي أسندي فاخص
وأراعي فرائضك دائما احتقرت كل الضالين عن فرائضك لأن مكرهم باطل كزعل
عزلت كل أشرار الأرض لذلك أحببت شهاداتك قد أشعر لحمي من ربفك ومن
أحكامك جزعت أجريت حكما و عدلا لا تسلمني إلى ظالمي كن ضامن عبده للخير
لكيلا يظلمني المستكبرون كلت عيناي لشتاقا إلى خلاصك وإلى كلمة برك اصنع مع
عبده حسب رحمتك و فرائضك علمي عبده أنا فهمي فاعرف شهاداته انه وقت
عمل للرب قد نقضوا شريعتك لأجل ذلك أحببت وصايك أكثر من الذهب والإبريز
لأجل ذلك حسبت كل وصايك في كل شيء مستقيمة كل طريق كذب أغضبت عجيبة
هي شهاداتك لذلك حفظتها نفسي فتح كلامك ينير يعقل الجهل فترت فمي و لهثت لأنني
إلى وصايك اشتقت التفت إلى وارحمني حرق محبي اسمك ثبت خطواتي في كلمتك و
لا يتسلط علي إثم افدي من ظلم الإنسان فاحفظ وصايك أضي بوجهك على عبده و
علمي فرائضك جداول مياه جرت من عيني لأنهم لم يحفظوا شريعتك بار أنت يا رب
وأحكامك مستقيمة عدلا أمرت بشهاداتك و حقا إلى الغاية أهلكتي غيرتي لأن أعدائي
نسوا كلامك كلمتك محمصة جدا و عبده أحبها صغير أنا و حقير أما وصايك فلم
انسها عدل إلى الدهر و شريعتك حق ضيق وشدة أصاباني أما وصايك فهي
لذاتي عادلة شهاداتك إلى الدهر فهمي فاحيا صرخت من كل قلبي استجب لي يا رب
فرائضك احفظ دعوتك خلصني فاحفظ شهاداتك تقدمت في الصبح و صرخت كلامك
انتظرت تقدمت عيناي الهزع لكي الهج بأقولك صوتي استمع حسب رحمتك يا رب
حسب أحكمك أحيني اقترب التابعون الرذيلة عن شريعتك بعدوا قريب أنت يا رب
وكل وصايك حق منذ زمان عرفت من شهاداتك انك إلى الدهر أستتها انظر إلى ذلي
وأنقذني لأنني لم انس شريعتك أحسن دعوائي وفكني حسب كلمتك أحيني الخلاص بعيد
عن الأشرار لأنهم لم يتلمسوا فرائضك كثيرة هي مراحمك يا رب حسب إحكامك
أحيني كثيرون مضطهدى ومضايقى أما شهاداتك فلم أمل عنها رأيت الغاردين ومقت

تعالى في القرآن الكريم. فنحن نؤمن بظاهرها، ونكل العلم فيها إلى الله تعالى وفائدة ذكرها لنا: طلب الإيمان بها حتى ينجو من آمن ويهلك من كفر.

ومن أمثلة هذا في كتب العهدين مما لا يحصى إلا بكلفة. فإن أراد صاحب البرهان هذا قبل منه لأنه لا يلزم عليه استحالة؛ ما فيجوز وقوعه في الكتب السماوية، وأما إن أراد بذلك ما يلزم من وجوده الحال ويحكم العقل بامتلاكه؛ فلا سبيل إلى تسليمه البطلة. ونقول: إن ذلك ليس من جانب الله تعالى لأن الكلام الإلهي مصان عن مثل ذلك. كإجماع النفيضين مثلاً وارتفاعهما كالزوجية والفردية فإنهم نقيضان لا يصدقان على عدد واحد مخصوص ولا يكذبان معًا لامتلاع ارتفاعهما عنه. فإن العدد لا يخلو إما أن يكون زوجاً أو فرداً. وكذا مما يحكم العقل بامتلاكه اجتماع الأضداد مثل الظلمة والنور والسود

لأنهم لم يحفظوا كلمتك انظر أني أحبيب وصاياك يا رب حسب رحمتك أحيني راسك لامك حق وإلى الدهر كل أحكام عدك رؤساء اضطهدوني بلا سبب و من كلامك جزع قلبي ابتعد أنا بكلامك كمن وجد غنية وافرة أغضبت الكذب وكرهته أما شريعتك فأحببتها سبع مرات في النهار سبحتك على أحكام عدك سلامة جزيلة لمجبي شريعتك وليس لهم معذرة رجوت خلاصك يا رب ووصاياك عملت حفظت نفسي شهاداتك وأحبها جدا حفظت وصاياك وشهاداته لأن كل طرقى أمامك ليبلغ صراخي إليك يا رب حسب كلامك فهمني لتدخل طلبتي إلى حضرتك بكلماتك نجني تتبع شفتاي تسبحا إذا علمتني فرانضيك يعني لسانى بأقوالك لأن كل وصاياك عدل لتكن يدك لمعونتي لأنني اخترت وصاياك اشتقت إلى خلاصك يا رب وشريعتك هي لذتي لتحسني وتسبحك وأحكامك لتعنى ضلالت كشاة ضالة اطلب عدك لأنى لم انس وصاياك

والبياض بأن يقال هذا أسود أبيض مثل العمى والبصر بأن يقال هذا
أعمى بصير ومثل الحركة والسكون بأن يقال هذا ساكن متحرك.
فاستحالة أمثال هذه الأشياء بديهية يحكم العقل بامتلاعها بمجرد التأمل.
وكذا مما يحكم العقل بامتلاعه لزوم الذُّور الذي هو توقف وجود كل
من الشيئين على الآخر. مثل أن يقال وجود البيضة متوقف على وجود
الدجاجة، ووجود الدجاجة متوقف على وجود البيضة. فهذا باطل
ببساطة العقل؛ فإنه لا بد أن يكون أحدهما سابقاً بالوجود على الآخر
وإلا يلزم أن يكون كل منهما وجد قبل وجود سببه؛ فيلزم أن يوجد قبل
وجود ذاته. وهو محال. وكذا مما يحكم العقل بامتلاعه؛ لزوم التسلسل.
الذى هو ترتيب أمور غير متناهية. مثل أن يقال: وجود هذا الشئ
متوقف على وجود شئ آخر، ووجود الشئ الآخر متوقف على وجود
شئ. وهم جرّاً إلى غير النهاية.

فهذا بين البطلان يحكم العقل بامتلاعه بمجرد التأمل. وكذا مما
يحكم العقل بامتلاعه: اجتماع الوحدة والكثرة الحقيقين في مادة واحدة
شخصية في زمان واحد من جهة واحدة. كأن يقال: هذا الواحد ثلاثة
وهذه الثلاثة واحد. وهذا أيضاً ظاهر البطلان يحكم ببطلانه كل من له
أدنى درجة من العقل.

فإن أراد صاحب البرهان بما ادعاه هذا، فلا سبيل إلى التسليم
البنت بل يجب علينا أن نجزم بأن هذا ليس من جانب الله عَزَّوجَلَّ ولا جاء
بهنبي من الأنبياء لأن الأنبياء -صلوات الله عليهم- لا يخرون الناس

بما يمتنع ويستحيل في العقل وإنما يخبرونهم بما تمتلك عقول الناس عن الاستقلال بمعرفته فيكون العقل فيه جائزًا؛ فيخبرونهم بمجازات العقول. لا ب مجالات العقول وبين الصورتين فرق جليّ تعلم به فساد قول القسيس إننا نجد أشياء كثيرة من الأمور المحسوسة يعجز العقل عن إدراكتها فما بالك في أمور الملوك.

ولعل صاحب البرهان يشير لكتابه هذا إلى عقيدة التثلية التي عجزت عقول العالم عن إدراك حقيقتها. أعني قولهم: إن الإله ثلاثة الآب والابن وروح القدس ويقولون: إن هذه الثلاثة إله واحد. فالواحد ثلاثة والثلاثة واحد. وهو محال. إذ التوحيد الحقيقي والتثلية الحقيقي؛ نقىضان لا يجتمعان في أمر واحد شخصي في زمان واحد من جهة واحدة بالضرورة كيف لا. وأن الواحد الحقيقي ليس له ثلث صحيح، والثلاثة لها ثلث صحيح، وهو واحد وأن الثلاثة مجموع آحاد رأساً، بل هو جزء الثلاثة فلو اجتمعا في محل واحد يلزم أن يكون الجزء كلاً والكل جزء. وهو ظاهر البطلان بعيد عن أن تدركه العقول السليمة والأقواف المستقيمة. ولهذا ترى كثيراً من الفرق المسيحية تاركين بيان هذه العقيدة والخوض فيها.

وهذا القسيس البروتستانتي صاحب البرهان قد أشار في مقالاته هذه إلى الاعتراف بأن هذا الأمر خارج عن إدراك العقول البشرية. ومع هذا فليس لهم دليل سمعي^(١) على هذه العقيدة الفاسدة البتة، بل هو

(١) أقانيم النصارى. وهي الآب والابن والروح القدس. سبب القبول بها: هو إيعاد

نبوءات من نبوءات التوراة عن محمد ﷺ لثلا تدل عليه. نبوءة ابن أصلها المزمور الثاني لداود عليه السلام وقد لقبوا فيه مهداً بـ "ابن الله" يعنون أنه سيكون من جماعة المؤمنين بالله. لأن الكافر بالله يقولون عنه إنه ابن إيليس. وقالوا: إنه سيحارب أعداءه وسيملك على العالم.

فجعلوا هذا ابن في مجمع نيقية سنة 325 م هو المسيح وقالوا في قانون الإيمان: إنه رب. والله رب. ولم يتفقوا على التثلث، ولم يقولوا إن الله هو المسيح. وأما عن نبوءة الروح القدس. ففي إنجيل يوحنا-أصحاح ١٤ "يراكليت الروح القدس" ومعناها: "أحمد المرسل من الله" لا من الشيطان الرجيم. فأبعد النصارى هذه النبوءة عن محمد ﷺ: إن الروح القدس إله. وأقرروا التثلث لأول مرة في مجمع القسطنطينية سنة 381 م وإذا أنت بحثت وسألت عن أصل أقوام الابن وأقوام الروح ما أصلهما؟ يجب النصارى في كتبهم بما قلنا.

أولاً: وهذا هو نص المزمور الثاني: "لماذا ارجت الأمم وتذكر الشعوب في الباطل قام ملوك الأرض وتأمر الرؤساء معاً على رب وعلى مسيحيه قاتلين لقطع قيودهما ولنطرح عنا ربطهما الساكن في السماوات يضحك الرب يستهزئ بهم حينئذ يتكلم عليهم بغضبه ويرجمهم بغيظه أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي إني أخبر من جهة قضاء الرب قال لي أنت ابني أنا اليوم ولدتك اسالني فأعطيك الأمم ميراثاً لك وأقصي الأرض ملكاً لك تحطمهم بقضيب من حديد مثل إبراء خراف تكسرهم فالآن يا أيها الملوك تعقلوا تأدبو يا قضاة الأرض اعبدوا الرب بخوف واهتفوا برعدة قبلوا ابن لثلا يغضب فتبيدوا من الطريق لأنه عن قليل يقد غضبه طوبي لجميع المتخلين عليه".

ثانياً: وهذا هو النص على الروح القدس: "إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونِي فَاحْفَظُوا وَصَائِيَّايَ، وَإِنَا أَطْلَبُ مِنَ الْآبِ فَيُغْطِيْكُمْ مُعَزِّيَا آخِرَ لِيَنْكُثْ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبِدِ، رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لَأَنَّهُ لَا يَرَاهُ وَلَا يَعْرِفُهُ، وَإِنَّمَا أَشْتَمْ فَقْعَرْوَنَةَ لَأَنَّهُ مَا كَثُرَ مَعَكُمْ وَتَبَرُّوْنَ فِيهِمْ. لَا أَكُوْرُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي أَنِّي إِلَيْكُمْ بَعْدَ قَلِيلٍ لَا يَرَانِي الْعَالَمُ أَيْضًا، وَإِنَّمَا أَشْتَمْ شَرْوَنَةَ. إِنِّي أَنَا حَيٌّ فَأَشْتَمْ سَتْحِيَّونَ. فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا فِي أَبِي، وَأَشْتَمْ فِي، وَإِنَا فِيهِمْ. الَّذِي عِنْدَهُ وَصَائِيَّايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبِّيَنِي، وَالَّذِي يُحِبِّيَنِي يُحِبُّهُ

قول مخترع من عند أنفسهم. فإن جميع الكتب السماوية آمرة بخلافه ناطقة بأن الله تعالى واحد لا شريك له منزه عن شائبة التعدد، أزلى أبدى لا يموت أبداً، قادر، يفعل ما يشاء. ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاتيه. ولكثره شواهد هذا الأمر وشهرته في تلك الكتب؛ غير محتاج إلى البيان. فهو سمات أهل التثليث باستبطانهم أدلة على تلك العقيدة الفاسدة من بعض كتب الأنبياء؛ لا تتم على العاقل من الصبيان لأنها في الحقيقة تحريف لمعانيها ومرودة، في مقابلة النص الصريح الموافق للبراهين العقلية.

وأصل ضلالهم شيئاً:

أحدهما: أنهم أرادوا الغلو في المسيح الظاهر معاندة لليهود الذين كذبوا وظلموا؛ فصارت اليهود في جانب وهم في جانب آخر.

الثاني: أنهم وجدوا في بعض الكتب ألفاظاً مشتبهة بعضها صح نقلها عن الأنبياء؛ فحرفوا معانيها وبعضها لم يصح نقلها. وقد جاء في

أبي، وأباً أحجه، وأطهر له ذاتي. قال له يهوداً ليس الإسْخَرُ بِوْطِي: يا سيد، ماذَا حَدَّثَتْ حَتَّى إِنَّكَ مُزَمِّعٌ أَنْ ظَهَرَ ذَلِكَ لَنَا وَلَنْسَ لِلْعَالَمِ؟ أَحَادِيبَ يَسْوَغُ وَقَالَ لَهُ: إِنْ أَحَبْتِي أَحَدَ يَحْفَظُ كَلَامِي، وَيَجْبِهُ أَيْسِي، وَإِنْ لَمْ ثَلَثِي، وَعِنْدَهُ تَصْنُعُ مُنْزِلَةً. الَّذِي لَا يَجْعَلُنِي لَا يَحْفَظُ كَلَامِي. وَالْكَلَامُ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ لِي بَلْ لِلْأَبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي. بِهَذَا كَلَمَكُمْ وَأَنَا عَنْكُمْ: وَأَمَا الْمُعَزَّيُ، الرُّوحُ الْقُدُّسُ، الَّذِي سَيَرَّنِي إِلَيْكُمْ بِاسْمِي، فَهُوَ يَعْلَمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَذَّكُرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُ لَكُمْ. سَلَامًا أُتُرُكَ لَكُمْ، سَلَامًا أَغْطِيكُمْ. لَيْسَ كَمَا يَعْنِتُ الْعَالَمُ أَغْطِيكُمْ أَنَا. لَا يَضْنُرُنِي قُلُوبُكُمْ وَلَا ئَرْهَبُنِي. سَمِعْتُمْ أَنِّي قُلْتُ لَكُمْ: أَنَا أَذْهَبُ ثُمَّ أَتِي إِلَيْكُمْ. لَزَكْشَمْ تَجْبُونِي لَكُشْمَ تَفْرُحُونَ لَأَنِّي قُلْتُ أَنْفُسِي إِلَيْكُمْ، لَأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي. وَقُلْتُ لَكُمْ الآنَ قَبْلَ أَنْ يَكُونُ، حَتَّى مَتَّ كَانَ تُؤْمِنُونَ. لَا أَكَلِمُ أَيْضًا مَعْكُمْ كَثِيرًا، لَأَنَّ رَبِّنِي هَذَا الْعَالَمُ يَأْتِي وَلَيْسَ لَهُ فِي شَيْءٍ. وَلَكِنْ لِيَفْهَمُ الْعَالَمُ أَنِّي أَحِبُّ الْآبَ، وَكَمَا أُوْصَانِي الْآبُ هَكُذا أَفْعُلُ. قُوْمُوا تَنْظَلُنِي مِنْ هَهُنَا"

آخر إنجيل متى أنه قال لهم: "اذهروا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن وروح القدس" وهذا اللفظ إن صح نقله. فروح القدس هو جبريل، والآب هو الله والابن هو عبده ورسوله المسيح. ومن عادتهم: يسمون الرب أباً والعبد المطيع ابنا، كما في أناجيلهم أن المسيح قال لهم: "تشبهوا بأبيكم السماوي" وقال لهم أيضًا: "إنى صاعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم" فقد جعل المسيح - فيما ينقلونه عنه - أن الله أب لهم كما هو أب له، وهم متقوون على أنهم عبيد مخلوقون، وأن الله ربهم. فكذلك المسيح عبد مخلوق والله ربه. فيكون الآب والابن وروح القدس معناه الإيمان بالله وبرسوله المسيح، وأن جبريل هو روح القدس، الذي يجيء بالرسالة من الله، وهو رسول الله إلى مريم في النفح. كما قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحًا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقْتِلَنِي قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ لَا هُبَّ لَكَ غَلَامًا زَكِيًّا ﴾ فالمراد بالروح هنا: جبريل وقال تعالى: ﴿ وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرِيمَ الْبَيْتَنَاتِ وَأَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ ﴾ وهذا الذي كان ينزل عليه شبه الحمامة على ما نقله متى الإنجيلي. فإذا كان الله قد أمرهم أن يؤمنوا بربهم الذي يسمونه أباً وبرسوله المسيح الذي يسمونه هو وغيره ابنا، ويؤمنوا بروح القدس الذي هو جبريل وهو رسول الله النافخ في مريم الذي جاء لل المسيح بالوحى؛ كان هذا أمراً موافقاً لما جاءت به الرسل، وهو موافق للعقل. بخلاف قولهم. فإنه مختلف له وللكتب التي جاءت بها الرسل. ويرشدك

إلى هذا: كون هذه العقيدة الفاسدة ما كانت في أمة من الأمم من عهد آدم إلى عهد يحيى عليهما السلام. أما كونها غير ثابتة في شريعة موسى ومن قبله من الأنبياء -عليه وعليهم السلام- فغير محتاج إلى البيان. ومن طالع هذه التوراة المتداولة الآن لا يخفى عليه هذا الأمر. وأما يحيى عليهما السلام فعلى ما نقلت أناجيلهم أنه كان إلى آخر عمره شاكاً في المسيح عليهما السلام بأنه هو المسيح الموعود به أم لا. كما صرخ بذلك متى في العدد الثاني من الأصحاح الحادى عشر من إنجيله فقال فيه هكذا: "أما يوحنا فلما سمع في السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلامذته وقال له: أنت هو الآتي أن ننتظر آخر" انتهى.

ولو كان المسيح رباً وإليها يلزم كفر يحيى عليهما السلام إذ الشك في الإله كفر وكيف يتصور من يحيى أن لا يعرف الإله مع أنه نبيه وهو الذي أرسله على زعم أهل التثلث - بل هو أفضل الأنبياء بشهادة المسيح - على ما حکاه متى في العدد الحادى عشر من الأصحاح المذكور -؟ فإذا لم يعرفه يحيى عليهما السلام الذي هو أفضل الأنبياء مع كونه معاصرًا له؛ فعدم معرفة الأنبياء الآخرين السابقين على المسيح عليهما السلام أحق بالاعتبار. وعلماء اليهود والسامرة من لدن موسى عليهما السلام إلى هذا الزمان لا يعترفون بهذه العقيدة أصلًا . وعلوم للعقل من الصبيان أن ذات الله تعالى وصفاته الكمالية قديمة غير متغيرة؛ ولو كان التثلث حقا، لكان الواجب على موسى عليهما السلام وبقية الأنبياء من بنى إسرائيل ومن قبلهم من الأنبياء والمرسلين أن يبينوه حق التبيين بأوضح عبارة وأجلى بيان.

فالعجب كل العجب أن تكون الشريعة الموسوية التي كانت واجبة الإطاعة لجميع أنبياء بنى إسرائيل إلى عهد المسيح عليه السلام خالية عن بيان هذه العقيدة التي هي مدار النجاة على زعم أهل التثليث، ولا يمكن نجاة أحد بدونها،نبياً كان أو غيره فموسى عليه السلام ما بينها ولا غيره من الأنبياء ببيان واضح، بحيث تفهم هذه العقيدة صراحة، ولا يبقى فيها شك أصلا مع أن موسى عليه السلام قد بين الأحكام العملية، كالسبت والختان وغيرهما بالبيان الواضح التام، وكسرها مرة بعد أولى وكرة بعد أخرى، وأكده على محافظتها تأكيداً بلغاً، وأوجب القتل على تارك بعضها.

والأعجب من هذا أن المسيح عليه السلام ما بينها أيضاً إلى وقت عروجه إلى السماء ببيان واضح، مثلاً بأن يقول إن الله ثلاثة أقانيم الآب والابن وروح القدس، وأنفونم الابن تعلق بجسمى بعلاقة كذا أو بعلاقة فهمها خارج عن إدراك عقولكم، فاعلموا أنى أنا الله لا غيري؛ لأجل العلاقة المذكورة. أو يقول كلاما آخر مثل هذا في إفاده المعنى صراحة لكنه عليه السلام لم يقل من ذلك شيئا وإنما تبرأ من نسبة ذلك إليه وتوجه إلى الله متضرعا رافعا نظرة الشريف نحو السماء الذي هو قبلة الدعاء. وقال: "الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته" كما صرخ بهذا يوحنا في الأصحاح السابعة عشر من إنجيله.

فقد بينَتْ الكتبةُ فِي هَذَا القُولُ أَنَّ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ عَبَارَةٌ عَنْ أَنْ يَعْرَفَ النَّاسُ أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ حَقِيقِيٌّ وَأَنَّ عِيسَى الْمَسِيحَ رَسُولُهُ وَمَا قَالَ أَنَّ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ أَنْ تَعْرَفَ النَّاسُ أَنَّ ذَاتَكَ ثَلَاثَةَ أَقَانِيمَ مُمْتَازَةً بِاِمْتِيَازٍ حَقِيقِيٍّ، وَأَنَّ عِيسَى أَحَدُ هُؤُلَاءِ الْثَلَاثَةِ أَوْ أَنَّهُ إِنْسَانٌ كَامِلٌ. وَإِلَهٌ كَامِلٌ فَلَوْ كَانَ اِعْتِقَادُ التَّتْلِيثِ لَهُ دَخَلٌ فِي النَّجَاهِ؛ لِبَيْنِهِ الْكِتَابَ فِي حَالِ دُعَائِهِ. وَإِذَا ثَبَتَ مِنْ كَلَامِهِ الْكِتَابَ أَنَّ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ هِيَ اِعْتِقَادُ التَّوْحِيدِ اللَّهُ تَعَالَى، وَاعْتِقَادُ الرِّسَالَةِ لِلْمَسِيحِ الْكِتَابَ فِي ضَدِّهِمَا يَكُونُ مُوتَّاً أَبْدِيًّا وَضَلَالًا بَيْنَ الْبَيْنَةِ. وَالْتَّوْحِيدُ الْحَقِيقِيُّ ضَدُّ لِلتَّتْلِيثِ الْحَقِيقِيِّ -كَمَا عَرَفْتُ- وَكَوْنُ الْمَسِيحَ رَسُولًا ضَدُّ لِكُونِهِ رَبًا وَإِلَهًا؛ لِأَنَّ التَّغَابِيرَ بَيْنِ الْمَرْسِلِ وَالْمَرْسَلِ ضَرُورِيٌّ. وَهَذِهِ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ تَوْجُدُ عِنْدَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ قَوْلَ الْمَسِيحِ الْكِتَابَ هُوَ عَيْنُ مَا يَعْتَقِدُهُ الْمُسْلِمُونَ فَهُمْ أَهْلُ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ بِشَهَادَةِ الْمَسِيحِ الْكِتَابَ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْأَقْوَالِ الْنَّقْلِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ اللَّهُ تَعَالَى صِرَاطَهُ إِلَّا هَذَا القُولُ؛ لِكُفَى فَمَا بِالْكَ لِإِذَا كَانَتْ أَنَّ لَا تَحصِي مِنْ كُثُرَتِهَا.

وَمِنْهُ: مَا وَرَدَ فِي الْعَدْدِ التَّاسِعِ مِنَ الْأَصْحَاحِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ إِنْجِيلِ مَرْقُوسَ نَقْلًا عَنْ كَلَامِ الْمَسِيحِ الْكِتَابَ حِينَ سَأَلَهُ بَعْضُ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ عَنْ أَوْلَى الْوَصَائِيَا فَأَجَابُوهُمْ هَكَذَا "إِنَّ أَوْلَى كُلِّ الْوَصَائِيَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فَكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الْأُولَى. وَثَانِيَةُ مِثْلِهَا هِيَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. لَيْسَ وَصِيَّةً أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتِئِنِّي. فَقَالَ لَهُ الْكَاتِبُ: حَيْدًا يَا مُعْلَمُ. بِالْحَقِّ قُلْتَ، لَأَكُونَ اللَّهُ وَاحِدًا وَلَيْسَ أَخْرَى سِوَاهُ. وَمَحْبَبَتِهِ مِنْ كُلِّ الْقَلْبِ، وَمِنْ كُلِّ الْفَهْمِ، وَمِنْ

كُلَّ النَّفْسِ، وَمِنْ كُلِّ الْقُدْرَةِ، وَمَجْبَةُ الْقَرِيبِ كَالنَّفْسِ، هِيَ أَفْيَضُ مِنْ جَمِيعِ
الْمُحْرَفَاتِ وَالذِّبَايْحِ. فَلَمَّا رَأَهُ يَسُوعُ أَهْلَ أَجَابَ بِعُقْلٍ، قَالَ لَهُ: لَسْتَ بَعِيدًا عَنِ
مَلْكُوتِ اللَّهِ " انتهى . وفي العدد الأربعين من الأصحاح الثاني والعشرين
من إنجيل متى بعد أن نقل حكم الوصيتين المذكورتين؛ هكذا: "بهاتين
الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء " انتهى .

فعلم من هذا: أن أول الوصايا الإلهية التي تعلقت في جميع كتب
الأنبياء هو الاعتراف بأن الله واحد ولا إله غيره . ولو كان اعتقاد
التثليث له دخل ما في النجاة، لكان مبيناً في التوراة وجميع كتب
الأنبياء ببيان واضح كما بين التوحيد . ففي العدد الخامس والثلاثين من
الأصحاح الرابع من سفر الاستثناء من التوراة هكذا: "لتعلم أنَّ الربَّ
هو الله وليس غيره . فاعلم اليوم وأقبل بقلبك أنَّ الربَّ هو الإله في
السماء من فوق، وعلى الأرض من تحت وليس غيره" وفي العدد
الخامس من الأصحاح الخامس والأربعين من كتاب إشعياء هكذا: "أنا
هو الرب وليس غيري، وليس دوني إله شدتك ولم تعرفني ليعلم الذين
هم من مشرق الشمس، والذين هم من المغرب أنه ليس غيري أنا
الرب وليس آخر" انتهى .

فعلم من هذا أيضاً: أن الواجب على أهل المشرق وأهل المغرب
أن يعلموا أن لا إله إلا الله وحده، وأن يعلموا أن ليس دونه ولا بعده .
لا أن يعلموا أن الله ثالث ثلاثة وأن المسيح إليه كامل وإنسان كامل .
وفي العدد التاسع من الأصحاح السادس والأربعين من الكتاب المذكور

هكذا: "أني أنا الله وليس غيري إله، وليس لي شبه" وفي العدد الرابع من الأصحاح السادس من سفر الاستثناء هكذا "إن الرب إلهنا رب واحد. أحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك" وهذا هو من كلام موسى المطابق لما نقله مرقس ومتى عن المسيح في حكم الوصيتيين السالفتين.

فإن قالوا: إن قول المسيح "الرب إلهنا رب واحد" لا يخرجه عن كونه ربا وإلهاء؛ لأنه قال ذلك بحسب الناسوت والجسم، لا بحسب اللاهوت. فهو باعتبار الجسم إنسان وباعتبار اللاهوت إله. فيقال إلىزاماً لهم وجلاء لأوهام قلوبهم: إن موسى عليه السلام قال ذلك أيضاً بحسب الناسوت والجسم لا بحسب اللاهوت إله. وترجح عيسى عليه موسى عليه السلام ترجح بلا مرجع. فإن قالوا كما يقول بعض جهالنهم: قد وجدنا مرجحات شتى. فإن عيسى عليه السلام قد أحى الموتى وأبرا الأكمه والأبرص من برمه بخلاف موسى وغيره من الأنبياء. فيقال: إن هذا الاستدلال ضعيف جداً، ولا يكون موجباً للألوهية فإن موسى عليه السلام قد قلب العصا التي هي من الجمادات حية ذات روح، وصارت تتوقف ما ألقته السحرة من تخيلاتهم. فهذا العمل أبلغ من إحياء الموتى لأن قلب العصا حية أبلغ في العقل من إعادة الشخص الميت حيا وأبلغ في القدرة. فلو كان إحياء الموتى موجباً للألوهية لكان موسى عليه السلام أحق بها منه؛ لأن عمله أبلغ من عمله. وكذلك حزقيال أحق بها منه؛ فإنه قد

أحيى ألوهاً من الأموات وهي عظام باليه^(١). كما هو مُصرح به في الأصحاح السابع والثلاثين من كتاب حزقيال، وكذلك إيلياه العظيم قد أحيى ميتاً، كما هو مُصرح به في الأصحاح السابع عشر من سفر الملوك الأول. واليسع العظيم أحيَا ميتاً أيضاً كما هو مُصرح به في الأصحاح الرابع من سفر الملوك الثاني. وصدرت هذه المعجزة عنه بعد موته. فإن ميتاً ألقى في قبره ولما مسَّ عظام اليسع؛ عاش الميت وقام على رجليه. كما هو مُصرح به في الأصحاح الثالث عشر من سفر الملوك الثاني، وقد أبرأ الأبرص من برصه أيضاً كما هو مُصرح به في الأصحاح الخامس من السفر المذكور فلو كان إحياء الموتى موجباً للألوهية؛ للزم أن يكون جميع هؤلاء الأنبياء آلهة. والعياذ بالله تعالى.

و كذلك مما يستدللون به على ألوهيته: كونه صعد إلى السماء. مع أن هذا الاستدلال أشد ضعفاً من الأول؛ لأن أخنوح وإيلياه عليهمما السلام قد صعدا إلى السماء أيضاً، كما هو مُصرح به في كتب العهد العتيق. فلو كان صعوده إلى السماء موجباً للألوهية، لكان أخنوح

(١) إحياء حزقيال: هو تمثيل لحال بنى إسرائيل فإنهم لما وقعوا في أسر ملك بابل، وصاروا تحت العبودية لملك بابل؛ كانوا كأنهم أموات -مجازاً- وكذلك كان حال اليهود لما صاروا تحت الفرس واليونان والروم. كانوا أمواتاً -مجازاً- فلما جاء الإسلام صاروا أحياء لأن محمداً هو الذي أزال عنهم حكم الروم وقد بين هذا قوله تعالى: «ثُمَّ أَحْيَاهُمْ»

وإلياء عليهما السلام أحق بها منه لسبقهما عليه في الصعود والوجود، بل أخونج جده الأكبر، فلا يسع المسيح أن يتقدم عليه في هذه الرتبة السنية؛ وكذلك مما يستدلون به على ألوهيته كونه ولد بلا أب، مع أن هذا الاستدلال أونهى من بيت العنكبوت، ولا يكون موجباً للألوهية، لأننا لو نظرنا إلى نوع الإنسان فقط. فآدم عليه السلام بلا أب وأم فيفوق على المسيح عليه السلام في كونه بلا أب، فهو أحق بالألوهية منه. وكذلك ملكي صادر الكاهن المعاصر لإبراهيم عليه السلام بلا أب، بلا أم، بلا نسب لا بداية أيام له ولا نهاية حياة كما صرخ بذلك بولس مقدس المسيحيين في الأصحاح السابع من رسالته العبرانية. فهذا أبلغ من آدم على حكم بولس ويفوق على المسيح بكونه بلا أب وفي كونه لا بداية أيام له ولا نهاية حياة بخلاف المسيح عليه السلام كما لا يخفى؛ فهو أحق بالألوهية من المسيح وآدم عليهما السلام لأنه لا فرق بينه وبين الإله الحقيقي خالق السموات والأرضين. نعوذ بالله أن نكون من الجاهلين الذين يقولون على الله ما لا يعلمون.

وما يتمسكون به: إطلاق لفظ ابن الله على المسيح عليه السلام فيحملونه على البنوة الحقيقة، مع أن هذا اللفظ قد كثر إطلاقه على العبد الصالح في كتبهم المقدسة على طريق المجاز بمعنى ابن المحبة، كما يقال فلان من أبناء الدنيا. ونظير ذلك: قول المسيح عليه السلام في خطاب الحواريين: "تشبهوا بأبيكم السماوي" وما يتمسكون به على الاتحاد والمتساواة ما نقله يوحنا في العدد الثلاثين من الأصحاح العاشر

من إنجيله عن قول المسيح ﷺ : "أنا والآب واحد" فهذا القول يستدلون به على المساواة والاتحاد؛ الله عزّ وجلّ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا فإن هذا القول لو أفاد المساوى والاتحاد للزم ثبوتهما للحواريين أيضًا. لأن المسيح ﷺ قال فيما نقله عنه يوحنا في العدد الحادى والعشرين من الأصحاح السابع عشر من إنجيله هكذا: "كما أنك أیها الآب فيَ وأن فيك؛ ليكونوا هم أيضًا واحدًا فينا" فلو كان هذا الإطلاق موجباً للألوهية لكان كل من أطلق عليه هذه اللفظ إليها أو ابن الله حقيقة -والعياذ بالله تعالى -

وقد جاء إطلاق لفظ الإله على المخلوقين من الناس فضلاً عن إطلاق لفظ ابن الله في كثير من المواقف. فمن ذلك: قول رب في خطاب العوام من الناس: "أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلي كلكم" كما هو مصرح به في العدد السادس من الأصحاح الثاني والثلاثين من الزبور. ففي هذا القول تصريح في جواز إطلاق لفظ الإله وابن الله على العوام من الناس فضلاً عن المؤمنين. كما صرّح بذلك في الأصحاح الرابع من رسالته الأولى لأهل كورنثيوس.

وكذا جاء إطلاق لفظ رب على المخلوق، بمعنى المخدوم والمعلم في كثير من مواضع كتبهم المقدسة. يعني عن نقل شواهد؛ التفسير الواقع في العدد الثامن والثلاثين من الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا في خطاب التلاميذ للمسيح ﷺ حيث فيه هكذا: "فقالا: ربّى. الذي تفسيره يا معلم أين تمكث؟"؟ فعلم من هذا التفسير: أن اطلاق لفظ

الرب على المخلوق يكون بمعنى المعلم لا بمعنى الخالق والمعبود، كما هو مزعمون. وقد يستدللون على الوهية المسيح وقدمه بما ورد من تسميتها كلمة الله ويقولون: إنه قديم غير مخلوق، كما تقولون: إن القرآن قديم غير مخلوق. مع أن هذا الاستدلال لا يتم على العاقل من الصبيان. والفرق بينهما ظاهر فإنه قد يراد بلفظ الكلام المفهوم وهو المخلوق والمصنوع بالكلام، كما يراد بلفظ القدرة. المقدور كقول القائل لما يشاهده من الآيات: هذه قدرة عظيمة. ومن هذا تعميم المسيح عليهما السلام كلمة الله. فإن الله خلقه بكلمته أى بقوله كن فكان قال تعالى: **(لَإِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)** ف قوله أى خلق آدم من تراب. ثم قال له: كن؛ فكان بلا واسطة أب ولا أم فشبه حال عيسى عليه السلام بما هو أغرب وأعجب إفحاماً للخصم وقطعاً لموارد الشبهة، والمسيح لم يخلقه من تراب وإنما خلقه ليتداء بقوله "كن" من غير تراب، ولا على الوجه الذي خلق عليه غيره من البشر، بل خلق بخرق العادة. فكونه بكلمة كن. ولهذا سمي كلمة الله دون غيره من المخلوقات. وهذا يقتضي أن يكون المسيح آية من آيات الله كما قال تعالى: **(وَجَعَلْنَا هُنَّا وَأَنْتَ أَيْةً لِّلْعَالَمِينَ)** وذلك لبيّن عموم فدرته. فإنه سبحانه وتعالى خلق النوع البشري علىسائر الوجوه الممكنة. خلق بعضه من غير ذكر ولا أنثى، وهو آدم عليه السلام وخلق بعضه من ذكر بلا أنثى وهو حواء، وخلق بعضه من أنثى بلا ذكر وهو

المسيح عليه السلام، وخلق بقية الخلق من الزوجين، الذكر والأنثى.
فقمت حينئذ أنواع الخلق والإيجاد.

ولا يقتضي أن يكون المسيح عليه السلام بهذه الخاصية أفضل من غيره من المرسلين، فضلاً عن أن يكون رباً إليها أو ابن الله حقيقة، كما هو مزعومهم. فإن آدم عليه السلام مع كونه خلقه من غير الزوجين، ثم قال له كن فكان لم يفضل على من قال له كن فكان، فاليسخ إذ خلقه بكلمته بدون واسطة رجل لا يقتضي أن يكون أفضل من موسى وإبراهيم المخلوقين في الرحمة بسنة الله وعادته، فضلاً عن أن يكون رباً إليها أو ابن الله حقيقة، وإنما يدل ذلك على أن المسيح عليه السلام آية من آيات الله.

وكذلك قد يتمسكون بما ورد في المسيح من قوله تعالى: «روحُ^١
منْهُ» ويقولون: إذا كان المسيح (روح الله؛ فلابد أن يكون في مرتبة

(١) وعد الله بنى إسرائيل بمجيء نبى مثل موسى سو هو محمد رسول الله - والوعد يُعرف بالكلمة. فلذلك لقب محمد بلقب "كلمة الله" وأمر إشعيا النبي أن يذكر بمجيئه، وأن يعزى بنى إسرائيل في أنه سيُنزع الملك منهم وسيُنسخ التوراة. وكان كل نبى يأتي من بعد إشعيا كان يبشر بمحمد بلقب كلمة الله. فيحيى عليه كلمة الله. أى التبشير برسول الله. والمسيح أيضاً كان يكرز بالكلمة، وتلاميذه من بعده. فلما بشر جبريل مريم (وَكَلَّتُهُ الْأَنَاءُ إِلَى سَرِيرِهِ) كان يعني بالكلمة الملاقاة: تعريفها بالنبي الآتى، وأن ابنها سوف يبشر به. وألهما أن النبي المبشر به هو الملقب بالروح في سفر إشعيا النبي.

أولاً: النص على الكلمة: "عزوا عزوا شعبي يقول إلهكم طيبوا قلب أورشليم

الاوهية لأن روح الله لا تكون أقل من الله، مع أن هذا لا يقتضي ذلك فإن قوله: **(رُوحِي)** بلغ من قوله **(وَرُوحٌ مِنْهُ)** وقد قال في آدم عليه السلام في سورة الحِجْر وسورة ص أيضاً: **«فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَفَصَّلْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ»** وقال سورة السجدة في حقه أيضاً: **«ثُمَّ سَوَّاهُ وَفَنَّخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ»** فهذا آدم عليه السلام قد أطلق الله على نفسه الناطقة أنها

ونادوها بان جهادها قد كمل أن إتمها قد عفي عنه إنها قد قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها صوت صارخ في البرية اعدوا طريق الرب قوموا في القفر سبيلا لالهنا كل وطاء يرتفع وكل جبل وأكمة ينخفض ويصير المعوج مستقيما والعرقيب سهلا فيعلن مجد الرب ويراه كل بشر جميما لأن فم الرب تكلم صوت قائل ناد فقال بماذا أنا ذي كل جسد عشب وكل جماله كزهر الحقل يبس العشب نبل الزهر لأن نفحة الرب هبت عليه حقا الشعب عشب يبس العشب نبل الزهر وأما كلمة الهنا فثبتت إلى الأبد.

ثانياً: النص على الروح: "هذا عبدي الذي أعضده مختارى الذي سرت به نفسى وضعت روحي عليه فيخرج الحق للألم لا يصبح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته قصبة مرضوضة لا يقصف و فتيلة خامدة لا يطفئ إلى الأمان يخرج الحق لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض و تنتظر الجائز شريعته هكذا يقول الله رب خالق السموات و ناشرها باسط الأرض و نتائجها معطى الشعب عليها نسمة و الساكنين فيها روها أنا الرب قد دعوتكم بالبر فامسك بيديك واحفظكم و أجعلكم عهدا للشعب و نورا للألم لفتح عيون العمى لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة أنا الرب هذا اسمى و مجدى لا أعطيه لا آخر ولا تسبيحي للمنحوتات هؤلا الأوليات قد أنت والحديثات أنا مخبر بها قبل أن تتبت أعلمكم بها"

روحه وقد أضافها إليه فقال **(رُوحِي)** ومع هذا فهو مخلوق فقوله في المسيح وروح منه أولى أن يكون مخلوقاً. وقال تعالى في سورة مريم في جبريل عليه السلام: **«فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحًا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا»** وقد قال فيه أيضاً: **«قُلْ تَرَلَهُ رُوحٌ الْقَدُّسٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ»** وقال فيه أيضاً: **«نَزَّلْنَا بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ»** فهذا جبريل قد أطلق عليه الروح الأمين وروح القدس وأضافه إلى نفسه، ومع هذا فهو مخلوق فقوله في المسيح **(وَرُوحٌ مِنْهُ)** لا يقتضي أن يكون في رتبة الألوهية، وهو أولى أن يكون مخلوقاً. وقد قال تعالى: **«وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ»**؛ وذلك كله مخلوق وقال تعالى: **«وَمَا بِكُمْ مِنْ شَعْمَةٍ فِي مِنَ اللَّهِ»** فإذا كانت النعم التي بنا وما في السموات وما في الأرض من الله وهي مخلوقة، فما المانع أن يكون المسيح روحًا من الله وهو مخلوق؟

ووُقِعَ في العدد الرابع عشر من الأصحاح السابع والثلاثين من كتاب حِزقيال قول الله تعالى في خطاب ألف من الناس الذين أحياهم بمعجزة حِزقيال هكذا: "فَأَعْطِيَ فِيكُمْ رُوحِي فَتُحْيِيُونَ" فهؤلاء الألف من الناس قد أطلق على أنفسهم الناطقة الإنسانية أنها روحه، ومع هذا فهم مخلوقون. ولو كان ذلك موجباً للألوهية للزم أن يكون كل هؤلاء الناس آلة، على حكم كتاب حِزقيال، وأن يكون آدم وجبريل عليهما السلام الهين والعبياذ بالله تعالى فالحق: أن المراد بالروح في قوله

تعالى ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ النفس الناطقة الإنسانية والمضاف إليه محنوف. أي ذُو روح منه. أضيف إليه تشريفاً فلا ينبغي للعقل أيها الليب أن يستدل بمجرد إطلاق هذه الألفاظ وأمثالها على الحوادث التي حدوثها وتغيرها مشاهد ومحسوس بحاسة البصر بأنه إله أو ابن الله حقيقة، وينبذ البراهين العقلية والنصوص النقلية الدالة على منع ذلك وراء ظهره فإنه قد تقرر في بداعه العقول أن الله سبحانه قديمٌ قديرٌ غنيٌ أزليٌ أبدى ليس كمثله شيءٌ واجب الوجود لذاته منزه عن كل وصفٍ لا كمال فيه، وأما عيسى عليه السلام فهو عبارة عن هذا الشخص الجسماني المساوي لنا في الخلقة، الذي وُجد بعد أن كان معذوماً وقتل وصلب على زعمهم بعد أن كان حياً وكان طفلاً ويحدث وينام ويقوم وتعتريه الأسماء والهموم ومعلوم أن المحدث لا يكون قديماً والمحتاج لا يكون غنياً، والممكن لا يكون واجباً والعاجز لا يكون قادراً والمتغير لا يكون دائماً .

وقد ثبت من هذا الإنجيل أنه عليه السلام كان عظيم الرغبة في العبادة لله تعالى فكان يجهد نفسه في الصلاة والصوم والزهدادة في الدنيا الدنيوية وكان يكثر من التضرع والابتهاج والمناجات والسؤال؛ فلو لم يكن عبداً من عبيد الله تعالى لاستحال أن تتحقق هذه الأعراض الدالة على الحدوث والافتقار. ولو كان رباً وإلهاً فمن كان يعبد؟ ومن كان يتضرع إليه وينعوّل في أموره عليه؟ هل كان رب أعظم منه أو رب

مساوٍ له أو كان يعبد أحداً من العباد؟ ولعمري أن اشتغاله بعبادة الله تعالى أدل دليل على كونه عبداً من العبيد الآخيار، المطيعين للأبرار.

وما ألطف ما نقله عنه متى في العدد السادس عشر من الأصحاح التاسع عشر من إنجيله حين خاطبه أحد اليهود بقوله: "أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية؟ فقال له: لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله" وهذا القول منه الكتاب يقلع شرشر التثليث من أصله. وما رضى الكتاب تواضعاً منه أن يطلق عليه لفظ الصالح فلو كان رباً وإلهاً لما كان قوله معنى، بل كان الواجب عليه أن يبين أن لا صالح إلا أنا والآب وروح القدس، ولم يؤخر البيان عن وقت الحاجة لأن ذلك مدار النجاة من العذاب الأليم الدائم في نار الجحيم، وحيث ثبت من قوله أنه لم يرض بإطلاق لفظ الصالح عليه، فكيف يرض بأقوال أهل التثليث التي يتغافلون بها في أوقات صلواتهم: "يا ربنا وإلينا يسوع المسيح لا تضيع من خلقت بيديك...؟"

حاشا جنابه الشريف أن يرضى بذلك. ولنلا يتقولوا عليه هذه الأقاويل الفاسدة التي تقشعر من ذكرها الأبدان ويذبحها البرهان؛ قد صرح لهم في منع ذلك وسوى بينه وبينهم عند صعوده إلى السماء أيضاً بقوله: "إنى صاعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم" كما صرح بذلك يوحنا في الأصحاح العشرين من إنجيله. ولما كان هذا بعد ما قام عيسى الكتاب من الأموات على زعمهم قبل عروجه إلى السماء بقليل؛

ثبت أنه كان يصرح لهم أنه عبد الله إلى زمان عروجه. وهذا القول يطابق ما حكى الله عنه في القرآن المجيد: «مَا قَلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمْرَتِنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ» ولقد نقل متى في الأصحاح السابع من إنجيله قوله: "ليس كل من يقول لي: يارب يارب يدخل ملكوت السموات بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات. كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم: يارب يارب أليس باسمك تتبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟ فحينئذ أصرح لهم أني لم أعرفكم قط. اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم"

فلله الحمد نحن الذي فعلنا إرادة الله تعالى وما أحد من أهل الدين الإسلامي الحنيف دعا به يارب أصلًا بل ينفون ربوبيته المطلقة من كونه إليها أو ابن الله، فنحن أحباوه الذين عرفناه بحقه وأحللناه محله والله در من قال:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحًا فيه واحتكم

والعجب كل العجب من المسيحيين بعد أن أفرطوا في تعظيمه وتغالوا في مدحه وتكريمه حتى أخرجوه عن نوع الإنسانية وأثبتوا له الربوبية أفرطوا في حقه غاية التفريط فزعموا أن اليهود وهم أحرق الناس تسلّطاً على فقادوا مكتوف اليدين وقتلوه وصلبوه وجعلوا شوك القتاد لرأسه إكليلًا، إهانة له وتذليلاً.

وزعموا: أن صلبه كان كفارة لخطيئة البشر التي لحقتهم بسبب^(١) أكل أبيهم آدم طه من الشجرة، وأن كافة الناس قبل صلبه كانوا في الجحيم، حتى الأنبياء والرسل كموسى وإبراهيم.

وهو قول فاسد ورأى كاسد لا يوافقهم عليه عاقل لوجوه:
الأول: أن الكتب الإلهية متفقة على عدم مؤاخذة أحد بذنب غيره ففي العدد العشرين من الأصحاح الثامن من كتاب حزقيال هكذا: "النفس التي تخطئ هي تموت. الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الابن. عدل العادل يكون عليه، ونفاق المنافق يكون عليه" وفي القرآن الكريم: «وَلَا تَرُوا زِرَّاً خَرَى» فلو فرضنا أن آدم طه أخطأ فكيف لحقت خطيبته أولاده إلى عهد المسيح طه سيماما إذا أضفنا ذلك إلى الأنبياء الذين لم يفتروا لحظة عن طاعة الله تعالى وإيجاد النفس فيما فيه رضاها؟ وكيف لحقت الأطفال أيضاً الذين ماتوا قبل أن يكلفوا بشيء وتكلب عليهم الذنوب ويعذبوا في الجحيم؟ حاشا وكلا بل الله ع الحكم عدل لا يجازي الأبناء بذنوب الآباء. وما قالته النصارى محضر افتراء حدث من عند أنفسهم.

(١) في الأصحاح العاشر من سفر الحكمة أن آدم تاب، والله قبل توبته "والحكمة هي التي حمت الإنسان الأول، أب العالم، الذي خلق وحده لما سقط في الخطيئة، رفعته من سقوطه، ومنحته سلطة على كل شيء" [حكمة ١٠ : ٢-١] ويقول الله في القرآن عن الحكمة: «رَوَىَ الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُتْلَوْا أَلْبَابِ» أشار بالتنكير إلى أهل الكتاب. فإنهم قرروا كتبهم وغفلوا عنها.

الثاني: أن آدم عليهما السلام قد تاب من ذنبه والله سبحانه يقبل توبة الكافر من كفره الذي هو أعظم الذنوب فكيف لا يقبله من ذنب صغير صدر من غير تعمد؟ ومع هذا فالله سبحانه قد جازاه بإهباطه إلى الأرض دار المشقة والنصب. وهذا الجزاء كافٍ. فما الموجب لإدخاله وأولاده نار الجحيم بسبب ذنب صغير تاب منه وجوزى عليه؟

الثالث: إذا كان إبراهيم وموسى عليهما السلام متلبسين بهذه الخطيئة ومن أهل الجحيم إلى وقت الصليب، فكيف اصطفاهما ربهما فأخذ أحدهما خليلاً والأخر كليناً؟ وقد ورد في العدد السابع من الأصحاح الأول من الزبور هكذا: "لَا تَقُومُ الْأَشْرَارُ فِي الدِّينِ، وَلَا الخطأة فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ" فإذا كان إبراهيم وموسى عليهما السلام من أهل الخطيئة على زعم النصارى فكيف دخلا في جماعة رب، فكان أحدهما كليناً والأخر خليلاً؟

الرابع: إذا كان آدم عليهما السلام خالف أمر ربه في أكله من الشجرة فما الموجب لصلب ابنه كفاره لذنب عبد من عبيده سيما إذا لاحظنا ما جاء في هذا الإنجيل من أن ابنه المسيح كان يتضرع إلى أبيه ويستغيث في أن يصرف عنه هذا الكأس؟ وهل هذا -ولله المثل الأعلى- إلا كملك خالقه أحد رعيته، فعمد ذلك الملك إلى قتل ولده وفلذة كبده كفاره لذنب ذلك الخطأ الجنائى، وابنه يستغاث به في رفع عقاب ذنب جناه غيره من رعاياه ويقول: يا أباى مالك تعاقبني على ذنب غيرى وقد كنت أرجو عفوك عنى لو كنت أنا المذنب؟ فهل يتصور أحد وقوع ذلك؟

وإذا وقع فعل أحد يعذ ذلك الملك حكيمًا عادلاً؟ حاشا وإذا كان آدم النبي
أخطأ مع الله في أكله من الشجرة فما نسب المسيح النبي الذي يزعمون
أنه ابن الله الوحيد وكيف يرضي أبوه بقتله وإهانته؟ ولمَ لم يعذب آدم
الذي جنى تلك الخطيئة أو يقبل توبته أو يغفو عنه. وهو الذي يقبل
التوبة إن عباده ويغفو عن السيئات؟

الخامس: إنهم يقولون بحلول الله تعالى في المسيح واتحاده به
وعدم انفصاله عنه فإذا كان الأمر كذلك فإذا قُتل المسيح على زعمهم
فقد لحق القتل ذات الله تعالى لاتحاده به وعدم انفصاله عنه وإذا قالوا
إن القتل حل بناسوت المسيح فقط، قيل لهم: قد بطل الاتحاد إذا. فإن
الشرين لا يقال لهما متحدان إلا إذا لحق كل واحد منهما ما لحق الآخر
وإلا فليسا بمتحددين وحيث قالوا بالاتحاد ثم قالوا بقتل المسيح؛ لزمه
أن الله الحي الذي لا يموت قد قتل ومات، فحينئذ يقال لهم من دبر هذا
الكون بعده، هل دبر نفسه؟ – وهو محال – أم بقى معلمًا بغير إله دبره
وهو أشد استحالات؟ ولنعم ما قيل:

وقول في الحقيقة لا يقال	محال لا يساويه محال
بما منهم. ومنشأه الخيال	وفكر كاذب وحديث زور
تعالى الله ما قالوه كفر	وتنب في العواقب لا يقال

السادس: إنهم يزعمون أنه قام حيا بعد دفنه بثلاثة أيام وصعد
إلى السماء. فيقال لهم: من أحياه إذا كان هو الإله؟ هل هو أحيا نفسه

أو إله غيره كان حيا فأحياه؟ وكلاهما محل بعيد عن العقول السليمة والأذواق المستقيمة.

السابع: أن الكتب السماوية تصرح جميعها بإثبات صفات الكمال لله تعالى وتترزه عن صفات النقصان فلو صحت مقالة النصارى من كون المسيح ربا وإلها قد قتل؛ لصح أن يقال: سبحان قاتل نفسه، أو سبحان من غلبه اليهود. وشبه ذلك.

الثامن: أنه جاء في كتبهم المقدسة أن الأشرار يكونون فدية وكفارة للصديقين الأبرار. فلقد جاء في العدد الثامن عشر من الأصحاح الحادى والعشرين من الأمثال هكذا: "الشريء فدية للصديق، ومكان المستقيمين الغادر" وفي العدد الثامن من الأصحاح الحادى عشر من السفر المذكور هكذا: "الصديق ينجو من الضيق ويأتى الشريء مكانه"

فهذا القول صريح في أن الأشرار يكونون فدية وكفارة للصديقين الأبرار؛ فلو صحت مقالة النصارى من أن المسيح صلب وقتل؛ فدية عن العالم لتكفير خطاياهم؛ للزم أن يكون المسيح على حكم كتبهم المقدسة شريراً. والعياذ بالله تعالى، بل يلزم أن يكون المجروس وعبد الوثن ومشركو الهند والصين أصدق وأبر منه - والعياذ بالله تعالى - ويلزم أن يكون النصارى الذين يدعونه بياربنا وإلها؛ أبرز وأصدق منه، بل يلزم أن يكون اليهود أهل الكفر والجحود الذين صلبوه وقتلوه على زعمهم أبر وأصدق منه، لأنهم من العالم وزعموا أن صلبه كان

كفارة لخطايا جميع العالم. ففي العدد الثاني من الأصحاح الثاني من رسالة يوحنا الأولى هكذا: "يسوع المسيح البار هو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم" انتهى.

فإذا كان هو بار وكان كفارة عن العالم، فالعالم بأسره أبرار على حكم كتابهم المقدسة، بل هم أبر منه -والعياذ بالله تعالى- .

التاسع: أن المسيح الظاهر إذا كان قد صلب وقتل -على زعمهم- لأجل فداء البشر وتخلصهم من عذاب سقر؛ فيجب على النصارى أن يشكروا اليهود على صلبه وقتله، ويجزوهم خير الجزاء لأنهم هم الذين كانوا سبباً للفداء. ولا ينبغي أن يجزوا بالشر يهوذا الأسخريوطى ويلعنوه أشد اللعن، حيث أسلم ربه المسيح -على زعمهم- لليهود وارتدى على ذلك بثلاثين درهماً من الفضة؛ لأنه كان قد أغان على أمر نافع لجميع العالم.

العاشر: أنهم يزعمون^(١) أن المزمور السادس من مزامير داود في حق المسيح عليه السلام في آخره هكذا: "ابعدوا عنى يا فاعلى الإثم لأن الرب قد سمع صوت بكائي. سمع الرب تضرعى. الرب يقبل صلاتي. جميع أعدائى يخزون ويرتاعون جداً. يعودون وي الخزون بغتة" انتهى. فهذا القول يدل على أن الله قد أخذى أعداء المسيح وأبعدهم عنه فيقتضى عدم صلبه وقتلـه وهو الصحيح. ومصداقـه: قوله تعالى في كتابـه العزيـز: «وَمَا قُلْوَهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شَبَّهُ لَهُمْ» ولقد نقل يوحـنا في العدد الثالث والثلاثين من الأصحـاح السابع من إنجـيله قولـ المسيح عليه السلام حين أرسل رؤـسـاء اليـهـود خـدامـاً ليـمسـكـوه لـلـقـتـلـ هـكـذا "أـنـا مـعـكـمـ زـمانـاً يـسـيراً بـعـدـ، ثـمـأـمـضـيـ إـلـىـ الـذـيـ أـرـسـلـنـيـ. سـتـطـلـبـوـنـيـ وـلـأـتـجـدـوـنـيـ، وـحـيـثـ أـكـوـنـ أـنـاـ لـأـ تـفـدـرـوـنـ أـثـنـانـ أـنـ تـأـثـنـواـ" وقالـ في العدد الحادى والعشرين من الأصحـاح الثامـنـ من إنجـيلـ يـوـحـناـ أـيـضاـ هـكـذا "أـنـا أـمـضـيـ وـسـتـطـلـبـوـنـيـ، وـتـمـوـئـونـ فـيـ

(١) زعمـ المـسيـحـيـنـ باـطـلـ؛ لأنـ جـمـيعـ النـبـوـاتـ التـيـ فـيـ الزـبـورـ هـىـ عـنـ مـحـمـدـ وـفـيـ المـزمـورـ السـادـسـ يـتـكـلـمـ عـنـ حـرـوبـهـ معـ أـعـدـائـهـ وـيـقـولـ إـنـ اللهـ نـصـرـهـ عـلـيـهـمـ. وـالـمـسـيـحـ لـمـ يـحـارـبـ وـلـمـ يـنـتـصـرـ. وـهـذـاـ هوـ نـصـ المـزمـورـ ٦ـ: "يـاـ ربـ لـاـ تـوبـخـنـيـ بـغـضـبـكـ وـلـاـ تـوـدـبـنـيـ بـغـيـظـكـ اـرـحـمـنـيـ يـاـ ربـ لـأـنـيـ ضـعـيفـ اـشـفـنـيـ يـاـ ربـ لـانـ عـظـامـيـ قـدـ رـجـفـتـ وـنـفـسـيـ قـدـ اـرـتـاعـتـ جـداـ وـأـنـتـ يـاـ ربـ فـحـتـىـ مـتـىـ عـدـ يـاـ ربـ نـجـ نـفـسـيـ خـلـصـنـيـ مـنـ اـجـلـ رـحـمـتـكـ لـأـنـهـ لـيـسـ فـيـ المـوـتـ ذـكـرـكـ فـيـ الـهـاـوـيـةـ مـنـ يـحـمـدـكـ تـعـبـتـ فـيـ تـنـهـيـ أـعـوـمـ فـيـ كـلـ لـيـلـةـ سـرـيرـيـ بـدـمـوعـيـ أـذـوـبـ فـرـاشـيـ سـاخـتـ مـنـ الغـمـ عـيـنـيـ شـاخـتـ مـنـ كـلـ مـضـايـقـيـ اـبـعـدـواـ عـنـيـ يـاـ جـمـيعـ فـاعـلـيـ الإـثـمـ لـاـنـ الـرـبـ قـدـ سـعـ صـوتـ بـكـائـيـ سـعـ الـرـبـ تـضـرـعـيـ الـرـبـ يـقـبـلـ صـلاـتـيـ جـمـيعـ أـعـدـائـيـ يـخـزـونـ وـيـرـتـاعـونـ جـداـ يـعـودـونـ وـيـخـزـونـ بغـتـةـ"

خطبائكم. حيث أمضى أنا لا تقدرون أثتم أن تأثروا فقال اليهود: العلة يقتل نفسه حتى يقول: حيث أمضى أنا لا تقدرون أثتم أن تأثروا؟ فقال لهم: أثتم من أسفل، أما أنا فمن فوق. أثتم من هذا العالم، أما أنا فلست من هذا العالم." انتهى. وهذا القول أيضاً صريح في عدم صلبه وقتله، ويطابق قوله تعالى: «وَمَا قَتْلُهُ بِقِبَلَةٍ رَفِعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ» ولقد أتعجبني سير صديقي الشيخ إبراهيم أفندي المهدى اللبناني في هذا المعنى حيث قال - حفظه الله - هكذا: "وبينما أنا أجول في شوارع مصر القاهرة إذ لقيت أحد فضلاء النصارى الذى له علم في دخولي وتشرفى في هذا الدين القويم، وسألنى عن سبب اعتناقى لهذا الدين المبين، وباحثتى في الاعتقادات الدينية وباحتته، وسألنى وسألته. ومن الجملة: سأله لأى شيء صلب الإله؟ فقال لأن آدم خالف وصيته حين ما أكل من الشجرة التي نهى عن الأكل منها؛ فأراد الله أن يقدم نفسه كفارة عن خطيئة آدم، فأخذ جسم إنسان من مريم البتول وقدم نفسه لليهود فصلبوه . قلت له: كان الأولى أن يقتضى من آدم أو يقدمنبياً من الأنبياء كفارة عنه. فقال: أما كونه يقتضى من آدم أو يقدمنبياً من أنبيائه كفارة عنه؛ فلا يجزئ؛ لأن ذنب آدم عند الله عظيم، وقد وقع بنوه كلهم في الخطيئة بسببه ولا شيء يقابل هذا الذنب إلا إرسال الإله ابنه وأخذه جسم إنسان من مريم العذراء وتقديم نفسه فدية عن آدم.

فسألته هل المسيح صلب بحسب ما هو إنسان أم بحسب ما هو إله؟ فسكت قليلاً وقال : بحسب ما هو إنسان. فقلت له إذا: لا فائدة في

الصلب لأنك تقول جميع الإنسان لا يجزى؛ لأنه وقع في الخطيئة ولو قلت إنه صلب بحسب ما هو إليه نقلت إن المصلوب كما في الأنجليل: "نادى بصوت عالٍ إلهي إلهي لماذا تركتني" ويلزم من هذا دفع صلبه بحسب ما هو إليه ونفي الصلب عنه وهو إنسان؛ لأنه بفرض تعلق الإرادة بتمكن اليهود من صلبه وقتلها؛ لصبر ولم يجزع كل هذا الجزع وهو من كبار الأنبياء والرسل فضلاً عما اعتقدتموه من أنه إليه. وتلك درجة لا تجعل لآلام الموت عليه سبيلاً. كيف لا وهو المحبى والمميت. ولا يصح أن تتمكن من إزهاق روحه آلة صغيرة، بيد أناس مملوكيين القوى له، وقد اعترفتم بأن آلة القطع لم تعمل في رقبة إسحاق شيئاً وهو أصغر في الدرجة من المسيح. وعبارة أنه قدم نفسه فدية؛ مدفوعة أيضاً بالجزع المثبت في حال الصلب وقبله؛ لأنه إذا قدم نفسه للموت مختاراً ذلك الأمر ليكون أحdonة خير؛ لما كان جزع كل هذا الجزع وتضجر واستغاث.

قال: ولما وجدنى الفاضل النصرانى ناهضاً بالحجية عليه وأنه لا سبيل إلى إنكار ما وقع؛ انصرف يتعثر في ثياب الخجل قائلاً دين المسيح لا يحده العقل" انتهى.

وفي هذا القدر كفاية للعاقل من الصبيان، وقد « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهقاً »

﴿أَقْتُمُونَ بِيَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِيَعْضِهِ﴾

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل " بل الذى ينبغي للإنسان أنه متى تحقق أن هذا كتاب منزل من عند الله أن يتلقاه بالقبول والامتثال وليس له أن يؤمن بالبعض ويكره بالبعض الآخر بأن يقول هذا موافق للعقل؛ فأصدقه، وهذا عاجز عنه العقل أو غير قابل له؛ فأرفضه ولا آخذ به؛ لأنه قد ورد في القرآن ذم من صفتة هكذا بقوله: **﴿أَقْتُمُونَ بِيَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِيَعْضِهِ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَعْمَلُ ذَلِكَ مِنْكُمُ إِلَّا خِزْنٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾**

أقول: لقد علمت أيها الليبيب مما قدمناه من قريب غير بعيد: أن ما يحكم العقل بامتلاكه ويلزم من وجوده الحال؛ لا سبيل إلى تصديقه بأنه من جانب الله عَزَّ وَجَلَّ بل يجب على كل عاقل إنكاره ورفضه وراء الظهور؛ لأن الكلام الإلهي منزه عن وقوع مثل ذلك فيه. كاجتماع الضدين مثلاً وارتفاعهما؛ فإن ذلك مما يحكم العقل بامتلاكه بالبداهة. ولا يصح للإنسان -أيها العاقل- أن يرجح النقل على العقل؛ لأن العقل أصل النقل؛ فإن ثبوت النقل موقوف على ثبوت وجود الصانع وعلمه وقدرته وكونه مرسلاً للرسل. وثبتت ذلك إنما كان بِالدَّلَائِلِ الْعُقْلِيَّةِ فاللقدح في العقل قدح في النقل والعقل معاً؛ فلم يبق حينئذ إلا أن نقطع بصحة العقل ونشتغل بتاويل النقل والتوفيق بين النقيضين إن أمكن

التأويل، وإن لم يمكن فلا بد من إسقاطهما، وكذا لا بد أن يكون التأويل بحيث أن لا يستلزم المحال أو الكذب. والتأويل عند أهل الكتاب ليس بنادر ولا قليل.

ألا ترى أنهم يقولون الآيات الكثيرة الدالة على جسمية الله تعالى وشكله لأجل الآيتين اللتين مضمونهما مطابق للبرهان العقلى؟ وكذا يقولون الآيات الغير محصورة الدالة على المكان الله تعالى لأجل الآيات القليلة الموافقة للبرهان العقلى؟ لكن العجب من عقلاه فرقة كاثوليك فإنهم تارة يبطلون حكم الحس والعقل معاً، ويزعمون أن الخبر والخمر الذين حدثا بين أعيننا يتحولان في العشاء إلى لحم المسيح ودمه حقيقة؛ فيعبدونهما ويسجدون لهما، ثم يأكلون ذلك الخبر ويشربون ذلك الخمر، وتارة يبطلون حكم العقل والبداهة ويرفضون البرهان العقلى وراء ظهورهم ويقولون إن التثليث الحقيقي والتوحيد الحقيقي يمكن اجتماعهما في مادة واحدة شخصية، في زمان واحد، من جهة واحدة. وفرقه بروتستنت توافقهم على هذه العقيدة دون العقيدة الأولى، مع أن كلا من العقديتين يحكم العقل بامتلاعهما، فلو كان العمل على ظاهر النقل ضرورياً ولا مدخل للعقل فيه كما يزعم هذا القيسس البروتستنти فالإنصاف الذي يقال أن فرقه كاثوليك خير من فرقه بروتستنت لأن فرقه كاثوليك بالغت في إطاعة ظاهر نص إنجيل متى حتى اعترفت بمعبودية ما يصادقه الحس وبداهة العقل؛ فإن كانت هذه العقيدة غلط ومحال بشهادة الحس والعقل عند فرقه بروتستنت فـ كذلك

عقيدة التثليث غلط ومحال بشهادة البرهان العقلى - كما علمت - ولا ينبغي لأهل ملة بروستنت أن يؤمنوا ببعض الكتاب ويكفرون بالبعض الآخر.

فإن هذا القيس قد اعترف في مقالته هذه بأنه ورد في القرآن المجيد نم من صفتة هكذا بقوله: **﴿أَقْتُونُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَنَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمُ الْأَخْزَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾** وهذا استشهاد القيس قد انقلب عليه انقلاباً عظيمـاً، وبقيت الآية الشريفة فيما نزلت بحقهم، ومن هذا حذوهـم من أبناء صنفهمـ. وأما نحنـ معاشر المسلمينـ فـمنـزـهـونـ عنـ هذهـ الصـفةـ الرـذـيلـةـ، ولـسـناـ منـ يـؤـمـنـ بـالـبـعـضـ وـيـكـفـرـ بـالـبـعـضـ الـآـخـرـ، بلـ نـؤـمـنـ بـكـلـ كـتـابـ أـنـزـلـ مـنـ عـنـ اللـهـ ﷺ فـنـؤـمـنـ بـمـاـ أـنـزـلـ عـلـىـ مـوـسـىـ وـعـيـسـىـ كـمـاـ نـؤـمـنـ بـمـاـ أـنـزـلـ عـلـىـ غـيـرـهـاـ مـنـ النـبـيـنـ قـالـ تـعـالـىـ فـيـ سـوـرـةـ الـبـقـرـةـ: **﴿Qُلُّواْ إِنَّمـا أـنـتـمـ آـنـجـلـ إـلـيـنـا وـمـا أـنـزـلـ إـلـيـ إـبـرـاهـيـمـ وـإـسـمـاعـيلـ وـإـسـحـاقـ وـيـقـوـيـ وـإـسـطـاطـ وـمـا أـوـتـيـ مـوـسـىـ وـعـيـسـىـ وـمـا أـوـتـيـ النـبـيـوـنـ مـنـ رـهـمـ لـاـ تـرـقـبـ بـيـنـ أـحـدـ مـنـهـمـ وـمـنـ لـهـ مـسـلـمـ فـإـنـ آـمـنـوـاـ بـمـثـلـ مـاـ آـمـنـتـ بـهـ فـقـدـ اـهـنـدـواـ وـلـيـ تـكـوـنـ أـنـتـمـ هـمـ فـيـ شـقـاقـ فـسـيـكـيـكـيـكـمـ اللـهـ وـهـوـ السـمـيـعـ الـعـلـيـمـ﴾**

نسخ القرآن للتوراة

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل "غير أننا نرى الآن أكثر المسلمين معرضين عن مطالعة التوراة والإنجيل حتى قال علماؤهم أن مطالعتها حرام، فبعضهم يعتذر عن إهماله الكتابين المذكورين بقوله: إن القرآن ينسخ التوراة والإنجيل. فلهذا ألغيت أحكامهما فلا اعتبار بهما لأن القرآن يقنى عندهما وبعضهم يطعن فيما أشد الطعن ويستخف بهما ويشنع على الذين يؤمنون بما هو محرر فيهما متحجاً على ذلك بأنه قد اعتبراهما التغيير والتبديل والتحريف بالزيادة والنقصان، زاعماً أنهما مشحونان من الغلط والاختلافات، كما وضح ذلك صاحب كتاب إظهار الحق بالتطويل الممل والتفصيل المخل، متوجهما أنه قد ثبتت صحة مدعاه بأدلة مقتعة وبراهين قاطعة"

أقول: أما إعراض المسلمين -وقاهم الله عن مطالعة هذه التوراة وهذا الإنجيل- وقول علمائهم بحرمة مطالعتها؛ فلقد علمت ما قدمناه صدر الكتاب أن عذرهم في ذلك ليس هو كون القرآن الكريم ناسخاً لهما، وإنما هو احتواههما على المفاسد والتخليطات التي علمت بعضها فيما تقدم، ولأجل تلك المفاسد كانت الكنيسة الرومانية تمنع العامة عن مطالعة هذه الكتب وتقول إن الشروط الناتجة عن قرائتها أكثر من الخير.

ولما ظهرت فرقه بروتستنت فى السنة التاسعة والعشرين بعد
الألف والخمسين من الميلاد، وصارت تنشر تلك الكتب المرقومة فى
أقطار المسكونة، وظهر ما ظهر فى ديار أوروبا من ترك الديانة
النصرانية بسبب اطلاع أهلها على تلك الكتب، ووقفهم على ما
احتوت عليه من المفاسد؛ أخرجت تلك الكنيسة قانوناً مرتبًا من قبل
المجمع ومثبتاً من البابا بمنع قراءة هذه الكتب باللغة الدارج، وهذا
القانون مصري به فى الرسالة الثالثة عشرة من الكتاب المسمى بالثالث
عشر المطبوع فى بيروت سنة ألف وثمانمائة وتسعة وأربعين من
الميلاد ونص عبارته هكذا: "فلننظر الآن قانوناً مرتبًا من قبل المجمع
التریدنینى ومثبتاً من البابا بعد نهاية المجمع. وهذا القانون يقول: إذا
كان ظاهراً من التجربة أنه إذا كان الجميع يقرؤون في الكتب باللغة
الدارج؛ فالضرر الناتجة من ذلك أكثر من الخير؛ فلأجل هذا ليكن
للأسقف أو القاضى فى بيت التفتيش سلطان حسب تميزه بمثورة القس
أو معلم الاعتراف؛ ليأذن فى قراءة الكتاب باللغة الدارج لأولئك الذين
يظن أنه يستفيدون ويجب أن يكون الكتاب مستخرجًا من معلم
كاثوليكى والإذن المعطى بخط اليد، وإن كان أحد بدون الإذن يتجرسر
أن يقرأ أو يأخذ هذا الكتاب فلا يسمح له بحل خطيبته حتى يرد الكتاب
إلى الحاكم" انتهى.

ولعمرى إن رأى الرومانيين فى منع الناس عن قراءة هذه الكتب
 وعدم شيوعيها ونشرها كان سليمًا جدًا لستر عيوبها عن أعين الناظرين

من المخالفين، وسترها عن أعين الغير متعصبين من المسيحيين. فهم في هذا الرأي أعقل وأدق من فرقة البروتستانت التي أظهرت هذه الكتب ونشرتها حتى ظهر ما ظهر في أهل ديار أوروبا من ترك الديانة النصرانية بالكلية. وصار أهلها ملحدين بعد أن كانوا مسيحيين، وصاروا يستهزؤن على تلك الكتب استهزاء بليغاً. لا يستهزؤن على شيء آخر مثلها. ويطعنون فيها أشد الطعن ويستخرون بها غاية الاستخفاف، ويشنعون على الذين يؤمنون بما هو محرر فيها حتى جاؤوا الحد في ذلك. وما صدر عن أهل الإسلام من ذلك ليس بشيء بالنسبة إلى ما صدر عن أبناء صنفهم. والأغلاط والاختلافات التي أوردتها المسلمون، عن كتبهم المقدسة؛ لا تذكر بالقياس إلى ما أورده هؤلاء الملحدون؛ فإنه قلما يخرج أصحاح أو عبارة من تلك الكتب ولم يذكروا عنه من الغلط أو الاختلافات. ومن أراد الوقوف على ذلك فلينرجع إلى كتبهم المنشورة في أكناف العالم. ولو نقلت إليك الأغلاط والاختلافات والعبارات المضحكة التي أوردوها في كتبهم لاحتاج ذلك إلى مجلدات كثيرة .

لكنني أنقل لك هنا اثنا عشر اختلافاً على وفق عدد الحواريين مما أوردته صاحب إظهار الحق عن الملحد جان كلارك في كتابه عن كتب العهدين في ذات الله وصفاته فقط، وأكتفي عليها هرباً من التطويل، ولأن المخالفين المعتبرين - هداهم الله إلى سبيله القويم وصرطه المستقيم - جاؤوا حد الأدب في الطعن والتشنيع والاستهزاء.

لكن هذه المجاوزة أقل من المجاوزة التي توجد في كلامهم عند التشنيع والاستهزاء على الأنبياء الكرام - عليهم الصلاة والسلام - سيمما إذا وصل كلامهم في ذلك إلى السيدة مريم البتول وابنها السيد عيسى الظاهر المصون - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - ولا تظن أيها الليبيب أني نقلت هذه الاختلافات لأجل أنها مستحسنة عندي. حاشا وكلًا.

ولكنى لما رأيت هذا القسيس ينكر وقوع ذلك في كتبهم المقدسة ويکابر بالمشاهدة والمحسوس؛ أحببته أن أنقل بعض ما أورده ليحصل الإلزام قبل أن أنقل ما أورده أهل الإسلام، وأتبرأ من اعتقاد استهزءاتهم بالقلب واللسان، وأستغفر الله العظيم الشان. وليس نقلها إلا نقل كلمات الكفر. ونقل الكفر ليس بکفر. فأقول:

الاختلاف الأول: مما أورده الملحدون في العدد الحادى عشر من الأصحاح الخامس من رسالة يعقوب هكذا: "ورأيتم عاقبة الرب كثير الرحمة والرأفة" وجاء في العدد الثانى من الأصحاح السابع من سفر التثنية من التوراة، من النسخة المطبوعة سنة ألف وثمانمائة وثمانين وأربعين من الميلاد في حق سبعة شعوب عظيمة هكذا: "يسلمهم الرب إلهك بيديك فاضربهم حتى أنك لا تبقي منهم بقية فلا تونقهم ميثاقاً ولا ترحمهم فتبتلع الشعوب جميعهم الذين الرب إلهك يعطيهم إياهم فلا تعرف عنهم عيناك... الخ"

قال الملحد: انظروا أيها العقلاة إلى كثرة رحمة الله كيف أمر بنى إسرائيل بقتل سبعة شعوب عظيمة وعدم الرحمة عليهم وعدم العفو عنهم. وجاء في العدد السادس عشر من الأصحاح الثالث عشر من كتاب هوشع هكذا: "فتهلك سامرة لأنها باغت على إلهها فيقادون بالسيف. وأطفالهم ينطرون حون. والحبالى تشنق قلوبهم" قال الملحد: انظروا إلى كثرة رحمة الله على أطفال السامرة والحبالى. وجاء في العدد الثاني من الأصحاح الخامس من سفر صونيل الأول هكذا: "هكذا يقول رب الجنود إني قد افتقدت ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف له في الطريق عند صعوده من مصر. فالآن اذهب واصرب عماليق وحرموا كل ما له، ولا تغاف عنهم، بل اقتل رجالاً وامرأة طفلاً ورضيعاً بقراً وغنماً جملًا وحماراً"

قال: فانظروا إلى رحمة الله كيف أمر بالانتقام من أولاد عماليق وقتل رجالهم ونسائهم وأطفالهم الصغار جداً ومواشيهم من البقر والغنم والحمير أيضاً. ثم قال: "ولما لم يعمل الملك شاول على أمره الشريف ندم على جعله ملكاً" كما هو مصرح به في السفر المذكور.

الاختلاف الثاني: في العدد الأول من الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين هكذا: "أنا الله القادر" وفي العدد التاسع عشر من الأصحاح الأول من كتاب القضاة هكذا: "وكان الله مع يهودا وورثت

الجبال ولم يستأصل أهل الوادى لأنه كانت له مراكب كثيرة من حديد" قال: انظروا إلى قدرته إنه لم يقدر على استئصال أهل الوادى لكونهم ذوى مراكب كثيرة من حديد.

الاختلاف الثالث: فى العدد الثانى من الأصحاح المائة والتاسع والثلاثين من الزبور هكذا: "وميّزت شعبى وسکونى واطلعت على طرقى كلها" وفي العدد العشرين من الأصحاح الثامن عشر من سفر التكوين هكذا: "وقال رب ابن صراخ سدوم وعموره قد كثُر خططيتهم قد عظمت جداً، أنزل وأرى هل فعلوا بال تمام حسب صراخها الاتى إلى وإلا فأعلم" انتهى.

قال: فانظروا أيها العقلاء إلى كونه عالم طرق العباد وأفعالهم كلها؛ أنه يحتاج إلى النزول والنظر ليعلم أن فعل أهل سادوم وعموره يشากل الصراخ الواصل إليه أم لا.

الاختلاف الرابع: فى العدد الرابع والعشرين من الأصحاح التاسع من كتاب إرمياه هكذا: "أنا رب الصانع الرحمة والقضاء والعدل في الأرض لأنى بهذه أسر" انتهى.

قال الملحد: لقد عرفت حال ارتضائه بالرحمة؛ فما عرف حال عدله الذى جاء فى العدد الثالث من الأصحاح الحادى والعشرين من كتاب حزقيال وكلامه فيه هكذا: "قال رب: هأنذا عليك، واستل سيفي

من غمده فأقطع منك الصديق والشرير من حيث أني أقطع منك الصديق والشرير؛ فلنلك يخرج سيفي من غمده على كل بشر من الجنوب إلى الشمال" انتهى.

قال: فلو سلم أن قتل المنافق عند علماء بروتستنت عدل؛ فكيف يكون قتل الصديق البار عدلاً عندهم؟ وجاء في العدد الثالث عشر من الأصحاح الثالث عشر من كتاب إرمياه هكذا: "قال رب. هأنذا أملا كل سكان هذه الأرض والملوك الجالسين لداود على كرسيه والكهنة والأنبياء وكل سكان أورشليم سكرا. وأحطمهم الواحد على أخيه. الآباء والأبناء معا. يقول رب. لا أشفق ولا أترأف ولا أرحم من إهلاكم" انتهى.

قال انظروا: إلى عدله كيف ملأ الأنبياء والكهنة وجميع سكان الأرض سكرا حتى قتلهم أجمعين؟ وجاء في العدد التاسع والعشرين من الأصحاح الثاني عشر من سفر الخروج هكذا: "ولما انتصف الليل قتل رب كل أبكار أهل مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه، حتى إلى بكر الأسير الذي في السجن وكل أبكار البهائم" انتهى. قال: انظروا إلى عدله كيف قتل جميع أبكار أهل مصر وأبكار البهائم، ولا بد أن ألوفا من أبكار أهل مصر كانوا أطفالاً معصومين من الذنب، وكان أبكار البهائم أيضاً غير مذنبين فتأمل.

الاختلاف الخامس: في العدد الرابع من الأصحاح الثاني من رسالة بولس الأولى إلى أهل تيموثاوس هكذا: "الله الذي يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون" انتهى. قال: وهذا مخالف لما جاء في العدد الحادى عشر من الأصحاح الثانى من رسالة بولس الثانية لأهل تسالونيقى وكلامه فيه هكذا: "ولأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب لكي يُدان جميع الذين لم يصدقوه الحق بل سروا بالإثم" انتهى.

الاختلاف السادس: وفي العدد الثاني عشر من الأصحاح الخامس من كتاب هوشع في قول الرب هكذا: "وأنا مثل السوس لأفرام ومثل الدودة لبيت يهوذا" انتهى وجاء في العدد السابع من الأصحاح الثالث عشر من الكتاب المذكور في قول الرب أيضا هكذا: "فأكون لهم كأسد مثل نمر في طريق الأموريين لاقيهم كدابة سرقت أجراوها" انتهى. قال الملحد: فتارة يكون الرب مثل السوس والدودة وتارة مثل الأسد والنمر وتارة مثل الدابة التي سرقت أولادها.

الاختلاف السابع: وفي العدد الخامس عشر من الأصحاح الرابع والثلاثين من الزبور هكذا: "عينا الرب نحو الصديقين وأدنناه إلى صراغهم. وجه الرب ضد عاملي الشر ليقطع من الأرض ذكرهم. أولئك صرخوا، والرب سمع، و من كل شدائدهم أنقذهم. قريب هو الرب من المنكسرى القلوب ويخلص المنسحقي الروح" انتهى. وجاء

فى العدد الأول من الأصحاح الثانى والعشرين من الكتاب المذكور هكذا: "إِلَهِي إِلَهِي لِمَذَا تَرَكْتَنِي؟ إِنِّي فِي النَّهَارِ أُدْعُو فَلَا تَسْتَجِبُ، وَفِي اللَّيلِ وَلَا سَكُوتٍ لِّي" انتهى.

وجاء فى العدد السادس والأربعين من الأصحاح السابع والعشرين من إنجيل متى هكذا: "وَتَحْوَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: إِبْلِي، إِبْلِي، لَمَّا شَبَقْتَنِي؟ أَيْ: إِلَهِي، إِلَهِي، لِمَذَا تَرَكْتَنِي؟" انتهى.

قال الملحد: أما كان داود والمسيح من الأبرار ومنكسرى القلوب ومتواضعى الروح؛ فلم تركهما رب ولم يستجب لهما ولم يسمع صراخهما؟

الاختلاف الثامن: فى العدد السابع والثلاثين من الأصحاح الخامس من إنجيل يوحنا قول المسيح عليه السلام فى خطاب اليهود هكذا: "وَالآبُ نَفْسُهُ الَّذِي أَرْسَلَنِي يَشَهِدُ لِي. لَمْ تَسْمَعُوا صَوْتَهُ قَطُّ وَلَا أَبْصَرْتُمْ هِيَنَتَهُ" انتهى.

قال: وهذا مخالف لما جاء فى العدد الرابع والعشرين من الأصحاح الخامس من سفر الإستثناء وهو هكذا: "قَدْ أَرَانَا الرَّبُّ إِلَهًا مَجْدُهُ وَعَظِمَتْهُ، وَسَمِعْنَا صَوْتَهُ مِنْ وَسْطِ النَّارِ" انتهى.

قلت: وهذا صريح فى كونهم سمعوا صوت رب من وسط النار.

الاختلاف التاسع: في العدد الثالث من الأصحاح الخامس عشر من سفر الأمثال هكذا: "عينا الرب في كل مكان يترقبان الصالحين والطالحين" انتهى. وجاء في العدد التاسع من الأصحاح الثالث من سفر التكوين هكذا "فنادى الرب الإله آدم وقال له: أين أنت؟ فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت"

قال الملحد: فانظروا إلى ترقب عينه في كل مكان أنه محتاج إلى الاستفهام من آدم حين اختفى في وسط شجرة الفردوس.

الاختلاف العاشر: في العدد السادس من الأصحاح الثالث من كتاب ملاخي هكذا: "فإنى أنا الرب ولا أتغير" وجاء في العدد العشرين من الأصحاح الثاني والعشرين من سفر العدد من التوراة هكذا: "فأتي الله إلى بلعام ليلاً وقال له: إن أتى الرجال ليدعوك فقم اذهب معهم إنما تعمل الأمر الذي أكلمك به فقط فقام بلعام صباحاً وشد على أقانيمه وانطلق مع رؤساء موآب. فحمي غضب الله لأنّه منطلق... إلخ"

قال الملحد: فانظروا إلى عدم تغيره أنه أتى في الليل وأمر بلعام بالانطلاق مع عظماء موآب ولما فعل بلعام ما أمر به؛ غضب الله عليه.

الاختلاف الحادى عشر: في العدد التاسع عشر من الأصحاح الثالث عشر من سفر العدد من التوراة هكذا: "ليس الله برجل فيكب

ولا ابن الإنسان فيندم" وجاء في العدد السادس من الأصحاح السادس من سفر التكوين هكذا: "فحزن الرب انه عمل الإنسان في الأرض. وتأسف في قلبه. فقال الرب: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته. الإنسان مع بهائم ودببات وطيور السماء؛ لأنني حزنت أنني عملتهم" انتهى ومثل هذا جاء في العدد العاشر من الأصحاح الخامس عشر من سفر صموئيل "وكان قول الرب على صموئيل: قائلًا ندمت على أن صيرت شاول ملكاً ثم قال في العدد الخامس والثلاثين من هذا الأصحاح هكذا : "الرب أسف على أنه ملك شاول " انتهى. فانظر وتأمل.

الاختلاف الثاني عشر : في العدد الثاني والعشرين من الأصحاح الثاني عشر من سفر الأمثال هكذا: "من الشفة الكاذبة نفرة للرب، أما العاملون بالصدق؛ فرضاه" انتهى. وجاء في العدد الثاني من الأصحاح الحادى عشر من سفر الخروج من التوراة قول الله تعالى في خطاب موسى عليه السلام هكذا: "فتتحدث في مسمع الشعب أن يسأل الرجل صاحبه والمرأة من صاحبها أواني فضة وأواني ذهب" وفي العدد الخامس والثلاثين من الأصحاح الثاني عشر من السفر المذكور هكذا: "فعمل بنو إسرائيل كما أمر موسى واستعاروا من المصريين أواني فضة وذهب وشيئاً كثيراً من الكسوة" انتهى.

قال الملحد: انظر إلى نفرة الرب من الكذب، وكيف أنه أمر موسى وهارون أن يكذبا عند فرعون فكذبا، وكذلك كذب كل رجل وكل امرأة من بنى إسرائيل وأمرهم بالخداع، وأن يأخذ كل مال جاره بالخديعة والتصرف به، ومع أنه قد أمره في مواضع متعددة من التوراة بأداء حق الجار قال: أيكون حق الجار كما أمر وقت خروجهم من مصر؟ أم يليق بالله أن يعلمهم الغدر والخيانة؟ قلت كلا والله. ومثل هذا قد جاء في الأصحاح السادس عشر من سفر صموئيل الأول وهو هكذا: "فقال الرب لصموئيل حتى متى تتوجه على شاول، وأنا قد رفضته عن أن يملك على إسرائيل. املاً قرنك دهنا و تعال أرسلك إلى يسّى النبيتحمي لأنني قد رأيتك لي في بنبيه ملك". فقال صموئيل: كيف أذهب. إن سمع شاول يقتلني. فقال الرب: خذ بيديك عجلة من البقر وقل قد جئت لأنذبح للرب، وادع يسّى إلى الذبيحة، وأنا أعلمك ماذا تصنع، وامسح لي الذي أقول لك عنه. فعل صموئيل كما تكلم الرب وجاء إلى بيت لحم "انتهى ملخصاً.

قال الملحد: انظر كيف أمر الله صموئيل أن يكذب؛ لأنه كان أرسله لمسح داود وجعله ملكاً وسلطاناً لا للذبح. قلت: ولقد جاء مثل هذا بل أعجب وأغرب في العدد التاسع عشر من الأصحاح الثاني والعشرين من سفر الملوك الأول في قول النبي ميخا خطاباً للملك أخاً. وكلمه فيه هكذا: "وقال -يعنى ميخا-: فاسمع إذاً كلام الرب: قد رأيتك الرب جالساً على كرسيه و كل جند السماء وقوف لديه عن

يمينه و عن يساره. فقال الرب من يغوي أخآب فيصعد ويسقط في راموت جلعاد؟ فقال هذا هكذا وقال ذاك هكذا. ثم خرج الروح ووقف أمام الرب وقال: أنا أغويه. وقال له الرب: لماذا؟ فقال: أخرج وأكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائه. فقال: إنك تغويه و تقدر؛ فاخرج وافعل هكذا. والآن هؤلا قد جعل الرب روح كذب في أفواه جميع أنبيائكم هؤلاء، و الرب تكلم عليك بشر" انتهى.

ولما وصلتُ في النقل إلى الائتى عشر اختلافاً، التي أوردتُ نقلها عن كتب الملحدين؛ اكتفيتُ عليها خوفاً من التطويل، وإن أردتَ أكثر من ذلك فارجع إلى كتبهم، وانظر إلى أين وصلت نوبتهم في الاستهزاء والطعن. والتشنيع ليس بشئ بالنسبة إلى ما صدر عن هؤلاء الملحدين. وما ذكره أهل الإسلام من العبارات المضحكه والأغلاط والاختلافات الواقعه في كتب العهدين؛ لا تذكر بالقياس إلى ما ذكره هؤلاء الملحدون، الذين كانوا في الأصل مسيحيين ثم أعرضوا عن ذلك الدين وتركوه بالكلية لما وجدوا هاتيك الأصول عباره عن أمور لا توزن بمعيار العقول.

وكثيراً ما صرخ بعضهم بأنه لو اختار أن يدين بدين مَا. قبل الإسلام. ديناً لما اشتمل عليه من الأسرار والحكم التي يشهد بها الذوق السليم والعقل المستقيم وقد أسلم كثير من عقائدهم قديماً وحديثاً وفي كل يوم تأتينا أنباءهم فنشرح صدورنا. على أن الشرع المحمدى والدين الأحمدى مستغن عن شاهد سواه؛ فإن ما فيه من المحسن والأسرار الظاهرة شاهد عدل بكونه من الله وقد رأينا من تخرج من أبناء الطائفتين اليهودية والنصرانية أنه لم يستغن عن حفظ القرآن المجيد والأحاديث الشريفة ومعرفة أقوال أهل الإسلام؛ فهم لا يكتبون إلا على نحو كتابة المسلمين، ولا يستشهدون إلا بالأيات القرآنية والأحاديث النبوية التي كانت سبباً في تحسين كلامهم وجعله مقبولاً لدى أهل العقول السليمة والأذواق المستقيمة.وها هي كتبهم ومقالاتهم شاهدة

وناطقة بذلك، أما بلغاء المسلمين -حفظهم الله- فليسوا بمحاجين إلى الاستعانة بشئ من الخارج؛ لتكلّل القرآن الكريم بكل ما في أنفسهم وزيادة.

ومع ذلك فلم تكن هذه الدواعي الكلية داعية لعدم اقتداء المسلمين تلك الكتب المقدسة عندهم. فإن الفقير^(١) واحد منهم، وخزانة كتبى ممثلة من كتب اليهود والنصارى. سواء كانت سماوية الأصل أو غيرها، حتى أناشيدهم فى صلاتهم، وذلك لأكون على علم من أمرهم. ولقد طالعتها كثيراً بامعان وتدقيق وتتبعتها فى مطالعنى حرفأ بحرف؛ فوجدت ما ذكره صاحب إظهار الحق من الأغلاط والاختلافات قليلاً بالنسبة إلى ما يوجد فيها من ذلك؛ فإنه قلما يخرج أصحاح أو عبارة من تلك الكتب المقدسة ويكون خالياً من الغلط والاختلاف. فلقد اكتفى رحمة الله على نقل اليسير هرباً من التطويل الممل والتفصيل المخل، وقد بين رحمة الله تعالى أوجه أغلاطها واختلافاتها بعبارات رائقة وبراهين قاطعة تشفي العليل وتروى الغليل؛ فإنه -حفظه الله- لم يذكر من ذلك شيئاً إلا بعد أن تروى فيه وملكه بجميع نواصيه وقواصيه. فله دره من مؤلف حَبْر قد كتب فأجاد، ونطق فأصاب. وأثبتت صحة ما ادعاه بأدلة مقنعة وبراهين قاطعة مع غاية الاختصار ونهاية الاقتصاد ولو تتبع أغلاطها واختلافاتها وعباراتها المضحكه؛ لطال

(١) المراد بالفقير: مؤلف هذا الكتاب.

الأمر في ذلك واحتاج إلى مجلدات كثيرة. وسألتو عليك شيئاً من ذلك
في محله إن شاء الله تعالى وأبين لك أوجه أغلاطها واختلافاتها باليان
الكافى والتفصيل الشافى حتى تعلم أن ما سلكه هذا القسيس صاحب
البرهان ساقط عن الاعتبار، لا يلتفت إليه.

نسخ الشرائع

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل: "فأما الدعوى بأن القرآن قد نسخ التوراة والإنجيل؛ فمحض دعوى من غير دليل؛ لأنه ليس فيه تصريح ولا تلويع إلى ذلك البتة، بل اختراع حَلَثَ من أنفسهم"

أقول وبالله التوفيق وبه الهدية إلى أقوم طريق: إن كلام القسيس هنا غلط وفي غير محله، ومنشأه قلة علمه أو سوء فهمه؛ فإنه لا يوجد في المسلمين من يقول بأن القرآن قد نسخ جميع التوراة والإنجيل^(١)، بمعنى أن جميع ما احتويا عليه منسوباً، وإنما نقول إنه نسخ بعض أحكامهما. فإن النسخ عندنا معاشر المسلمين لا يطرا على

(١) المؤلف سرحه الله - يعتقد أن الإنجيل نسخ التوراة. وهذا اعتقاد باطل. فلين الذي نسخ التوراة هو القرآن الكريم. أما الأنجليل فإنه بشرى بمحى محمد ﷺ وفيه يحيل المسيح أتباعه إلى التوراة ليأخذوا منها الأحكام الفقهية. ويدل على ذلك: لا تظروا أئمَّةَ حفتُ لِأَنْتَصَرَ النَّاسُ مِنْ أَكْبَارِيَاءَ، مَا حفتُ لِأَنْتَصَرَ بَلْ لِأَكْمَلَ، فَإِنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَرُوُلَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ لَا تَرُوُلُ حَرْفَ وَاحِدَةً لَا نُقْطَةً وَاحِدَةً مِنَ النَّاسُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ، فَمَنْ تَضَرَّ إِنْدَهِ هَذِهِ الرَّوْصَانِيَّ الصُّغْرَى وَعَلَمَ النَّاسَ هَكَذَا، يُدْعَى أَصْنَافَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَمَ، فَهُنَّا يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ إِنْ لَمْ يَزِدْ بِرُّكُمْ عَلَى الْكَبِّيَّةِ وَالْفَرِيَسِيَّنِ لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ".

ومعنى لأكمـلـ: أنه يبشر بالنبي الذى سيأتـى لـتكـمـيلـ التورـاةـ. وـذلكـ لأنـ منـ أـحكـامـ التورـاةـ الفـقـهـيـةـ أنهـ إذاـ جاءـ نـبـىـ مـثـلـ مـوـسىـ فـإـنـهـ يـجـبـ عـلـيـهـ أـنـ يـتـبعـوهـ. فـإـلىـ أنـ يـجـيءـ كـانـ عـلـمـهـ بـالتـورـاةـ نـاقـصـاـ وـإـذاـ جـاءـ وـآمـنـواـ بـهـ يـكـونـ عـلـمـهـ بـالتـورـاةـ كـامـلاـ. ولـذلكـ جاءـ

فـىـ القـرـآنـ الـكـرـيمـ: (إِنَّمَا أَكْلَتُكُمْ دِينَكُمْ)

القصص والأخبار والمواعيد، ولا على الأمور القطعية مثل أن صانع العالم موجود، ولا على الأحكام التي تكون واجبة لذاتها مثل آمنوا ولا شرکوا، ولا على الأمور المؤبدة مثل ﴿وَلَا تَقْبِلُوهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ ولا على الأحكام المؤقتة قبل وقتها المعين مثل ﴿فَاغْفِرُوا وَاصْفَحُوا حَسْنَى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ فكل هذه الأحكام لا يطرا عليها النسخ عندنا معاشر المسلمين، وإنما يطرا على الأحكام التي تكون عملية صالحة للوجود وعدم غير مؤبدة ولا مؤقتة ولا واجبة لذاتها، وتسمى الأحكام المطلقة فلا تكون قصة من القصص المندرجة في العهد العتيق والجديد؛ منسوخة.

نعم نعرف بأن بعضها كاذب. مثل أن لوطا زنا بابنته وحملتا منه بالزنا وولدت الكبرى ابنا ودعت اسمه موآب، وولدت الصغرى ابنا ودعت اسمه عمون. ومثل: أن يهودا ابن يعقوب زنا بكنته ثamar وحملت منه بالزنا، وولدت توأميين أحدهما سمي فارص والثاني زارح. وإن داود وسليمان وعيسي -عليهم السلام- كلهم من أولاد فارص المذكور، كما هو مصرح به في الأصحاح الأول من إنجيل متى، ومثل أن داود زنا بإمرأة الغير وقتلها بالمكر والخداع ثم أخذها زوجة له. ومثل أن سليمان ارتدى -والعياذ بالله تعالى- عبد الأصنام، وبنى لها المعابد.

وكذا لا نعرف أن المسيح عليه السلام وأهين وصلب على خشبة، ثم صار ملعونا كما صرحت بذلك بولس في الأصحاح الثالث من رسالته إلى أهل غلاطية، وكلامه فيها هكذا: "المسيح افتدانا من لعنة الناموس".

إذ صار لعنة لأجلنا؛ لأنه مكتوب ملعون كل من عُلق على خشبة" كذا لا نعرف أن هارون صنع العِجل وعبده وأمر بني إسرائيل بعبادته.

وأن أبשלום ابن سيده داود زنا بجميع سراري أبيه بأمر الرب وحْكَمه. وأن أخاه أمنون زنا بأخته ثamar وفتن بكارتها، وسمع أبوهما بذلك وأن روأين ابن سيده يعقوب زنا بزوجة أبيه وسمع أبوه بذلك ولم يُجر الحد والقصاص عليهما. فكل هذه القصص وأمثالها نعرف ونقر بأنها كاذبة باطلة يقيناً، ولا نقول إنها منسوبة، وكذا الأدعية لا نقول أنها منسوبة، فلا يكون الزبور الذي هو أدعية وتسابيح منسوخاً بالمعنى المصطلح عليه عندنا. وإنما معنا عن استعماله وتلاوته وتلاوة الكتب الأخرى من كتب التوراة والإنجيل؛ لكونها مشكوكة عندنا بسبب عدم أسانيدها واستعمالها على العبارات المضحكه الباطلة، وثبوت وقوع التحرير فيها بأقسامه الثلاثة. أعني تبديل الألفاظ وزيادتها ونقصانها. كما سترى ذلك إن شاء الله تعالى.

قال صاحب إظهار الحق رحمه الله: "ويجوز النسخ عندنا في غير المذكورات، يعني من الأحكام المطلقة الصالحة للنسخ، فنعرف بأن بعض أحكام التوراة والإنجيل من الأحكام التي هي من جنس الصالحة للنسخ؛ منسوبة في الشريعة المحمدية. قلت: يدل عليه قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿الَّذِينَ سَيَّعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجْدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التُّورَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا مِنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيَحِرِّمُ

عليهم المخايت ويسقط عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) فهذه الآية الشريفة صريحة في نسخ بعض الأحكام الشاقة التي كانت على بنى إسرائيل من أهل التوراة والإنجيل، مثل تحتم القصاص في القتل سواء كان عمداً أو خطأ من غير شرع الدية^(١). ومثل إحراق الغنائم^(٢)، وتحريم العمل في السبت، وما أشبه ذلك من المحرمات.

(١) قول المؤلف إن الديمة ليست في شريعة التوراة خطأً. وذلك لأن فيها الديمة. ففي الأصحاح الحادي والعشرين من سفر الخروج: "وإذا تخاصم رجال وصادموا امرأة حبلى فسقط ولادها ولم تحصل أذية يغنم كما يضع عليه زوج المرأة ويدفع عن بد القضاة وإن حصلت أذية تعطى نفساً بنفس وعيناً بعين وسناً بسن ويداً بيد ورجلًا ب الرجل وكياً بكى وجرحاً بجرح ورضاً برض و إذا ضرب إنسان عين عبده أو عين أمته فأتلفها يطلقه حراً عوضاً عن عينه وإن اسقط سن عبده أو سن أمته يطلقه حراً عوضاً عن سنها وإذا نطح ثور رجلاً أو امرأة فمات يرجم الثور ولا يؤكل لحمه وأما صاحب الثور فيكون بريئاً ولكن إن كان ثوراً نطاً على صاحبه ولم يضبه قتل رجلاً أو امرأة فالثور يرجم وصاحبها أيضاً يقتل إن وضعت عليه فدية يدفع فداء نفسه كل ما يوضع عليه أو إذا نطح إلينا أو نطح ابنة فبحسب هذا الحكم يفعل به إن نطح الثور عبده أو امة يعطي سيده ثلاثة شالق فضة والثور يرجم وإذا فتح إنسان بثراً أو حفر إنسان بثراً ولم يقطعه فوق فيها ثور أو حمار فصاحب البتر يعوض ويرد فضة لصاحبها والميت يكون له وإذا نطح ثور إنسان ثور صاحبه فمات يبيعه الثور الحي ويقتسمان ثمنه والميت أيضاً يقتسمانه لكن إذا علم أنه ثور نطاً من قبل ولم يضبه صاحبه يعوض عن الثور بثور والميت يكون له

اما في القرآن فيه الدية في قتل الخطأ فقط وليس فيه الدية في القتل العمد لقوله: «ولكم في القصاص حياة» ولقوله: «وَمَنْ قَتَلَ مُظْلِمًا فَقَدْ جَعَلَنَا لَهُ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ

ولا نقول: إن كل حكم من أحكامها منسوخ. كيف وأن بعض أحكام التوراة لم تنسخ عندنا يقيناً مثل حرمة اليمين الكاذبة والقتل والزنا واللواء والسرقة وشهادة الزور والخيانة في مال الجار وعرضه ووجوب إكرام الضيف والختان ووجوب إكرام الأبوين وحرمة نكاح نساء الآباء والأبناء والأمهات والبنات والأعمام والعمات والأخوال والخلافات والجمع بين الأخرين وإباحة تعدد الزوجات والطلاق والاسترقاء، وغيرها من الأحكام الكثيرة لم تنسخ في الشريعة المحمدية، بل هي باقية على أوكل وجه، وكذا بعض أحكام الإنجيل لم تنسخ عندنا يقيناً. مثلاً: جاء في العدد التاسع والعشرين من الأصحاح الثاني عشر من إنجيل مرقس هكذا: "فَأَحَبَّهُ يَسُوعُ: إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَائِيَّاتِ هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الْأُولَى. وَتَسْنِيَّةٌ مِثْلُهَا هِيَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتِئِينَ" انتهى.

فهذا الحكم باقيان في شريعتنا، على أوكل وجه وليس بمنسوخين.

ومعنى النسخ عندنا معاشر المسلمين: بيان مدة انتهاء الحكم العملي الجامع للشروط المذكورة كالقتل مثلاً في الأشهر الحرم؛ فإن الله حرمه مثلاً ثم نسخه. أى أبان أن حكم تحريم القتال فيها قد انتهت

منصوراً)

(٢) الغاثم نحل في شريعة التوراة وشريعة القرآن. ذلك قوله: "وتأكل غنيمة أعدائك" [ثت ٤٠ : ٤١] وفي القرآن الكريم: «وَاعْلَمُوا أَنَّا غَنِمْسٌ مِنْ شَيْءٍ...»

مدة، وابتدا حكم إياحته، وليس معناه: أن الله ~~يُعَلِّم~~ أمر ونهى أوّلا بشئ
وما كان يعلم عاقبته ثم بدا له رأى؛ فنسخ ذلك الحكم الأول كما يقول
ذلك الطاعون حتى يلزم عليه الجهل -تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرا-
وإنما معناه: أن الله سبحانه يعلم أن الحكم يكون باقيا على المكلفين إلى
الوقت الفلاني، وحين يأتي ذلك الوقت المعين عنده يرسل حكما آخر.
فهذا في الحقيقة: هو بيان مدة انتهاء الحكم الأول. فعند ورود الثاني
يتخيل لنا لصور علمنا وإفهامنا أنه تغيير وتبدل. ونظير ذلك بلا
تشبيه ولا مثال: أن تأمر خادمك لخدمة من الخدمات، ويكون في نيتك
أن يكون على هذه الخدمة إلى مدة سنة مثلا، وبعد السنة يكون على
خدمة أخرى. وهذا بحسب الظاهر عند الخادم وكذا عند غيره الذي ما
أطلعته على نيتك تغيير وتبدل وأما عندك فليس بتغيير في الحقيقة ولا
محنور. ولا استحالة في هذا المعنى لا بالنسبة إلى ذات الله تعالى ولا
إلى صفاتيه؛ لأن الحكم يكون فيه المصلحة في زمان دون زمان آخر
ويوافق المكلفين في زمان ثم يأتي زمان آخر، يوافقهم فيه غيره فينسخ
فيكون كل حكم حسنا. في وقته ألا ترى أيها العاقل اللبيب أن الطبيب
الحادق يبدل الأدوية والأغذية بلحظة حالات المريض على حسب
المصلحة التي يراها فيه، ولا يحمل أحد فعله على العبر، والله جل
شأنه قد علم في الأزل أحوال عباده فأنزل عليهم في كل زمان ما
يواافق الحكمة والمصلحة. ففضلًا منه ورحمة لعباده.

ولو صح اعتراض المعترضين من النصارى واليهود؛ لرجوع عليهم. حيث يرون تبدل أحوال الناس من الفقر والغنى والمرض والصحة والحياة والموت وغير ذلك. وكذا يرون تبدل أحوال الزمان من الربيع والصيف والخريف والشتاء والنهار والليل وغير ذلك، وكلها من فعله سبحانه وتعالى - فكما أن الحكمة تقتضي تبدل أحوال الناس والأزمنة؛ فكذلك تقتضي التبدل بحسب المصلحة والحكمة، وبعض الأحكام تقتضي الحكمة والمصلحة دوامتها وبقاوها.

ولم يجز نسخ بعض الأحكام مثل حرمة الزنا والقتل بغير الحق واللواءة والسرقة وشهادة الزور، وما أشبه ذلك؛ فإن هذه الأحكام وأمثالها لا يجوز أن يلحقها النسخ أصلاً لعدم تبدل المصلحة في تحريمها بتبدل الأشخاص والأزمنة.

والنسخ ليس بمختص بشريعتنا بل وجد في الشرائع السابقة أيضًا بالكثرة بكل قسميه. أعني النسخ الذي يكون في شريعة نبى لاحق لحكم آخر من شريعة نبى سابق، والنحو الذي يكون في شريعة نبى لاحق لحكم آخر من شريعة هذا النبى بعينه. وأمثلة القسمين في كتب العهدين كثيرة جداً.

ولنذكر لك أيها الليبيب بعض الأحكام المنسوقة في الشرائع السابقة من التوراة والإنجيل على سبيل الاختصار؛ ليظهر الحال فأقول: من المعلوم البين أن تزوج الإخوة بالأخوات كان جائزًا في شريعة آدم عليه السلام فكان الأخ يتزوج بأخته التي لم تولد معه في بطنه

واحد، ولو لا ذلك لم يتيسر تناول الناس أصلا، إذ أولاد آدم الذكور
أخوة لأولاده الإناث، وقد نسخ هذا الحكم بعد أن كثرت أولاد آدم الذكور
في الشرائع التي بعد شريعته، كما لا يخفى. وكذلك سارة زوجة
إبراهيم الذكور كانت أختاً له من أبيه، كما يفهم ذلك من قوله في حقها
الممندرج في العدد الثاني عشر من الأصحاح العشرين من سفر التكوين
من الترجمة المطبوعة سنة ١٨٤٨ ميلادية، وكلامه في حقها هكذا:
"إنها كانت أختي بالحقيقة، ابنة أبي وليس ابنة أمي. وقد تزوجت بها"
انتهى. وقد نسخ هذا الحكم في شريعة موسى الذكور وحرمت في
شريعته مطلقاً سواء كانت الأخت من الأب أو من الأم، والفاعل لهذا
الحكم واجب القتل وملعون، كما يفهم ذلك من العدد السابع عشر من
الأصحاح العشرين من سفر الأخبار ونصه هكذا: "أى رجل تزوج
أخته بنت أبيه أو أخته بنت أمه ورأى عورتها ورأى عورته؛ فهذا
عار شديد؛ فيقتلان أمام شعبيهما. وذلك لأنه كشف عورة أخته؛ فيكون
إثمها في رأسهما" انتهى. وفي العدد الثاني والعشرين من الأصحاح
السابع والعشرين من سفر التثنية هكذا: "يكون ملعونا من يضاجع أخته
من أبيه أو من أمه" انتهى. وجاء في العدد التاسع من الأصحاح الثاني
عشر من سفر الأخبار هكذا: "لا تكشف عورة أختك من أبيك كانت أو
من أمك التي ولدت في البيت أو خارجاً من البيت" انتهى. وفي تفسير
دوالي ورجرد منيت في ذيل شرح هذا العدد هكذا: "مثل هذا النكاح
مساوٍ للزنا" انتهى. فلو لم يكن هذا النكاح جائزًا في شريعة آدم

وشرعية إبراهيم عليهما السلام للزم أن يكون الناس كلهم أبناء حرام، ويلزم أيضاً أن يكون الناكحون زانين وواجبى القتل وملعونين -والعياذ بالله تعالى- وكيف يظن هذا في حق الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- فلا بد من الاعتراف بأنه كان جائزًا في شريعتهما ثم نسخ.

وجاء في العدد الثالث من الأصحاح التاسع من سفر التكوين في خطاب نوح وأولاده هكذا: "كل دابة حية تكون لكم طعاماً كالعشب الأخضر دفعت إليكم، غير أن لحمًا بدمه لا تأكلوه" انتهى. فهذا القول صريح في أن جميع الحيوانات كانت حلالاً في شريعة نوح الكتاب كالبقولات إلا لحماً واحداً فقد حرمه الله في شريعته. وهو اللحم الذي فيه دمه. وقد نسخ هذا الحكم في الشريعة الموسوية حيث حرم الله فيها كثيراً من الحيوانات. منها الخنزير والجمل والأرنب واللوبير وغير ذلك من الحيوانات الكثيرة. والطيور والأسماك. كما هو مصرح به في الأصحاح الحادى عشر من سفر اللاويين.

وجاء في الأصحاح التاسع والعشرين من سفر التكوين: أن سيدنا يعقوب الكتاب جمع بين الأختين ليَا وراحيل، مع أن هذا الحكم حرام في الشريعة الموسوية. ففي العدد الثامن عشر من الأصحاح الثامن عشر من سفر اللاويين هكذا: "ولا تأخذ امرأة على أختها للضر لتكشف عورتها معها في حياتهما" انتهى. فلو لم يكن الجمع بين الأختين جائزًا في شريعة يعقوب الكتاب للزم أن يكون أولادهما أولاد زنا. والعياذ بالله تعالى. مع أن أكثر أنبياء بنى إسرائيل من أولادهما. فلا بد من

الاعتراف والإقرار بأن هذا الحكم كان جائزًا في شريعة يعقوب عليهما السلام ثم نسخ.

وجاء في العدد العشرين من الأصحاح السادس من سفر الخروج أن عمران أبو موسى عليهما السلام تزوج عمته يوكابد وولدت منه موسى وهارون -عليهما السلام- وهذا النكاح حرام في الشريعة الموسوية كما يفهم ذلك من العدد الثاني عشر من الأصحاح الثاني عشر من سفر اللاويين ونصه هكذا: "لا تكشف عورة عمتك لأنها قرابة أبيك" انتهى. فلو لم يكن هذا النكاح جائزًا قبل شريعة موسى -عليه السلام- للزم أن يكون موسى وهارون وأختهما مريم من أبناء الزنا -والعياذ بالله تعالى- ويلزم عليه أيضًا أن لا يدخلوا في جماعة الرب إلى عشرة أحقاب. كما هو مصرح به في العدد الثالث من الأصحاح الثالث والعشرين من سفر التثنية. ولو كانوا هؤلاء قابلين للإخراج من جماعة الرب؛ فمن يكون صالحًا للدخول فيها؟ فلا بد من الاعتراف بأن ذلك النكاح كان جائزًا فيما قبل شريعة موسى، ثم نسخ فيها.

وهذه الأحكام تتلزم اليهود والسامرة والنصارى جميعاً.

وهاك ما يختص بإلزام النصارى فقط:

فأقد جاء في شريعة موسى عليه السلام أنه يجوز للرجل أن يطلق امرأته لكل علة، وأن يتزوج رجل آخر بتلك المطلقة بعد ما خرجت من بيت الأول، كما هو مصرح به في الأصحاح الرابع والعشرين من سفر التثنية. وهذا الطلاق لا يجوز بالشريعة المسيحية

إلا بعلة الزنا، كما هو مصري به في الأصحاح الخامس والتاسع عشر من إنجيل متى وعبارته هكذا: إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى؛ يزنى. والذي يتزوج بمطلقة؛ يزنى" انتهى.

ولما اعترض الفرّيسون على المسيح بهذه المسألة قال في جوابهم هكذا: "إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نسائكم، ولكن من البداء لم يكن هكذا" انتهى. فعلم من جوابه هذا ثبوت النسخ في هذا الحكم مرتين. مرة في الشريعة الموسوية، ومرة في الشريعة المسيحية، وأنه قد ينزل الحكم تارة موافقاً لحال المكلفين، وإن لم يكن حسناً في نفس الأمر.

وقد علمت فيما تقدم أنه جاء في الشريعة الموسوية تحريم الحيوانات الكثيرة علىبني إسرائيل، وقد نُسخت حرمتها في الشريعة المسيحية، وثبتت الإباحة العامة بفتوى بُولس. فلقد جاء في العدد الرابع عشر من الأصحاح الرابع عشر من رسالته إلى رومية هكذا: "إني عالم ومتيقن في الرب يسوع أن لا شيء نجس بذاته إلا من يحسب شيئاً نجساً؛ فله هو نجس" انتهى؛ وجاء في العدد الخامس عشر من الأصحاح الأول من تيطس هكذا: "كل شيء ظاهر للطاهرين وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شيء ظاهر بل قد تتجرس ذهنهم أيضاً وضميرهم" انتهى. فهذا القول عجيب في الظاهر بالنسبة إلىبني إسرائيل لعل بنبي إسرائيل لم يكونوا ظاهرين فلم تحصل لهم هذه الإباحة العامة ولما كان المسيحيون ظاهرين حصلت لهم الإباحة العامة

من قِبَل بولس وجعل كل شيء ظاهراً لهم. وكان جاهداً نفسه في إشاعة هذه الإباحة العامة. ولذلك كتب إلى تيموتاوس في العدد الرابع من الأصحاح الرابع من تلك الرسالة الأولى من النسخة المطبوعة سنة ١٨٤٨ ميلادية هكذا: "أن كل ما خلق الله؛ حسن. ولا يجوز أن يرفض منه شيء إذا أكلناه ونحن شاكرين؛ لأنه يتقدس بكلمة الله وبالتضريع؛ فإن ذكرت الأخوة بهذا؛ فقد صرت للمسيح خادماً متربتاً في كلام الإيمان والتعليم الصحيح الذي اتبعت أثره" "انتهى".

ومن جملة الأحكام المنسوخة في الشريعة المسيحية: أحكام الأعياد التي فصلت في الأصحاح الثالث والعشرين من سفر اللاويين، وكانت واجبة أبدية في الشريعة الموسوية، وجاءت ألفاظ في ذلك الأصحاح تدل على أنها أبدية وكان تعظيم السبت حكماً أبداً في الشريعة الموسوية وما كان لأحد أن يعمل فيه أدنى عمل، وكان من عمل فيه عملاً، ومن لم يحافظ عليه؛ واجب القتل. وقد تكرر بيان هذا الحكم والتأكيد عليه في كتب العهد العتيق في كثير من المواضع، ولكنها لا حاجة إلى نقلها. ولما كان المسيح عليه السلام يعمل في السبت أشياء كان اليهود المعاصرون له يؤذونه بها ويريدون قتله وكان هذا العمل من أدلة إنكارهم له. كما يفهم ذلك من العدد السادس عشر من الأصحاح الخامس من إنجيل يوحنا ونصه هكذا: "ولهذا كانت اليهود يطردون يسوع ويطلبون أن يقتلوه لأنه عمل هذا في السبت" انتهى. وجاء في العدد السادس عشر من الأصحاح التاسع من الإنجيل

المذكور هكذا: "فقال قدم من الفريسيين: هذا الإنسان ليس من الله؛ لأنه لا يحفظ السبت. آخرون قالوا: كيف يقدر إنسان خاطئ أن يعمل مثل هذه الآيات" انتهى. فهذا القول صريحان في الدلالة على أن السبت كان معملاً في الشريعة الموسوية غاية التعظيم، ثم نسخ.

والحق أن عمل المسيح فيه تلك الأعمال لا يدل على نسخه وعدم تعظيمه؛ لأن ذلك العمل من البر والخير، وأعمال الخير ليست بمنوعة فيه، وليس في كلام المسيح عليه السلام، ما يدل على نسخه أصلاً، وإنما الذي نسخه وأباح العمل فيه مقدس المسيحيين بولس، بل نسخ جميع الأعياد الموسوية سواء كانت سبتية أو غيرها، وبين في رسالته أن هذه الأشياء كانت إضلالاً. فلقد جاء في العدد السادس عشر من الأصحاح الثاني من رسالته إلى أهل كولوسي هكذا: "فلا يدينكم أحد بالماكولات والمشرب أو بالنظر إلى الأعياد أو الأهلة أو السبت؛ فإن هذه الأشياء ضلال للأمور المزمعة بالإتيان، وأما الجسد فإنه لل المسيح" انتهى. وهذا القول صريح في ينسخ الأعياد وإياحة جميع الأطعمة والأشربة أيضاً. غير أن حضرة القديس قد أساء في ستره فإن قوله إن هذه الأشياء ضلال؛ لا يناسب عباره التوراة؛ فإن الله عَزَّ وَجَلَّ قد بين علة تحريم الحيوانات التي حرم الله أكلها على بنى إسرائيل بكونها نجسة، ثم خاطبهم بقوله: فلا بد أن تكونوا مقتسين؛ لأنني أنا قدوس. كما هو مصرح به في العدد الرابع والأربعين من الأصحاح الحادى عشر من سفر اللاويين.

وكذلك الختان كان أبداً في شريعة إبراهيم عليه السلام كما هو مصرح به في الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين. ولهذا بقى هذا الحكم في أولاد إسماعيل^(١) وإسحاق عليهما السلام وبقى في شريعة موسى عليه السلام أيضاً. فلقد جاء في العدد الثاني من الأصحاح الثاني عشر من سفر اللاويين هكذا: "وفي اليوم الثامن يختن الصبي" انتهى. وقد ختن المسيح عليه السلام أيضاً كما هو مصرح به في العدد الحادى والعشرين من الأصحاح الثاني من إنجيل لوقا وكان هذا الحكم باقياً إلى عروج المسيح عليه السلام وما نسخ، وإنما الذي نسخه هم الإنجيليون في عهدهم، كما هو مصرح به في الأصحاح الخامس عشر من أعمال الحواريين. وقدس المسيحيين بولس يشدد في نسخ هذا الحكم تشديداً بليراً فقد جاء في الأصحاح الخامس من رسالته إلى أهل غلاطية هكذا: "هَا أَنَا بُولُسُ أَوْلُ أَكْمَمْ: إِنَّمَا إِنِّي أَخْتَسِنُ لَا يَنْفَعُكُمُ الْمَسِيحُ شَيْئاً إِلَّا كَمَنْ أَشْهَدُ أَيْضًا لِكُلِّ إِنْسَانٍ مُخْتَسِنٍ إِنَّمَا مُتَرَدِّمْ أَنْ يَعْمَلَ بِكُلِّ النَّائِمُونِ". قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تبررون بالتأموم. سقطتم من النعمة. فإننا بالروح من الإيمان تتوقع رحاء بر. لأن الله في المسيح يسوع لا يختان ينفع شيئاً ولا الغرلة، بل الإيمان العامل بالمحبة" انتهى. وجاء في العدد

(١) الختان في التوراة كان مفروضاً على الذكور فقط. وذلك ليتميز المؤمنون عن عباد الأصنام في القتل في معارك الحروب. وليس في القرآن أن الختان مفروض على الذكور من بنى إسماعيل في شريعة محمد ﷺ وذلك لأن اليهود يختتون بحكم شريعتهم. فإذا حاربوا اليهود في أيام معركة فإنه إذا كان الله يريد الختان في المسلمين. فإنه لن يتميز المسلم عن اليهودي في أرض المعركة. فلذلك لم يفرض الله على المسلمين ختان الذكور لا في القرآن ولا في السنة. ولم يفرض ختان الإناث أيضاً.

الخامس عشر من الأصحاح السادس من الرسالة المذكورة هكذا: "لا منفعة للختان في المسيح يسوع ولا القلفة بل الخلق الجديد" انتهى بهذه الأقوال صريحة في نسخ حكم الختان المؤبد.

وكذلك أحكام الذبائح كانت كثيرة وأبدية في شريعة موسى الكتاب وقد نسخت في الشريعة المسيحية، وكذلك الأحكام الكثيرة المختصة بآل هارون الكتاب من الكهانة واللباس وقت الحضور للخدمة وغيرها؛ كانت أبدية وقد نسخت في الشريعة المسيحية. بل جميع أحكام التوراة قد نسخها الحواريون بعد المشاورات التامة إلا أربعة أحكام ذبيحة الصنم والدم والمخنوق والزناء؛ فأبقوا حرمتها وأرسلوا بذلك كتاباً إلى الكنائس. وهو منقول في الأصحاح الخامس عشر من أعمال الرسل وبعض إعداده هكذا: "إذ قد سمعنا أن أناساً خارجين من عندي أزعجوكم بأقوال مقلبين أنفسكم وقاتلتين أن تختننوا، وتحفظوا الناموس الذين نحن لم نأمرهم، رأينا وقد صرنا بنفس واحدة أن نختار رجلين ونرسلهما إليكم مع حبيبينا بِرْنابا وبولس. رجلين قد بذلا أنفسهما لأجل اسم ربنا يسوع المسيح؛ فقد أرسلنا يهودا وسيلا، وهما يخبرانكم بنفس الأمور شفافاً؛ لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم تقالاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة، أن تتمتعوا بما ذبح للأصنام، وعن الدم، والمخنوق، والزناء. التي إن حفظتم أنفسكم منها فنعمماً ق فعلون. كونوا معافين" انتهى.

فهذا القول يفيد افتقار حرمة العمل على هذه الأربع، لكن قد علمت فيما تقدم أن مقدس المسيحيين بولس قد نسخ حرمة الثلاثة الأولى بقوى الإباحة العامة التي مر نقلها وعليها جمهور بروتستانت. فهذا مقدسهم بولس لم يُبق من الأحكام العملية التي كانت في الشريعة الموسوية إلا حرمة الزنا فقط، لكن لما لم يكن فيه حدًّا في الشريعة المسيحية؛ فهو منسوخ من هذا الوجه أيضًا. فقد حصل الفراغ من هذه الشريعة، ونسخ جميع أحكامها. أبدية كانت أو غير أبدية"

وهذا ما أوردت إيراده من أمثلة القسم الأول وسيتلى عليك أمثلة القسم الثاني في محله إن شاء الله تعالى بما يشفى العليل ويروي الغليل.

عدم نسخ القرآن للتوراة

ثم قال القيسن النبيل صاحب البرهان الجليل هكذا : " وأما كتابهم فصريحة يشهد بأن القرآن جاء مصدقاً للتوراة والإنجيل، لا ناسخاً ومبطلأ لها وأيضاً: ورد في كتابهم أن رسولهم جاء مصدقاً لما معهم. أى مع أهل الكتاب. فما ورد مصححاً لما ذكر: ما أتى في سورة يونس: **(وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُتَرَكَّ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي يَئِنَّ يَدَهُ بِوَقْتِهِ الْكِتابِ)** قال البيضاوى فى تفسيره: مطابقاً لما تقدمه من الكتب الإلهية المشهود على صدقها. وفي سورة الأحقاف: **(وَمَذَا)** أى القرآن **(كِتابٌ مُّصَدِّقٌ)** للتوراة والإنجيل. وسبب ذلك: أن التوراة نزلت في اللغة العبرانية والإنجيل في اللغة اليونانية. وهاتان اللغتان كان متعرضاً على العرب ففهمهما. فلذلك نزل القرآن في اللغة العربية مطابقاً ومصدقاً لما نزل قبله من التوراة والإنجيل **(وَتَفْصِيلًا)** أى تبيينا لهما في لغة العرب. إذا علمت ما قررنا لك يتضح لك عدم نسخ القرآن للتوراة والإنجيل"

أقول وبالله التوفيق وبه الهدية إلى أقوم طريق: إن ما استشهد به حضرة القيسن من الآيات القرآنية الدالة على كون القرآن الكريم جاء مصدقاً لما قبله من التوراة والإنجيل في كونهما من جانب الله تعالى ومطابقاً لهما في صدق القصص والأخبار والمواعيد؛ على عدم النسخ

لشيء من أحكامها العملية؛ في غير محله. ومنشأه: قلة علمه وسوء فهمه؛ لأن أمر النسخ هو دون ذلك الأمر. إذ لا يلزم من كون القرآن المجيد شهد لها بكونهما منزلين من عند الله تعالى وكونه مطابقاً لهما في القصص والأخبار والمواعيد؛ عدم النسخ لشيء من أحكامها العملية الصالحة للنسخ.

ومن المعلوم البين عند سائر المسيحيين: أن المسيح عليه السلام شهد أيضاً للتوراة بالصحة وكونها من جانب الله تعالى مع أن شريعته قد نسخت كثيراً من أحكامها بل نسخت الجميع كما قد علمت ذلك فيما تقدم بما لا مزيد عليه، فكما أنه لا يلزم من شهادة المسيح عليه السلام للتوراة بالصحة وكونها منزلة من عند الله تعالى؛ عدم النسخ لبعض أحكامها العملية؛ فكذلك القرآن المجيد لا يلزم من شهادته للتوراة والإنجيل بكونهما منزلين من عند الله تعالى وكونه مطابقاً لهما في العقائد والتوحيد وصدق الأخبار والمواعيد؛ عدم النسخ لبعض أحكامها العملية؛ لأن أمر النسخ غير أمر الشهادة لها بالصحة والصدق. إذا علمت ما قررناه يتضح لك أن استشهاد حضرة القيسис بالأيات القرآنية على عدم نسخ القرآن المجيد لبعض أحكام التوراة والإنجيل؛ غلط يقيني. وفي تفسيره الآية سورة يونس دليل واضح على وقوع التغيير والتبدل في التوراة والإنجيل؛ لأنه كان نزوله ليفصل ويبين حقيقة ما كان أنزل في التوراة والإنجيل، وقد وجدها بعد المقابلة التامة مبيناً غالباً مضمونها من قصص وأخبار ومواعيد؛ علمنا بالبداوة واليقين أنهم قد

اعترافهما التغيير والتبدل بالزيادة والنقصان. والحس المشاهدة
شاهدان على ذلك.

قال بعض الفضلاء: " وإنما كان وقوع ذلك لكثرة وقوع الحوادث
والفتنة على أهلها "

قال: " وسبب ذلك اختلاط الحق بالباطل والصدق بالكذب؛ فتعسر
تمييز أحدهما عن الآخر. ولنلا يصير ذلك عذراً في إعراض الخلق
عن عبادة الحق سبحانه وتعالى؛ أرسل رسوله محمدًا بالبيان، من جبال
فاران. على فترة من دين الرسل. وإليه إشارة بقوله تعالى: (يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَوَلُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ
جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)"

قال الفخر الرازى قدس سره العزيز فى تفسير هذه الآية الشريفة
هكذا: "الفائدة فى بعثة محمد ﷺ عند فترة من الرسل هي أن التغيير
والتحريف قد تطرق إلى الشرائع المتقدمة لتقايم عهدها وطول زمانها.
وبسبب ذلك: اختلاط الحق بالباطل، والصدق بالكذب. وصار ذلك عذراً
ظاهراً في إعراض الخلق عن العبادات؛ لأن لهم أن يقولوا: يا إلهنا
عرفنا أنه لا بد من عبادتك، ولكننا ما عرفنا كيف نعبدك. فبعث الله
 سبحانه وتعالى في هذا الوقت؛ أحب خلقه إليه محمدًا ﷺ إزالته لهذا
"العذر"

النسخ في الأمر والنهي

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل : " ثم لو فرضنا صحة مدعاهم هذا -أى نسخ القرآن للتوراة والإنجيل- لبقي جانب عظيم من هذين الكتابين لا يمكن أن يطرأ عليه النسخ أبداً، لأن النسخ بحسب اعتقاد علماء الإسلام لا يقع إلا في الأمر والنهي، كما أفاده الإمام جلال الدين السيوطي في كتاب الإتقان بقوله: "لا يقع النسخ إلا في الأمر والنهي ولو بلفظ الخبر الذي ليس بمعنى الطلب؛ فلا يدخله النسخ ومنه الوعد والوعيد. وإذا عرفت ذلك عرفت فساد صنع من أدخل في كتابه في النسخ كثيراً من الأخبار والوعد والوعيد" انتهى كلام السيوطي.

وقال صاحب إظهار الحق: "النسخ في اللغة الإزالة. وفي اصطلاح أهل الإسلام بيان مدة انتهاء الحكم العملي الجامع للشروط؛ لأن النسخ لا يطراً عندنا على القصص ولا على الأمور القطعية العقلية، مثل أن صانع العالم موجود، ولا على الأمور الحسية مثل ضوء النهار وظلمة الليل، ولا على الأحكام التي تكون واجبة نظراً إلى ذاتها. مثل آمنوا ولا تشركوا، ولا على الأحكام المؤبدة، ولا على الأحكام المؤقتة قبل وقتها المعين، بل يطراً على الأحكام التي تكون عملية محتملة للوجود والعدم، غير مؤبدة وغير مؤقتة. وتسمى الأحكام المطلقة. وإذا علمت هذا فأقول: ليست قصة من القصص المندرجة في العهد العتيق والجديد منسوخة عندنا. والأمور القطعية

العقلية والحسية والأحكام الواجبة والأحكام المؤبدة والأحكام المؤقتة قبل أوقاتها، والأحكام المطلقة التي يفرض فيها الوقت والمكلف والوجه متعدد؛ لا تكون هذه الأشياء كلها منسوخة. فلا يكون الزبور الذي هو أدعية منسوخاً بالمعنى المصطلح عندنا، ولا نقول قطعاً إنه ناسخ للتوراة ومنسوخ من الإنجيل. كما افترى هذا الأمر على أهل الإسلام صاحب ميزان الحق، وقال: إن هذا مصحح في القرآن والتفاسير" انتهى كلام صاحب إظهار الحق.

أقول إن ما نقله هذا القسيس عن صاحب إظهار الحق والإمام السيوطي هو عين ما عليه أهل الإسلام من الاعتقاد في حكم النسخ. وقد تقدم لك بيان ذلك مع ذكر أمثلة كل نوع من أقسامه المذكورة. ثم استنتج هذا القسيس من هاتين العبارتين حكماً وقال فيه هكذا: "فعلى لو فرضنا وقوع النسخ في التوراة والإنجيل؛ لا يكون القرآن ناسخاً لجميع آياتهما^(١) لأن النسخ لا يتوجه على القصص والأخبار والتعاليم

(١) كتاب التوراة يشتمل على الأحكام الفقهية ويشتمل على العقائد والقصص. وللقرآن نسخ الأحكام الفقهية، وبين أن في العقائد والقصص تحريف لفظي. ففي التوراة مثلاً أن الله استراح في يوم السبت بعدما خلق السموات والأرض. وفي القرآن «وَتَائِمَّنَ مِنْ لُغْرِب» وهذا. وفي التوراة أن الإمامة الدينية تكون في نسل هرون القىحة الذي هو من سبط اللاويين. وفيها أنه إذا جاء النبي المنتظر فإن كل إنسان من أتباعه؛ يصبح له إقامة الدين بمفرده. أي أن النبي المنتظر ينسخ شريعة التوراة، وفي الوقت ذاته يغير مقيمي الشعائر. وعندنا في الدين الإسلامي أن كل إنسان يصبح له إقامة الدين سواء أكان عربي الجنس أم كان عربي الديانة.

والنص التالي من الأصحاح الرابع والخمسين من سفر إشعياء فيه عن مكة المكرمة: "وكل بنيك تلاميذك الرب" وفي الأصحاح الحادى والثلاثين من سفر إرمياء أن الله سيقطع عهدا جديدا بدل العهد الأول عهد التوراة. وقد تناول بولس هذا العهد بالبيان. وهذه هي النصوص:

أول: نص "وكل بنيك تلاميذ الرب": "ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد أشidi بالترن
أيتها التي لم تمخض لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل قال الرب أوسعي
مكان خيمتك ولتبسط شقق مساكنك لا تمكسي أطيل اطنابك و شددي أوتادك لأنك
تمتددين إلى اليمين وإلى اليسار و يرث نسلك أمما و يعمر مدنا خربة لا تخافي لأنك لا
تخزين ولا تخجلي لأنك لا تستحين فانك تنسين خزي صباك و عار ترملك لا تذكرينه
بعد لأن بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه ووليك قدوس إسرائيل الله كل الأرض
يدعى لأنه كامرأة مهجورة و محزونة الروح دعاك الرب وكزوجة الصبا إذا رذلت
قال إلهك لحيطة تركتك وبمراح حظيرة سأجمعك بفيضان الغضب حجبت وجهي عنك
لحظة وبإحسان أبي أرحمك قال وليك الرب لأنه كمياه نوح هذه لي كما حلفت أن لا
تعبر بعد مياه نوح على الأرض هكذا حلفت إن لا أغضب عليك و لا أزجرك فان
الجبال تزول والأكام تتزعزع أما إحساني فلا يزول عنك وعهد سلامي لا يتزعزع قال
راحمك الرب أيتها النليلة المضطربة غير المتعزية هاؤنذا ابني بالائم حجارتك
وبالياقوت الأزرق أوسسك واجعل شرفك ياقوتا وأبوابك حجارة بهرمانية وكل تخومك
حجارة كريمة وكل بنيك تلاميذ الرب وسلم بنيك كثيرا بالبر تثبتين بعيدة عن الظلم فلا
تخافين وعن الارتاع فلا يدنو منك ها إبهم يجتمعون اجتماعا ليس من عندي من
اجتماع عليك فإليك يسقط هاؤنذا قد خلقت الحداد الذي ينفع الفحم في النار و يخرج آلة
لعمله وأنا خلقت المهالك ليخرج كل آلة صورت ضنك لا تتجح وكل لسان يقوم عليك
في القضاء تحكمين عليه هذا هو ميراث عبيد الرب ويرهم من عندي يقول الرب"

ثانيا: نص العهد الجديد: "ما أيام تأتي يقول الرب وقطع مع بيت إسرائيل ومع
بيت يهودا عهدا جديدا ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخر جهم

والإرشاد والنصائح والأدعية والوعيد والوعيد. ولا شك أن التوراة والإنجيل مشتملان على نحو ذلك. ولا يصح أن يقال: لما كان بعض آياتهما منسوخاً؛ نسخاً تبعاً للبعض المنسوخ وأبطلا. لأننا نقول: لو كان وقوع النسخ في كتاب من الكتب الإلهية مخلاً به ومبطلا له؛ لانلزم أهل الإسلام أن يرفضوا القرآن أيضاً؛ لأنه وقع النسخ فيه، ونسخ بعض آيات القرآن هذا؛ متفق عليه عند جميع علمائهم"

من أرض مصر حين نقضوا عهدي فرفضتهم يقول الرب بل هذا هو العهد الذي اقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب أجعل شريعتي في داخلهم واكتبهما على قلوبهم وأكون لهم إليها وهم يكونون لي شعباً ولا يعلمون بعد كل واحد صاحبه وكل واحد أخي قائلين اعرفوا الرب لأنهم كلهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم يقول الرب لأنني أصنع عن إثيمهم ولا انكر خطيتهم بعد هكذا قال الرب الجاعل الشمس للإضاءة نهاراً وفراتص القمر والنجوم للإضاءة ليلاً الزاجر البحر حين تعج أمواجه رب الجنود اسمه إن كانت هذه الفراتض تزول من أمامي يقول الرب فان نسل إسرائيل أيضاً يكف من أن يكون أمة أمامي كل الأيام"

ثالثاً: نص كلام بولس وهو في العهد الجديد -الذى هو عهد القرآن، لا عهد الإنجيل كما يزعم لأن المسيح لم يأت بجديد على التوراة:- "لأنه يقول لهم لأنما: هؤلاً أيام ثانية يقول رب، حين أكمل مع بيت إسرائيل وعمر بيت هؤلاً عهداً حديثاً. لا كالفهد الذي عملته مع آبائهم يوم أنسكت بيدهم لأنفخر جههم من أرض مصر، لأنهم لم يتبثوا في عهدي، وأنا أهنتلهم بقولي رب. لأن هذا هو العهد الذي أعهدت مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول رب: أدخل تواميسى فيي أذنائهم، وأكتبها على قلوبهم، وأنا أكون لهم إليها وهم يكرؤن لي شيئاً. ولا يعلمون كل واحد فرقة و بكل واحد أخاه قائلاً: اغرف الراب، لأن الجميع سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم. لأنني أكون صفحواً عن آبائهم، ولا أذكر خطاياهم وتدلياتهم في ما بعد"

أقول وبإله التوفيق وبه الهدایة لأقوم طریق: إن کلام حضرة القسیس الذى استتتجه من کلام الفاضل صاحب إظهار الحق، وكلام الإمام السیوطى من أن جانباً عظیماً لا يمكن أن يطراً عليه النسخ، مثل القصص والأخبار والتعالیم والوعد والوعید؛ أمر مُسلم عندنا معاشر المسلمين، وهو عین ما عليه أهل الدين الإسلامی المبین، كما علمت من ذلك فيما مر بما لا مزید عليه، لكننا لا نقول كما ظن هذا القسیس من أنه لما كان بعض آیات التوراة منسوخاً، نُسخاً تبعاً للبعض المنسوخ، بل هو قول الذين في بحر الغفلة يعمهون. وإنما نقول: إن هذه التوراة وهذا الإنجیل بل وسائر کتب العهد العتیق والجید المداولۃ الآن ليست هي معتبرة عندنا معاشر المسلمين البنة. وذلك لعدم اتصال أسانیدها وثبوت وقوع التغیر والتبدیل فيها بالزيادة والنقصان، ولكونهما مشتملة على قصص وأخبار لا تليق بالكتب الإلهیة، بل لا تليق بتواریخ أهل الصیانة والدیانة، فضلاً عن الكتب الإلهیة.

مثل ما نسب إلى سیدنا لوطن القطیع من أنه زنا بابنته وهو في خمار الخمر وحملتا منه بالزنـا -والعياذ بالله تعالى- ومثل ما نسب إلى سیدنا داود القطیع من أنه زنا بامرأة الغیر وقتلـه بالحيلة. ومثل ما نسب إلى ابنه سليمان القطیع من أنه ارتدى عبد الأصنام -والعياذ بالله تعالى- ومثل ما نسب إلى أخيه أبـشـالـوـم من أنه زنا بـجـمـيـع سـرـارـى أبيـه دـاـود القطیع أمـام جـمـيـع بـنـى إـسـرـائـيل وـقـدـام الشـمـسـ، بأـمـر الـربـ وـحـكـمـهـ. ومثل

ما نسب إلى يهودا بن سيدنا يعقوب القطن من أنه زنا بـبناته ثamar زوجة ابنه وحملت منه بالزنا وولدت توأمين أحدهما سمي فارص والثاني زارح. وداود وسلمان والمسيح عليهم السلام كلهم من أولاد فارص المذكور. كما هو مُصرح به في الأصحاح الأول من إنجيل متى. فكل هذه القصص وأمثالها. لا نقول إنها منسوقة تبعاً للبعض المنسوخ، بل نقول: إنها باطلة كاذبة يقيناً دسها، من لا يخشى الله تعالى في الكتب السماوية. ولا شتمالها على هذه الأمور نهيناً عن اقتدائها واستعمالها، وعن النظر فيها. وذلك لاختلاط الحق بالباطل والصدق بالكذب. ولا نقول يقيناً: إنها نسخت تبعاً للبعض المنسوخ لأنه لا يلزم من وقوع النسخ لبعض الأحكام العملية في كتاب من الكتب الإلهية أن يرفض ذلك الكتاب ويحمل بالكلية. ولو لزم ذلك للزم هذا القسيس ومن يقول بقوله أن يرفض التوراة والإنجيل ويحملهما ولا يعمل بهما؛ لأنه كما وقع النسخ لبعض أحكام القرآن المجيد العملية؛ فكذلك وقع النسخ لبعض أحكام التوراة والإنجيل وإليك الدليل منها بما يشفى العليل ويروى الغليل:

فأقول إن الله سبحانه وتعالى أمر سيدنا إبراهيم بنجح ابنه إسحاق القطن ثم نسخ هذا الحكم قبل العمل به، وأمر بنجح الكبش عوضاً عنه. كما هو مُصرح به في الأصحاح الثاني من سفر التكوين من التوراة. ولقد جاء في العدد الثالث من الأصحاح السابع عشر من سفر الأحبار هكذا: "أيما رجل من بنى إسرائيل نجح ثوراً أو خروفاً أو عنزاً في

المحلة أو خارج المحلة ولا يأتي بقربانه إلى باب قبة الزمان؛ فيقرب به قربانا للرب؛ فليحسب على ذلك الرجل سفك دم، من أجل أنه أراق دما، وبهلك ذلك الرجل من شعبه" وقد نسخ هذا الحكم بما جاء في العدد الخامس عشر من الأصحاح الثاني عشر من سفر التثنية من التوراة ونصه هكذا: "فَلَمَّا إِنْ شَئْتَ أَنْ تَأْكُلْ وَمُسْتَلْذًا بِأَكْلِ الْحَلْمَ فَادْبِعْ وَكُلْ بِالْبَرْكَةِ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ فِي قَرَاقَ" ثم قال في العدد العشرين هكذا: "إِذَا وَسَعَ الرَّبُّ إِلَهُكَ تَخُومَكَ كَمَا كَلَمَكَ وَقَلَتْ آكِلْ لَحْمًا لَأَنْ نَفْسَكَ تَشْتَهِي أَنْ تَأْكُلْ لَحْمًا؛ فَمَنْ كُلَّ مَا تَشْتَهِي نَفْسَكَ تَأْكُلْ لَحْمًا. إِذَا كَانَ الْمَكَانُ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلَهُكَ لِيَضْعُ اسْمَهُ فِيهِ بَعِيدًا عَنْكَ؛ فَادْبِعْ مِنْ بَقْرَكَ وَغَنْمَكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ كَمَا أَوْصَيْتَكَ، وَكُلْ فِي أَبْوَابِكَ مِنْ كُلِّ مَا اشْتَهَتْ نَفْسَكَ كَمَا يُؤْكِلُ الظَّبَابُ وَالْأَيْلُ هَكَذَا تَأْكِلُهُ، النَّجَسُ وَالظَّاهِرُ يَأْكَلُنَّهُ سَوَاءً، لَكِنْ احْتَرِزْ أَنْ لَا تَأْكُلَ الدَّمَ لَأَنَّ الدَّمَ هُوَ النَّفْسُ؛ فَلَا تَأْكُلَ النَّفْسَ مَعَ الْحَلْمِ" انتهى.

فهذا القول صريح في نسخ ما جاء في سفر الأحبار.

قال الفاضل هورن في الصفحة ٦١٩ من المجلد الأول من تفسيره بعد أن نقل هذه الأعداد هكذا: "فِي هَذِينِ الْمَوْضِعَيْنِ تَنَاقْضٌ فِي الظَّاهِرِ، لَكِنْ إِذَا لَوْحَظَ أَنَّ الشَّرِيعَةَ الْمُوسَوِيَّةَ كَانَتْ تَزَادُ وَتَنَقْصُرُ، فِي وَقْفٍ أَحْوَالِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمَا كَانَتْ بِحِيثِ لَا يُمْكِنْ تَبْدِيلُهَا، فَالْتَّوْجِيهُ فِي غَايَةِ السَّهْوَلَةِ" انتهى. ثم قال: "نسخ موسى في السنة الأربعين من هجرته

قبل دخول فلسطين ذلك الحكم -أى حكم سفر الأحبار بحكم سفر التثنية- نسخا صريحا، وأمر أنه يجوز لهم بعد دخول فلسطين أن ينبحوا البقر والغنم فى أى موضع شاؤا ويأكلون" انتهى ملخصا.

فهذا المفسر الذى هو من مشاهير المفسرين قد اعترف بنسخ حكم سفر الأحبار، وأقر بأن الشريعة الموسوية كانت تزيد وتنقص على وفق حال بني إسرائيل. ومثل هذا جاء فى العدد الثالث عشر من الأصحاح الرابع من سفر الأحبار. من فداء جماعة بني إسرائيل ثوراً واحداً. وجاء فى العدد الثانى والعشرين من الأصحاح الخامس عشر من سفر العدد أن فداء خطفهم ثوراً واحداً مع لوازمه وجدياً ماعزاً أيضاً. فنسخ الأول بالثانى. فارجع إليهما إن شئت. وقد جاء فى العدد الثالث والعشرين إلى العدد السادس والأربعين من الأصحاح الرابع من سفر العدد أن خدام قبة الجماعة لا يجوز أن يكون عمر كل واحد منهم أقصى من ثلاثين وأزيد من خمسين سنة، بل يكون من ثلاثين فصاعداً إلى الخمسين. وجاء فى العدد الرابع والعشرين من الأصحاح الثامن من السفر المذكور: أن خدام القبة المذكورة من خمسة وعشرين سنة فصاعداً إلى الخمسين. فنسخ الأول بالثانى أو أحدهما غلط. وجاء مثل هذا فى العدد الثلاثين من الأصحاح الثانى من سفر سموئيل الأول ونصه هكذا: "لذلك يقول الرب إله إسرائيل أني قلت أن بيتك وبيت أبيك يسيراً من أمامي إلى الأبد. والآن يقول الرب: حاشا لي فاني أكرم الذين يكرموني، والذين يحتقرونني يصغرون. وهذا تأتي أيام أقطع

فيها ذراعك وذراع بيت أبيك حتى لا يكون شيخ في بيتك وترى ضيق المسكن في كل ما يحسن به إلى إسرائيل، ولا يكون شيخ في بيتك كل الأيام، ورجل لك لا أقطعه من أمام منبحي؛ يكون لإكال عينيك وتذويب نفسك، وجميع ذرية بيتك يموتون شبانا. وهذه لك علامة: تأتي على ابنيك حُقْنِي وفي نحاس في يوم واحد. يموتان كلاهما. وأقيم لنفسي كاهناً أميناً يعمل حسب ما بقلبي ونفسِي" انتهى. فهذا القول صريح في أن الله كان وعد أن منصب الكهانة يبقى في بيت عالي الكاهن وبيت أبيه، ثم أخلف وعده ونسخ ذلك الحكم وأقام كاهناً آخر، يعمل حسب ما بقلبِ الرب ونفسه. والعياذ بالله تعالى.

وقد نقل الفاضل ورجرد منيت في تفسيره قول الفاضل ياترك هكذا: "ينسخ الله هنا حكمًا كان وعد به وأقر به بأن رئيس الكهنة يكون منكم إلى الأبد. أعطى هذا المنصب لـالعازار الولد الأكبر لهارون، ثم أعطى إيثamar الولد الأصغر لهارون، ثم انتقل الآن بسبب نسب أولاد عالي الكاهن إلى أولاد العازار" انتهى. فهذا القول يدل على أن الخلف وقع في وعد الله مرتين في زمان الشريعة الموسوية. وأما الخلف الذي وقع في الأمر عند ظهور الشريعة المسيحية مرة ثالثة أنه لم يبق أثر لما لهذا المنصب، لا في أولاد العازار ولا في أولاد إيثamar، أما الوعد الذي كان للأعازار فهو مصريح به في الأصحاح الخامس والعشرين من سفر العدد. ولا يتغير الناظر من خلف وعد الله -على مذاق أهل الكتاب- لأن كتب العهدين ناطقة به، وبأن الله يفعل أمراً ثم

يندم على فعله تعلى الله على ذلك علوًّا كبيرًا - فلقد جاء في العدد التاسع والثلاثين من الأصحاح التاسع والثمانين من الزبور في كلام سيدنا داود عليه السلام هكذا: "لَكُنْكَ رَفَضْتَ وَرَذَلْتَ وَغَضِبْتَ عَلَى مَسِيحِكَ". نقضت عهد عبديك، نجست تاجه في التراب" انتهى. فهذا قول داود عليه السلام صريح في أن الله تعالى نقض عهده الذي كان وعده إيهامه. وجاء في العدد السادس من الأصحاح السادس من سفر التكوين هكذا: "فَحَزَنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الْإِنْسَانَ فِي الْأَرْضِ وَتَأْسَفَ فِي قَلْبِهِ". فقال الرَّبُّ أَمْحَوْتُ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ الْإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ . الإِنْسَانُ مَعَ بَهَائِمٍ وَدِبَابَاتٍ وَطَيْورَ السَّمَاوَاتِ لَأَنِّي حَزَنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ" انتهى. وفي الزبور السادس بعد المائة هكذا: "فَنَظَرَ إِلَى ضَيْقِهِمْ إِذَا سَمِعُوا صَرَاخَهُمْ وَذَكَرُ لَهُمْ عَهْدَهُ وَنَدَمَ عَلَى كُثْرَةِ رَحْمَتِهِ" انتهى. وفي العدد الحادى عشر من الأصحاح الخامس عشر من سفر صموئيل الأول في قول الرَّبُّ هكذا: "تَدَمَّتْ أَنِّي صَيَّرْتُ شَاؤِلَ مَلِكًا أَنَّهُ رَجَعَ مِنْ وَرَائِي وَلَمْ يَعْمَلْ بِمَا أَمْرَتُهُ" انتهى. وهذه الأقوال كلها صريحة في نسبة الندم لله تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا -

ومن الأحكام المنسوخة قبل العمل بها: ما جاء في العدد العاشر من الأصحاح الرابع من كتاب حزقيال من النسخة المطبوعة سنة ١٨٤٨ ميلادية ونصه هكذا: "وَطَعَامُكَ الَّذِي تَأْكُلُهُ يَكُونُ بِالْوَزْنِ كُلَّ يَوْمٍ عَشْرِينَ شَاقْلَةً، مِنْ وَقْتٍ إِلَى وَقْتٍ تَأْكُلُهُ، وَتَشْرُبُ الْمَاءَ بِالْكِيلِ سَدْسَ الْهَيْنِ، مِنْ وَقْتٍ إِلَى وَقْتٍ تَشْرِبُهُ، وَتَأْكُلُ كَعْكَةً مِنَ الشَّعِيرِ عَلَى

الخرء الذي يخرج من الإنسان، تخبزه أمام عيونهم. وقال رب: هكذا يأكل بنو إسرائيل خبزهم النجس بين الأمم الذين أطربهم إليهم. فقلت: آه يا سيد الرب. ها نفسي لم تتتجس، ومن صباعي إلى الآن لم أكل ميّة أو فريسة، ولا دخل فمي لحم نجس. فقال لي: انظر قد جعلت لك خثي البقر بدل خرء الإنسان؛ فتصنع خبزك عليه". انتهى.

ففسخ الأول بالثاني؛ لأن رب أمره أولاً بأن يلطخ خبزه بزبل يخرج من الإنسان، ثم لما استغاث حزقيال القديس للرب نسخ له هذا الحكم قبل العمل به وأعطاه زبل البقر عوضاً عن رجيع الإنسان. ومثل هذا قد ورد في العدد الأول من الأصحاح العشرين من سفر الملوك الثاني هكذا: "في تلك الأيام مرض حزقيا للموت، فجاء إليه إشعيا بن آموس النبي، وقال له: هكذا قال رب: أوص بيتك لأنك تموت و لا تعيش. فوجه وجهه إلى الحائط وصلى إلى رب قائلة: آه يا رب. اذكر كيف سرت أمامك بالأمانة وبقلب سليم وفعلت الحسن في عينيك. وبكي حزقيا بكاء عظيما ولم يخرج إشعيا إلى المدينة الوسطى حتى كان كلام الرب إليه قائلا: ارجع وقل لحزقيا رئيس شعبي: هكذا قال رب إله داود أبيك قد سمعت صلاتك. قد رأيت دموعك. ها إنذا أشفيك. في اليوم الثالث تصعد إلى بيت الرب، وأزيد على أيامك خمس عشرة سنة". انتهى.

فهذا صريح في أن الرب أمر حزقياً على لسان إشعياه بأن أوصى على بيتك لأنك ميت، ثم نسخ له هذه الحكم قبل أن يخرج إشعياه النبي إلى المدينة الوسطى، وزاد على عمره خمسة عشرة سنة. إذا علمت هذا تعلم أن نسخ أحكام كتب العهد العتيق؛ واقع فيها بالفعل حيث نسخ بعض أحكامها بأحكامها الأخرى.

وهكذا وقع في الإنجيل أيضاً فلقد جاء في العدد الخامس من الأصحاح العاشر من إنجيل متى هكذا: "هُوَلَاءِ الْأَنْتَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسْوَعُ وَأُوصَاهُمْ قَاتِلًا: إِلَى طَرِيقِ أُمِّ لَأَمْضُوا ، وَإِلَى مَدِينَةِ السَّامِرِيِّينَ لَا تَدْخُلُوا. بَلْ اذْهَبُوا بِالْحَرَى إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ". انتهى. فهذه الأعداد تدل صراحة على أن المسيح النبي كان يخصص رسالته إلى ^(١)بني إسرائيل - وهو

^(١) أخطأ المؤلف في قوله إن المسيح النبي كان يخصص رسالته إلى بنى إسرائيل. والصواب: أنه كان يخصص رسالته بالضرورة في بيتها إلى بنى إسرائيل. فلما عرفوا من التبشير بمحمد صلوات الله عليه في بلاد بنى إسرائيل أمرهم بالتبشير بمجيئه في جميع بلاد الأمم. والتبشير به مفهوم من الدعوة إلى "ملكوت السموات" لأن الملكوت له صلوات الله عليه ونص عبارته: "إِلَى طَرِيقِ أُمِّ لَأَمْضُوا ، وَإِلَى مَدِينَةِ السَّامِرِيِّينَ لَا تَدْخُلُوا، بل اذْهَبُوا بِالْحَرَى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة. وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين: إنه قد اقترب ملكوت السموات" انظر إلى قوله النبي "بالحرى" أى بالضرورة فلما عرفوا، أرسلهم إلى الأمم بقوله: "اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعِي وَأَكْرِزُوا..."

وهذا هو نص كلامه: "هُوَلَاءِ الْأَنْتَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسْوَعُ وَأُوصَاهُمْ قَاتِلًا: إِلَى طَرِيقِ أُمِّ لَأَمْضُوا ، وَإِلَى مَدِينَةِ السَّامِرِيِّينَ لَا تَدْخُلُوا. بَلْ اذْهَبُوا بِالْحَرَى إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ. وَفِيمَا أَنْتُمْ ذَاهِبُونَ اكْرِزُوا قَاتِلِينَ: إِنَّهُ قد اقترب ملَكُوتُ السَّمَاوَاتِ. اشْفُوا مَرْضَى. طَهُرُوا بُرْصَانَا. أَقِيمُوا مَسْوَتِي. أَخْرِجُوا شَيَاطِينَ. مَجَّانًا أَخْذُكُمْ ، مَجَّانًا أَغْطُوْا. لَا تَنْتَشِرُوا ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً وَلَا نُحَاسًا فِي مَسَايِّكُمْ، وَلَا

الحق - ولكن وقع في العدد الخامس عشر من الأصحاح السادس من

مزدداً للطريق ولا ثوابين ولا أخذية ولا عصاً، لأن القاعيل مستحق طعامه. وأية مدينه أو قريه دخلتُوها فافتخرناها من فها مستحق، وأقيموا هناك حتى تخرجوها. وحينئذ تخلون البيت سلماً عليه، فإن كان البيت مستحفاً فليأت سلامكم عليه، ولكن إن لم يكن مستحفاً فليرجع سلامكم إليكم. ومن لا يقبلكم ولا يستمع كلامكم فاخرجوا خارجاً من ذلك البيت أو من تلك المدينة، والقصوا غباراً أو زحلاً. الحق أقول لكم: ستكون الأرض سلوماً وعموراً يوم الدين حالة أكثر احتفالاً مما لتلك المدينة. ها أنا أرسلكم كفيف في وسط ذاتك، فكثروا حكماء كالحيات ويسطاء كالمحاتم. ولكن اخدروا من الناس، لأنهم سيسلموكم إلى مجالس، وفي مجاميعهم يخلدوكم. وتسافرون أيام ولأة ومملوك من أهلي شهادة لهم وللأمم. فمتي أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون، لأنكم تغطون في تلك الساعة ما تتكلمون به، لأن لشتم المتكلمين بل روح أيكم الذي يتكلم فيكم. وسيسلم الأخأخة إلى، الموت والأب، ولدة ويتقون الأولاد على والديهم ويتلذتهم، وستكونون مبعضين من الجميع من أهلي أسمى. ولكن الذي يصبر إلى المتهي فهذا يخلص. ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهرقوها إلى الأخرى. فإني الحق أصول لكم: لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان. ليس التلميذ أفضل من المعلم، ولا العبد أفضل من سيده. يكتفي التلميذ أن يكون كمعلم، والعبد كسيده. إن كانوا قد لقيوا رب البيت بغير رسول، فكم بالحربي أهل بيته! فلا تخافوهم. لأن ليس مكروراً لن يستغلن، ولا تخفي! لن يعرف. الذي أقوله لكم في الطلعة قوله في الثور، والذي تسمونه في الأذن تادوا به على السطروح، ولا تخافوا من الذين يقتلون الحسنة ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها، بل خافوا بالحربي من الذي يقدر أن يهلك النفس والحسنة كلها في حهم. أليس عصمران ييانعان بقلس؟ وواحد منها لا يستقطع على الأرض بذون أيكم. وأما أشيء حتى شعور رؤوسكم جميعها مخصاة. فلا تخافوا! أشيء أفضل من عصافير كثيرة! فكل من يعترف بي قدام الناس أعرف أنا أيضاً به قدام أبي الذي في السماءات، ولكن من يذكرني قدام الناس الكراهة أنا أيضاً قدام أبي الذي في السماءات. لا ظلوا أكي جئت لألقي سلاماً على الأرض. ما جئت لألقي سلاماً بل سيفنا. فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أخيه، والابنة ضد أمها، والكنة ضد حماتها. وأعداء الإنسان أهل بيته. من أحب آباً أو أمّا أكثر مني فلا يستحقني، ومن أحب ابنآ أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني، ومن لا يأخذ صلبيه ويتبيني فلا يستحقني. من واجه حياته يضيّعها، ومن أضاع حياته من أهلي يجدّها. من يقبلكم يقبلني، ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني. من يقبلني باسمكى فأحرزني ياخد، ومن يقبل بسارة باسم بار فأحرز بار ياخد، ومن سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء باريد فقط باسم تلميذ، فالحق أقول لكم إله لا يضيع آخره.

إنجيل مرقس في قول المسيح ﷺ خطاباً للحواريين هكذا: "إذهبا إلى العالم أجمع واقرزووا بالإنجيل لل الخليقة كلها" انتهى. فهذا القول ناسخ للأول لكن قول المسيح ﷺ لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل "الضالة" خبر منه ﷺ والأخبار لا يجوز أن يطراً عليها النسخ، كما قد علمت ذلك فيما تقدم بما لا مزيد عليه، فلا بد أن يكون أحدهما غلط. وهو الثاني يقيناً؛ لأن رسالة المسيح خاصة في بنى إسرائيل كما يدل على ذلك القرآن المجيد ونقل متى في الأصحاح الثالث والعشرين من إنجيله هكذا: "جِئْنَدْ خَاطَبَ يَسُوعَ الْجَمُوعَ وَتَلَامِيذَهُ قَائِلاً: عَلَى كُنْسِيٍّ مُوسَى حَلَسَ الْكِتَبَةَ وَالْفَرِيسِيُونَ، فَكُلُّ مَا قَالُوا لَكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهُ فَاحْفَظُوهُ وَافْعُلُوهُ" انتهى. فهذا القول يدل على أن المسيح ﷺ حكم على التلاميذ بأن كل ما يقوله الكتبة والفريسيةون من التوراة أن يحفظوه ويفعلوه. ويعضد هذا القول قوله ﷺ في هذا الإنجيل: "ما جئت لأنقض الناموس بل جئت لأنتم" ولا شك أن الكتبة والفريسيةين كانوا يقولون بحفظ جميع أحكام التوراة، سيما الأبدية. وقد علمت فيما تقدم: أن كلها منسوخة في الشريعة المسيحية، أبدية كانت أو غير أبدية. ولذلك تراهم الآن لا يحافظون على السبت وبقيمة أعياد بنى إسرائيل ولا يختتنون ولا يحرمون أكل لحم الخنزير، ويأكلون المخنوق ويشربون أنواع المسكرات في كل وقت من الأوقات، ولم يبق من أحكام التوراة إلا حرمة الزنا فقط كما علمت ذلك بما لا مزيد عليه. إذا علمت هذا ظهر لك أن قول المسيح ﷺ لتلاميذه أن يحفظوا ويفعلوا جميع ما يقوله

الكتبة والفريسيون من التوراة؛ منسوخ البتة. ومن هذه الأمثلة يتضح لك أيها الليبيب جلياً أن النسخ واقع في الشريعة الموسوية والمسيحية أيضاً. وليس هو مختص بالشريعة المحمدية. فما ادعاه هذا القسيس من امتاع النسخ للشرائع باطل قطعاً. لا ريب ولا شك فيه. كيف لا وأن المصالح قد تختلف باختلاف الزمان والمكان والمكلفين. فبعض الأحكام يكون مقدوراً للمكلفين في بعض الأوقات ولا يكون مقدوراً في بعض آخر، ويكون البعض مناسباً لبعض المكلفين دون البعض الآخر.

ألا ترى أيها الليبيب أن المسيح عليه السلام قال للحواريين: "إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم لكن لا تستطرون الآن أن تحتملوها. وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل بكل ما يسمع يتكلم به" كما صرحاً بذلك يوحنا في العدد الثاني عشر من الأصحاح السادس عشر من إنجيله. وقال عيسى عليه السلام للأبرص الذي شفاه: "لا تخبر عن هذا الحال أحداً" كما صرحاً بذلك متى في الأصحاح الثامن من إنجيله، وقال للأعميدين الذي فتح أعينهما: "لا تخبروا أحداً عن هذا الحال" كما هو مصرح به في الأصحاح التاسع من إنجيل متى، وقال عليه السلام لأبوي الصبيبة التي أحياها: "لا تخبروا أحداً عن ما كان" كما صرحاً بذلك لوقا في الأصحاح الثامن من إنجيله، وقد أمر الذي أخرج الشياطين منه بأن "ارجع إلى بيتك وأخبر بما صنع الله بك" كما صرحاً بذلك لوقا أيضاً في الأصحاح الثامن من إنجيله، وقد علمت فيما تقدم أن حكم الطلاق نسخ مرتين، مرة في الشريعة

الموسوية ومرة في الشريعة المسيحية، وكذلك بنو إسرائيل ما أمروا
بالجهاد على الكفار، ما داموا في مصر وأمروا بعد ما خرجو منها.

الطرق الثلاث في نسخ الشريعة

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل "والحاصل: لا يسع المسلمين في هذه القضية إلا سلوك إحدى هذه الطرق الثلاث إما أن يقولوا بأن النسخ قد وقع في جميع آيات التوراة والإنجيل. وهو رأي لا يوافقهم عليه عالم من علمائهم. بل هو رأي الذين في بحر الجهل يعمهون. وإما أن يقرروا بأن التوراة والإنجيل ليس جميع ما فيهما منسوخاً كما أبانه صاحب إظهار الحق والسيوطى وغيره، وعليهم عند ذلك تبيين الآيات المنسوخة والتصديق والعمل بما بقي غير منسوخ، وإنما أن يعدلوا^(١) عن الادعاء بنسخ التوراة والإنجيل. وهو الصواب"

أقول وبالله التوفيق: فلقد علمت أيها الليبيب أن ما عليه المسلمون في قضية النسخ: هي الطريق الثانية. وهي أن التوراة والإنجيل ليس جميع ما فيهما منسوخاً. وإنما المنسوخ منها بعض أحكامهما العملية المطلقة، كما قد علمت ذلك فيما تقدم بما لا مزيد عليه، لكن لا يلزمها أيها القسيس العمل بما بقي غير منسوخ، لما قد علمت فيما سبق من أن التوراة والإنجيل بل وسائر كتب العهد العتيق والجديد قد تطرق إليها التحرير بالتغيير والتبدل والزيادة والنقصان، حتى أصبحت مملوءة

^(١) لا يقدر المسلمون على أن يعدلوا عن الادعاء بنسخ التوراة والإنجيل؛ لما جاء في القرآن الكريم من أن محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مهيمنا على التوراة. والهيمنة هي التي تدل بصرامة على نسخ القرآن للتوراة.

من الأغلاط والاختلافات الغير محصورة. فاختلط الحق بالباطل والصدق بالكذب؛ فصارت غير معتبرة في الحقيقة ونفس الأمر؛ لتعسر تمييز حقها من باطلها وصدقها من كذبها. ولأجل هذا جاعنا القرآن المجيد كافياً وافياً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. فما من أمر له أدنى تعلق وارتباط بالمنفعة العمومية أو المنفعة الخصوصية، إلا وقد أحاط به هذا الكتاب المبين، الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَكَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ والعجب كل العجب من المسيحيين أنهم ينكرون وقوع النسخ في الشرائع، ويقولون بعدم جوازه، مع أنه قد وقع فيها بالفعل.

ولقد علمت فيما تقدم: أن بعض أحكام التوراة العملية، وعلمت أن الحواريين؛ قد نسخوا جميع أحكامها بعد المشاورات التامة إلا أربعة أحكام منها فأبقوا حرمتها ذبيحة الصنم والدم والمخنوق والزنا، ثم جاء حضرة قديس أهل التقليد بولس ونسخ جميع أحكامها بل وجميع أحكام الإنجيل أيضاً، بل ما أبقى من أحكام سائر الكتب السماوية إلا حكم الإيمان بال المسيح القديس فقد قال في الأصحاح الثالث من رسالته إلى أهل غلاطية: "إن جميع ذوى أعمال الشريعة ملعونون". لا يتذكر أحد عند الله بالناموس؛ فإن الناموس لا يتعلق بالإيمان. وإن المسيح قد افتدا من لعنة الناموس لما صار لأجلنا لعنة انتهى ملخصاً.

ثم قال في العدد الثالث والعشرين من هذا الأصحاح المذكور هكذا: "ولكن قبلما جاء الإيمان كنا محروسين تحت الناموس مغلقاً

علينا إلى الإيمان العتيد أن يعلن. إذا قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح^(١) لكي نتبرر بالإيمان. ولكن بعد ما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدب. لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بال المسيح يسوع" انتهى. فصرح في هذا القول ههنا بأنه لا طاعة لأحكام توراة موسى وسائر كتب الأنبياء بعد الإيمان بال المسيح القائلة ومن هذا: ما أتي في العدد الثامن عشر من الأصحاح السابع من رسالته العبرانية ونصها هكذا: "فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها إذا الناموس لم يكمل شيئاً" انتهى.

ففي هذا العدد تصريح بأن نسخ أحكام التوراة لأجل أنها ضعيفة بلا منفعة ولا فائدة -والعياذ بالله تعالى- فإذا قال المسلمون مثل قول هذا القديس؛ فلا يستغرب ذلك منهم لأن الشريعة المسيحية بالنسبة إلى الشريعة المحمدية عتيقة قريبة من الأض محلل فلا استبعاد من نسخها. على رأي هذا القديس بل هو ضروري.

وقال هذا القديس أيضاً في العدد الثاني عشر من الأصحاح المذكور هكذا: "فإنه لما تغيرت الكهانة؛ فالضرورة يصير تغير

(١) المسيح بحسب لسان اليهود هو محمد ﷺ ويطلق عليه "المسيح الرئيس" والتوراة تؤدب الناس إلى مجئه ليقبلوا شريعته. ولن يستكبر المسيح ولا أصحابه المقربون منه على العبودية والخضوع لله. وقد وصفت التوراة أصحاب محمد بالملائكة لشبههم بهم في الطهر. ففي إنجيل متى: "ومتى جاء ابن الإنسان في مجده، وجميع الملائكة القدسين معه" [متى ٢٥: ٣١] ولقب ابن الإنسان ولقب المسيح هما لواحداً وهو النبي الآتي محمد ﷺ.

لِنَامُوسَ أَيْضًا" انتهى. فهذا القديس قد أثبتت في هذا العدد التلازم بين تبدل الكهانة والإمامنة وتبدل الشريعة. فبناءً على مثل هذا التلازم إذا قال المسلمون بنسخ الشريعة المسيحية أيضًا؛ فهم مصيّبون لا مخطّبون على رأى هذا القديس. وقال في العدد السابع من الأصحاح الثامن من رسالته العبرانية أيضًا هكذا: "فإنه لو كان العهد الأول غير معترض عليه؛ لم يوجد للثاني موضع" انتهى ثم قال في العدد الثالث عشر من هذا الأصحاح المذكور هكذا: "فبقوله عهداً جديداً صير الأول عتيقاً. والشئ العتيق والبالى قريب من الفناء" انتهى. فهذا القول صريح من هذا القديس بأن أحكام التوراة كانت معيبة وقابلة للنسخ لكونها عتيقة وقريبة من الفناء والاضمحلال، وجاء في تفسير دوالى ورجرمينت في نيل شرح العدد الثالث عشر هكذا: "هذا ظاهر جداً أن الله تعالى يريد أن ينسخ العتيق ألا نقص بالرسالة الجديدة الحسنة؛ فذلك يرفع المذهب الرسومي اليهودي ويقوم المذهب المسيحي مقامه" انتهى.

وفي العدد الرابع عشر من الأصحاح الثاني من رسالة بولس إلى أهل أفسس هكذا: "ونقض حائط السياج المتوسط. أى العداوة. مبطلاً بجسده ناموس الوصايا" انتهى. وقال في العدد التاسع من الأصحاح العاشر من رسالته العبرانية هكذا: "ينزع الأول لكي يثبت الثاني" وفي نسخ أخرى في نسخ الأول حيث يثبت الثاني" انتهى. قال في تفسير دوالى ورجرمينت في شرح هذا العدد والعدد الثامن قبله هكذا: "استدلّ الحواري في هاتين الآيتين وفيهما إشعار بكون نبایح اليهود غير كافية

ولذا تحمل المسيح على نفسه الموت ليجبر نقضانها، وينسخ بفعل أحدهما استعمال الآخر" انتهى. وقال بولس في العدد العشرين من الأصحاح الثاني من رسالته إلى أهل غلاطية هكذا: "مع المسيح صلبت وأنا الآن حي، لكنني لست أنا بحي، بل إن المسيح هو الحي في. وما نلت الآن من الحياة الجسمانية؛ فهو متعلق بالإيمان بابن الله الذي أحبني، وجعل نفسه فدية لأجلني، وأنا لا أبطل نعمة الله لأنه إن كانت العدالة بالناموس؛ فقد مات المسيح عبئاً" وفي نسخة أخرى: إن كان بالناموس بر فالمسيح إذا مات بلا سبب" انتهى؛ قال داكترهمنز في شرح العدد العشرين من هذا الأصحاح هكذا: "خلصني بيذل روحه لأجل عن شريعة موسى" ثم قال في العدد الحادي والعشرين هكذا: "أستعمل هذا العتيق لأجل ذلك، ولا أعتمد في النجاة على شريعة موسى، ولا أفهم أن أحكام موسى ضرورية؛ لأنه يجعل إنجيل المسيح كأنه بلا فائدة" انتهى.

وقال يابل في شرح العدد الحادي والعشرين المذكور هكذا: "لو كانت شريعة اليهود تعصمنا وتتجينا فأية ضرورة كانت لموت المسيح؟ ولو كانت الشريعة جزاء لنجاتنا، فلا يكون موت المسيح لها كافياً" انتهى.

فكل هذه الأقوال ناطقة بجعل الفراغ من شريعة موسى ونسخها. فالصواب في شأن المسيحيين أن يعترفوا بهذه القضية وإلا فيصبحون من ينكر طلوع الشمس وهي في رابعة النهار، وليس دونها سحاب.

والمنكر ينظر إليها بعينه ﴿فَإِنَّمَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ أُتْرِي فِي الصُّدُورِ﴾

والحاصل: لا يسع المسيحيين في إنكار هذه القضية إلا سلوك إحدى هذه الطرق الثلاثة التي على وفق عدد التثلث. إما أن يبقوا مصرّين على عدم جواز النسخ لبعض الأحكام العملية من الكتب السماوية، ويلزّمهم عند ذلك العمل بجميع أحكام التوراة، أبدية كانت أو غير أبدية. وأما أن يبقوا على عدم العمل لشيء من أحكامها، وعليهم عند ذلك الاعتراف بأن جميع أحكام التوراة التي ليس معمولاً بها عندهم من جملة الأغلاط الواقعة فيها، وإن ما ورد من أقوال الحواريين وبولس الدالة على نسخ أحكام التوراة صراحة من جملة الأغلاط الواقعة في الإنجيل أيضاً. وأما أن يعدلوا عن إنكارهم هذا ويقرّوا بجواز النسخ المصطلح عليه عندنا معاشر المسلمين، وهو الإسلام. وما أطربني من قول القائل: كل يحصد ما زرع، ويجزى بما

صنع

إنكار التحريف في التوراة والإنجيل

ولما فرغ هذا القسيس من إنكاره لمسألة النسخ أخذ يتكلّم في الإنكار على من قال بتحريف التوراة والإنجيل فقال هكذا: "وأما من قالوا بتحريف الكتابين المذكورين وتغييرهما وتبدلهم حتى أصبحا مملؤين من الغلطات^(١) والاختلافات؛ فلا سند لهم على ذلك من القرآن أيضا. بل هو اختراع محدث من عندهم، لم يخطر على بال نبيهم فضلاً عن وجوده في القرآن، بل الذي يفهم منه عكس قولهم. أي عدم التغيير والتبدل"

أقول: إن إنكار وقوع التحريف بالتغيير في التوراة والإنجيل إنما هو مجرد عناد ومكابرة للمعلوم بالضرورة والبداهة، فلا يسمع كلامه وينبذ وراء الظهور فإن الأغلاط والاختلافات قد ثبتت وقوعها فيما بالحس والمشاهدة. وما ذلك إلا بسبب التغيير والتبدل بالزيادة، وأما قول القسيس فلا سند على ذلك من القرآن؛ غلط يقيناً. فإن القرآن المجيد دل على وقوع ذلك صراحةً، والآيات الواردة فيه الدالة على وقوع التحريف في التوراة والإنجيل كثيرة جداً فمن ذلك: قوله تعالى في سورة المائدة **﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَاتَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَسُوَا حَظًا مِّنَ ذَكْرِ وَابْرَاهِيمَ﴾**

(١) من أغلاط التوراة: "سبعين نفساً" في مخطوط عبرى وجد في قمران وفي التوراة اليونانية تقرأ "خمساً وسبعين نفساً" [راجع أعمال الرسل ٧: ١٤]

بهذه الآية الشريفة صريحة في أن اليهود كانوا يحرّفون كلام التوراة ويغيّرونها عن مواضعها التي وضعها الله عليها، وجاء من قوله تعالى في السورة المذكورة بعد هذه الآية هكذا: ﴿وَمَنِ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخْدَنَا مِنَّا فَقَسَوْا حَظًا مَتَّا ذَكَرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بِيَنْهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يَنْبَئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يَبْيَنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تَخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَغْفُرُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ أي مما أخفوه أهل الكتاب في التوراة والإنجيل؛ فلا يبيّنه لهم. إذا لم تدع إليه داعية دينية ولم يكن في ذكره مصلحة صيانة لهم عن زيادة الإفصاح. كما يفصح عن ذلك التعبير عن عدم الإظهار والتبيين بالعفو، ترغيباً وترحيباً لهم. وأما ما تدعوه إليه داعية دينية ويكون في ذكره مصلحة؛ فقد بيّنه الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بأوضح عباره وأجلی بیان كما لا يخفی ذلك على ذاك على ذوي العقول والأذهان.

وقد جاء في سورة البقرة في حق أسلاف اليهود هكذا: ﴿أَفَتَطَمَّعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرُفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ معناه لا تطمعوا أيها المؤمنون في هؤلاء اليهود أن يؤمّنوا لكم، وقد كان فريق من علماء أسلافهم يسمعون كلام الله ثم يحرّفونه ويبدّلونه من بعد ما عقلوه وفهموه وهم يعلمون أنهم مبطلون وعلى الله مفترون.

وجاء في سورة آل عمران هكذا: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تُلْبِسُونَ الْحَقَّ
بِالْبَاطِلِ وَلَكُمْنَ الْحَقُّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)؛ فقوله (لَمْ تُلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ) معناه: لم
تخلطون الحق الذي أنزله الله تعالى بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه
بأيديكم حتى يشتبه أحدهما، بالأخر؟ فإن اللبس: هو الخلط يقال لبس
الشيء بالشيء إذا خلط بعضهما في بعض بحيث يتغىّر انسجام
أحدهما عن الآخر، وقد توعد الله سبحانه وتعالى لهم على ذلك بشدة
العذاب بقوله في سورة البقرة: (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَتَوَلَُّونَ هَذَا
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشَرِّوْبُوا بِهِ ثُمَّ نَأْلِكُمْ فَوَيْلٌ لَّهُمْ مَا كَتَبْتُ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مَا يَكْسِبُونَ) فكل
هذه الآيات الشريفة صريحة الدلالة على ثبوت وقوع التغيير والتبدل
في للتوراة والإنجيل. وبهذا تعرف أن قول صاحب البرهان: "لم يخطر
على بال نبيهم فضلاً عن وجوده في القرآن؛ غلط ومحض افتراء"
كيف وأن نبينا محمدًا ﷺ لم يترك صغيرة ولا كبيرة لها أدنى تعلق
وارتباط بالمنفعة العمومية والمنفعة الخصوصية إلا وقد أخبرنا بها هذا
النبي الكريم؟ فكيف أمر بالتحريف الذي هو من أهم الأمور الدينية؟
ولقد روى البخاري في صحيحه حديثاً عن ابن عباس ﷺ في
كتاب الاعتصام من كتابه بإسناده، ثم أورده في كتاب الرد على
الجهمية بإسناد آخر؛ وأنا أنقله لك عن الكتاب الثاني مع بعض عبارة
الإمام القسطلاني في الموضعين المنكوريين: "يَا مُعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ كَيْفَ
تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ" أَيِّ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى "عَنْ شَيْءٍ وَكُتُبَكُمُ الَّذِي

أنزله على نبيكم أحدث الأخبار بالله" أي أقرب الأخبار نزولاً من عند الله تعالى "محضاً لم يشب" أي خالصاً لم يخلط فلم يتطرق إليه تحريف ولا تبديل، بخلاف التوراة والإنجيل وقد "حدّثكم الله تعالى في كتابه أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا فكتبوها بأيديهم ما ليس من عند الله وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً" أي عوضاً يسيراً" أو لا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسئلتهم؟ فلا والله ما رأينا رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم. فلم تسألون أنتم منهم مع علمكم أن كتابهم محرف" انتهى.

فهذا الحديث صريح في أن الصحابة الكرام -رضي الله عنهم- كانوا يعلمون وقوع التحريف في التوراة والإنجيل فضلاً عن النبي ﷺ وبرهان الحس والمشاهدة شاهد على ذلك؛ فإنه قلماً يخرج أصحاح أو عبارة من كتب العهد العتيق والجديد ويكون خالياً عن الغلط أو الاختلاف.

وها أنا أنقل لك هنا شيئاً، وأكتفي في النقل على ثلاثة من الاختلافات، ومثلها من الأغلاط؛ خوف الإطالة، وأقدم لك ذكر الأغلاط على الاختلافات فأقول:

الغلط الأول:

في العدد الثالث من الأصحاح السادس من سفر التكوين من الترجمة المطبوعة سنة ١٨٤٨ ميلادية هكذا: "لن تسكن روحى في الإنسان إلى الأبد؛ لأنه لحم، وتكون أيامه مائة وعشرين سنة" وفي

نسخة أخرى هكذا: "لن تدين روحي في الإنسان إلى الأبد لزيغانه هو بشر وتكون أيامه مائة وعشرين سنة" قوله "وتكون أيامه مائة وعشرين سنة" ليس من كلام الله سبحانه وتعالى - لأن هذا القول غلط؛ فإن أعمار الذين كانوا في الزمان السابق طويلة جداً. فنوح القطب عاش تسعمائة وخمسين سنة، كما هو مصرح به في الأصحاح التاسع من سفر التكوين. وعاش سام بن نوح القطب ستمائة سنة كما هو مصرح به في الأصحاح الحادي عشر من السفر المذكور. وعاش ابنه أرفكشاد أربعمائة وثمانية وثلاثين سنة، كما هو مصرح به في الأصحاح المذكور. وعاش سيدنا إبراهيم القطب مائة وخمسة وسبعين سنة وهكذا أعمار هذا الزمان ما بين الستين إلى السبعين والبلوغ إلى الثمانين والتسعين؛ قليل جداً.

الغلط الثاني:

في العدد الثامن من الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين في خطاب إبراهيم القطب هكذا: "وسأعطي لك ولنسلك أرض غربتك جميع أرض كنعان ملكاً إلى الدهر وأكون لهم إليها" انتهى؛ فهذا القول غلط لأن أرض كنعان لم تعط لإبراهيم القطب قط، وكذلك لم تعط لنسله ملكاً إلى الدهر، بل الانقلابات التي وقعت في تلك الأرض لم يقع منها في غيرها، ومضت مدة طويلة جداً والحكومة الإسرائيلية زائدة عنها رأساً. كما لا يخفى على من له أدنى اطلاع على تواريخ كتب العهد العتيق.

الغلط الثالث:

في العدد العاشر من الأصحاح السابع من سفر صموئيل الثاني في وعد الرب لبني إسرائيل على لسان النبي ناثان هكذا: "وعينت مكاناً لشعبي إسرائيل وغرسته فسكن في مكانه؛ فلا يضطرب بعد، ولا يعود بنو الإثم يذللونه كما في الأول، منذ يوم أقمت قضاة على شعبي إسرائيل الخ" فهذا القول يدل على أن الرب سبحانه وتعالى كان وعد إسرائيل أن يكونوا في هذا المكان المذكور بالهدوء والاطمئنان ولا يحصل لهم الإيذاء من أيدي الأشرار ذوي الإثم. والمراد بهذا المكان المذكور: مدينة أورشليم أي القدس الشريف ولقد أقام بنو إسرائيل في هذا المكان لكنهم لم يحصل لهم وفاء الوعد، وأوذوا في هذا المكان إيذاءً بليغاً وقتلهم وأسرهم وجلاهم عنها سبعين سنة. وهذا آذاهم السلاطين الآخرون. فآذاهم طيطوس الرومي إيذاءً جاوز الحد حتى مات في حادثته ألف ألف ومائة ألف بالقتل والصلب والجوع وأسر منهم سبعة وتسعين ألفاً وجلاهم منها هم وأولادهم، وهم إلى الآن متفرقون في أقطار العالم في غاية الذل والنkal.

الغلط الرابع:

في العدد الثاني عشر من الأصحاح المذكور من السفر المذكور في وعد الرب لداود عليه السلام على لسان النبي ناثان هكذا: "متى كملت أيامك واضطجعت مع آباءك أقيم بعده نسلك الذي يخرج من أحشائك وأثبت ملكه. هو يبني بيتك لاسمي وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد".

أكون له أباً وهو يكون لي ابنا إن تَعَوَّجَ أَلْدَبَه بِقَضَيْبٍ وبِضُرَبَاتِ بَنِي آدم، ولكن رحمتي لا تنزع منه كما نزعتها من شاول، الذي أزلته من أمامك، ويأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد أمامك. كرسيك يكون ثابتاً إلى الأبد" انتهى.

وجاء هذا الوعد في الأصحاح الثاني والعشرين من سفر أخبار الأيام الأول وهو هكذا. "هذا يولد لك ابن يكون صاحب راحة، وأريمه من جميع أعدائه حواليه، لأن اسمه يكون سليمان، فأجعل سلاماً وسکينة في إسرائيل في أيامه هو يبني بيته لاسمي، وهو يكون لي ابناً، وأنا له أباً وأثبت كرسي ملكه على إسرائيل إلى الأبد" انتهى.
فعلم من هذين القولين: أن الله تعالى وعد أن السلطنة لا تزول من بيت داود الله إلى الأبد. وهو غلط. وفيه شيء آخر يجب التبيه عليه وهو أن مقدس أهل التثلث بولس نقل هذا القول في العدد السادس من الأصحاح الأول من رسالته العبرانية في فضل المسيح على الملائكة هكذا: "أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً" انتهى. وعلماء أهل التثلث يصرحون في كتبهم أن هذا العدد إشارة إلى العدد الرابع عشر من الأصحاح السابع من سفر صموئيل نقلة. قال الشيخ رحمة الله: وهذا الزعم غير صحيح لوجهه:

الأول: أنه صرخ في سفر أخبار الأيام المذكور أن اسمه يكون سليمان.

الثاني: أنه صرخ في السفرين المذكورين أنه يبني لاسمي بيتي؛ فلابد أن يكون هذا الابن باني البيت، وهو ليس إلا سليمان عليه السلام وقد ولد المسيح عليه السلام بعد ألف وثلاث سنين من بناء البيت، وهو كان يخبر بخرابه، كما هو مصرح به في الأصحاح الرابع والعشرين من إنجيل متى.

الثالث: أنه صرخ في السفرين المرقومين أنه يكون سلطاناً واليسوع عليه ما كان سلطاناً على إسرائيل بل كان فقيراً حتى نقل عنه أنه قال في حق نفسه هكذا: "للتعالب أو جرة ولطيف السماء أو كار، وأما ابن الإنسان فليس له أن يسند رأسه" كما هو مصرح بذلك في العدد العشرين من الأصحاح الثامن من إنجيل متى.

الرابع: أنه صرخ في سفر أخبار الأيام المذكور أنه يكون صاحب راحةٍ وهدوء، وأن الرب يريمه من جميع أعدائه، والمسيح عليه ما حصل له الهدوء والراحة من أعدائه من أيام الصبا إلى أن قُتل وصلب -على زعمهم- بل كان خائفاً من اليهود ليلاً ونهاراً، فارأ في أكثر أوقاته من موضع إلى آخر، حتى أسروه وأهانوه وضربوه وصلبوه، بخلاف سليمان عليه السلام فإن هذا الوصف كان ثابتاً في حقه على الوجه الأكمل.

الخامس: أنه صرخ في السفر المذكور هكذا: "فأجعل سلامة وسکينةً على إسرائيل في أيامه" مع أن اليهود كانوا في عهد المسيح عليه مطيعين للروم وعاجزين عنهم.

السادس: أن سليمان عليه أدعى بنفسه أن هذا الخبر في حقه كما هو مصريح به في الأصحاح السادس من السفر الثاني من أخبار الأيام. فإن قالوا: إن هذا الخبر وإن كان بحسب الظاهر في حق سليمان عليه لكنه في الحقيقة في حق المسيح عليه لأنه من أولاد سليمان، قلت: هذا غير صحيح لأن الموعود به لابد أن يكون موصوفاً بالصفات المذكورة، والمسيح عليه بخلاف ذلك. وإن قطعنا النظر عن الصفات المذكورة فلا يصح أن يراد بهذا الخبر؛ المسيح -على زعم الجمهور من متأخرتهم- لأنهم يقولون لأجل رفع الاختلاف الواقع بين كلام متى ولوقا في بيان نسب المسيح عليه أن متى بَيْنَ نسب يوسف النجار ولوقا بين نسب مريم عليها السلام وهو مختار القيسис فندر صاحب ميزان الحق. والظاهر أن المسيح عليه ليس ولداً ليوسف النجار ونسبته إليه من قبيل أضغاث الأحلام، بل هو ولد مريم عليها السلام وبهذا الاعتبار لا يكون من أولاد سليمان عندهم، بل من أولاد ناثان بن داود عليه فلا يكون الخبر الوارد في حق الحقيقة، وإنما هو من أبناء أخيه ناثان.

انتهى

الفطح الخامس:

في العدد الثاني من الأصحاح الثاني والعشرين من سفر أخبار الأيام الثاني هكذا: "وكان أخزيا ابن اثنين وأربعين سنة حين ملك" وهذا غلط كيف لا وأن آباء يهورام مات كان ابن أربعين سنة وابنه أخزيا جلس على سرير السلطنة بعد موته متصلة، كما يعلم ذلك من

الأصحاح الذي قبل هذا الأصحاح المذكور فلو لم يكن غلطًا؛ يلزم أن يكون أكبر من أبيه بستين. ولقد جاء في العدد السادس والعشرين من الأصحاح الثامن من سفر الملوك الثاني أن أخزيا حين ملك كان ابن اثنين وعشرين سنة، وهو الصحيح. والأول غلط يقيناً.

الغلط السادس:

في العدد الثامن من الأصحاح الأول من إنجيل متى في بيان نسب المسيح التعظيم هكذا: "ويورام ولد عَزِيْزاً" وهذا القول غلط فإن الذي يعلم من العدد الحادى عشر من الأصحاح الثالث من سفر أخبار الأيام الأول أن يورام ابنه أخزيا وأخزيا ابنه يوآش ويوآش ابنه أمصيا، وأمصيا ابنه عَزِيْزاً فعزاً هو ابن أمصيا لا بن يورام. وهؤلاء الثلاثة أجيال ساقطة من إنجيل متى. وهم كانوا من السلاطين المشهورين وأحوالهم مندرجة في سفر الملوك وأخبار الأيام الثاني من التوراة، ولا يعلم وجه وجيه لإسقاط هذه الأجيال الثلاثة في الإنجيل سوى أنه غلط من متى الإنجيلي.

الغلط السابع:

في العدد الثاني عشر من الأصحاح الأول من إنجيل متى أيضًا: أن زَرَبَابَلَ بن شَلَّاتِينِيلَ. وهو غلط أيضًا لأن زربابل بن فدايا لا بن شَلَّاتِينِيلَ عمِه، كما هو مصرح به في الأصحاح الثالث من أخبار الأيام.

الغلط الثامن:

في العدد الثالث عشر من الأصحاح الأول من إنجيل متى أيضاً: أن أبيهود بن زروبابل وهو غلط أيضاً لأن زروبابل كان له خمسة أولاد من الذكور ولم يوجد فيهم أبيهود، كما يعلم ذلك من العدد التاسع عشر من الأصحاح الثالث من سفر أخبار الأيام الأول. فهذه ثلاثة أغلاط صدرت عن متى الإنجيلي في نسب المسيح القديس وصاحب إظهار الحق ذكر في كتابه إحدى عشر غلطاً صدرت عن متى في هذا الأصحاح فقط. فراجعه إن شئت.

الغلط التاسع:

في العدد الثاني والعشرين من الأصحاح الأول من إنجيل متى أيضاً هكذا. "وَهَذَا كُلُّهُ كَانَ لِكَيْ يَتَمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْفَاتِلِ : هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبِلُ وَتَلِدُ ابْنًا ، وَيَدْعُونَ اسْمَهُ عِمَانُوئِيلَ الَّذِي تَقْسِمُهُ : اللَّهُ مَعَنَا" انتهى. والمراد بالنبي عند علماء أهل التثليث: إشعيا القديس حيث قال في العدد الرابع عشر من الأصحاح السابع من كتابه هكذا: "أجل يعطيكم الرب عينيه علامة: ها العذراء تحبل وتلد ابنها وتدعوه اسمه عمانوئيل". انتهى. فما

نقله متى غلط لوجوه:

الأول: أن المسيح القديس ما دعا أحد بعمانوئيل أصلاً، لا أنه ولا أبوه ولا أحد من الناس، وإنما اسمه يسوع. وكان الملك قال لأبيه في يوسف النجار في الروايا: "وتدعوا اسمه يسوع" كما صرحت بذلك متى في العدد الثاني والعشرين من الأصحاح الأول من إنجيله، وكان جبريل القديس قال لأمه مريم عليها السلام هكذا: "ستحملين وتلدين ابنًا

وتسميته يسوع" كما صرخ بذلك لوقا في العدد الحادى والثلاثين من الأصحاح الأول من إنجيله. والمسيح عليه السلام لم يُدع ولا في حين من الأحيان بعمانوئيل.

الوجه الثانى: إن القضية التى وقع فيها هذا القول التى من كلام إشعيا عليه السلام تأبى أن يكون مصدق هذا القول المسيح عليه السلام فain من رجع إلى ذلك الأصحاح وتأمله وجده فى رصين ومملكة الملك فَقَحْ أَنْ امْرَأَ عُزْرَاءَ تَلَدَّ ابْنًا وَتَدْعُوا اسْمَهُ عِمَانُوئِيلَ وَتَصِيرَ أَرْضَ هَذِينَ الْمَلَكِيْنِ خَرْبَةً قَبْلَ أَنْ يَمِيزَ هَذَا الْوَلَدُ الْخَيْرَ عَنِ الشَّرِّ. وَقَدْ ثَبَّتَ أَنْ أَرْضَ الْمَلَكِ فَقَحْ قَدْ خَرَبَتْ فِي مَدَةٍ إِحْدَى عَشَرَ سَنَةً مِنْ هَذَا الْخَبْرِ؛ فَلَا بدَ أَنْ يَتَوَلَّدَ هَذَا الْوَلَدُ قَبْلَ هَذِهِ الْمَدَةِ وَتَخْرُبَ قَبْلَ تَمِيزِهِ. وَأَمَّا الْمَسِيحُ فَقَدْ تَوَلَّدَ بَعْدَ سَبْعِمَائَةِ وَإِحْدَى وَعَشْرِينَ سَنَةً مِنْ خَرَابِهِ. وَقَدْ اخْتَلَّ عُلَمَاءُ الْيَهُودَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي مَسْدَاقِ هَذَا الْخَبْرِ فَاخْتَارَ الْبَعْضُ أَنْ إِشْعَيَاَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَرِيدُ بِالْمَرْأَةِ زَوْجَهَا. وَهَذَا القول هو الحرى بالقبول وقريب من القياس.

الوجه الثالث: أن اللفظ الذى ترجمه متى الإنجيلي ومت禄 كاتب إشعيا بالعنزراء هو لفظ عَلَمَهُ ومعناه فى العربية عند علماء اليهود: المرأة الشابة. سواء كانت عذراء أو غيرها. ويقولون: إن هذا اللفظ وقع أيضًا فى الأصحاح الثلاثين من سفر الأمثال ومعناه أيضًا: أنه المرأة الشابة التى زوجت. وفسر هذا اللفظ بالمرأة الشابة فى الترجمة اليونانية الثلاثة يعني ترجمة أيكونيلا وترجمة تهيوودوش وترجمة

سميكس. وهذه الترجم عندهم قديمة يقولون إن الأولى ترجمت في سنة مائة وتسعة وعشرين من الميلاد وكانت هذه الثلاثة معتبرة عند القدماء من المسيحيين سيمما ترجمة تهيوذوش. فعلى تفسير هذه الترجم القديمة وتفسير علماء اليهود يكون كلام متى الإنجيلي ظاهر الفساد. وقال فرى في كتابه الذي صنفه في بيان اللغات العبرانية، وهو كتاب معتبر مشهور بين علماء بروتستانت إن هذا اللفظ مشترك بين العذراء والمرأة الشابة. فعلى قول هذا الفاضل يكون هذا اللفظ مشتركاً بين هذين اللفظين. والحججة متى تطرق إليها الاحتمال سقط منها الاستدلال فحمله العبراني، وعلى خلاف تفاسير الترجم القديمة؛ يحتاج إلى دليل يخصصه بذلك. ويعلم من هذا أيضاً: أن ما قاله صاحب ميزان الحق في كتابه المسمى بحل الأشكال من أنه ليس معنى هذا اللفظ إلا العذراء فقط؛ غلط يقيناً.

الغلط العاشر: في العدد الثالث والعشرين من الأصحاح الثاني من إنجيل متى أيضاً في حال المسيح التعالى هكذا: "وأتي وسكن في مدينة يقال لها ناصرة^(١) لكي يتم ما قيل بالأنبياء إنه سيدعى ناصرياً" انتهى. وهذا القول غلط أيضاً فإنه لا يوجد في كتاب من كتب الأنبياء أنه سيدعى ناصرياً. واليهود ينكرون هذا الخبر أشد الإنكار، وعندهم

(١) مدينة الناصرة: من نصيب اليهود السامريين والعداء كان شديداً بين اليهود العبرانيين الذين منهم المسيح بحسب أمه؛ فكيف يعيش المسيح وأمه في الناصرة؟

هذا زور وبهتان. بل يعتقدون أنه لم يقم نبى من الجليل المشتمل على مدينة الناصرة، فضلاً عن أن يقم من الناصرة. كما صرَّح بذلك يوحنا الإنجيلى فى العدد الثانى والخمسين من الأصحاح السابع من إنجيله. فهذه خمسة أغلاط صدرت من متى فى الأصحابين الأولين من إنجيله. وصاحب إظهار الحق ذكر فى كتابه سبعة عشر غلطًا عن هذين الأصحابين فقط. فارجع إليه إن شئت.

الغلط الحادى عشر: فى العدد التاسع من الأصحاح السابع والعشرين من إنجيل متى أيضًا هكذا: "جِئْنَدِئُمْ مَا قِيلَ بِإِرْمِيَا النَّبِيِّ الْقَائِلِ : وَأَخْذُوا التَّلَائِينَ مِنَ الْفِضَّةِ ، ثَمَّنَ الْمُسْتَهْنَ الَّذِي ثَمَّنُوهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ" انتهى فلفظ إرمياه غلط وهو من الأغلاط المشهورة الواقعة فى إنجيل متى. فإن هذا القول لا وجود له فى كتاب إرمياه أصلًا، بل لا يوجد هذا المضمون فى كتاب آخر من سائر كتب العهد القديم بهذه الألفاظ. نعم يوجد فى العدد الثانى عشر من الأصحاح الحادى عشر من كتاب زکریا الكتاب عبارة تتناسب هذه العبارة لكن بين العبارتين فرق جلى. ومع قطع النظر عن هذا الفرق لا علاقة لعبارة كتاب زکریا الكتاب بعبارة متى. ومن رجع إلى هاتين العبارتين وتأملهما؛ يعلم حقيقة الأمر، وأن ما نقله متى غلط يقينًا.

الغلط الثانى عشر: فى العدد التاسع والثلاثين من الأصحاح الثانى عشر من إنجيل متى هكذا "فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: جِيلٌ شَرِيرٌ وَفَاسِقٌ يَطْلُبُ آيَةً ، وَلَا يُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلَّا آيَةٌ يُؤْنَانَ النَّبِيِّ". لَكِنَّهُ كَمَا كَانَ يُؤْنَانَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ

وَثَلَاثَ لِيَالٍ ، هَكَذَا يَكُونُ ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الْأَرْضِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لِيَالٍ" انتهى. وهذا القول غلط صريح وليس هو من كلام السيد المسيح؛ فإن المصلوب صلب قريباً من نصف النهار من يوم الجمعة المبارك كما يظهر ذلك من الأصحاح التاسع عشر من إنجيل يوحنا ومات فى الساعة التاسعة وطلب يوسف جسده من بيلاطس وقت المساء؛ فكفنه ودفنه. كما صرخ بذلك مرقس فى الأصحاح الخامس عشر من إنجيله. فكان دفنه فى ليلة السبت ومكث هذا الجسد فى القبر إلى قبيل الفجر من نهار الأحد، كما صرخ بذلك فى الأصحاح العشرين من إنجيل يوحنا. إذا علمت هذا تعلم أن قوله "يمكث فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال" غلط يقيناً فإنه ما مكث إلا يوماً واحداً وليلتين على ما شهد به هذا الإنجيل.

الغلط الثالث عشر: في العدد السابع والعشرين من الأصحاح السادس عشر من إنجيل متى أيضاً في قول المسيح هكذا: "فَإِنَّ ابْنَ إِنْسَانٍ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدِ أَيْمَهُ مَعَ مَلَائِكَتِهِ ، وَحِينَئِذٍ يُحَاجِزِي كُلُّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ. الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ : إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ هَهُنَا قَوْمًا لَا يَذَّكُرُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوُا ابْنَ إِنْسَانٍ آتَيَا فِي مَلَكُوتِهِ" انتهى وهذا غلط أيضاً وليس من كلام السيد المسيح الكلمة فإن جميع الذين كانوا قائمين هناك ذاقوا الموت وصاروا عظاماً بالية وتراباً، ومضى على ذوقهم الموت أزيد من ألف وثمانمائة سنة، وما أرى أحد منهم ولا غيرهم ابن الإنسان آتياً في ملكته.

الغطّ الرابع عشر: في العدد الثالث من الأصحاح الرابع والعشرين من إنجيل متى أيضًا. وحاصل ما فيه: أن المسيح عليه السلام كان جالسًا على جبل الزيتون فتقدّم إليه تلاميذه وسألوه عن علامة الزمان الذي يصير فيه بيت المقدس خراباً، وعلامة الوقت الذي ينزل^(١) فيه

(١) علامات نهاية الزمان: المقصود بها نهاية زمان الملك في اليهود، وبده زمان الملك في العرب من بعث محمد صلوات الله عليه وقد فهم المؤلف أن نهاية الزمان هي قيام يوم القيمة. ويدل على ما قلنا: أن المسيح بعدهما تكلم عن العلامات قال فإذا تمت العلامات يظهر ابن الإنسان ويوسّس ملکوت السموات والملکوت هو لـ محمد صلوات الله عليه يقول لوقا: "وَتَطْلُبَنَّ فَرَأَى الْأَغْنِيَاءِ يَلْقَوْنَ قَرَابَتَهُمْ فِي الْحَزَاجَةِ، وَرَأَى أَيْضًا أَرْمَلَةَ مُسْكِنَيَّةَ الْقَتْ هَنَاكَ فَلَسْتَنِ". فقال: بِالْحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ : إن هذه الأرملة الفقيرة الْقَتْ أكثر من الْجَمِيعِ لأن هُوَلَاءِ من فَضْلَتِهِمْ أَتَوْا فِي قَرَابَتِ اللَّهِ، وَأَمَّا هَذِهِ فَمِنْ إِعْوَازِهَا ، الْقَتْ كُلُّ الْعِيشَةِ الَّتِي لَهَا . وَإِذَا كَانَ قَوْمٌ يَقُولُونَ عَنِ الْهَيْكَلِ إِنَّ مُرْسِنَ بِحَجَارَةِ حَسَنَةٍ وَثَحَفَ ، قَالَ: هَذِهِ الَّتِي تَرَوْنَهَا ، سَتَأْتِي أَيَّامٌ لَا يَرَكُ فِيهَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لَا يَنْفَضُ . فَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ : يَا مُعَلِّمُ ، مَتَى يَكُونُ هَذَا ؟ وَمَا هِيَ الْعَلَامَةُ عِنْهَا يَصِيرُ هَذَا؟ فَقَالَ: الظَّرُوا لَا يَنْضُلُوا . فَإِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ بِاسْمِي قَائِلِينَ: إِنِّي أَنَا هُوَ وَالزَّمَانُ قَدْ قَرَبَ! فَلَا يَلْقَبُوْنَا وَرَاعِهِمْ: فَإِذَا سَعَتُمْ بِحَرُوبٍ وَقَلَاقِلَ فَلَا تَجِزَّعُوْنَا ، لَأَنَّهُ لَا يَدُدُ أَنْ يَكُونَ هَذَا أَوْلًا ، وَلَكِنْ لَا يَكُونُ الْمُتَهَنِي سَرِيعًا . ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: تَقُومُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ وَمَنْلَكَةٌ عَلَى مَنْلَكَةٍ، وَتَكُونُ زَلَّالٌ عَظِيمَةٌ فِي أَمَّاكنَ ، وَمَحَاجَاتٍ وَأُونَيَّةٍ. وَتَكُونُ مَخَارِفٍ وَعَلَامَاتٍ عَظِيمَةٍ مِنَ السَّمَاءِ. وَقَبْلَ هَذَا كُلَّهُ يَلْقَوْنَ أَنْدِيَهُمْ عَلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ ، وَتَسْلُمُونَكُمْ إِلَى مَحَاجِعِ وَسُجُونِ ، وَتَسَاقُونَ أَنَّامَ مُلُوكٍ وَوَلَاءَ لِأَحْلِ اسْمِي. فَيَوْلُ ذَلِكَ لَكُمْ شَهَادَةً. فَضَعُوا فِي قُلُوبِكُمْ أَنْ لَا يَهْتَمُوا مِنْ قَبْلِ لِكَسِيَّ تَحْتَجُوا ، لَكِنْ أَنَا أَعْطِيَكُمْ فَمَا وَحْكَمَةٌ لَا يَقْدِرُ حُمَّيْمٌ مَعَانِدِكُمْ أَنْ يَقْاومُوهَا أَنْ يَنْاقِضُوهَا. وَسَوْفَ تَسْلُمُونَ مِنَ الْوَالِدِينَ وَالإِخْرَاجَةِ وَالْأَفْرِيَاءِ وَالْأَصْنِيَاءِ وَتَقْتُلُونَ مِنْكُمْ. وَتَكُونُونَ مَبْعَضِينَ مِنَ الْجَمِيعِ مِنْ أَحْلِ اسْمِي. وَلَكِنْ شَعْرَةٌ مِنْ رُؤُوسِكُمْ لَا تَهْلِكُكُمْ بِعَصْرِكُمْ افْتَشَوا الْفَسْكُمْ. وَمَتَى رَأَيْتُمْ أُورُشَلَيمَ مُحَاطَةً بِجُوشِ ، فَعَيْنَدَ اعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ اقْرَبَ خَرَابَهَا. حِينَئِذٍ لِيَهُرُبُ الَّذِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجِبَالِ ، وَالَّذِينَ فِي وَسْطِهَا فَلَيَفِرُوا خَارِجاً ، وَالَّذِينَ فِي الْكُورِ فَلَا يَدْخُلُوهَا ، لَأَنَّهُنَّ أَيَّامَ النِّقَامِ ، لِيَتَمَّ كُلُّ مَا هُوَ مَنْكُوبٌ. وَوَسَلَ للْجِبَالِ وَالْمُرْضِعَاتِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ ! لَأَنَّهُمْ يَكُونُونُ ضَيقَ عَظِيمٍ عَلَى الْأَرْضِ وَسُخْطَةٌ عَلَى هَذَا الشَّغْبِ. وَيَقْعُدُونَ بِالسَّيْفِ ، وَيَسْتَبُونَ إِلَى حَمْيَيِ الْأَمْمِ ، وَتَكُونُ أُورُشَلَيمُ مَدُوْسَةً مِنَ الْأَمْمِ حَتَّى تُكَمَّلَ أَرْمَنَةٌ

من السماء، وعلامة قيام القيمة. فيَبَيِّنُ الْقَوْلَةُ عَلَامَاتُ الْكُلِّ وَبَيْنَ أَوْلَا زَمَانٍ خَرَابُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ قَالَ: وَبَعْدَ هَذِهِ الْحَادِثَةِ فِي تِلْكَ بِلَامَهَةِ يَكُونُ نَزْوَلِي وَمَجْئُ الْقِيَامَةِ. فَمِنَ الْعَدْدِ الْخَامِسِ إِلَى الْعَدْدِ الثَّامِنِ وَالْعَشْرِينَ يَتَعَلَّقُ بِخَرَابِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَمِنَ الْعَدْدِ التَّاسِعِ وَالْعَشْرِينَ يَتَعَلَّقُ بِخَرَابِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَمِنَ الْعَدْدِ التَّاسِعِ وَالْعَشْرِينَ إِلَى آخِرِ الْأَصْحَاحِ يَتَعَلَّقُ بِنَزْولِ الْمَسِيحِ الْمُتَمَاهِ وَمَجْئُ الْقِيَامَةِ. وَبَعْضُ أَعْدَادِ هَذَا الْأَصْحَاحِ يَتَعَلَّقُ بِنَزْولِ الْمَسِيحِ الْمُتَمَاهِ وَمَجْئُ الْقِيَامَةِ. وَبَعْضُ أَعْدَادِ هَذَا الْأَصْحَاحِ هَذَا " وَلِلْوَقْتِ بَعْدَ صِيقِ تِلْكَ الْأَيَّامِ تُظْلِمُ الشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ لَا يُعْطِي ضَوْءَهُ، وَالنَّحْوُمُ تَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ، وَقُوَّاتُ السَّمَاوَاتِ تَتَزَّغَّرُ. وَحِينَئِذٍ ظَهَرَ عَلَامَةُ ابْنِ الْإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ. وَحِينَئِذٍ شَوَّحَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ، وَيَصِرُّونَ إِبْنَ الْإِنْسَانِ آتِيًّا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ. فَيُرْسِلُ مَلَائِكَتَهُ يُسُوقُ عَظِيمَ الصَّوْتِ، فَيَجْمِعُونَ مُخْتَارِيهِ مِنَ الْأَرْبَعِ الرِّياحِ، مِنْ أَفْصَاءِ السَّمَاوَاتِ إِلَى أَفْصَائِهَا. فَمِنْ شَحَرَةِ الَّتِيْنِ تَعْلَمُوا النَّئَلَ: مَتَى صَارَ غَصْنَهَا رَخْصًا وَأَخْرَجَتْ أُورَاقَهَا، تَعْلَمُونَ أَنَّ الصِّيفَ

الْأَمْمِ. وَتَكُونُ عَلَامَاتُ فِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّحْوُمِ، وَعَلَى الْأَرْضِ كَرْبُ أَنَّمِ بِحَيَّةِ الْبَحْرِ وَالْأَنْوَاجِ تَضَعُّفُ وَالنَّاسُ يُعْشَى عَلَيْهِمْ مِنْ حَوْفِ وَالْتَّظَارِ مَا يُلْتَهِي عَلَى الْمَسْكُورَةِ، لَأَنَّ قُوَّاتَ السَّمَاوَاتِ تَتَزَّغَّرُ. وَحِينَئِذٍ يَصِرُّونَ إِبْنَ الْإِنْسَانِ آتِيًّا فِي سَحَابَةِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ. وَمَتَى ابْتَدَأَتْ هَذِهِ تَكُونُ، فَانْتَصِبُوا وَارْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ لَأَنَّ تَحَانَكُمْ تَتَنَزَّلَ. وَقَالَ لَهُمْ مُتَلَّاً: اُنْظِرُوا إِلَى شَحَرَةِ الَّتِيْنِ وَكُلِّ الْأَشْجَارِ. مَتَى أَفْرَخَتْ تَنْظُرُونَ وَتَعْلَمُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَنَّ الصِّيفَ قَدْ قَرُبَ. هَذِهَا أَشْمَاءُ أَنْفَاصًا، مَتَى رَأَيْتُمْ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ صَائِرَةً، فَاعْلَمُوا أَنَّ مَلَكُوتَ اللَّهِ قَرِيبٌ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَا يَمْضِي هَذَا الْحِولُ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ. الْسَّمَاءُ وَالْأَرْضُ تَرُولَانِ، وَلَكِنْ كَلَامِي لَا يَنْزُولُ. فَاحْتَرِزُوا لِأَنْفُسِكُمْ لِلَّا تَقْلُلُ قُلُوبُكُمْ فِي خُمَارٍ وَسُكُرٍ وَهُمْ رِمَّ الْحَيَاةِ، فَيَصَادِفُكُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ بِتَقْتَةٍ. لَأَنَّهُ كَالْفَخْ يَأْتِي عَلَى جَمِيعِ الْحَالِسِينِ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الْأَرْضِ. اسْهُرُوا إِذَا وَتَضَرَّعُوا فِي كُلِّ حَيْنٍ، لِكِي تُخْبِسُوا أَهْلَ الْتَّحَاجَةِ مِنْ حَمِيمِ هَذَا الْمَزْمِعِ أَنْ يَكُونُ، وَتَقْفِعُوا قَدَامَ ابْنِ الْإِنْسَانِ. وَكَانَ فِي النَّهَارِ يَعْلَمُ فِي الْهَيْكَلِ، وَفِي اللَّيلِ يَخْرُجُ وَيَبِيتُ فِي الْجَلَلِ الَّذِي يُدْعَى جَبَلُ الرِّبَّوْنِ. وَكَانَ كُلُّ الشَّعْبِ يَتَكَبَّرُ إِلَيْهِ فِي الْهَيْكَلِ لِيَسْمَعُوهُ".

قَرِيبٌ. هَكَذَا أَثْنَمْ أَيْضًا ، مَتَى رَأَيْتُمْ هَذَا كُلُّهُ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ عَلَى الْأَبْوَابِ . الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَا يَنْضِي هَذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونُ هَذَا كُلُّهُ . السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ تَرْوَلَانِ وَلَكِنْ كَلَامِي لَا يَزُولُ " انتهى .

أقول: وهذا غلط أيضًا وليس من كلام السيد المسيح عليه السلام فإنه لا بد أن يكون نزول المسيح عليه السلام من السماء ومجيء القيمة في الأيام التي صار فيها خراب بيت المقدس بلا مهلة، كما يعلم ذلك من الأصحاح المذكور، وأنه لا بد أن ينظر ذلك الجيل المخاطب بهذه الأمور الثلاثة، ويكون نزول المسيح عليه السلام من السماء في عصرهم، كما كان ذلك ظن الحواريين واليسوعيين الذين كانوا في الطبقة الأولى؛ لئلا يزول كلام المسيح قبل أن تزول السماء والأرض ويصر الحق باطلًا. والعياذ بالله تعالى. وقد جاء هذا الخبر في الأصحاح الثالث عشر من إنجيل مرقس، ووقع في الأصحاح الحادى والعشرين من إنجيل لوقا أيضًا. وبهذا الاعتبار بعد هذا الخبر ثلاثة أغلاط في الإنجيل.

الغلط الخامس عشر: في العدد الثامن والعشرين من الأصحاح التاسع عشر من إنجيل متى أيضًا في قول المسيح عليه السلام للحواريين هكذا: "فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ أَثْنَمُ الدِّينَ تَعْتَمِدُونِي ، فِي التَّجْدِيدِ ، مَتَى جَلَسَ ابْنُ الْإِنْسَانِ عَلَى كُرْسِيِّ مَحْدِيهِ ، تَجْلِسُونَ أَثْنَمْ أَيْضًا عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيًّا " انتهى. وهذا القول أيضًا غلط وليس من كلام المسيح عليه السلام فإن يهودا الأخربيوطى أحد هؤلاء الاثني عشر المخاطبين قد ارتد ومات مرتدًا

جهنميا^(١). والعياذ بالله تعالى. فلا يمكن أن يجلس على الكرسي الثاني عشر إلا أن تكون تلك الكراسي والمجد في جهنم. والعياذ بالله تعالى.

الغلط السادس عشر: في العدد الثالث عشر من الأصحاح الثالث من إنجيل يوحنا هكذا: "وَتَبَسَّمَ أَحَدٌ صَدِعَ إِلَى السَّمَاءِ إِلَّا الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، ابْنُ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ" انتهى. وهذا الخبر أيضًا غلط صريح؛ فإن أخنوخ وايليا عليهما السلام صعدا إلى السماء. كما هو مصرح به في الأصحاح الخامس من سفر التكوين والأصحاح الثاني من سفر الملوك الثاني.

الغلط السابع عشر: في العدد الثالث والعشرين من الأصحاح الحادى عشر من إنجيل مرقس هكذا: "لَا تَنْهَا الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ قَالَ لَهُنَا الْجَبَلَ: اتَّقِلْ وَأَنْطَرِخْ فِي الْبَحْرِ وَلَا يَشْكُ فِي قَلْبِهِ، بَلْ يُؤْمِنُ أَنَّ مَا يَقُولُهُ يَكُونُ، فَمَهْمَّا قَالَ يَكُونُ لَهُ" انتهى. وهذا أيضًا غلط صريح. وقد جاء مثل هذا في العدد السابع عشر من الأصحاح السادس عشر من الإنجيل المذكور أيضًا هكذا: "وَهَذِهِ الْآيَاتُ تَتَبَعُ الْمُؤْمِنِينَ: يُخْرِجُونَ الشَّيَاطِينَ بِاسْمِي وَيَتَكَلَّمُونَ بِالسَّنَةِ جَدِيدَةِ، يَحْمِلُونَ حَيَاتٍ، وَإِنْ شَرِبُوا شَيْئًا مُمِيتًا لَا يَضُرُّهُمْ، وَيَضَعُونَ أَيْدِيهِمْ عَلَى الْمَرْضَى فَيَرُأُونَ" وجاء في العدد الثاني عشر من الأصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا هكذا: "الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالْأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضًا، وَيَفْعَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا" انتهى. قوله: "من يؤمن بي" عام لا يختص بشخص دون شخص آخر، بل يتناول جميع الذين

(١) بحسب قول النصارى.

يؤمنون بال المسيح القائلة وكذا قوله: "من يقول لهذا الجبل انتقل" عام لا يختص به أحد دون آخر، و زمان دون زمان. ولا يختص بمن يؤمن بال المسيح القائلة بل يعم جميع العالم الذين لا يشكون في انتقال الجبل إذا قالوا له انتقل. وكذا قوله "هذه الآيات تتبع المؤمنين" عام لا يختص بالحواريين ولا بالطبقة الأولى من المسيحيين، وتخصيص هذه الأمور بالطبقة الأولى لا دليل عليه سوى الادعاء البحث، على أنه ما سمعنا أن أحداً من المسيحيين فعل أفعلاً أعظم من أفعال المسيح القائلة بل ولا مثلها ولا أقل منها. لا في الطبقة الأولى ولا بعدها. فقوله "ويعمل أعظم منها" غلط يقيناً. وليس من كلام المسيح القائلة فإنه لا مصدق لهذا القول في طبقة من طبقات المسيحيين. والأعمال التي صدرت عن الحواريين ليست هي أعظم مما صدر عن المسيح القائلة وقد اعترف علماء البروتستانت بأن صدور خوارق العادات بعد الطبقة الأولى لم يثبت بدليل قوى. والحق أن المسيحيين المعاصرلين لنا ليسوا بمؤمنين بال المسيح القائلة من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وإخراج الشياطين من المجانين وحمل الحيات، وما عملوا من ذلك شيئاً فليسوا بمؤمنين.

الغلط الثامن عشر: في العدد السابع والعشرين من الأصحاح الثالث من إنجيل لوقا في بيان نسب المسيح القائلة هكذا: "بنِ يُوحَّنا، بنِ رِيسَا ، بنِ زَرْبَابِلَ ، بنِ شَائِيلَ ، بنِ بِيرِي" ففي هذا العدد ثلاثة أغلاظ. الأولى: أن أولاد زربابيل خمسة مصرح بهم في الأصحاح الثالث من أخبار

الأيام الأول، ولم يوجد فيهم رئيساً، وهو مخالف لما كتب متى أيضاً.
الثاني: أن زربابل ابن فدايا وليس بن شالتينيل، وإنما شالتينيل عمه،
كما علمت ذلك في الغلط السابع. الثالث: أن شالتينيل بن يكنيا وليس
ابن نيري. كما يعلم ذلك من الأصحاح الثالث من أخبار الأيام الأول.
وهو مخالف لما كتب متى أيضاً. فهذا العدد فيه ثلاثة أغلاط
واختلافات فتأمل.

الغلط التاسع عشر: في العدد الحادى عشر من الأصحاح الثاني عشر من إنجيل لوقا نقاً عن قول المسيح ﷺ هكذا: "وَمَنْ قَدَّمُوكُمْ إِلَى الْمَجَامِعِ وَالرَّؤَسَاءِ وَالسَّلَاطِينِ فَلَا تَهْتَمُوا كَيْفَ أُزِّبِّمَا تَحْتَجُونَ أَوْ بِمَا تَقُولُونَ، لَأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُّسَ يُعَلِّمُكُمْ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَا يَجِبُ أَنْ تَقُولُوهُ" انتهى. فهذا القول يفيد أن المسيح ﷺ كان وعد تلاميذه أن الشئ الذي يقولونه أمام الحكم والسلطين يكون بإلهام روح القدس، ولا يكون من قولهم. وهو غلط صريح وليس من كلام السيد المسيح ﷺ ويدل على ذلك: ما جاء في أول الأصحاح الثالث والعشرين من كتاب الأعمال في قصة تقديم بولس في المجمع أمام حنانيا رئيس الكهنة، وهو هكذا: "فَتَرَسَ بُولُسُ فِي الْمَجَمِعِ وَقَالَ: أَيُّهَا الرِّجَالُ الْإِخْرَوَةُ إِنِّي بِكُلِّ ضَمِيرٍ صَالِحٌ قَدْ عَشْتُ اللَّهَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ. فَأَمَرَ حَنَانِيَا رَئِيسَ الْكَهْنَةِ الْوَاقِفِينَ عَنْهُ أَنْ يَضْرِبَهُ عَلَى فَمِهِ". حينئذ قال له بولس: سيفضربك الله أيها الحائط المبيض. فأفانت جالس تحكم علي حسب الناموس وأفانت تأمر بضربي مخالف للناموس؟ فقال الواقفون: أنشتم رئيس كهنة الله؟ فقال بولس: لم أكن

أعرف أيها الإخوة أنه رئيس كهنة؛ لأنَّه مكتوب: "رئيس شعبك لا تقل فيه سوءاً" انتهى. فلو كان القول الذي نقله لوقا صادقاً، ومن كلام المسيح؛ لما غلط حضرة بولس مقدس أهل التثلث الذي هو من أكابر الحواريين في زعم أهل التثلث. وهو يدعى أيضاً المساواة بينه وبين أعظم الحواريين بطرس ولا ترجيح لحضره بطرس عليه عند فرقة بروتستنت؛ دليل واضح على عدم صدق القول الذي نقله لوقا فإنه لو كان صدقاً لاستحال أن يغلط حضرة القديس بولس؛ لأنَّ روح القدس يستحيل عليه الغلط، وحيث كان هذا القول مذكوراً في الأصحاح العاشر من إنجيل متى والأصحاح الثالث عشر من إنجيل مرقس؛ يُعد هذا الاعتبار ثلاثة أغلاظ في الإنجيل، على وفق عدد التثلث.

الغلط العشرون: في العدد الخامس من الأصحاح الخامس عشر من رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس في حال ظهور المصلوب بعد قيامه من القبر هكذا: "وأنَّه ظهر لصفا ثم للاثني عشر" انتهى. وهذا غلط صريح أيضاً لأنَّ يهودا الإسخريوطى الذي هو أحد هؤلاء الاثني عشر كان قد مات قبل حدوث هذه الواقعة، فما كان الحواريون إلا إحدى عشر. ولهذا كتب مرقس في العدد الرابع عشر من الأصحاح السادس عشر من إنجيله أنه ظهر للإحدى عشر. فارجع إليه إن شئت، بل الذي يظهر من كلام يوحنا في العدد الرابع والعشرين من الأصحاح العشرين من إنجيله أنَّ الحواريين الذين ظهر لهم المسيح ما كانوا إلا

عشرة؛ فإنه نص على أن توما الذي هو واحد من الإثنى عشر؛ لم يكن مع الحواريين حين ظهور المصلوب. فعلى هذا لم يكن حاضراً في ذاك الوقت سوى عشرة من الحواريين وبهذا الاعتبار يُعد هذا الغلط غلطين. وفيه اختلافان.

الغلط الحادى والعشرون: في العدد الثاني والثلاثين من الأصحاح الأول من إنجيل لوقا في قول جبريل لمريم عليهما السلام هكذا: "وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ إِلَهٌ كُرْسِيًّا دَاؤِدَّ أَيِّهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ، وَلَا يَكُونُ لِمُلْكِهِ تِهَايَةٌ" انتهى . وهذا النقل غلط يقيناً من وجهين.

الوجه الأول: أن المسيح عليهما من أولاد يواقيم على حسب النسب المندرج في الأصحاح الأول من إنجيل متى. ولا يصح أن يجلس أحد من أولاد يواقيم على كرسى داود البتة، كما يعلم ذلك من العدد الثلاثين من الأصحاح الثاني والعشرين والعدد الثلاثين من الأصحاح السادس والثلاثين من كتاب إرميا.

الوجه الثانى: أن المسيح عليهما ما جلس على كرسى داود عليهما أصلاً بل ولا ساعة واحدة ولم يحصل له حكومة على آل يعقوب عليهما البتة، بل قام آل يعقوب عليه وأحضروه أمام كرسى بيلاطس، وحكم عليه بالضرب والإهانة والقتل وسلمه إلى اليهود فصلبوه - على زعمهم - ويعلم من الأصحاح السادس من إنجيل يوحنا: أن المسيح عليهما كان يهرب خوفاً من أن يصير ملكاً، ولا يتصور الهرب من أمر

بعثه الله لأجله، على ما بشرت به مريم من جبريل قبل ولادته. ومن المعلوم البين: أن كرسي داود الكتاب كان في الأرض لا في السماء؛ فتأمل.

الغلط الثاني والعشرون: في العدد الرابع والستين من الأصحاح السادس والعشرين من إنجيل متى في خطاب المسيح الكتاب لليهود هكذا "من الآن يُبصِّرونَ أَنَّ الْإِنْسَانَ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ، وَآتِيًّا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ" انتهى وهذا غلط أيضا لأن اليهود ما رأته جالسا عن يمين القوة أصلا ولم تبصره آتيا على سحاب السماء لا قبل موت المصلوب ولا بعده إلى هذا الحين.

الغلط الثالث والعشرون: في العدد التاسع والعشرين من الأصحاح العاشر من إنجيل مرقس نقلأ عن المسيح الكتاب هكذا "الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَيْسَ أَحَدٌ تَرَكَ تَيْنًا أَوْ إِخْرَجَتِ ابْنًا أَوْ اخْرَجَتِ ابْنًا أَوْ امْرَأَةً أَوْ افْرَأَةً أَوْ حَقُولًا، لِأَخْلِي وَلِأَخْلِي الإِنْجِيلِ، إِلَّا وَيَاخْذُدُ مَعَهُ ضَعْفَ الْآنَ فِي هَذَا الرَّمَانَ، يُبَوِّتَ إِخْرَاجَهُ وَأَخْرَاجَهُ وَأَمْهَاتِهِ وَأَوْلَادَهُ وَحَقُولَهُ، مَعَ اضْطِهَادِهِاتِهِ، وَفِي الدَّهْرِ^(١) الْأَتَى الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ" انتهى. وجاء هذا الخبر في الأصحاح الثامن عشر من إنجيل لوقا أيضا، وكذلك في الأصحاح التاسع عشر من إنجيل متى. وهو غلط يقيناً؛ لأن الإنسان إذا ترك امرأة لأجل الإنجيل أو لأجل المسيح؛ لا

(١) لأن المؤلف لم يفهم معنى الدهر الآتي قال ما قال. والحق: أن الدهر الآتي هو دهر شريعة القرآن. والدهر السابق عليه هو دهر شريعة التوراة.

يحصل له مائة امرأة في هذا الدنيا يقيئاً. لأنَّ المسيحيين لا يُجَوِّزون التزوج في هذا الزمان بأزيد من إمرأة واحدة، وإذا كان المراد بهن في هذا القول المؤمنات بال المسيح القىحة بدون عقد النكاح؛ يكون الأمر أفحش وأفسد -والعياذ بالله تعالى- وقوله "حقولاً مع اضطهادات" لا معنى له فإنَّ الكلام هنا في حسن المكافئة والمجازاة، فما دخل الشدائد والاضطهادات هنا؟ وحيث كان هذا القول مندرجًا في متى ولوقا ومرقس يُعدَّ بهذا الاعتبار ثلاثة أغلاط في الإنجيل.

الغلط الرابع والعشرون: في العدد السادس والعشرين من الأصحاح الرابع عشر من إنجيل لوقا نقلًا عن كلام المسيح القىحة هكذا: "إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلَا يُغْضِبُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَأَمْرَأَتَهُ وَأُولَادَهُ وَإِخْوَانَهُ وَأَخْوَانَهِ ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا ، فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تَلْمِيذًا. وَمَنْ لَا يَخْمُلُ صَلِيهَةَ وَيَأْتِي وَرَأْسِي فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تَلْمِيذًا" انتهى.

وهذا الأدب عجيب، وليس من كلام ^(١) السيد المسيح القىحة فإنه قد قال موبخاً لليهود هكذا: "فَإِنَّ اللَّهَ أَوْصَى قَاتِلًا: أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ وَمَنْ يَشْتِمْ أَبَا أَوْ أَمَّا، فَلَيَمُتْ مَوْتًا" كما صرَّح بذلك متى في العدد الرابع من الأصحاح الخامس عشر من إنجيله. بغضِّ الوالدين ليس من إكرامهما، فكيف يعلم ببغضهما؟ حاشا جنابه الشريف أن يصدر عنه ذلك.

(١) هو من كلام المسيح يحثُّهم به على الجهاد في سبيل الله. والجهاد المطلوب هنا: هو الدعوة إلى ملکوت السموات.

الغلط الخامس والعشرون: في العدد الثاني والأربعين من الأصحاح الحادى عشر من إنجيل يوحنا هكذا: "فَقَالَ لَهُمْ وَاحِدٌ مِّنْهُمْ، وَهُوَ قِيَافَا، كَانَ رَئِيسًا لِلْكَهْنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ: أَتَتْنَاهُ لَسْتَمْ تَعَرَّفُونَ شَيْئًا، وَلَا تُنَكِّرُونَ أَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ، وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ وَلَا تَهْلِكُ الْأُمَّةَ كُلُّهَا". وَلَمْ يَقُلْ هَذَا مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ إِذْ كَانَ رَئِيسًا لِلْكَهْنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، ثَنَّا أَنْ يَسْوَعَ مُزْمِعٌ أَنْ يَمُوتَ عَنِ الْأُمَّةِ، وَلَيْسَ عَنِ الْأُمَّةِ فَقَطْ، بَلْ لِيَحْمِمَ أَبْنَاءَ اللَّهِ الْمُتَفَرِّقِينَ إِلَى وَاحِدٍ" انتهى

وهذا القول غلط لوجهه:

الأول: أن هذا القول يدل على أن قيافا رئيس كهنة اليهود؛ كان نبيا من الأنبياء الصادقين. وهو باطل قطعا.

الثاني: أن قوله أن يسوع مزعوم أن يموت عن الأمة، يدل على أن موته كان كفارة عن أمته اليهود فقط، لا عن العالم كله. وهو مخالف لما هو مزعوم أهل التثليث. ويلزم على هذا القول أيضا أن يكون قول يوحنا الانجيلي "وليس عن الأمة فقط" مخالفا لنبوة قيافا رئيس الكهنة.

الثالث: أن هذا النبي الصادق الذي ثبتت نبوته عند يوحنا الانجيلي، وهو الذي كان رئيسا للكهنة - بين صلب المصلوب، هو الذي أفتى بقتله وكتبه ونسبه إلى التجديف والكفر ورضي بإهانته وضربه، كما يعلم ذلك من العدد السابع والخمسين من الأصحاح السادس والعشرين من إنجيل متى. وعبارة فيه هكذا "والذين أمسكوا يسوع مضوا به إلى قيافا رئيس الكهنة الخ"

ثم قال في العدد الثالث والستين: "وأما يسوع فكان ساكتا فأجاب رئيس الكهنة وقال له: أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا: هل أنت المسيح ابن الله؟ فقال له يسوع: أنت قلت. وأيضا أقول لكم: إنكم من الآن تبصرون ابن الإنسان^(١) جالسا عن يمين القوة وآتيا على سحاب السماء. فمزق حينئذ رئيس الكهنة ثيابه قائلا: قد جدف ما حاجتنا بعد إلى شهود.

ها قد سمعتم تجديفه. ماذا ترون؟ فأجابوا وقالوا: إنه مستوجب الموت. حينئذ بصقوا في وجهه، ولصوموه، وآخرهم لطموه" انتهي.
وقد أورد هذا الخبر يوحنا أيضا في العدد الثالث عشر من الأصحاح الثامن عشر من إنجيله. وعبارته في حقه هكذا: "ومضوا به إلى حنان أولا لأنه كان حمي قيافا الذي كان رئيسا للكهنة في تلك السنة. وكان قيافا هو الذي أشار على اليهود أنه خير ان يموت إنسان واحد عن الشعب" انتهي.

فإذا كان كلام قيافا رئيس الكهنة بالنبوة والإلهام، فكيف ساغ له أن يفتني بقتل المسيح؟ وكيف كذبه وكفره ورضي بضربه وإهانته؟ أيفتي النبي بقتل إلهه ويكرر به في ألوهيته ويكرره ويهينه؟ فإذا كانت النبوة حاوية لأمثال هذه الشنائع؛ فنحن برأء عن هذه النبوة وعن أصحابها. والحق أن يوحنا الحواري بريء عن أمثال هذه الأقوال

^(١) ابن الإنسان لقب محمد ﷺ وهذا يدل على أن المسيح في آخر عمره كان يبشر به.

الواهية، كما أن المسيح عليه السلام بريء عن ادعاء الالوهية والبنوة الحقيقة، وإنما هذه وامثالها من خرافات المثليين يقيناً.

الغلط السادس والعشرون: في العدد الخمسين من الأصحاح السابع والعشرين من إنجيل متى هكذا: "فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم وأسلم الروح وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل والأرض تزلزلت والصخور تسقطت والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الرائدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين" انتهي.

أقول إن هذه الحكاية لا سبيل إلى تصديقها^(١) لوجوه:

الأول: إن هذه الحوادث العظيمة حيث كانت ظاهرة ومشهودة؛ يستبعد العقل ألا يكتبه أحد من المؤرخين الذين كانوا في ذاك الزمان، غير متى الإنجيلي. ولو فرضنا أن المخالفين امتنعوا عن كتابتها لأجل سوء ديانتهم أو عنادهم فلابد أن يكتبهما الموافقون، سيما لوقا الإنجيلي الذي كان أحرص الناس في تحرير العجائب التي تصدر عن المسيح عليه السلام وكان متبعاً لجميع الأمور التي كان يفعلها المسيح عليه السلام كما يعلم ذلك من مقدمة إنجيله. وكيف يتصور أن يكتب الإنجيليون الحالات التي ليست بعجائب ولا يكتبون الأمور العجيبة؟

(١) الغرض من كتابتها هو تجميع نبوءات من نبوءات التوراة عن محمد ﷺ واللغو فيها بهذه الحيلة.

وكيف كتب مرقس ولوقا انشقاق الحجاب وترك الأمور الباقية التي اعظم منه؟ فإن تشقق الصخور وقيام الأموات من القبور أعظم من انشقاق حجاب الهيكل.

الثاني: إن متى كتب في هذا الأصحاح "أن اليهود ذهبوا إلى بيلاطس في اليوم الثاني من صلب المصلوب قائلين: يا سيد قد تذكروا أن ذلك المضل قال في حياته: إني أقوم بعد ثلاثة أيام فمر بضبط القبر إلى اليوم الثالث لئلا يأتي تلاميذه ليلاً ويسرقوه، فتكون الضلالة الأخرى أشر من الأولى"

ونذكر متى في هذا الأصحاح أيضا: "أن بيلاطس وامرأته كانتا غير راضيين بقتله وصلبه. فلو وقعت هذه الأمور؛ ما كان يمكنهم أن يذهبوا إلى بيلاطس" والحال أن حجاب الهيكل منشق، والصخور مشقة والقبور مفتوحة والأموات حية قائمة من قبورها. فكيف يتصور أن تذهب اليهود إلى بيلاطس وهم مشاهدون لهذه العجائب التي كانت بعد موته، ويقولون له عنه: إنه كان مضلا مع أن بيلاطس ما كان راضيا بقتله من أول الأمر كما علمت؟ فلو كانت هذه الأمور واقعة ورآها بيلاطس؛ لكان كذبهم في قولهم عنه إنه كان مضلا - العياذ بالله تعالى - لأن هذه العجائب لا تصدر لأجل موت رجل مضل.

الثالث: إن هذه الأمور آيات عظيمة. فلو وقعت لكان آمن كثير من الروم و اليهود في ذلك الوقت، علي ما جرت به العادة ألا تري أنه لما نزل روح القدس على الحواريين وصاروا يتكلمون بالسنة

مختلفة تعجب الناس وأمن منهم نحو ثلاثة آلاف رجل على ما هو مصري به في الأصحاح الثاني من كتاب أعمال الرسل. وهذه الأمور التي صدرت عند صلب المصلوب أعظم من القدرة علي التكلم بأسنة مختلفة. قال الفاضل نورتن في كتابه بعد أن نقل عبارة متى هكذا: "هذه الحكاية كاذبة والغالب أن أمثال هذه الحكايات كانت رائجة في اليهود بعد ما صارت أورشليم خرابا. فعل أحدا كتبها في حاشية النسخة العبرانية لإنجيل متى، وأدخلها الكتاب في المتن، ثم وقع هذا المتن في يد المترجم فترجمها علي حسبه" انتهي.

قلت: وهذا القول هو عين الحق و الانصاف، وعليه المعول، ولا يلتفت إلى غيره.

الغلط السابع والعشرون: في العدد السادس و الثلاثين من الأصحاح الثالث من إنجيل لوقا أن شالح بن قيستان بن أرفكشاد. وهذا غلط يقينا لأن شالح بن أرفكشاد لا ابن ابنه. كما يعلم ذلك من الأصحاح الحادي عشر من سفر التكوين ومن الأصحاح الأول من سفر أخبار الأيام الأول، بل لا يوجد لهذا الاسم ذكر في كتب العهد القديم في الأصل العبراني، ولا ترجيح لغيره عليه لأنه الأصل. قال شارح الأنجليل القدس معان كلهمون في الصفحة السبعين، من كتابه المسمى اتفاق البشير ودليل المسترشدين، المطبوع في بيروت سنة ١٨٧٦ من الميلاد هكذا: "ان قيستان المذكور بعد أرفكشاد ليس له ذكر في العهد القديم في الأصل العبراني. فالظاهر أنه قد دخل في إنجيل

لوقا من غفلة أحد النساخ" انتهى. قلت: ولقد أنسف هذا القسيس باعترافه أن هذا الجيل دخل زائدا في الإنجيل، وهذا من التحريف بالزيادة. فتأمل.

الغلط الثامن والعشرون: في العدد الخامس والعشرين من الأصحاح الثاني من إنجيل مرقس نقرأ عن كلام المسيح عليه السلام هكذا: "قال لهم: أما قرأتم قط ما فعله داود حين احتاج وجاء هو والذين معه، كيف دخل بيته في أيام أبياثار رئيس الكهنة، وأكل خبز التقدمة الذي لا يحل أكله إلا للكهنة وأعطى الذين كانوا معه أيضا" انتهى.

ففى هذين العددين ثلاثة اغلاط:

الأول: أن داود عليه السلام حين جاء ودخل بيته، كان منفرداً وما كان معه أحد فقوله: "والذين كانوا معه" غلط.
الثاني: قوله: "وأعطى الذين كانوا معه" غلط أيضا؛ لأنه لم يكن معه أحد.

الثالث: أن رئيس الكهنة الذي كان في تلك الأيام الذي أعطى داود عليه السلام خبز التقدمة والموجود؛ هو أخيه لا أبياثار وأما أبياثار فهو ابن أخيه. كما يعلم ذلك كله من الأصحاح الحادى والعشرين والثانى والعشرين من سفر صموئيل الأول. وعلماء بروتستانت قد اعترفوا بالغلط الثالث إلا شارح الاناجيل القس سمعان كلهون فإنه أجاب عنه بجواب بارد لا يلتفت إليه.

الغلط التاسع والعشرون: في العدد التاسع عشر من الأصحاح التاسع من الرسالة العبرانية لبولس هكذا: "لأن موسى بعد ما كلم جميع الشعب بكل وصية بحسب الناموس أخذ دم العجول والثيوس مع ماء وصوفا قرمزيا وزوفا ورش الكتاب نفسه وجميع الشعب قائلا هذا هو دم العهد^(١) الذي أوصاكم الله به والمسكن أيضاً وجميع آنية الخدمة رشها كذلك بالدم، وكل شيء تقريباً يتظاهر حسب الناموس بالدم" انتهي.

وهذا القول غلط أيضاً لوجوه:
الأول: أنه ما كان دم العجول والثيوس، وإنما الذي كان دم الثيران فقط. والثيران جمع ثور وهو الواحد من البقر.
الثاني: أن الدم ما كان في هذه المرة مع ماء وصوف قرمزي وزوف وإنما الذي كان هو الدم فقط.

الثالث: أن موسى عليه السلام ما رشَّ على الكتاب نفسه ولا على جميع آنية الخدمة بل رش نصف الدم على المذبح ونصفه الآخر على

(١) في التوراة أنبني إسرائيل لما خرجو من مصر مع موسى اتجهوا إلى جبل الطور. وقال الله لهم: هل توافقون على أن أنزل عليكم شريعة تجاهدون بها الأمم وتمحون بها عبادة الأصنام؟ وردوا بقولهم: كل ما تكلم به الرب فليأداء ن فعل عندئذ جعل ثمودي ميقاتاً أربعين ليلة هو وسبعون من شيوخ بنى إسرائيل ليعمل معهم عهداً. فأخذ موسى الشيوخ وصعد إلى الجبل ونزل فعمل مراسيم وشعائر العهد -الذي هو أيضاً الميثاق- ورش الدم... إلخ. وفي هذا المعنى يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْكُرُوا نُسْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَبِيَتَقَبَّلُهُ إِذْ قَلْمَ سَمِعْنَا وَأَطْلَعْنَا﴾ أي أنهم لما قالوا سمعنا وإلياه نفعل؛ واثقهم.

الشعب كما يعلم ذلك صراحةً من العدد الثالث إلى العدد التاسع من الأصحاح الرابع والعشرين من سفر الخروج وعبارته فيه هكذا: "فجاء موسى وحثّ الشعب بجميع أقوال الرب وجميع الأحكام. فأجاب جميع الشعب بصوت واحد وقالوا: كل الأقوال التي تكلم بها الرب نفعل. فكتب موسى جميع أقوال الرب وبكراً في الصباح وبني مذبحاً في أسفل الجبل واثني عشر عموداً لأسباط إسرائيل الاثني عشر، وأرسل فتيان بني إسرائيل فأصدعوا حرقات ونبحوا ذبائح سلامة للرب من الثيران. فأخذ موسى نصف الدم ووضعه في الطسوس ونصف الدم رشه على المذبح وأخذ كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب فقالوا: كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له، وأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال: هو ذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم علي جميع هذه الأقوال". انتهي.

الغلط الثالثون: في العدد الخامس عشر من الأصحاح الثاني من إنجيل متى هكذا: "وكان هناك إلى وفات هيرودس لكي يتم ما قيل من رب بالنبي القائل: من مصر دعوت ابني" انتهي.

والمراد بالنبي القائل: هوشع عليه السلام وأشار متى الإنجيلي إلى العدد الأول من الأصحاح الحادي عشر من كتاب هوشع المذكور، وهذه الإشارة غلط. ولا علاقة لهذا العدد بال المسيح عليه السلام فإن ذلك العدد في ذاك الكتاب نصه هكذا: "إن إسرائيل منذ كان غلاماً أنا أحببته ومن مصر دعوت أولاده" على ما في النسخة العربية المطبوعة سنة

١٨١١ من الميلاد. فالإنجيلي حرف صيغة الجمع بالفرد، وضمير الغائب بالمتكلم. فقال ما قال وكذلك أصحاب الترجم المطبوعة بعد تلك الترجمة قد حرفوا أيضاً صيغة الجمع وضمير الغائب بالمتكلم في كتاب هوشع؛ لتوافق عبارته عبارة الإنجيل لكن لا تخفي خيانتهم على من طالع الأصحاح المذكور في الكتاب المرقوم فإنه وقع في حق المدعوين من مصر بعد ذلك العدد هكذا: "كلما دعوا ولوا وجوههم وذهبوا للبعاليم وقربوا للأصنام"

وهذه الأمور لا تصدق على المسيح عليه السلام فإنه ما نسب للبعاليم ولا قرب للأصنام. والحق أن هذه العبارة قيلت في حق بنى إسرائيل الذين كانوا في مصر تحت طاعة فرعون.

وما يستحق الذكر هنا ما يعلم من إنجيل لوقا أن المسيح عليه السلام ما ذهب إلى مصر مدة حياته حتى يدعى منها؛ فإنه صريح كلامه أن بعد ما تمت مدة نفاس السيدة مريم ذهبت به مع يوسف النجار إلى أورشليم وبعد تقديم النبيحة رجعاً به إلى ناصرة الجليل وأقاما فيها وكان يذهبان إلى أورشليم في أيام العيد من كل سنة، ولما بلغ عمره اثنى عشر سنة صعد إلى أورشليم وأقام فيها ثلاثة أيام بغير اطلاع أبيه جاءه إلى أورشليم وأخذاه ونزل به إلى الناصرة وأقام هناك خاضعاً لهما إلى أن عمّد بماء الأردن ونزل عليه روح القدس. كما يعلم ذلك من الأصحاح الثاني والثالث من إنجيل لوقا.

فعلى كلامه هذا: لا سبيل لذهبته الى مصر وإقامته فيها حتى يُدعى منها؛ فإن صريح هذا الكلام أن المسيح عليه السلام لم يسافر قط من أرض اليهود لا إلى مصر ولا إلى غيرها. فما في متى غلط يقيناً. وحيث وصلتُ في النقل إلى الثلاثين غلطاً التي أردت ذكرها؛ أكتفى عليها خوف الإطالة. والآن أسرع في نكر الاختلافات الثلاثين التي وعدتُ في نقلها. فأقول:

الاختلاف الأول: يعلم من العدد الثالث عشر، من الأصحاح الرابع والعشرين من سفر صموئيل الثاني أن جاداً أتى إلى داود وأخبره قائلاً: أن يكون على أرضك سبع سنين جوعاً. ويعلم من العدد الثاني عشر من الأصحاح الحادي والعشرين من سفر أخبار الأيام الأول أن الجوع يكون ثلاثة سنين. ففي الأول سبع سنين وفي الثاني ثلاثة سنين. ومفسرو المسيحيين قد اعترفوا بأن الأول غلط. وفي هاتين العبارتين اختلاف آخر في الوباء. ففي الأولى يكون الوباء في ارض داود ثلاثة سنين وفي الثانية ثلاثة اشهر. فراجعهما إن شئت.

الاختلاف الثاني: يعلم من العدد الثامن من الأصحاح الرابع والعشرين من سفر الملوك الثاني أن يهوياكين حين ملك كان ابن ثماني عشرة سنة ويعلم من العدد التاسع من الأصحاح السادس والثلاثين من سفر أخبار الأيام الثاني أنه ابن ثماني سنين فقط حين ملك. فبينهما اختلاف صريح والثاني غلط يقيناً كما اعترف بذلك مفسروهم. قال آدم كلارك في المجلد الثاني من تفسيره في شرح هذه العباره هكذا: "وهذه

العبارة غلط البتة لأن سلطنته كانت الي ثلاثة أشهر ثم ذهب الى بابل أسيراً وكان في الحبس وأزواجه معه. والغالب أنه لا يكون لابن ثمانين سنين أزواجا. ويشكل أيضاً أن يقال لمثل هذا الصغير أنه فعل ما كان قبيحاً عند الله. كما صرخ بذلك في أصحاح أخبار الأيام المذكور. فهذا الموضع من هذا السفر محرف البتة" انتهي.

قلت: وهذا القول هو عين الحق والانصاف.

الاختلاف الثالث: في العدد الرابع من الأصحاح العشرين من سفر الخروج في خطاب موسى عليه السلام وقومه هكذا: "لا تصنع تمثلاً منحوتاً ولا صورة مَا مَا في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض" وهذا مخالف لما جاء في العدد الثامن عشر من الأصحاح الخامس والعشرين من السفر المذكور في خطاب موسى عليه السلام أيضاً هكذا: "فاصنع كروبين من ذهب صنعة خراطة تصنعهما على طرف الغطاء وتصنع كروباً واحداً على الطرف من هنا وكروباً آخر على الطرف من هناك. من الغطاء تصنعون الكروبين على طرفيه، ويكون الكروبان باسطين أحجثهما إلى فوق مظللين بأحجثهما الغطاء ووجهاهما كل واحد إلى الآخر. نحو الغطاء يكون وجها الكروبين" انتهي. فيبينهما اختلاف صريح أحدهما غلط والأقرب أنه الثاني؛ فتأمل.

الاختلاف الرابع: يعلم من العدد الأول من الأصحاح الرابع والعشرين من سفر صموئيل الثاني أن الرب ألقى في قلب داود عليه

السلام أن يحصيبني إسرائيل ويعدّهم، ويعلم من العدد الأول، من الأصحاح الحادي والعشرين من سفر أخبار الأيام الثاني أن الذي ألقى ذلك في قلب داود عليه السلام إنما هو الشيطان. والعياذ بالله تعالى. وحيث كان عندهم أن الله سبحانه وتعالي لم يخلق الشر؛ لزم الاختلاف القوي بين هاتين العبارتين.

الاختلاف الخامس: في العدد السادس والعشرين من الأصحاح الرابع من سفر الملوك الأول هكذا: "وكان لسليمان أربعون ألف مزود لخيل مركباته وأثنا عشر ألف فارس" وفي العدد الخامس والعشرين من الأصحاح التاسع من سفر أخبار الأيام الثاني هكذا: "وكان لسليمان أربعة آلاف مزود خيل ومركبات وأثنا عشر ألف فارس" انتهي. فيبينهما اختلاف صريح. وصاحب الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ من الميلاد قد حرف عبارة سفر أخبار الأيام فبدل لفظ أربعة آلاف بأربعين ليوفق بين العبارتين. وهذه سجية فيهم لا يرجي تركها منهم. كما قال تعالى في سورة المائدة في حق أهل الكتاب: ﴿وَلَا تَرْأَلْ تُطْلِعُ عَلَىٰ خَاتَمَةِ مِنْهُمْ﴾ والفضل آدم كلارك قد نقل في تفسيره اختلاف الترافق ذيل عبارة سفر الملوك، ثم قال: الأحسن أن نعرف بواقع التحريف في هذه الأعداد نظراً إلى هذه الاختلافات. انتهي.

الاختلاف السادس إلى الاختلاف العاشر: من قابل بيان نسب المسيح عليه السلام المدروج في الأصحاح الأول من إنجيل متى ببيان النسب المدروج في الأصحاح الثالث من إنجيل لوقا وجد فيما خمس

اختلافات: الأول: يعلم من متى أن يوسف النجار ابن يعقوب، ومن لوقا انه ابن هالي. **الثاني:** يعلم من متى أن السيد المسيح عليه السلام من أولاد سليمان بن داود عليهما السلام ويعلم من لوقا أنه من أولاد ناثان بن داود عليه السلام. **الثالث:** يعلم من متى أن شالتيل بن يكتينا، ومن لوقا أنه ابن نيري. **الرابع:** يعلم من متى ان اسم ابن زربابل أبيهود، ومن لوقا أن اسمه ريسا. وقد عرفت أن أسماء أولاد زربابل مصرح بها في الأصحاح الثالث من سفر أخبار الأيام الأول ولم يوجد فيهم أحد اسمه أبيهود ولا ريسا. كما قد علمت ذلك في الغلط السابع. والحق أن كليهما غلط. **الخامس:** يعلم من متى أن من داود إلى المسيح عليهما السلام ستة وعشرون جيلاً، ويعلم من لوقا أنهم إحدى وأربعون جيلاً. ولما كانت هذه الاختلافات ظاهرة البيان تحير فيها علماء المسيحيين من زمان استهار هذين الإنجيليين إلى هذا اليوم، الذي نحن فيه. غير أن بعضهم وجه بعضها بتجيئيات ضعيفه لا يلتفت إليها. ولذلك اعترف بعض محققيهم بأن هذين الإنجيليين مختلفان اختلافاً معنوياً. وهذا هو عين الحق والإنصاف.

الاختلاف الحادي عشر: في العدد التاسع عشر من الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا: "أن اليهود أرسلت من أورشليم كهنة ولوبيين إلى يوحنا المعمدان ليسألوه من أنت؟ فاعترف ولم ينكر، وأقر أنني لست أنا المسيح. فسألوه إذاً ماذا؟ أيليت أنت؟ فقال: لست أنا النبي أنت؟ فأجاب: لا. فقالوا له: من أنت لنعطي جواباً للذين أرسلونا؟ ماذا تقول عن

نفسك؟ قال: أنا صوت صارخ في البرية. قَوْمُوا طرِيقَ الرَّبِّ كما قال إشعيا النبي. وكان المرسلون من الفريسيين فسألوه وقالوا له: فما بالك تعمد إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبي؟ انتهي. قلت: والمراد بيوحنا المعمدان سيدنا يحيى عليه السلام و قوله لست أنا إيليا مخالف لقول المسيح عليه السلام الذي نقله متى في العدد الرابع عشر من الأصحاح الحادي عشر من إنجيله في خطاب التلاميذ "وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَقْبِلُوا فَهَذَا هُوَ إِيلِيَّا الْمَزْمُعُ أَنْ يَأْتِي" ونقل أيضاً في العدد العاشر من الأصحاح السابع عشر من إنجيله هكذا: "وَسَأَلَهُ تَلَامِيذهِ قَائِلِينَ: فَلِمَاذَا يَقُولُ الْكِتَبَةِ إِنْ إِيلِيَّا يَنْبَغِي أَنْ يَأْتِي أَوْلَأَ فَأَجَابَ يَسُوعَ وَقَالَ لَهُمْ: إِنْ إِيلِيَا يَأْتِي أَوْلَأَ وَيَرِدُ كُلُّ شَيْءٍ، وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ إِيلِيَا قَدْ جَاءَ وَلَمْ يَعْرُفُوهُ، بَلْ عَمِلُوا بِهِ كُلُّ مَا أَرَادُوا كَذَلِكَ أَنْ إِنْ إِلَّا سُوفَ يَتَّلَمَّذُهُمْ حِينَئِذٍ فَهُمُ التَّلَامِيذُ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ عَنْ يَوْحَنَةِ الْمُعْدَنِ" انتهي.

فعلم من هذين القولين أن يوحنا المعمدان هو إيليا المزمع أن يأتي. فلزم هذا التناقض الصريح بين قول يوحنا و قول المسيح عليهما السلام فإن يوحنا قال عن نفسه لما سأله: لست أنا إيليا والمسيح. قال هو إيليا. وهذا شيء آخر يجب التبييه عليه. وهو ان عبارة يوحنا الإنجيلي تدل صراحة على أنبني إسرائيل كانوا في عهد يحيى والمسيح عليهما السلام ينتظرون ثلاثة أشخاص مرسلين: المسيح وإيليا والنبي عليهم الصلاة السلام فإن صريح هذه العبارة أن اليهود أرسلوا

جماعة من علماءهم حين ظهر سيدنا يحيى عليه السلام بمظاهر النبوة والرسالة ليسأله هل أنت المسيح أو إيليا أو النبي؟

وقد ثبت عند غير اليهود من أهل الكتاب أن عيسى عليه السلام قد جاء وهو الموعود^(١) به في التوراة، وعرفت أن المسيح قد شهد ليحيى عليه السلام أنه هو إيليا الموعود به. بقي حينئذ الثالث من المنتظرين وهو النبي أي المعهود الذي ذكره الله سبحانه لموسى عليه السلام في التوراة بقوله: "وسوف أقيم لهمنبياً مثلك من بنى إخوتهم وأجعل كلامي في فمه" الخ. وقد أنجز الله سبحانه وتعالى الوعد وبعثه -ولله الحمد-نبياً أميناً خاتم الانبياء وأول الاصفياء. فما ادعاه أهل الكتاب من أنهم ما كانوا ينتظروننبياً آخر غير المسيح وإيليا عليهم السلام ادعاء باطل لا أصل له بشهادة الإنجيل ولا يلتفت إلى من قال إن النبي المسؤول عنه هو عين المسيح لأنه قول الذين في بحر الجهل يعمهون. ولقد جاء في العدد الأربعين من الأصحاح السابع من إنجيل يوحنا أيضاً حين تعجب اليهود من تعاليم المسيح عليه السلام هكذا: "فكثرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا هذا: بالحقيقة هو النبي. آخرون قالوا: هذا هو المسيح، وأخرون قالوا: أ لعل المسيح من الجليل يأتي؟" انتهي.

(١) عيسى ليس هو النبي الموعود به في التوراة فإن المسيح والنبي في هذه الشهادة هما لقبان لواحد هو محمد ﷺ وإيليا بحسب الجمل: هو اسمه المبارك؛ فإنه عدد إيليا ٥٣. وعدد أحمد ٥٣.

وهذا القول أيضاً صريح في أن النبي عند أهل الكتاب غير المسيح. ولذلك قابلوه به، وأقاموا الدليل عليه بأن المسيح من الجليل يأتي؛ وهو من الجليل حقاً كما لا يخفى. فقد ثبت من هذا أيضاً أن المسيح غير النبي الموعود به في التوراة، وعرفت فيما تقدم آنفاً أن إيليا هو سيدنا يحيى بشهادة المسيح عليه السلام فلا مجال حينئذ لإنكار نبوة سيدنا محمد ﷺ وبعثته. ومن أنكرها كمن أراد أن يلقي غطاء لستر ضوء النهار. وهذا الدليل وحده كافي شافي بالنسبة إليهم فما بالك إذا كان غالباً أصحاحات كتبهم المقدسة تشير إلى نبوته تصريحاً وتلويناً. ولو لا ضيق المقام لذكرت لك شيئاً من ذلك بهذه المناسبة، لكن لما كان هذا الأمر مفروغاً منه ولا يحتاج إلى زيادة بيان لثبوت نبوته كطلع الشمس وهي في رابعة النهار؛ نكتفى على هذا القدر، ونرجع إلى ما كنا فيه فنقول:

الاختلاف الثاني عشر: كتب متى في العدد الأول من الأصحاح الحادى والعشرين من إنجيله أن المسيح عليه السلام "لما ذهب إلى أورشليم وقرب من بيت فاجى أرسل اثنين من تلاميذه إلى القرية المذكورة ليأتيا له بأتان كانت مربوطة هناك وجھتها معها فأتيا له بهما وركب عليهما وكتب بقية الإنجيليين ليأتيا له بالجحش فقط فأتيا به وركب عليه"*

فبين القولين اختلاف صريح فراجعهما إن شئت.

الاختلاف الثالث عشر: نقل متى في العدد الثامن عشر من الأصحاح الحادى والعشرين من إنجيله: "أن المسيح عليه السلام لما كان راجعاً من بيت عنيا إلى أورشليم؛ جاء. فنظر على الطريق شجرة تين فجاء إليها فلم يجد فيها شيئاً إلا ورقاً فقط. فقال لها: لا يكون منك ثمر بعد إلى الأبد. فيبست التينة في الحال" انتهى. وكتب مارقس في العدد الثانى عشر من الأصحاح الحادى عشر من إنجيله: "أن المسيح عليه السلام خرج إلى بيت عنيا مع الاثنى عشر، وفي الغد لما خرجن من بيت عنيا؛ جاء. فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق، وجاء لعله يجد فيها شيئاً. فلما جاء إليها لم يجد شيئاً إلا ورقاً لأنه لم يكن وقت التين. فأجاب يسوع وقال لها: لا يأكل أحد منك ثمراً بعد إلى الأبد، وكان تلاميذه يسمعون. وجاء إلى أورشليم. ولما صار المساء خرج إلى خارج المدينة وفي الصباح إذ كانوا مجتازين رأوا التينة قد يبست من الأصول. فتنكر بطرس وقال له: يا سيد انظر إلى التينة التي لعنتها قد يبست" انتهى ملخصاً.

ففي هاتين العبارتين اختلاف صريح. وفيه أمور أخرى راجعها في كتاب إظهار الحق إن شئت.

الاختلاف الرابع عشر: كتب متى في العدد الثالث عشر من الأصحاح الثالث من إنجيله: "أن المسيح عليه السلام جاء إلى يوحنا المعمدان ليعتمد منه بماء الأردن التي لتكفير الخطايا ولكن منعه يوحنا قائلاً: إني محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إلىَّ؟ فأجاب يسوع وقال: اسمح

الآن لأنّه هكذا يليق بنا أن نكمّل كلّ بُرّ. حينئذ سمح له. فلما تعمّد يسوع صعد للوقت من الماء، فنزل عليه روح القدس شبه حمام. وفي اليوم الثاني والثالثين من الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا نقلًا عن كلام يوحنا المعمدان عليه السلام هكذا: "وَشَهِدَ يَوْحَنَةُ قَائِلًا: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رُوحًا عَلَيْهِ نَازِلًا مِثْلَ حَمَّامَةٍ فِي السَّمَاءِ فَاسْتَقَرَ عَلَيْهِ وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفَهُ، لَكِنَّ الَّذِي أَرْسَلَنِي لِأَعْمَدَ بِالْمَاءِ ذَاكَ قَالَ لِي: الَّذِي تَرَى رُوحَ نَازِلًا وَمُسْتَقْرًا عَلَيْهِ، فَهُوَ الَّذِي يَعْمَدُ بِالرُّوحِ الْقَدِيسِ" انتهي. و جاء في العدد الثاني من الأصحاح الحادي عشر من إنجيل متى هكذا: "يَوْحَنَةُ قَلَمَا سَمِعَ فِي السَّجْنِ بِأَعْمَالِ الْمَسِيحِ أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلَامِيذهِ، وَقَالَ لَهُ: أَنْتَ هُوَ الَّذِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟" انتهي. فبین هذه العبارات الثلاثة اختلاف صريح. فإنه يعلم من العبارة الأولى أن يوحنا المعمدان كان يعرف المسيح عليهما السلام قبل نزول الروح عليه. ولذلك امتنع أولاً من تعميده، ويعلم من العبارة الثانية، أنه ما كان يعرفه إلا بعد نزول الروح عليه، ويعلم من الثالثة أنه لم يكن يعرفه لا قبل نزول الروح عليه ولا بعده. ولذلك أرسل إليه في آخر حياته اثنين من تلاميذه، وسألهم "هل أنت هو الذي الموعود به أم ننتظر آخر سواك؟" فبین العبارات الثلاث تناقض و اختلاف واضح؛ فتأمل.

الاختلاف الخامس عشر: كتب متى في العدد التاسع والعشرين من الأصحاح العشرين من إنجيله أن المسيح عليه السلام لما خرج من أريحا وجد أعميين جالسين في الطريق؛ فلمس أعينهما فللوقت أبصرت

أعينهما. وكتب مرقس في العدد السادس والأربعين من الأصحاح العاشر من إنجيله ولوقا في العدد الخامس والثلاثين من الأصحاح الثاني عشر من إنجيله أن الذي وجده المسيح جالساً على الطريق أعمى واحداً فقط. فشفاه من العمى. وبين لوقا ومرقس اختلاف آخر في هذه الحادثة فإن لوقا ينص على أن شفاء هذا الأعمى كان لما اقترب المسيح عليه السلام من أريحا. ومرقس يقول: إنه كان لما خرج منها. فراجعهما إن شئت.

الاختلاف السادس عشر: يعلم من متى في العدد السادس والعشرين من الأصحاح الثامن من إنجيله أن المسيح عليه السلام لما جاء إلى العبر كورة الجرجسيين استقبله مجنونان خارجان من القبور فشاهما. ويعلم من مرقس في العدد الثاني من الأصحاح الخامس من إنجيله، ومن لوقا في العدد السابع والعشرين من الأصحاح الثامن من إنجيله أن الذي استقبله وقتلت مجنون واحد فقط من القبور. وبين هؤلاء الثلاثة اختلاف صريح. فراجعهم إن شئت.

الاختلاف السابع عشر: يعلم من العدد العاشر من الأصحاح العاشر من إنجيل متى، ومن العدد الثالث من الأصحاح التاسع من إنجيل لوقا أن المسيح عليه السلام أوصي تلاميذه حين أرسلهم إلى خراف بيت إسرائيل الضالة أن لا يحملوا شيئاً للطريق حتى العصي لا يحملوها. ويعلم من العدد الثامن من الأصحاح السادس من إنجيل مرقس أنه كان

منعهم عن حمل كل شيء إلا العصا فقط. فإنه أجاز لهم أن يحملوها.
فبين القولين تناقض واختلاف صريح.

الاختلاف الثامن عشر: في العدد الحادي و الثلاثين من الأصحاح الخامس من إنجيل يوحنا هكذا: "ان كنت اشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً" انتهي. وفي العدد الرابع عشر من الأصحاح الثامن من هذا الإنجيل أيضاً هكذا: "إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق" انتهي. فبين هذين القولين اختلاف عظيم نفياً واثباتاً.

الاختلاف التاسع عشر: في العدد الثامن من الأصحاح العاشر من رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس هكذا: "ولا تزن كما زنا أنس منهم فسقط في يوم واحد ثلاثة وعشرون ألفاً" و هذا الخبر مخالف لما في العدد التاسع من الأصحاح الخامس و العشرين من سفر العدد؛ فإن نصه هكذا "وكان من مات أربعة وعشرين ألفاً من البشر" انتهي. ففيهما اختلاف بمقدار ألف. وأحدهما غلط. وهو الثاني يقيناً.

الاختلاف العشرون: كتب متى في العدد السابع عشر من الأصحاح السادس عشر من إنجيله قول المسيح عليه السلام في حق بطرس الحواري -الذي هو أعظم الحواريين- هكذا: "فأجاب يسوع وقال له: طوبى لك يل سمعان بن يومنا إن لحماً و دماً لم يعلن لك. لكن أبي الذي في السموات، وأنا أقول لك أيضاً: أنت بطرس. وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. وأعطيك مفاتيح ملکوت السموات؛ فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات،

وكل ماتحمله على الأرض يكون محولاً في السموات" انتهي. ثم كتب في العدد الثالث والعشرين من هذا الأصحاح المذكور قول المسيح عليه السلام في حق بطرس أيضاً هكذا: "فالتفت وقال لبطرس: اذهب عني يا شيطان أنت معثرة لي؛ لأنك لا تهتم بما الله لكن بما للناس" انتهي. ففي هذين القولين اختلاف عظيم. وقد نقل علماء بروتستانت في رسائلهم أقوال القدماء من المسيحيين في ذم بطرس الحواري. فمن ذلك قولهم: إن يوحنا فم الذهب صرخ في تفسيره الذي على إنجيل متى هكذا: "إن بطرس كان به داء التجبر والمخلافة الشديدة وكان ضعيف العقل" انتهي. وقللوا: "إن إيكستاين كان يقول: "إن بطرس كان غير ثابت لأنه كان يؤمن أحياناً ويشك أحياناً" انتهي. قلت فإذا كان بطرس متصفًا بهذه الصفات. أيجوز أن يكون مالكاً لمفاتيح السموات، وأن ما ربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات، وما حله على الأرض يكون سحولاً في السموات؟ وكيف يكون هذا هو الصخرة والأساس لكنيسة المسيح عليه السلام؟ وكيف أن لا تقدر أبواب النيران على إدخال الموصوف بكونه شيطاناً الذي كان للمسيح عليه السلام، معثرة وبهتم بما للناس، ولا يهتم بما الله؟ أليكون مثل هذا أعظم الحواريين وإذا كان حال الأعلى هكذا، فكيف كان حال الأدنى منهم؟ وإذا كان كلهم هكذا أليؤخذ بما يخبرون، ويعول على ما يقولون؟ حاشا. وما قلت هذا إلا لأجل الإلزام فقط. وأما اعتقادي فينزعه جميع الحواريين عن هذه الأوصاف وأمثالها. فتبه ولا تكن من القوم الغافلين.

الاختلاف الحادي والعشرين: في العدد الأربعين من الأصحاح الحادي والعشرين من إنجيل متى بعد بيان مثل الكرم هكذا "فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين؟ قالوا له: أولئك الأردياء يهلكهم هلاكاً ربياً ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمان في أوقاتها " انتهي. وفي العدد الخامس عشر من الأصحاح العشرين من إنجيل لوقا بعد بيان المثل المذكور هكذا: "فماذا يفعل بهم صاحب الكرم يأتي ويهلك هؤلاء الكرامين ويعطي الكرم لآخرين؟ فلما سمعوا قالوا حاشا" انتهي. وبين العبارتين اختلاف عظيم في هذا المثل الواحد. فإن متى يصرح أنهم قالوا إنه يهلكهم شر هلاك ولوقا يصرح أنهم أنكروا ذلك بقولهم حاشا. وكلام لوقا يدل على أن الكلام المذكور من كلام المسيح عليه السلام. وكلام متى يدل على أنه من كلام اليهود الذين كانوا مخاطبين بهذا المثل. وفي هذا المثل اختلف آخربين لوقا ومتى ومرقس. فإن متى يذكر أن رب البيت أرسل إلى الكرامين عيضاً وبصيغة الجمع" وأنهم ضربوا بعضًا منهم، وقتلوا بعضًا، ورمجوا بعضًا. وأما مرقس ولوقا فلا يذكران إلا عبداً واحداً. وقد اعترف القس سمعان. كلهون شارح الأنجليل في نيل شرح هذا المثل بأن متى كان يدقق بذلك أكثر من لوقا ومرقس. فتأمل.

الاختلاف الثاني و العشرين: في العدد الثاني من الأصحاح السادس والعشرين من إنجيل متى هكذا: "أنه بعد يومين يكون الفصح وابن الإنسان يسلم ليصلب" ثم قال في العدد السادس هكذا: "وفيما كان

يسوع في بيت عَنِيَا في بيت سِمعان الأَبْرَص تقدمت اليه امرأة معها قارورة طيب كثير الثمن. فسُكّبته على رأسه وهو متكيء. فلما رأى تلاميذه ذلك اغتاظوا قائلين: لماذا هذا الإِتَّالِف لأنَّه كان يمكن أن يباع هذا الطيب بكثير ويعطى للفقراء؟ فعلم يسوع وقال: لماذا تزعجون المرأة فإنها قد عملت بي عملاً حسناً لأنَّ الفقراء معكم في كل حين؟

الخ.

ووَقَعَتْ هذه العباره في العدد الأول من الأصحاح الرابع عشر من إنجيل مرقس هكذا: "وَكَانَ عِيدُ الْفِصْحَةِ وَأَيَّامُ الْفَطِيرِ بَعْدَ يَوْمَيْنِ، وَكَانَ رُؤْسَاءُ الْكَهْنَةِ وَالْكَتَبَةِ يَطْلُبُونَ كَيْفَ يَمْسُكُونَهُ بِمَكْرَهٍ وَيَقْتُلُونَهُ، وَكَانَ رُؤْسَاءُ الْكَهْنَةِ وَالْكَتَبَةِ يَطْلُبُونَ كَيْفَ يَمْسُكُونَهُ بِمَكْرَهٍ وَيَقْتُلُونَهُ، وَلَكُنْهُمْ قَالُوا لِيْسَ فِي الْعِيدِ لَئِلَا يَكُونُ شَغْبٌ فِي الشَّعْبِ. وَفِيمَا هُوَ فِي بَيْتِ عَنِيَا فِي بَيْتِ سِمعانَ الْأَبْرَصِ وَهُوَ مَتْكِيٌّ جَاءَتْ اِمْرَأَةٌ مَعْهَا قارورة طيب ناردين خالص كثير الثمن فكسرت القارورة وسُكّبته على رأسه. وَكَانَ قَوْمٌ مُغْتَاظِينَ فِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا: لِمَاذَا كَانَ تَلَفَّ الطَّيْبُ هَذَا؟ لَأَنَّهُ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَبَاعَ هَذَا بِأَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثَ مائَةِ دِينَارٍ، وَيَعْطِي الْفَقَرَاءَ وَكَانُوا يَؤْنِبُونَهَا. أَمَا يَسُوعُ فَقَالَ: اتَرْكُوهَا. لِمَاذَا تَزَعُجُونَهَا؟ لَقَدْ عَمِلْتَ بِي عَمَلاً حَسَنَاً لِأَنَّ الْفَقَرَاءَ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ. وَمَتَى زَادَتْ تَقْدِرُونَ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِمْ خَيْرًا وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ" انتهى.

وَفِي العددِ الْأَوَّلِ مِنَ الْأَصْحَاحِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ إنجيل يوحنا هَذَا "ثُمَّ قَبْلَ الْفِصْحَةِ بِسَتَةِ أَيَّامٍ أَتَيَ يَسُوعُ إِلَيَّ بَيْتِ عَنِيَا حَيْثُ كَانَ "لَعَازَرَ" الْمَيِّتُ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ؛ فَصَنَعُوا لَهُ هَنَاكَ عَشَاءً. وَكَانَتْ

مرثا تخدم. وأما لِعَازَر فكان من المتكئين معه. فأخذت مريم مَنَا من طيب ناردين خالص كثير الشمن، و دهنت قدمي يسوع، ومسحت قدميه بشعرها؛ فامتلأ البيت من رائحة الطيب. فقال واحد من تلاميذه وهو يهودا سمعان الأسخريوطى المزمع أن يسلمه: لماذا لم يبيع هذا الطيب بثلاث مائة دينار ويعطاء للفقراء؟ قال هذا ليس لأنَّه كان يبالي بالفقراء بل لأنَّه كان سارقاً وكان الصندوق عنده و كان يحمل ما يلقى فيه. فقال يسوع: اتركوها إنها ليوم تكفيوني قد حفظته؛ لأنَّ الفقراء معكم في كل حين، وأما أنا فلست معكم في كل حين" انتهي.

وفي هذه الأقوال اختلاف عظيم من خمسة أوجه :

الأول: أن مرقس ومتى يصرحان بأن إفراط قارورة الطيب على المسيح كان قبل الفصح بيومين، ويوحنا يصرح بأن هذا كان قبل عيد الفصح بستة أيام.

الثاني: أن متى ومرقس أخبرا بأن إفراط الطيب كان على رأس المسيح ويوحنا أخبر بأنه كان على رجلية حتى أن مريم مساحتها بشعرها.

الثالث: أن مرقس يخبر بأن المعترضين كانوا أناساً من الحاضرين ومتى يفيد أنهم كانوا التلاميذ ويوحنا يشهد أن المعترض كان يهودا الأسخريوطى أحد الحواريين الاتي عشر الذي كان أمين صندوق الجمعية و كان يسرق ما يلقى فيها بشهادة يوحنا الإنجيلي.

الرابع: أن يوحنا بين مقدار ثمن الطيب ثلث مائة دينار، ومرقس بالغ فيه فقال أكثر من ثلث مائة دينار، ومتى أبهم الثمن. فقال: بثمن كثير.

الخامس: أنهم اختلفوا في نقل قول المسيح للمعترضين على مريم التي أفرغت هذا الطيب؛ فتأمل وكن من المنصفين.

الاختلاف الثالث والعشرون: كتب متى في العدد السابع والأربعين من الأصحاح السادس والعشرين من إنجيله في بيان كيفية قبض اليهود على مسيح النصارى للصلب هكذا: "وفيما هو يتكلم إذ يهودا واحد من الآتى عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب. والذى أسلمه أعطاهم عالمة قائلًا: الذى أقبله هو هو. أمسكه. فللوقت تقدم إلى يسوع وقال: السلام يا سيدى وقبله فقال له يسوع: يا صاحب لماذا جئت؟ حينئذ تقدموا وألقوا الأيدي على يسوع وأمسكه" انتهى. وفي العدد الثالث من الأصحاح الثامن عشر من إنجيل يوحنا هكذا: "فأخذ يهودا الجندي وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفرّيسين، وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح؛ فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه. وقال لهم: من تطلبون؟ أجابوه: يسوع الناصري. قال لهم يسوع: أنا هو. وكان يهودا مسلمه أيضاً واقفاً معهم. فلما قال لهم إنى أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض. فسألهم أيضاً من تطلبون؟ فقالوا: يسوع الناصري. أجاب يسوع: قد قلت لكم إنى أنا هو. فإن كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء

يذهبون. فقبضوا عليه وأمسكوه" انتهى. فانظروا أيها العقلاء الى هذا الاختلاف الصريح في كيفية مسك المسيح. أ يكون مثل هذا بسوبي وإلهام؟

الاختلاف الرابع والعشرون: كتب متى في العدد الثالث من الأصحاح السابع والعشرين من إنجيله قصة موت يهودا الأسخريوطى الذى أسلم المصلوب لليهود هكذا: " حينئذ لما رأى يهودا الذى أسلمه أنه قد دين، ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلاً: قد أخطأت إذ سلمت دمًا بريأ. فقالوا: ماذا علينا؟ أنت ابصر. فطرح الفضة فى الهيكل وانصرف. ثم مضى وخرق نفسه فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا: لا يحل أن نقها فى الخزانة؛ لأنها ثمن دم؛ فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخارى مقبرة للغرباء. لهذا سمى ذلك الحقل حقل الدم إلى هذا اليوم " انتهى.

ونقل لوقا هذه القصة من قول بطرس الحوارى فى العدد السادس عشر من الأصحاح الأول من كتاب الأعمال ببيان آخر مخالف لما نكره متى من وجهين:

الأول: إن متى يفيد أن يهودا الأسخريوطى خرق نفسه ومات، بخلاف كتاب الأعمال فإنه يفيد أنه سقط على وجهه، وانشق بطنه من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها، ومات.

الثاني: إن متى يفيد أن رؤساء الكهنة أخذوا ثلاثة درهماً من الفضة التي ألقاها يهودا في الهيكل، واشتروا بها حقل الدم بخلاف

كتاب الأعمال فإنه يفيد أن يهودا هو الذي اشتري الحقل لنفسه فبين الكلامين اختلاف صريح أحدهما غلط لكن وقع في كتاب الأعمال بعد نقل هذه القضية هكذا: " وهذا معلوم لجميع سكان أورشليم . فالذي يظهر من هذا: أن الصحيح قوله . وما نقله متى غلط . قال صاحب اظهار الحق:

ويدل على كونه غلط وجوه أخرى أيضاً:

الأول: إنه صرخ في عبارته بأن يهودا رد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ في الهيكل . وهو غلط لأن الكهنة والشيوخ كانوا في هذا الوقت عند بيلاتس البنطلي ، و كانوا يشتكون إليه في أمر مسيح النصارى المزمع أن يصلب ، وما كانوا في الهيكل . كما يدل على ذلك العدد الثاني من هذا الأصحاح نفسه .

الثاني: سياق عبارة هذا الأصحاح تدل على أن قصة موت يهودا أجنبية محضة بين العدد الثاني والعدد الخامس عشر من هذا الأصحاح .

الثالث: إن موت يهودا كان في صباح الليل الذي أسر فيه مسيح النصارى للصلب ، ويعيد جداً أن يندم علي فعله هذا في هذه المدة القليلة ويختنق نفسه لأنه كان عالماً قبل تسليمه أن اليهود إذا قبضوا عليه يقتلونه ، بل ما سلمه إلا لهذا الأمر" انتهي بتصرف . وهو ما يستحق الاعتبار . والذي يقال إن كلا العبارتين غلط ، والذي صلب إنما هو الذي دل عليه يقيناً . كما قال تعالى في حق المسيح عليه السلام:

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبَهُهُمْ﴾ وقال: «وما قاتلواهُ ثم قاتلناهُ بل رفعه الله إليناهُ» واختلاف عبارة متى وعبارة كتاب أعمال الرسل في كيفية موت يهوذا الأسخريوطى الذي دل عليه؛ دليل واضح على ذلك.

الاختلاف الخامس والعشرون: كتب مرقس في العدد الخامس والعشرين من الأصحاح الخامس عشر من إنجيله في بيان الوقت الذي صلب فيه المصلوب هكذا: "و كانت الساعة الثالثة فصلبواه" وصرح يوحنا في العدد الرابع عشر من الأصحاح التاسع عشر من إنجيله أن المصلوب كان إلى الساعة السادسة عند بيلاطس البنطى. فبينهما اختلاف عظيم في وقت صلب المصلوب. فراجعهما إن شئت.

الاختلاف السادس والعشرون: كتب متى في الأصحاح السابع والعشرين من إنجيله و مرقس في الأصحاح الخامس عشر من إنجيله أن اللصين الذين صلبا مع المصلوب كانوا يُعِيرانِه وكتب لوقا في العدد التاسع والثلاثين من الأصحاح الثالث والعشرين من إنجيله أن أحدهما هو الذي عير المصلوب، والأخر زجره، وقال للمصلوب: "اذكرني يارب متى جئت في ملكوك". فقال له المصلوب: إنك اليوم تكون معي في الفردوس" فبينهما تناقض و اختلاف صريح.

وقوله "اليوم تكون معي في الفردوس" غلط من وجهين:
الأول: إن المتصفح به في عقائد المسيحيين أن المسيح ماصعد إلى الفردوس إلا بعد أن دخل الجحيم، ومكث فيه ثلاثة أيام، ثم صعد. فقوله "اليوم تكون معي في الفردوس" غلط على أصولهم.

الثاني: إن هذا اللص المخاطب كان مصلوباً و معلقاً على خشبة ولا يصح للمعلق على خشبة ان يدخل جنة الفردوس -علي حكم كتبهم المقدسة- فلقد جاء في العدد الثالث و العشرين من الأصحاح الحادي و العشرين من سفر التثنية هكذا: "وإذا كان علي إنسان خطيئة حقها الموت فقتل وعلق على خشبة؛ فلا تبت جثته علي الخشبة، بل تدفنه في ذلك اليوم، لأن المعلق ملعون من الله" انتهي. ومعنى الملعون من الله المطرود من رحمة الله. فإذا كان هذا مطروداً من رحمة الله، فكيف يدخله جنته؟ وجاء في العدد الثالث عشر من الأصحاح الثالث من رسالة قديس المسيحين بولس إلى أهل غلاطية هكذا: "المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب: ملعون كل من علق على خشبة" انتهي. قلت: ولما كان هذا القول بيناً واضحاً لم يحتاج إلى زيادة بيان. فتأمل.

الاختلاف السابع والعشرون: كتب متى في العدد السادس والأربعين من إنجيله هكذا: "ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إيلي إيلي لما شبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني؟" وكتب مرقس في العدد الرابع والثلاثين من الأصحاح الخامس عشر من إنجيله هكذا: "وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إلوبي إلوبي لما شبقتني الذي تفسيره إلهي إلهي لماذا تركتني؟" وكتب لوقا في العدد السادس والأربعين من الأصحاح الثالث والعشرين من إنجيله هكذا: "ونادى يسوع بصوت عظيم وقال: يا أباه في يديك

أستودع روحي. ولما قال هذا أسلم الروح" انتهي. فبين هؤلاء الإنجيليين الثلاثة اختلاف صريح في نقل كلام المصلوب حين أسلم روحه؛ فتأمل.

الاختلاف الثامن والعشرون: كتب مرقس في العدد العشرين من الأصحاح السادس عشر من إنجيله أن النساء أتبن إلى قبر المصلوب إذ طلعت الشمس، وكتب يوحنا في العدد الأول من الأصحاح العشرين من إنجيله أن الظلام كان باقياً، والتي جاءت امرأة واحدة. وهي مريم المجدلية أحد النساء المذكورات في مرقس. فيبينما اختلف من وجهين فراجعهما إن شئت.

الاختلاف التاسع والعشرين: يعلم من كلام متى في الأصحاح الثامن والعشرين من إنجيليه أن مريم المجدلية ومريم الأخرى التي كانت معها لما ذهبنا إلى قبر المصلوب في وقت الفجر؛ وجدتا ملائكة عند القبر. فأخبرهما أن المصلوب قد قام من الأموات فرجعتا. وفيما هما راجعتان لاقاهما المصلوب في الطريق وسلم عليهما وقال لهما: اذهبوا وقولا لإخوتي أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يرونني. ولما وصلتا إذ قوم من الحراس جاءوا إلى المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ما كان؛ فاجتمعوا مع الشيوخ وتشاوروا، وأعطوا العسكر فضة كثيرة قائلين: قولوا إن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه ونحن ننام. وإذا سمع ذلك عند الوالي فنحن نستعطفه ونجعلكم مطمئنين فأخذوا الفضة وفعلوا كما علموهم؛ فشاء هذا القول عند اليهود الي هذا اليوم" انتهي ملخصاً.

وكتب لوقا في الأصحاح الرابع والعشرين من إنجيله في بيان هذا الظهور: "أن مريم المجدلية ومريم الأخرى ونساء غيرهما كثيرات ذهبن إلى قبر المصلوب ولما وصلن إلى القبر دخلنه فلم يجدن فيه جسد المصلوب، وفيما هم مجتازون في ذلك رأين رجلين يعني ملائكة واقفين بثياب براقة، فأخبراهن بقيام المصلوب من الأموات. ولما سمعن كلام الرجلين رجعن من عند القبر، وأتتني إلى الأحد عشر، وبقية التلاميذ، وأخبرنهم بهذا كله. فترأىي كلامهن لهم كالهذيان ولم يصدقوهن" وكتب يوحنا في الأصحاح العشرين من إنجيله في بيان هذا الظهور أن مريم المجدلية وحدها جاءت إلى قبر المصلوب عند الفجر وظلام باقٍ؛ فوقفت عند القبر تبكي، وفيما هي تبكي انحنت إلى القبر فنظرت ملائكة بثياب بيضاء غالسين، واحد عند الرأس والآخر عند الرجلين فقالا لها يا امرأة: لماذا تبكين؟ قالت لهم: إنهم أخذوا سيدتي ولست أعلم أين وضعوه. ولما قالت هذا الكلام التفتت إلى الوراء فنظرت يسوع واقفاً ولم تعلم أنه يسوع فقال لها يسوع: اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم، وإليه وإلهم. فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أنها رأت الرب، وأنه قال لها هذا انتهى ملخصاً فيبين الثلاثة اختلاف عظيم. ومن رجع إلى هذه الأنجليل وطالع فيها هذه القضية، يري فيها العجب العجاب.

الاختلاف الثلاثون: في العدد الرابع عشر من الأصحاح السابع من إنجيل متى هكذا: "ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى

الحياة" وفي العدد الثامن والعشرين من الأصحاح الحادي عشر من هذا الإنجيل هكذا: "تعالوا يا جميع المتعين والتقيلي الأحوال وأنا أريحكم احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لأن نيري هين وحملي خفيف" انتهي. فإذا صار ضم هذين القولين يحصل منهما أن الاقداء بمسير النصاري ليس طریقاً يؤدي إلى الحياة لأن الطريق التي تؤدي إلى الحياة ضيقة وحملها ثقيل وليس بخفيف على حكم القول الأول.

ولما وصلت في النقل إلى الثلاثين اختلافاً التي اردت ذكرها؛ اكتفيت عليها خوفاً من التطويل. ومن أراد أزيد من ذلك فليتصفح الكتب المطولة في هذا الفن، يجد فيها اختلافات وأغلاط أخرى، كادت أن لا تحصي من كثرتها. والفضل صاحب إظهار الحق ذكر ما ينوف عن مائة غلط وأكثر من مائة اختلاف، بينها ببيانات واضحة تشفي العليل وتروي الغليل. إذا علمت ما قررناه يتضح لك جلياً أن ما سلكه صاحب البرهان في مقالته السالفة من إنكاره على من قال بتحريف التوراة والإنجيل غلط يقيناً. فإنه قد ثبت لك وقوع ذلك فيما به شهادة برهان الحسن والمشاهدة. وقد جاءنا الكتاب والسنة شاهدان على ذلك أيضاً. وكفانا ذلك شاهداً ودليلأ.

تسليم المسلم بصحة التوراة والإنجيل

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل: "فإذا ثبت أن القرآن نفسه يسلم بصحة التوراة والإنجيل، وأنه لا يشير إلى وقوع التغيير والتبدل فيهما، وأن مهداً كان يذكر الكتابين المذكورين بغاية الوضار من غير إشارة إلى تغيير ونحوه؛ فلا يسع المسلم المجادل إن كان مسلماً إلا أن يُسلِّم هو أيضاً بصحة هذين الكتابين، وأنهما سالمان من التبدل والتغيير والزيادة والنقص، وإنما فيكون قد كَذَّب نبيه، وكفر بالقرآن. ومتى كان كذلك؟ لا يكون مسلماً".

أقول: إن من يحدد التأمل ويمنع النظر فيما أسلفناه؛ يعلم بالبداية واليقين أن مسلكه صاحب البرهان هنا قد أخطأ فيه طريق الحق والصواب. فإن صريح الآيات القرآنية والأحاديث النبوية يشهد بتحريف هذه التوراة وهذا الإنجل وتحريفهما، ونم أهلها على تحريفهما من غير توقير ولا تمجيل.

قول صاحب البرهان إن القرآن لا يشير إلى وقوع ذلك فيهما؛ غلط ومحض افتراء. وأي دليل إليها العاقل اللبيب أصرح من قوله تعالى: «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْنُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ»؟ وقوله تعالى: «يَمْرِغُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ» إلى غير ذلك من الآيات. وكلها تدل على أن أهل الكتاب قد حرفوا كلام الله وغيره وبذلوا وكتبوا بأيديهم ما ليس من عند الله ثم قالوا إنه من عند الله حتى خلطوا الحق بالباطل.

والصدق بالكذب. و تأمل قوله عليه الصلاة والسلام في خطاب المؤمنين: "لَمْ تَسْأَلُنَّ أَنْتُمْ مِنْهُمْ أَيُّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَعْلُومًا أَنْ كَتَبَهُمْ مَحْرُفٌ" فَإِنْ هَذَا الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ صَرِيحٌ أَيْضًا فِي تَحْرِيفِ كُتُبِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَأَنَّ الصَّحَّابَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ وَبِمَقْطُوعِيَّةٍ هَذِهِ النِّصْوُصُ الشَّرِيقَةِ يَجْبُ عَلَيْهِ كُلُّ مُسْلِمٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنْ يَرْفَضَ هَذِهِ الْكُتُبَ وَيَنْكِرَهَا أَشَدَّ الْإِنْكَارِ، وَكُلُّ مَنْ يَصْدِقُهَا وَيُؤْمِنُ بِجُمِيعِ مَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَعْتَدْ وَقْوَعَ التَّحْرِيفِ وَالتَّغْييرِ وَالتَّبْدِيلِ فِيهَا؛ يَكُونُ قَدْ كَذَبَ نَبِيَّهُ وَكَفَرَ بِالْقُرْآنِ. كَيْفَ لَمْ وَأَنْ هَذِهِ الْكُتُبُ الَّتِي عَنْهَا صَاحِبُ الْبَرْهَانَ تَصْرِحُ بِتَفْسِيقِ الْأَنْبِيَاءِ الْكَرَامِ وَتَقْيِيصِهِمْ وَإِهَانَتِهِمْ وَنَسْبَةِ الزِّنَا وَالْكُفُرِ إِلَيْهِمْ وَالْقُرْآنِ أَنْكَرِيمٌ قَدْ كَسَحَ جُمِيعَ هَذِهِ الْأَبْاطِيلِ وَنَزَّهَ سَاحِتَهُمْ عَنْ ذَلِكَ كُلَّهُ وَمَدْحُومُهُمْ وَأَثْنَيَ عَلَيْهِمْ بِالْعَصْمَةِ وَالْزَّهَادَةِ وَالْعَفْفَةِ وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الصَّالِحِينِ الطَّائِعِينِ الْأَخِيَارِ وَالصَّدِيقِينِ الْأَبْرَارِ. وَمَعْلُومٌ لِلْعَاقِلِ مِنَ الصَّبِيَّانِ أَنَّ الْفَاسِقَ فَضْلًا عَنِ الْكَافِرِ وَالْمَلْعُونَ لَا يَكُونُ مِنَ الصَّدِيقِينِ وَلَا مِنَ الصَّالِحِينِ الطَّائِعِينِ. نَسَأَلُهُ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الْقَوْمِ الْمَهْتَدِينَ وَنَسْتَعِذُ بِهِ أَنْ نَكُونَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينِ الَّذِينَ يَحْرِفُونَ الْكَلْمَ مِنْ بَعْدِ مَوْاضِعِهِ، وَيَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ ﴿وَلَئِنْكُلَّعَنْهُمُ اللَّهُ وَلَيَعْنَمُهُ الْلَا عِنْهُ﴾

تفسير الآيات القرآنية في تحريف التوراة

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل:
نعم ورد في بعض آيات القرآن ذكر تحريف أهل الكتاب التوراة
والإنجيل بتبدل الألفاظ أو إدخال الزيادة والنقص فيها، ولكن إن
راجعنا الآيات المذكور فيها أمر التحريف بالتأمل والإلصاف دون
تعصب واعتساف نجد معناها لا يفيد تغيير الألفاظ بل يفيد تغيير أهل
الكتاب كلام الله على غير مقتضاه. ولكي يتضح لك الأمر أتم اتضاح
ويفصح عما في ضمير تلك الآيات أتم إفصاح؛ أوردنا لك الآيات التي
يستند عليها أهل الإسلام في دعواهم هذه. أما الآية الأولى: فهي
قوله في سورة البقرة «وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرُفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا
عَقْلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» وأما الآية الثانية: ففي سورة النساء «مِنَ الَّذِينَ هَادُوا
يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا» وأما الآية الثالثة: ففي سورة
المائدة «يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَسُوَاحَظُوا تَمَّا ذُكِرَ أَبِيهِ» وأما الآية الرابعة:
ففيها أيضاً: «وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِكَذِبِ سَنَاعُونَ لَقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ
الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ» فالتحريف لم يذكر إلا في هذه ^(١) الآيات. ولنرجع

(١) القسيس يغافل. فإن من بعد مواضعه: تحريف لفظي. وعن مواضعه: تحريف
معنوي. وتعمد ترك الآية «لَمْ تُبَيِّسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ» وهذا تحريف لفظي بوضع كلام بجانب
الكلام الصحيح مثل وضع إسحق بجانب الوحيد.

إلى معنى التحريف في اللغة فنقول: التحريف في اللغة صرف وإملاء الشيء عن أصله كما ذكر. في تاج العروس. وقال في تفسير (بِحَرْفُونَ الْكَلِمَعَنْ مَوَاضِعِهِ) إنه تغيير الكلم عن مواضعه. إنه تغيير الكلم عن معانيه الحقيقية. إذا علمت هذا تعلم أن التحريف ليس محصوراً في التبدل والإفساد والتغيير النظري كما تزعم العوام، بل كما يحمل المعاني كذلك يحمل الإملاء والصرف عن المقصود إلى معنى آخر من دون تغيير الألفاظ وتبدل الأحرف. ومتي دخل في الحجة الاحتمال سقط منها الاستدلال"

أقول وبالله التوفيق وبه الهدية التي أقرب طريق إن هذا القسيس صاحب البرهان بعد أن أنكر في مقالته السالفة وجود آية في القرآن المجيد تشير إلى تحريف التوراة والإنجيل قد اعترف في مقالته هذه بوجود آيات تدل صراحةً على ذلك لكنه أنكر كون ذلك التحريف بتبدل الألفاظ وتغييرها وإدخال الزيادة والنقص فيها لأن الآيات التي أوردها هنا بلفظ التحريف.

والتحرif في اللغة كما يحمل التحريف النظري الذي هو تبدل الألفاظ من الكتاب وتغييرها أو إدخال الزيادة فيه أو النقص منه؛ فكذلك يحتوى التحريف المعنوي الذي هو تفسير الآيات على غير مقتضاه وتأويلها بما يشتهون. ثم قال: ومتي دخل في الحجة الاحتمال سقط منها الاستدلال. وهذا القول غلط منه او تغليط. لأن الحجة، اذا دخلها

الاحتمال لا يسقط منها الاستدلال إلا إذا لم تقم قرينة على تعين المراد من أحد المعنيين.

ويوجد معنا قرائن على أن التحرير اللفظي والتحرير المعنوي كلاهما مراد. فإن الآيات الواردة في ذلك قد تتوعدت بحسب مسالك المحرفين المتوعة فإنهم حرفوا بعض الآيات تحريفاً لفظياً وبعضها تحريفاً معنواً. لكن لا نزاع بيننا وبين المسيحيين في وقوع التحرير المعنوي؛ لأنهم يسلمون صدوره عن اليهود في كتب العهد العتيق في تفسير العبارات التي هي إشارة في زعمهم إلىبعثة المسيح عليه السلام وألوهيته، وكذلك علماء البروتستانت يعترفون أنه وقع في العهد الجديد أيضاً من معتقدي البابا. كما أن معتقدى البابا يرمونهم بذلك رمياً شديداً. فإذا كان الأمر كذلك فلا حاجة لنا لإثبات التحرير المعنوي لعدم النزاع في صدوره عنهم، وإنما النزاع في التحرير اللفظي. وهذا الذي أنكر وقوعه صاحب البرهان وجعل الآيات القرآنية التي أوردها بلفظ التحرير لا تدل عليه لاحتمالها المعنيين. كما عرفت.

وأنا أورد هنا أدلة تدل على وقوع التحرير اللفظي في كتبهم وأنه مراد من الآيات القرآنية التي أوردها فأقول:

الدليل الأول: أنه وردت أحاديث نبوية وآيات قرآنية أخرى تدل صراحةً على أن التحرير اللفظي مراد من آيات التحرير أيضاً. ومنه: قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا أَهْلُ الْكِتابِ لَمْ تُبَلِّسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَنَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَئُمُّ شَعَّابٍ مُّؤْمِنُونَ﴾**

) وقوله تعالى في سورة البقرة في حق أهل الكتاب أيضاً: «فَوَيْلٌ لِّلذِّينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيَسْتَرُوا بِهِ ثُمَّ نَأَى قَلِيلًا فَوَيْلٌ لِّهِمْ مِّنْ مَا كَتَبُوا إِيمَانُهُمْ وَوَيْلٌ لِّهِمْ مِّنَ مَا يَكْسِبُونَ» فهاتان الآياتان الشريفتان صريحتان في وقوع التحريف اللغطي و التبديل و الزيادة و النقصان وقال عليه الصلاة و السلام في خطاب المؤمنين: "لَمْ تَسْأَلُنَّ أَنْتُمْ مِّنْهُمْ؟" أي من أهل الكتاب "مع علمكم ان كتابهم محرف" وهذا الحديث الشريف أورده الإمام البخاري ^(١) في صحيحه عن ابن عباس حَبَرَ هذه الامة؛ فيجب المصير إليه. وهو نص صريح في التحريف اللغطي، يدل عليه منطقه و مفهومه. فإن الكتاب لا يوصف بالتحريف المعنوي، وإنما يوصف به الشخص المحرف. وأما التحريف اللغطي فيوصف به الكتاب. فيقال: كتاب محرف. ولا يقال: شخص محرف. وكذلك قوله تعالى **﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾** نص صريح في التحريف اللغطي. كما ذكره الإمام فخر الدين الرازي في ذيل تفسير سورة النساء. وفرق هناك بين قوله تعالى: **﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾** وبين قوله **﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾** فال الأول يدل على أنهم كانوا يخرجون اللفظ من الكتاب أو يدخلونه فيه أو يبدلونه بما يشتهون. والثاني يدل على أنهم كانوا ينكرون التأويلات الفاسدة لتلك النصوص الشريفة. وقال عليه الصلاة و السلام: "إذا حدثكم

^(١) الإمام البخاري لا يثبت أن التوراة محرفة بتبدل اللفظ وإنما بالتأويل الفاسد.

أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبواهم. ولكن قولوا آمنا بالذي أنزل علينا وعليكم وإلينا وإليهم واحد. ونحن له مسلمون" وقد غضب ﷺ حين رأى مع عمر قطعة من التوراة وقال: "أفِي شَكَ أَنْتَ يَابْنُ الْخَطَابِ؟" فكل هذه الأخبار الشريفة صريحة في التحرير اللفظي بالتبديل والتغيير والزيادة والنقصان.

الدليل الثاني: أن آيات هذا القرآن المجيد تختلف غالب مضمونين هذه التوراة وهذا الإنجيل. مثلاً: إنه ورد في الأصحاح الحادي عشر من سفر الملوك الأول نسبة الكفر والعياذ بالله تعالى لسيدنا سليمان عليه السلام والقرآن المجيد قد نفاه عنه بقوله تعالى: «وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانٌ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ (١) كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ» وكذا قد ورد في الأصحاح الثاني والثلاثين من سفر الخروج أن هارون عليه السلام صنع العجل وعبده وأمربني إسرائيل بعبادته والقرآن المجيد قد نزه ساحتهم عن ذلك وأخبر أن الذي فعل هذا إنما هو السامرية. وكذلك ما نسب إلى بقية الأنبياء الكرام من الكذب والزنا وغير ذلك من الأمور التي لا تليق بهم قد نفاهما القرآن الكريم عنهم ونزعه ساحتهم عن ذلك كل، ومدحهم على العصمة والزهد والغفلة. وجاء في العدد السابع عشر من الأصحاح الحادي والثلاثين من سفر الخروج من التوراة "أنَّ الرَّبَّ صَنَعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سَبْطَ أَيَّامٍ وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ اسْتِرَاحَ وَتَنَفَّسَ" وفي نسخة

(١) المراد بالشياطين علماء بنى إسرائيل.

أخرى قديمة: " واستلقي على قفاه" والله سبحانه وتعالى قد نزه نفسه عن ذلك بقوله في كتابه العزيز: ﴿ وَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا يَنْهَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لَغْوٍ ﴾ آي تعب. فهذه الآية رد على من زعم أن الله عز وجل لما خلق السموات والأرض في ستة أيام؛ استرح. وجاء هذا في الإنجيل المتداول أن المسيح عليه السلام قُتل وصلب وأهين وتألم حتى استعاث بقوله: "إِلَهِي إِلَهِي لِمَاذَا تَرْكَتِنِي" والقرآن المجيد نزه ساحته عن ذلك كله، وأخبرنا أن المسيح رفعه الله حياً إلى السماء طاهراً مطهراً من كل دنس وسوء، لم يمسه صلب ولا قتل ولا إهانة. قال تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شَيْهَتُهُمْ ﴾ وقال ﴿ وَمَا قَاتَلُوهُ يَعْيَنَا كُلَّ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ وكذلك يزعمون أن في هذا الإنجيل التصریح بأن المسيح عليه السلام إله معبد، والقرآن المجيد يکفر من يقول ذلك بقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ وفي هذا القدر كفاية لذوي الألباب.

الدليل الثالث: قد علمت فيما تقدم بما لا مزيد عليه أن هذه التوراة وهذا الإنجيل مملوءان من الأغلاط والاختلافات. وما ذلك إلا بسبب وقوع التحرير اللفظي فيما بالتغيير والتبدل والزيادة والنقصان.

الدليل الرابع: قد عرفت فيما أسلفناه لك أن محققى المسيحيين ومفسريهم قد اعترفوا بوقوع التحرير اللفظي في كتبهم المقدسة. ولقد

صرح بذلك المتأخرون من الوثنيين والماديين والطبيعيين، وانعقد عليه إجماع أئمة المسلمين.

الدليل الخامس: أن التوراة التي أنزلها الله ﷺ على موسى عليه السلام ثلاثة. العبرانية وهي المعتبرة عند أهل اليهود وجمهور بروتستانت من المسيحيين. والسامرية وهي المعتبرة عند السامريين. واليونانية وهي التي كانت معتبرة عند سائر المسيحيين إلى القرن الخامس عشر من القرون المسيحية وكانوا إلى هذه المدة يعتقدون تحريف النسخة العبرانية وصحتها. وهي إلى هذا الزمان معتبرة عند الكنيسة اليونانية وعند كنائس المشرق أيضاً. وكل طائفة من هذه الطوائف الثلاثة تزعم أن النسخة التي عندها هي الصحيحة والغلط والاختلاف في الأخرى، وبين اليهود والسامرة نزاع طويل في ذلك وكل فرقة منها تدعي أن الأخرى هي التي حرفت التوراة تحرifaً لفظياً. وهذا الأمر مسلم عند التأمل، سيما في الجبل الذي أمر الرب بناء الهيكل عليه؛ فإنه جاء في العدد الرابع من الأصحاح السابع والعشرين من سفر التثنية من النسخة العبرانية هكذا: "إذا عبرتم الأردن فانصبوا الحجارة التي أنا اليوم أوصيكم في جبل عيبال وشيدوها بالجص تشبيداً" وفي النسخة السامرية هكذا: "إذا عبرتم الأردن فانصبوا الحجارة التي أنا أوصيكم اليوم في جبل جرزيم وشيدوها بالجص تشبيداً" انتهي. فجزئيّم وعيبال جبلان متقابلان. فال الأول من جهة الجنوب، والثاني من جهة

الشمال. بينما وطني، ومحل إقامتى مدينة نابلس. وهى محل إقامة فرقة السامريين أيضاً ويذعمون أنها هي القدس الشريف. وهم لا يزيدون عن أربعين رجلاً أو خمسين. ورجالهم أكثر من نسائهم في كل حين. وهذا الاختلاف الذي بين النسخة العبرانية و النسخة السامرية صريح في وقوع التحرير اللفظي في التوراة. وكذلك اختلفت النسخ الثلاثة المذكورة في مدة الزمان الذي من خلق آدم عليه السلام إلى طوفان نوح عليه السلام. فعلى وفق النسخة العبرانية هي ألف وستمائة سنة وست وخمسون سنة، وعلى وفق اليونانية ألف ومائتان واثنتان وستون سنة، وعلى وفق السامرية ألف وثلاثمائة وسبعين سنة. فهذا اختلاف فاحش بين النسخ الثلاثة. لا يمكن التطبيق بينها وحيث كان نوح عليه السلام في زمان الطوفان ابن ستمائة سنة على تصرير النسخ الثلاثة، وعاش آدم عليه السلام تسعمائة وخمسون سنة؛ يلزم على وفق النسخة السامرية أن يكون نوح عليه السلام حين مات آدم عليه السلام ابن مائتين وثلاث وعشرين سنة. وهذا باطل باتفاق المؤرخين وتكتبه العبرانية واليونانية. إذ ولادة نوح عليه السلام على وفق العبرانية بعد موت آدم عليه السلام بمائة وست وعشرين سنة، وعلى وفق اليونانية بعد مorte بسبعمائة واثنين و ثلاثين سنة. ولأجل هذا الاختلاف الفاحش ما اعتمد يوسيفس المؤرخ المشهور على نسخة من هذه النسخ الثلاثة، واختار أن المدة المذكورة ألفان ومائتان وست وخمسون سنة. والله سبحانه وتعالى أعلم. وكذلك اختلفت النسخ الثلاثة

في مقدار الزمان الذي من طوفان نوح عليه السلام إلى وقت ميلاد إبراهيم عليه السلام. فعلى وفق العبرانية مائتان واثنتان وتسعون سنة، وعلى وفق السامرية تسعمائة واثنان وأربعون سنة، وعلى وفق اليونانية ألف سنة واثنتان وسبعين سنة. وهذا اختلاف فاحش بينها لا يمكن تطبيقه. ولما كان ميلاد إبراهيم عليه السلام بعد الطوفان بمائتين واثنتين وتسعين سنة على وفق النسخة العبرانية، وعاش نوح عليه السلام بعد الطوفان ثلاثة وخمسين سنة على ما هو مصرح به في العدد الثامن والعشرين من الأصحاح التاسع من سفر التكوين؛ فيلزم على هذا أن يكون سيدنا إبراهيم حين مات سيدنا نوح عليهما السلام ابن ثمان وخمسين سنة.

وهو باطل باتفاق المؤرخين، وتكذبة النسخة اليونانية والسامرية؛ فإن ميلاد إبراهيم عليه السلام باعتبار النسخة الأولى بعد موت سيدنا نوح عليه السلام بسبعمائة واثنتين وعشرين سنة، وباعتبار النسخة الثانية بعد موته بخمسمائة واثنتين وتسعين سنة. وقد زيد في النسخة اليونانية بين أرفكشاد وشالح بطن واحد وهو قيتان، ولا يوجد هذا البطن في العبرانية، ولا في السامرية ولا في السفر الأول من أخبار الأيام ولا في تاريخ يوسف اليهودي. غير أن لوقا الإنجيلي اعتمد على اليونانية؛ فزاد قيتان في بيان نسب المسيح عليه السلام فيجب على ملة بروتستانت أن يعتقدوا صحة اليونانية ولا يرفضوها ويعتقدون صحة غيرها؛ لئلا يلزم عليه كذب إنجيلهم أو يكونون ممن يؤمنوا

بعض الكتاب ويکفرون ببعض ولأجل اختلاف هذه النسخ الثلاثة في
مقدار الزمان المذكور؛ اختلف المؤرخون فيما بينهم، ونبذوا النسخ
الثلاثة وراء ظهورهم وقالوا: إن الزمن المذكور ثلاثة واثنان
وخمسون سنة، غير أن يوسف قال في تاريخه: إن هذا الزمان
تسعمائة وثلاثة وتسعون سنة. كما هو منقول عنه في تفسير هنري
واسكات، وأكستاين أيضاً الذي كان من أعلم علماء المسيحيين في
القرن الرابع من الميلاد. وكذا اختلفت النسخ الثلاثة في المدة التي من
خلق سيدنا آدم عليه السلام إلى ميلاد سيدنا المسيح عليه السلام فعلى
وفق العبرانية أربعة آلاف سنة وأربعة سنين، وعلى وفق السامرية
أربعة آلاف وبعمائة سنة، وعلى وفق اليونانية خمسة آلاف وثمانمائة
واثنان وسبعين سنة.

ونقل هنري واسكات في المجلد الأول من تفسيره عن المحقق
هيلز: إن هذه المدة خمسة آلاف سنة وأربعمائة وإحدى عشر سنة.
وجارلس روبي نقل في كتابه خمسة وعشرين قولًا من أقوال
المؤرخين في بيان هذه المدة. وقد نقل ترجمتها عن صاحب إظهار
الحق، وقال إنه اعترف أنه لا يطابق قول منها الآخر، وإن تميز
الصحيح منها عن الغلط؛ محال. وهذا البحث يکفى للبيب شاهداً على
تحريف جميع نسخ التوراة تحريفاً لفظياً.

وكذلك الإنجيل الظاهر الذي أنزله الله على المسيح عليه السلام
كتاب واحد لا تعدد ولا اختلاف فيه، والموجود الآن عند المسيحيين

أربعة أناجيل، ورسائل أخرى مجموعه في مجلد واحد. أحدهما إنجيل متى والثاني إنجيل مرقس والثالث إنجيل لوقا والرابع إنجيل يوحنا والرسائل الأخرى. بعضها ينسب لرجل اسمه بولس ظهر في أو آخر القرن الأول من القرون المسيحية، وبعضها ينسب إلى رجال آخرين. بعضهم من غير الحواريين، وبعضهم من الحواريين قد ألف كل من هؤلاء إنجيلاً على حسب دعوته. وهي مختلفة اختلافات كثيرة في مواضع غير محصورة حتى أنهم يختلفون في صفات المسيح عليه السلام وتعاليمه وأفعاله وأقواله وأيام دعوته ووقت الصليب. وفي نسبة أيضاً.

وهذا الاختلاف لا يحتمل وقوع مثله من غيرهم، بل لا يحتمل وقوعه من الصبيان أولاد المكاتب. ومع هذا فعند كل من أصحاب مرقيون وأصحاب ابن ديسان إنجيل يخالف بعضه هذه الأنجليل ولأصحاب مانى كيز إنجيل على حدة يخالف ما عليه النصارى من أوله إلى آخره ويدعون أنه هو الصحيح وما عداه باطل. ولهم إنجيل يسمى إنجيل السبعين ينسب إلى تلامس و النصارى من غيرهم ينكرونه ويعدونه من الأنجليل الكاذبة. وقد نقل المفسر لاردنر في المجلد الثالث من تفسيره في ذيل بيان فرقه مانى كيز المذكورة عن الفاضل اكستاين، الناقل قول فاستس الذي كان من أعظم علماء هذه الفرقه في القرن الرابع من الميلاد وعبارته فيه هكذا: قال فاستس: أنا أنكر الأشياء التي ألقها في العهد الجديد آباؤكم وأجدادكم بالمكر وعيوا

صورته الحسنة وأفضليته؛ لأن هذا الامر محقق وهو: أن هذا العهد الجديد ما صنفه المسيح ولا الحواريون بل صنفه رجل مجهول الاسم ونسبة إلى الحواريين ورفقاء الحواريين خوفاً من أن لا يعتبر الناس تحريره، ظانين أنه غير واقف على الحالات التي كتبها وأذى المريدين لعيسى إيذاء بليغاً بأن ألف الكتب التي توجد فيها الأغلاط والمناقضات" انتهى.

فانظر أيها الليبيب إلى هذا الفاضل المسيحي كيف كان يصبح وينادي بأعلى صوته بأن أهل التثلث كانوا الحقوا الأشياء في العهد الجديد، وأن هذا العهد ليس من تصنيف المسيح ولا من تصنيف الحواريين ورفقائهم، وإنما هو من تصنيف رجل مجهول الاسم أوقع فيه الأغلاط والمناقضات.

ومن الفرق المسيحية الفرقة الإبیونیة التي كانت معاصرة لبولس ومنكرة عليه أشد الإنكار وكانت تقول إنه مرتد وكانت تسلم من الأنجليل إنجيل متى فقط، لكن هذا الإنجيل كان مخالفًا للإنجيل المنسوب إلى متى، الموجود عند معتقدى بولس الآن في كثير من المواقف، ولم يكن فيه الأصحاحان الأولان قال "بل" في تاريخه في بيان حال هذه الفرقة هكذا: "هذه الفرقة كان عندها من العهد الجديد إنجيل متى فقط، لكنها كانت حرفة في كثير من المواقف وأخرجت البابيين الأولين منه" انتهى. وقال في بيان حال فرقة المارسيونية هكذا: "كانت هذه الفرقة تتذكر كون كتب العهد العتيق إلهامية، وكانت تسلم من

العهد الجديد إنجيل لوقا فقط، لكن ما كانت تسلم الأصحابين الأولين منه وتسلم من رسائل بولس عشر رسائل لكن كانت ترد منها ما كان مخالفًا لخيالها" انتهي.

وقال بولس مقدم المسيحيين في العدد السادس من الأصحاح الأول من رسالته التي أهل غلاطية هكذا: "ثم إنني أعجب من أنكم أسرعتم بالانتقال عمن استدعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر وهو ليس بإنجيل بل إن معكم نفراً من الذين يزعجونكم ويريدون أن يحرروا إنجيل المسيح" انتهي. وهذا القول يدل صراحة على أنه كان في زمان بولس إنجيل يسمى إنجيل المنشي، وأن المحرفين كانوا في صدد تحريف إنجيل المسيح في ذلك الزمان فضلاً عن غيره من الأزمان. وهو الآن ما باقي منه إلا اسمه، كالعنقاء. قال آدم كلارك في المجلد السادس من تفسيره في شرح هذا المقام هكذا: "هذا الأمر محقق: وهو أن الأنجل الكثيرة الكاذبة كانت رائجة في أول القرنين المسيحية، وكثرة هذه الأحوال الكاذبة الغير صحيحة هيمنت لوقا على تحرير الإنجيل ويوجد ذكر أكثر من سبعين من هذه الأنجل الكاذبة. والأجزاء الكثيرة من هذه الأنجل باقية. وكان الفاضل فابري سيوس جمع هذه الأنجل الكاذبة وطبعها في ثلاثة مجلدات" انتهي.

فظهر من كلام هذا الفاضل أن الأنجل الكاذبة كانت موجودة قبل إنجيل لوقا، وقبل أن يحرر بولس رسالته إلى أهل غلاطية. وما فهم من كلام بولس أنه كان في عهده إنجيل يسمى بإنجيل المسيح هو

الحق. وهو مختار الفاضل اكهارن والكثير من المتأخرین من علماء
الجرمن وإليه مال المحقق لکليرك، وكوب. وغيرهما من المؤرخين
المحققين. وقد علمت فيما تقدم أن سلسوس المشرك الذي كان في
القرن الثاني من القرون المسيحية كان ينادي بأن المسيحيين بدلوا
أنجيلهم ثلاث مرات أو أربع مرات بل أزيد من هذا تبديلاً لأن
مضامينها بدلت. وكفتا هذه النقول دليلاً على أن أهل الكتاب حرفوا
كتبهم تحريفاً لفظياً. فتبه لهذا ولا تكن من القوم الغافلين.

تفسير المسلمين للتحريف

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل هكذا: "فإن رأينا بعض آيات قرآنية فيها ذكر التحريف؛ فلا ينبغي لنا أن نفهم من أول الأمر أن المقصود بها التحريف اللفظي أو التحريف المعنوي بالتأويل، بل لابد من مراجعة الآية، والتأمل في سياق الكلام مع توفيق معاتي الآيات بعضها مع بعض. و لعدم حصر التحريف فيما ذكرناه سابقاً؛ نري علماء المسلمين ولا سيما مفسري القرآن لم يتجرسوا على أن يخصصوا بأن المقصود من التحريف المذكور في القرآن إنما هو التحريف اللفظي فقط، بل التحريف المعنوي أيضاً. كما بين ذلك الشيخ محمد الزرقاني في شرحه على المواهب اللدنية بقوله: "إن الفقهاء اختلفوا هل تحريف التوراة والإنجيل بالزيادة والنقص أو بتأويلهما وتفسيرهما بغير المراد منها؟" وكذلك فسر البيضاوي التحريف بالمعنيين المذكورين. فقال في تفسير الآية الأولى إن طائفة من أسلافهم أي من أسلاف اليهود يسمعون كلام الله يعني التوراة ثم يحرفونه كنعت محمد ﷺ وأية الرجم أو يقولونه ويفسرونها بما يشتهون. وقال في تفسير الآية الثانية من **«بِنَّ الَّذِينَ هَادُواْ قَوْمٌ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَةَ»** أي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها بازنته عنها، وإثبات غيره فيها. أو يقولونه بما يشتهون فيميلونه عن ما أنزل الله فيه" انتهي كلام البيضاوي. والأرجح أن

هذه الآية لا إشارة فيها إلى تحريف اليهود للتوراة أصلًا بل إلى تحريف كلمات ليست منزلة من عند الله، بل هي من عندهم استعملوها في مفاوضتهم^(١) مع النبي فلما كانوا يمكرون عند مكالمته فيستعملون بعض الألفاظ يكون معناها في العربية بلغًا حسناً و في لغتهم شتماً وسباً فـالإشارة في هذه الآية إلى هذا التحريف لا إلى تحريف الكتاب. والذي يوضح لك ذلك تمام الآية وهو **﴿وَقُولُوا﴾**

(١) يغالط القسيس المسلمين في تحريف التوراة بقوله: إن اليهود الذين كانوا يتكلمون مع محمد في موضوع الرجم؛ هو الذين حرفوا أثناء المفاوضة. وهؤلاء ماتوا. وهم الذين يقصدهم القرآن بأن اليهود حرفوا التوراة، أما غيرهم فلم يحرفها. وما تزال التوراة خالية من التحريف. هذا هو كلام القسيس.

وكلام القسيس قد أخذه من الرواية الذين خدعوا من اليهود والحق في هذا الموضوع: هو أن المعاصرين لمحمد ﷺ من اليهود لم يفأوضوا ولم يحرفوا حتى نقول بالخصوص في التحريف من أجل رجم يهوديين قد زنيا. وذلك لأن القرآن لم يذكر هذا الشخص. وغرض القرآن من حكاية هذا الموضوع: هو أن اليهود حرفوا التوراة عمداً من قبله بزمان طويل. وأن هذا التحريف موجود في جميع النسخ الموجودة في بلاد العالم في زمانه، وسيظل على حاله مدة طويلة. فإن جاءوك أيها المسلم النائب عن رسول الله في أي بلد من البلاد، وطلبو منك الحكم عليهم بالقرآن؛ فاحكم عليهم بالقرآن. وإذا لم يأتوا وحكموا على أنفسهم بالتوراة فليحكموا على أنفسهم بالتوراة. إذ ليس لنا منهم إلا الجزية. هذا هو الغرض من نزول الآيات.

وقول القسيس بأن التحريف كان في حادثة خاصة في زمان محمد ﷺ هو قول يهدف من ورائه إلى أن التوراة الموجودة في بلاد العالم غير محرفة. وهذا ضد الحقيقة. فإن نسخ التوراة في العالم هي كنسخة واحدة، ولكنها محرفة في مدينة بابل. ومنها ينقلون ويطبعون ويعدلون وينتحرون.

سمِعْنا وَعَصَيْنا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعْ، وَرَأَيْنا لَيْكَ بِالسَّتِّينِ^(١) وَطَعَنَا فِي الدِّينِ) وَفَسَرَهَا البَيْضَاطُو بِقُولِه إِنَّمَا قَالُوهُ أَيْ هَذَا الْقُولُ نَفَاقًا وَصِرْفًا لِلْكَلَامِ إِلَى مَا يُشَبِّهُ السُّبْ حِيثُ وَضَعُوا (رَأَيْنَا) الْمُشَابِهِ لِمَا يَتَسَابَقُونَ بِهِ مَوْضِعُ

^(١) إن قوله: «رَاعَنَا لَيْلًا بِالسَّنَتِهِمْ» معناه:

أن الله: هو قراءة كتاب الزبور، الذى فيه النص على راعنا بالموسيقى والحان الغناء. حتى يظهروا للسامعين أن ما يتلونه هو كتاب الله حقا.

وأما راعنا: فإنهم كتبوا في سفر الزبور: أن النبي الآتي سوف يرعاهم بشرعيته.
فذلك يقرأون نبوءة راعنا التي تدل على محمد ﷺ مع أنه قد جاء فان كانوا يريدون أن
يرعاهم فليدخلوا في دينه. وإذ هو جاء؛ فما هي الفائدة من قولهم «راعنا» ولذلك نهاهم
عن قول راعنا لأن مهدا قد جاء. وهذا هو النص: «لام المغنين على السوسن شهادة
لأساف مزمور يا راعي إسرائيل أصغ يا قائد يوسف كالضان يا جالسا على الكروبيم
أشرق قدام افرايم وبنiamين ومنسى أيقط جبروتك وهلم لخلصنا يا الله أرجعنا وأنر
بوجهك فخلاص يا رب الله الجنود إلى متى تدخن على صلاة شعبك قد أطعمنهم خبر
الدموع وستقيتهم الدموع بالكيل جعلتنا نزاعا عند جيراننا وأعداؤنا يستهزئون بين
أنفسهم يا الله الجنود أرجعوا وأنر بوجهك فخلاص كرمة من مصر نقلت طردت أمما
وغرستها هيأت قدامها فاصلت أصولها فملأت الأرض غطى الجبال ظلها وأغصانها
أرز الله مدّت قضبانها إلى البحر وإلى النهر فروعها فلماذا هدمت جدرانها فيقطفها كل
عايري الطريق يفسدها الخنزير من الوعر ويرعاهما وحش البرية يا الله الجنود ارجعون
اطلع من السماء وانظر وتعهد هذه الكرمة والغرس الذي غرسه يمينك والابن الذي
اخترته لنفسك هي محروقة بنار مقطوعة من انتحار وجهك وبيدون لكن يدك على رجل
يمينك وعلى ابن ادم الذي اخترته لنفسك فلا نرتد عنك أحينا فندعوا باسمك يا رب الله
الجنود أرجعوا أنر بوجهك فخلاص».

(اظرنا) و (غير مسمى) موضع لا أسمعت مكروهاً أو قتلاً بهما وضماً لما يظهرون من الدعاء والتوقير إلى ما يضمرون من السب والتحقير استهزاءً وسخريةً. وفسر الآية الثالثة بالمعنى الذي فسر به الثانية. وقال في تفسير الآية الرابعة: إنهم أي اليهود يميلونه أي الكلم عن مواضعه التي وضعه الله فيها إما لفظاً باهماله وتغيير وضعه، وأما معنى بحمله على غير المراد وإجرائه في غير مورده.

روي: أن شريفاً من يهود خبير زنا بشريفة و كانوا محصنين فكرهوا رجمهما. فأرسلوهما مع رهط منهم إلىبني قريظة ليسألوا رسول الله ﷺ عنه فقالوا: إن أمركم بالجلد والتحميم؛ فلافقلوه وإن أمركم بالرجم فأبوا. فجعل ابن صوريا حكماً بينه وبينهم. وقال أشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي فلق البحر لموسي ورفع فوقكم للطور وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي أنزل عليكم كتابه وحاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحصن؟ قال: نعم. فوثبوا عليه. فقال: خفت إن كذبته ان ينزل علينا العذاب. فأمر رسول الله ﷺ بالزانين فرجما عند باب المسجد. انتهي كلام البيضاوي. وروي ابن إسحاق في كتاب سيرة الرسول لما حكموا رسول الله ﷺ فيهم داعاهم بالتوراة، وجلس حنزاً منهم يتلوها، وقد وضع يده على آية الرجم. قال فضرب عبد الله بن سلام يد الحبر، ثم قال: هذه يا نبي الله آية الرجم يأبى أن يتلوها عليك؟ فقال لهم رسول الله ﷺ ويحكم يا مشر اليهود ما دعاكما إلى ترك حكم الله وهو بأيديكم؟ قال فقال رسول الله

أنا أول من أحبي أمر الله وكتابه وعمل به. ثم أمر بهما فرجمـا
عند باب المسجد. انتهي.

ففي هذا دليل أيضاً على أن اليهود لم يتجرسوا على أن
يفسدوـا التوراة أو يحرفوـها تحريفاً لفظياً لأنهم لو جرت عادتهم
بتحريف التوراة؛ لرفعوا آية الرجم التي كان العمل بها عندـهم من
أكره الأمور".

أقول وبالله التوفيق وبـه الهدـية إلى أقوـم طـريق: قد علمـتـ ليـها
الـعقلـ الليـبـبـ فيما تـقدـمـ من قـرـيبـ غيرـ بـعـيدـ؛ أـنـ أـهـلـ الـكـتـابـ قدـ تـتوـعـتـ
قبـائـحـهـمـ بـالـنـسـبـةـ إـلـيـ تـحـرـيفـهـمـ كـلـمـ اللـهـ تـعـالـيـ وـآـيـاتـهـ، فـكـتـمـواـ بـعـضـهـاـ
وـأـخـفـواـ بـعـضـهـاـ وـنـسـوـاـ بـعـضـهـاـ، وـأـحـرـقـواـ بـعـضـهـاـ وـمـزـقـواـ بـعـضـهـاـ
وـحـرـفـواـ بـعـضـهـاـ تـحـرـيفـاـ مـعـنـوـيـاـ، وـبـعـضـهـاـ الـآـخـرـ تـحـرـيفـاـ لـفـظـيـاـ. وـبـهـذاـ
اعـتـرـفـ الـمـحـقـقـوـنـ مـنـ مـفـسـرـيـهـمـ وـمـؤـرـخـيـهـمـ وـنـادـيـ بـهـ الـمـؤـرـخـوـنـ، مـنـ
الـمـادـيـنـ وـالـوـثـيـيـنـ حـتـىـ سـمـعـ بـذـلـكـ أـهـلـ التـقـلـيـنـ، وـشـهـدـ عـلـيـ صـدقـ هـذـهـ
الـدـعـوـيـ بـرـهـانـ الـحـسـ وـالـمـشـاهـدـةـ، كـمـاـ قـدـ عـلـمـتـ ذـلـكـ فـيـمـاـ تـقدـمـ بـمـاـ لـاـ
مـزـيدـ عـلـيـهـ. وـقـدـ عـلـمـتـ هـنـاكـ: أـنـ التـحـرـيفـ الـمـعـنـوـيـ وـالـتـحـرـيفـ الـلـفـظـيـ
كـلـاـهـمـ وـاقـعـانـ فـيـ كـتـبـهـمـ الـمـقـدـسـةـ بـنـصـ الـآـيـاتـ الـقـرـآنـيـةـ وـالـأـحـادـيـثـ
الـنـبـوـيـةـ، وـعـرـفـتـ أـنـ الـفـخـرـ الـراـزـيـ قـدـ فـرـقـ بـيـنـ قـوـلـهـ تـعـالـيـ: (يـعـرـفـونـ
الـكـلـمـ عـنـ مـوـاضـعـهـ) وـقـوـلـهـ (يـعـرـفـونـ الـكـلـمـ مـنـ بـعـدـ مـوـاضـعـهـ) فـالـأـوـلـ يـدلـ عـلـيـ
الـتـحـرـيفـ الـمـعـنـوـيـ، وـالـثـانـيـ يـدلـ عـلـيـ التـحـرـيفـ الـلـفـظـيـ. وـكـذـلـكـ كـلـمـ

البيضاوي الذي نقله هذا القسيس يدل على وقوعهما حتماً. ولهذا مثل للتحريف اللفظي بقوله كنعت محمد ﷺ وأية الرجم، لكن لم تمحف آية الرجم^(١) من النسخة التي تلاها الحبر بين يدي النبي ﷺ كما تدل عليه

(١) قوله إن النبي ﷺ رجمهما. إن صح يكون رجمه لهما بحسب التوراة؛ لأنهم هم الذين جاعوه. ولا يكون رجمه لهما بحسب القرآن. فإن القرآن قد نسخ الرجم وأثبتت الجلد بدله لعموم الزناة. ففي كتابنا الأحكام الشرعية في التوراة النص والتفسير ما نصه: يقول الله تعالى في سورة النور: «سُورَةُ الزِّنَاءِ هَا وَرَضِيَّا هَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّكُمْ تَذَكَّرُونَ الرَّأْيَةُ وَالرَّأْيَنِي فَاجْلِدُو أَكُلَّ وَاحِدَ مِنْهُمَا مَثَلَةً جَلْدَهُ وَلَا تَأْخُذُ كُمْ بِهِمَا رَأْيَتُهُ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُمْ تُؤْمِنُنَّ بِاللَّهِ وَإِنْمَا الْآخِرُ وَلَيَشَهِدُ عَذَابَهُمَا حَالَتْهُ مِنَ الْمُؤْسِنِينَ الرَّأْيَنِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا رَأْيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالرَّأْيَنِي لَا يَنْكِحُهُمَا إِلَّا زَانِ أَوْ مُشْرِكَ وَحْرَمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْسِنِينَ»

لم يفرق بين الزاني المحسن بالزواج وبين الزاني غير المحسن. وجعل للجميع جدا واحدا هو الجلد مائة جلد. وجعل للأمة النصف. والرجم لا ينتصي. وجعل لامرأة النبي ﷺ الضعف والرجم لا يضعف. ونساء النبي كلهن عيفات شريفات. ولكن الله جعل لهن حكما خاصا. به ينتفي الرجم. الذي كان حكما في التوراة.

وفي الأحاديث النبوية في باب رجم الحبل عن البخاري أن النبي ﷺ رجم ماعزا والغامدية. ومن المحتمل أنه رجم كلا منها قبل نزول آية الجلد. لأن التوراة فيه أحکم الرجم. وقد كان العرب عليهما. ومن المحتمل أنه رجم بعد نزول آية الجلد؛ فهذا يكون منه اجتهاد كاجتهاده فيأخذ الفداء من أسرى بدر. ولما نزل القرآن؛ ترك الفداء وأخذ بما في القرآن، وتترك اجتهاده. وإن كان قد رجم بعد نزول آية الجلد. فإنه يكون مخالفًا للقرآن، وهو منهي عن مخالفته.

ثم إن الله تعالى ذكر حد القذف في القرآن. وهو ثمانون جلد. ولو كان الرجم مشروعًا؛ لكن أولى بالذكر في القرآن من حد القذف. وفي الأحاديث النبوية عن النبي ﷺ: «لا ينكح الزاني المحدود إلا مثله» وروى: أن محدودا تزوج غير محدودة؛

فرق على هـ بينهما. ومعنى هذا: إن المحدودة لم ترجم، وإنما فكيف تتزوج؟
وفي القرآن الكريم: «وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَانَكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْنَ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا
فَأَئْسِكُوهُنَّ فِي الْبَيْوْتِ حَتَّى يَسْوَمُهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ أَنْ سَبِيلًا»
قوله «فَأَئْسِكُوهُنَّ فِي الْبَيْوْتِ» ينفي الرجم؛ لأنـه من بعده؛ إمساك فـى القبور لا فـى
البيوت.

ذلك من حجـج النـافـنـين للـرـجـم فـى الشـرـيـعـة الإـسـلـامـية. وأـمـا المـثـبـتوـن للـرـجـم فـلـهـمـ أدـلـةـ
منـ السـنـةـ وـلـيـسـ لـهـمـ أدـلـةـ مـنـ الـقـرـآنـ. فـإـنـ الـأـلـفـ وـالـلـامـ فـىـ (الـرـأـيـةـ وـالـرـأـيـ)<ـ لـلـعـمـوـمـ.
وـأـدـلـتـهـمـ مـنـ السـنـةـ: أـنـ النـبـيـ رـجـمـ مـاعـزـاـ وـالـغـامـدـيـةـ، وـأـنـ الصـحـابـةـ مـنـ بـعـدـ رـجـمـواـ.
ولـذـلـكـ الإـشـكـالـ يـقـولـ الـأـنـثـمـةـ: إـنـ صـحـ الـحـدـيـثـ فـهـ مـذـهـبـيـ.

يـقـولـ الـإـلـامـ فـخـرـ الـدـيـنـ الرـازـيـ هـ فـىـ تـسـيـرـهـ الـكـبـيرـ:
«الـخـوـارـجـ أـنـكـرـوـ الرـجـمـ وـاحـتـجـواـ فـيـ بـوـجـوـهـ»:

أـحـدـهـمـ: قـولـهـ تـعـالـىـ: (فـتـلـئـمـنـ نـصـفـ مـاـ عـلـىـ الـمـحـضـنـاتـ) فـلـوـ وجـبـ الرـجـمـ عـلـىـ الـمـحـضـنـ؛
لـوـجـبـ نـصـفـ الرـجـمـ عـلـىـ الرـفـيقـ، لـكـنـ الرـجـمـ لـاـ نـصـفـ لـهـ.
وـثـانـيـهـمـ: أـنـ اللهـ سـبـحـانـهـ ذـكـرـ فـىـ الـقـرـآنـ أـنـوـاعـ الـمـعـاصـىـ مـنـ الـكـفـرـ وـالـقـتـلـ وـالـسـرـقةـ،
وـلـمـ يـسـتـقـصـ فـىـ أـحـكـامـهـ كـمـاـ اـسـتـقـصـ فـىـ بـيـانـ أـحـكـامـ الزـنـاـ.
أـلـاـ تـرـىـ أـنـهـ تـعـالـىـ نـهـىـ عـنـ الزـنـاـ بـقـولـهـ: (وـلـأـنـقـرـبـواـ زـنـيـ)
ثـمـ توـعـدـ عـلـيـهـ ثـانـيـاـ بـالـنـارـ كـمـاـ فـىـ كـلـ الـمـعـاصـىـ.
ثـمـ ذـكـرـ الـجـلـدـ. ثـالـثـاـ.

ثـمـ خـصـ الـجـلـدـ بـوـجـبـ إـحـضـارـ الـمـؤـمـنـينـ. رـابـعاـ.

ثـمـ خـصـهـ بـالـنـهـىـ عـنـ الرـأـفـةـ عـلـيـهـ بـقـولـهـ: (وـلـأـنـأـخـذـكـمـ بـهـمـ رـأـفـةـ فـيـ دـيـنـ اللهـ) خـامـساـ.
ثـمـ أـوـجـبـ عـلـىـ مـنـ رـمـىـ مـسـلـمـاـ بـالـزـنـاـ (ثـمـانـيـنـ حـلـدـةـ) سـادـساـ. وـلـمـ يـجـعـلـ ذـلـكـ عـلـىـ
مـنـ رـمـاهـ بـالـقـتـلـ وـالـكـفـرـ، وـهـمـ أـعـظـمـ مـنـهـ.

ثـمـ قـالـ سـابـعاـ: (وـالـذـيـنـ يـرـمـونـ الـمـحـضـنـاتـ ثـمـ لـمـ يـأـتـوـ بـأـرـبـعـةـ شـهـدـاءـ فـأـجـلـدـوـهـمـ ثـمـانـيـنـ حـلـدـةـ وـكـاـ

رواية ابن إسحاق وإنما حذفها كان من النسخة التي كانت عند يهود خبيث، الذين أرسلوا الزانين مع رهط منهم لبني قريظة ليسألوا النبي ﷺ عن حكم الرجم، كما يدل عليه قوله تعالى في وصفهم: **﴿يَقُولُونَ إِنَّ أَوْتَيْتُمْ هَذَا﴾** يعني الحكم المحرف المزال عن موضعه **﴿فَخَذُوهُ﴾** وأقبلوه **﴿وَإِنْ لَمْ تَؤْتُوهُ﴾** بأن أفتاكم محمد بخلافه **﴿فَاحْذِرُوا﴾** أي أن تقبلوه. فهذه الآية

تَقْبِلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ

ثم نكر ثامنا: من رمى زوجته بما يوجب التلاعن، واستحقاق غضب الله تعالى.

ثم نكر تاسعا: أن **﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ شُرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ شُرِكَةً﴾**

ثم نكر عاشرا: أن ثبوت الزنا مخصوص بالشهود الأربع.

فمع المبالغة في استقصاء أحكام الزنا قليلاً وكثيراً، لا يجوز إهمال ما هو أجل أحكامها وأعظم آثارها. ومعلوم أن الرجم لو كان مشروعًا لكان أعظم الآثار. فحيث لم يذكر الله تعالى في كتابه؛ دل على أنه غير واجب.

وثالثهما: قوله تعالى: **﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُو﴾** يقتضى وجوب الجلد على كل الزناة. وإيجاب الرجم على البعض بخبر الواحد يقتضي تخصيص عموم الكتاب بخبر الواحد وهو غير جائز. لأن الكتاب قاطع في متنه، وخبر الواحد غير قاطع في متنه، والمقطوع راجح على المظنون.

واحتاج الجمهور من المجتهدين على وجوب رجم المحسن: بما ثبت بالتواتر أنه عليه الصلاة والسلام فعل ذلك. قال أبو بكر الرازي: روى الرجم أبو بكر وعمر وعلى وجابر بن عبد الله وأبو سعيد الخدري وأبو هريرة وبريدة الأسلمي وزيد بن خالد في آخرين من الصحابة. وبعض هؤلاء الرواة روى خبر رجم ماعز وبعضهم خبر اللخمية والغامدية. وقال عمر **رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ**: "لولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لثبتته في

"المصحف"

الشريفة نص صريح على أن يهود خيير حرفوا آية الرجم من توراتهم
تحريفاً لفظياً.

وأما قول القسيس في ذيل تفسير الآية الثانية: "والأرجح أن هذه الآية لا إشارة فيها إلى تحريف اليهود للتوراة" الخ. فغلط يقيناً. واستدلاله بتمام الآية على صحة ما زعمه؛ يدل على شدة جهله؛ فإن جملة قوله تعالى **﴿وَتَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾** معطوفة بالواو التي بالجمع المطلق على جملة قوله تعالى **﴿يَحْرَفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾** فأمر التحريف خلاف قولهم **﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾** الخ لأن العطف يقتضي المغايرة، كما لا يخفي على من له أدنى إلمام بفن العربية. فهم جمعوا بين تحريف كلام الله تعالى وبين قولهم في خطاب النبي ﷺ **﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْتَعِن﴾** الخ ومن راجع هاتين الآيتين بالتأمل والإنصاف من غير تعصب ولا إجحاف يعلم أن ما أبداه هذا القس غلط محض، يدل على قلة علمه وسوء فهمه. وهذا حاله في فهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وعلى هذه الأفهام السقيمة يرجو أن ترجم عباراته وتفسيره الركيك على عبارات و تفسير علماء هذا الدين المبين. وما هذا إلا عين الجهل والحمافة.

وكيف ينكر هذا القسيس تحريف اليهود للتوراة مع أن المحققين من مؤرخيهم ومفسريهم قد اعترفوا بوقوعه في مواضع متعددة من كتبهم. بل كتابهم الإنجيل يفيد ذلك أيضاً فقد نقل يوحنا الإنجيلي في

العدد التاسع عشر من الأصحاح الرابع من إنجيله قصة المكالمة التي وقعت بين المرأة السامرية وبين المسيح عليه السلام وبعض عبارته فيها هكذا: "إني أرى أنك ياربُّ نبِيٌّ. وكان آباءُنا يسجدون في هذا الجبل (يعني جِرْزِيم) وأنتم. أي اليهود. تقولون المكان الذي ينبغي ان يسجد فيه هو أورشليم. قال لها يسوع: يامرأة صدقيني إنَّه تأتي ساعة لافي هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للرب" انتهي.

فهذه المكالمة صريحة في وقوع الاختلاف بين النسخة السامرية وبين النسخة اليهودية في الموضع الذي ينبغي السجود فيه الله عَزَّلَهُ. وهذا الاختلاف من أعظم الأمور المتنازع فيها بين الفرقتين، وكل منهما تدعي أن الأخرى هي التي حرفت توراتها تحريفاً لفظياً بتبدل الألفاظ و تغيير المعاني، لكن سكوت المسيح عليه السلام عن البيان في جواب المرأة السامرية يدل على أن الحق ما عليه السامريون في هذا الموضع، ولو كانوا هم المحرفون للتوراة في هذا الموضع؛ لأن المسيح عليه السلام أن يبين هذا الأمر؛ لكنه ما بينه بل سكت عنه. فسكته هذا دليل واضح على أن المحرفين للتوراة في هذا الأمر هم اليهود يقيناً. قال المحقق هورن في المجلد الثاني من تفسيره في بيان آداب السامريين بالنسبة إلى التوراة هكذا: "إن كينكات يقول: لو لاحظنا أدب السامريين بالنسبة إلى التوراة، للاحظنا عباراتهم، للاحظنا سكوت المسيح حين المكالمة المشهورة التي وقعت بينه وبين المرأة السامرية، للاحظنا أموراً أخرى؛ لاقتضي الكل أن اليهود حرفوا

التوراة قصداً. قال: وإن مقاله محققاً كتب العهد العتيق والجديد وهو
أن السامريين حرفوها قصداً، لا أصل لها" انتهى. قلت: وهذا يكفينا
لإيقاع المنصفين من عقلاً المسيحيين.

شهادة القرآن بعدم تحريف الإنجيل

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل هكذا: "فتحصل بما تقدم؛ نتائج الأولى: أنه إن سلّم أن التحرير واقع؛ فإنما يكون مخصوصاً في التوراة، ولا دخل له في الإنجيل؛ لأن آيات القرآن التي ذكر فيها التحرير نزلت على قوم من اليهود، ولا إشارة فيها قط. إلى أن النصاري حرفوا كتابهم. وعلى هذا يكون التحرير إنما وقع في التوراة وحدها، وأما الإنجيل فتري كل آية من القرآن ورد ذكره فيها تصفه بأكمل التعظيم والتوقير. فهذا برهان على عدم تحريفه **البible**"

أقول وبالله التوفيق، وبه الهدایة إلى أقوم طريق: إن ما أورده صاحب البرهان في هذه النتيجة من أن الآيات القرآنية التي وردت بلفظ التحرير إنما تشير إلى تحرير التوراة فقط، ولا دخل لها في الإنجيل؛ أمر مسلم عندنا عشر المسلمين، وإنما لا نقول: إن الإنجيل الذي جاء ذكره في القرآن هو محرف، كما حرفت التوراة، وإنما نقول ونعتقد: أنه ضاع وقد بالكلية حتى لم يبقى له إلا الاسم. كالعنقاء. كما علمت ذلك فيما مرّ.

وهذه الأنجليل المتدالة الآن وإن كان يوجد فيها بعض أمثل شريفة وبعض أقوال صحيحة منقولة عن لسان السيد المسيح عليه السلام لكنها ليست هي الإنجيل المذكور في القرآن، لما قد علمت فيما

تقدّم: أن الإنجيل الظاهر في اصطلاح القرآن هو ما أوحى إلى عيسى عليه السلام. قال تعالى في سورة المائدة في حق عيسى عليه السلام: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾ وهو كتاب واحد لا تعدد ولا اختلاف فيه. والموجود الآن أربعة مجلدة، في مصحف واحد مع رسائل أخرى تحكي أخبار المسيح وحكياته وانتقالياته وتعاليمه الدينية وما جري له مع اليهود على صور مختلفة باختلاف الرواية متى ومرقس ولوقا ويوحنا وبولس ويعقوب وغيرهم من أشياخ النصارى حتى أنهم يختلفون في صفات المسيح عليه السلام وأيام دعوته وفي نسبه الشريف ووقت صلبه على رزعمهم وفي كونه ربًا أو رسولًا بل لا يخرج أصحاح من أصحاحاتها ولا سطر من أسطرها ويكون خالياً من الغلط والاختلاف. فكل هذه الأنجليل التي هي على هذه الصفة ليست هي الإنجيل الظاهر الذي جاء ذكره في القرآن. قال صاحب تخجيل من حرف الإنجيل في الباب الثاني من كتابه في حق هذه الأنجليل هكذا: "إنها ليست هي الإنجيل الحق المبعوث به الرسول المنزّل من عند الله ﷺ" ثم قال والإنجيل الحق إنما هو الذي نطق به المسيح عليه السلام" انتهي. وقال صاحب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون في بيان الإنجيل هكذا: "إنه كتاب أنزله الله سبحانه وتعالى على عيسى بن مريم عليه السلام" ثم قال: "وهذه الأنجليل الأربع ليست هي الإنجيل الأصلي المنزّل على عيسى عليه السلام" وقال الإمام القرطبي في تصنيفه المسمى بكتاب "الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والواهـام" في الباب الثالث

من كتابه هكذا: "إن الكتاب الذي بيد النصارى الذي يسمونه بالإنجيل ليس هو الإنجيل الذي قال الله فيه على لسان رسوله ﷺ «التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس»" انتهي.

ثم أورد الدليل على هذه الدعوى وأثبتت أن الحواريين ما كانوا أنبياء ولا معصومين من الغلط، وأن ما ادعوه من كراماتهم لم ينقل شيء منها على التواتر، بل هي أخبار آحاد غير صحيحة. ولو سلمنا صحتها لما دلت على صدقهم في كل الأحوال وعلى نبوتهم لأنهم لم يدعوا النبوة لأنفسهم وإنما ادعوا التبليغ عن عيسى ابن مريم. ثم قال: "فظهر من هذا البحث أن الإنجيل المدعي به لم ينقل تواتراً ولم يقم دليلاً على عصمة ناقليه. فإذاً يجوز الغلط و السهو على ناقليه؛ فلا يحصل العلم بشيء منه ولا غلبة الظن. فلا يلتفت إليه ولا يعول في الاحتجاج عليه" قال: "وهذا كاف في ردء وبيان قبول تحريفه وعدم الثقة بمضمونه، ولكن مع ذلك نعمد منه على مواضع يتبين فيها تهافت نقلاته، ووقوع الغلط في نقله" انتهي. ثم نقل المواضع المذكورة، وبعد أن نقلها قال: "فقد حصل من هذا البحث الصحيح أن التوراة والإنجيل لا يحصل الثقة بهما؛ فلا يصح الاستدلال بهما لكونهما غير متواترين وقابلين للتغيير. وقد دلت على بعض ما وقع فيهما من ذلك. وإذا جاز مثل ذلك من هذين الكتابين مع كونهما أشهر ما عندهم وأعظم عددهم ومستند ديانتهم؛ فما ظنك بغير دينك من سائر كتبهم التي يستدللون بها

ما ليس مشهوراً مثلكما ولا منسوباً إلى الله نسبهما. هذا هو أولى
بعدم التواتر، وبقبول التحرير منهما" انتهي. كلامه الشريف بلفظه.
وقال الإمام الهمام فخر الدين الرازى في كتابه المسمى بالمطالب
العلية في الفصل الرابع من القسم الثاني من كتاب النبوات هكذا:
"أما دعوة عيسى عليه السلام فكانه لم يظهر لها تأثير إلا في
القليل، وذلك لأنه ما دعى إلى الدين الذي يقول به هؤلاء النصارى؛
لأن القول بالآب والابن والتثليث أقبح أنواع الكفر وأفحش أقسام الجهل
ومثل هذا لا يليق بأجهل الناس فضلاً عن الرسول المعصوم.
فعلمنا أنه ما كانت دعوته بتة إلى هذا الدين الخبيث، وإنما كانت
دعوته إلى التوحيد والتنزية. ثم إن تلك الدعوي ما ظهرت بتة بل
بقيت مطوية غير مرؤية. فثبتت أنه لم يظهر لدعوته إلى الحق أثر
بتة" انتهي.

قلت: وهذا القول يفيد أن هذه الأنجليل المحتوية على القول
بالتثليث ليست هي إنجيل المسيح الذي جاء ذكره في القرآن.
ونظر صاحب إظهار الحق رحمه الله "أن بعض فضلاء الهند
استفتقى في هذا الباب من علماء مدينة "دلهي" فأفتاباه جميعهم وكتبوا أن
هذا المجموع المشهور الآن بالعهد الجديد؛ ليس بمسلم عندنا، وليس هذا
هو الإنجيل الذي جاء ذكره في القرآن، بل هو عندنا عبارة عن الكلام
الذي أنزل على عيسى عليه السلام" قال: وجميع علماء الهند شرقاً
وغرباً فتوهم كفتوي علماء دلهي. ومن رد منهم على رسائل القسيسين

سواء كان من أهل السنة والجماعة أو من أهل التشيع صرخ في هذا الباب تصريحاً عظيماً، وأنكر هذا المجموع أشد الإنكار" انتهي.

قلت وهذه الأقوال كافية في بيان أن هذه الأنجليل ليست هي إنجيل المسيح عليه السلام الذي جاء ذكره في القرآن كيف يكون هذا الإنجيل هو إنجيل المسيح عليه السلام و فيه أخبار صلبه وتآلمه واستغاثته عند الصليب بقوله: "إِلَهِي إِلَهِي لِمَاذَا تَرْكَتِنِي؟" والقرآن الكريم ينزع ساحتة عن ذلك كله، ويخبر أنه رفع إلى السماء حياً^(١) طاهراً برياً من كل ما نسب إليه، لم يقع عليه صلب ولا إهانة، وإنما وقعاً على من نافق من أتباعه ودل عليه. قال تعالى في سورة النساء: «وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكُنْ شَهِيدُهُمْ» وقال تعالى في السورة المذكورة «وَمَا قَاتَلُوهُ يَقْتَلُنَا بَلْ رَفَعْنَاهُ اللَّهُ أَعْلَمُ

فهذه المخالفة الواقعة بين القرآن وهذا الإنجيل كافية شافية في الدلالة على تحريفه بل على تكذيبه. ولقد علمت فيما تقدم اختلاف الإنجيليين في كيفية موت يهودا الأسخريوطى الذي دل عليه. وذلك

(١) المؤلف يثبت رفع المسيح إلى السماء بجسده وروحه. وقد قال الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر: إن رفعه المسيح رفعه درجة كرفعه إدريس عليه السلام أما الجسد فلا. ونعم ما قال. ومعنى "ولكن شبه لهم" أن موسى عليه السلام قال: "إن نبياً مثلني سيقيم لكم الرب إلهم..." [أثر ١٨] وهذا النبي هو محمد ﷺ فخدع اليهود جماعة الروم بقولهم إن عيسى هو الآتي مثل موسى في مجده الثاني. أى شبهاً لهم عيسى بموسى. وذلك لإنكار نبوة رسول الله محمد من قبل مجده.

الاختلاف يدلنا يقيناً على أنه هو المصلوب البتة. وكذلك ورد في هذا الإنجيل أن المسيح عليه السلام صار ملعوناً والعياذ بالله تعالى لكونه صلب وعلق على خشبة؛ ليكون فدية وكفارة عن العالم كما صرخ بذلك قديس المسيحيين بولس في الأصحاح الثالث من رسالته إلى أهل غلاطية بقوله: "المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا" لأنه مكتوب في الناموس: ملعون كل من علق على خشبة" والقرآن المجيد نزه ساحته الشريفة عن ذلك كله في مواضع متعددة وكذلك يزعمون أن في هذا الإنجيل الأمر بالقول بالتلذذ والأوهية المسيح عليه السلام والقرآن المجيد يخبر بكفر من يقول ذلك. قال تعالى في سورة المائدة: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَكَيْنَ لَمْ يَنْهَاوْ أَعْمَانَ يَقُولُونَ لَيْسَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أفلًا يتوبون إلى الله ويستغفرون له والله غفور رحيم ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَآتَاهُ صِدِيقَةً كَانَ أَيْكُلُنَ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ بَيْنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ﴾ وقال في سورة المائدة: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وفي آخر سورة النساء: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلِبُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلْسَهُ أَقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَأَمْنَوْا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَتَهُوا خَيْرَ الْكُمَّ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَكَدُّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا

لَنْ يَسْتَكِفَ السَّيْحُ^(١) أَنْ يَكُونَ عَبْدَ اللَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةَ الْمُقْرَبُونَ وَمَنْ يَسْتَكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ
 وَيَسْتَكِبِرُ فَسَيَخْرُشُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا } وَمَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ: يَا أَهْلَ الْإِنْجِيلِ { لَا تَقْلِو
 فِي دِينِكُمْ } أَيْ لَا تَتَجَازُوا الْحَدَّ فِي دِينِكُمْ { وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا حَقًّا } مَنْ
 تَزَرِّيهِ عَنِ اتِّخَادِ الشَّرِيكِ وَالصَّاحِبَةِ وَالوَلَدِ { إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
 رَسُولُ اللَّهِ } يَعْنِي أَنَّ الْمَسِيحَ مَقْصُورٌ عَلَى الرِّسَالَةِ لَا يَتَخَطَّهَا إِلَى
 الْأَوْهِيَةِ. بَدْلِيلٌ لِفَظَةِ { إِنَّمَا } فَانِّها تَدْلِي عَلَى الْحَصْرِ بِمَقْضِيِ الْقَوَاعِدِ
 الْعَرَبِيَّةِ. أَيْ مَا الْمَسِيحُ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ { وَكَلَّتْ أَقْدَامُهَا إِلَى مَرْيَمَ } أَوْ صَلَّاهَا إِلَيْهَا
 وَحَصَّتْهَا فِيهَا بِوَاسْطَةِ جَبَرِيلَ الْمَلَكِ. وَسُمِيَ الْمَسِيحُ كَلْمَةُ اللَّهِ لِأَنَّهُ خَلَقَ
 بِكَلْمَةٍ كُنَّ مِنْ دُونَ وَاسْطَةِ أَبٍ. كَمَا قَدْ عَلِمْتُ ذَلِكَ فِيمَا تَقدَّمَ، وَلَيْسَ هُوَ
 نَفْسُ الْكَلْمَةِ. كَمَا تَرَعَّمُ النَّصَارَى. وَإِنَّمَا هُوَ أَثْرُهَا فَإِنَّ الْكَلْمَةَ مَعْنَى مِنْ
 الْمَعْانِي بِخَلْفِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُ ذَاتُ مِنَ الْذَّوَاتِ. وَقَوْلُهُ { وَرُوحُ
 تِنَّهُ } أَيْ أَنَّ الْمَسِيحَ ذُو رُوحٍ صَدَرَ مِنَ اللَّهِ بِدُونِ تَوْسِطٍ مَا يَجْرِي
 مَجْرِيُ الْأَصْلِ وَالْمَادَةِ لَهُ. وَلَيْسَ هُوَ جَزءٌ مِنَ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى كَمَا
 تَرَعَّمُ النَّصَارَى. وَمَنْ هَذَا الْقَبِيلُ قَوْلُهُ: { وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي

(١) المراد بال المسيح: المسيح الرئيس المكتوب عنه في الأصحاح التاسع من سفر دانيال
 وهو محمد ﷺ. والمراد بالملائكة المقربون: أصحاب محمد المقربون منه كأبي بكر
 وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم أجمعين.

الأرض جمِيعاً مِنْهُ》) وقوله (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ) فعلى قولهم يلزم أن تكون جميع تلك الأشياء جزءاً منه سبحانه و تعالى عن ذلك علوأً كبيراً - قيل: سمي المسيح روحأ لأنَّه كان يحيي الأموات والقلوب من موت الكفر والضلال فكانه روح لأولئك المؤمنين (فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً) أي ثلاثة آلهة. (إِنَّهُمْ) عن ذلك التتليث خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أي تترىه عن أن يكون له ولد فإنه يكون لمن يعادله مثل ويتطيرق إليه فناء (لَمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ملكاً و خلقاً لا يماثله شيء من ذلك؛ فيتخذه ولداً أو شريكاً (وَكَنَّى بِاللَّهِ وَكِيلًا) أي مستقلأ بحفظ الأشياء وتدير خلقه، ولا حاجة له إلى ولد يخلفه أو شريك يعينه وهذا القول صريح في مخالفة ما زعمته النصارى من أن في الإنجيل القول بأنَّ المسيح إله معبد، وأنَّ الله اسم ثلاثة. ممتازة بامتياز حقيقى؛ فهو واحد ثلاثة وهو ثلاثة واحد.

وإذا علمت هذه المخالفة الواقعية بين القرآن المجيد و هذا الإنجيل تعلم أن ما سلكه صاحب "البرهان" غلط أو تغليط منشأه سوء الفهم من شدة التعصب وعدم الإنصاف. وأي دليل يطلب من القرآن الكريم على تحريف هذا الإنجيل أعظم من هذه المخالفة الواقعية بينهما في أصول ذلك الدين. فإنَّ مسألة الصليب والتتليث أساساً الدين المسيحي، وعليهما مبناه. فإذا انفيتا انهم ذلك الدين من أصله، وبطل الإنجيل بشهادة القرآن. ومع هذا فلقد ورد في سورة المائدَة: (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى

أَخْذَنَا مِنَّا هُمْ فَنَسُوا حَطَّا مَمَّا ذَكَرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
وَسَوْفَ يَنْتَهِمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُسَيِّئُ لَكُمْ
كَثِيرًا مَمَّا كُنْتُمْ تُخْفِونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَغْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴿٤١﴾ أَيِّ مَا يَخْفُونَهُ لَا يَخْبُرُ
بِهِ إِذْ لَا يُضْطَرُ إِلَيْهِ فِي أَمْرٍ دِينِي كَوْنُ الْمَسِيحِ رَكِبُهُ وَهُوَ ذَا�ِبٌ إِلَى
الْقَدْسِ الشَّرِيفِ أَتَانَهُ وَجْهًا بْنَ أَتَانَةَ، عَلَيْهِ مَا أَخْبَرَ مَتَّنِي أَوْ رَكِبَ
جَهَشًا بْنَ أَتَانَةَ فَقَطْ عَلَيْهِ مَا أَخْبَرَ غَيْرِهِ مِنَ الْإِنْجِيلِيِّينَ فَمَثُلَ هَذَا
الْأَخْبَارُ لَا يَنْظَرُ إِلَيْهَا فِي أَمْرٍ دِينِيٍّ حَتَّى يَبْيَنُهَا الْقُرْآنُ وَأَمَّا مَا يَنْظَرُ
إِلَيْهِ فِي أَمْرٍ دِينِيٍّ فَقَدْ يَبْيَنُ الْقُرْآنُ حَقْيَتَهُ بِأَوْضَحِ بَيَانٍ وَأَجْلَى إِشَارَةً
وَقَدْ عَلِمْتُ بَعْضَ ذَلِكَ.

وَجَاءَ فِي صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ مِنْ حَدِيثِ طَوِيلٍ
فِي خَطَابِ الْمُؤْمِنِينَ: "فَلَمْ تَسْأَلُنَّ أَنْتُمْ مِنْهُمْ أَيُّ مِنْ أَهْلِ الْيَهُودِ
وَالنَّصَارَى" مَعَ عِلْمِكُمْ بِأَنَّ كِتَابَهُمْ مَحْرُفٌ

وَهَذَا الْحَدِيثُ كَافٍ فِي الدِّلَالَةِ عَلَيْهِ تَحْرِيفِ الْإِنْجِيلِ؛ فَكَيْفَ إِذَا
اجْتَمَعَ مَعَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْأَخْبَارِ التَّارِيْخِيَّةِ؟ فَإِنَّهُ يَكْفِي لِمَنْ فِي قَلْبِهِ
أَذْنِي إِصْغَاءَ لِلْحَقِّ وَإِذْعَانَ لِلصَّدْقِ؛ فَلَا يَحْتَاجُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى زِيَادَةِ بَسْطٍ
إِلَّا لِمَزِيدِ التَّأْكِيدِ وَالْإِيْضَاحِ. فَتَأْمَلْ أَيْهَا الْقَسِيسُ هَذَاكُ اللَّهُ مَا احْتَوَى
عَلَيْهِ هَذَا الْإِنْجِيلُ مِنَ الْأَغْلَاطِ وَالْاِخْتِلَافَاتِ وَالْعَبَاراتِ الْغَيْرِ لَائِقَةٍ
بِالْكِتَابِ السَّمَاوِيِّ، وَانْظُرْ وَفْقَكُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَا حَكَتْهُ الْمُؤْرِخُونَ مِنْ
الْمُسَيِّّدِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ فِي شَأنِ هَذَا الْإِنْجِيلِ حَتَّى تَقْفَ عَلَيْهِ حَقْيَةً مَا هُوَ
عَلَيْهِ، وَتَرْجِعَ عَمَّا تَقُولُ؛ فَتَفْطَنْ لِذَلِكَ إِنْ ارْدَتْ سَلَامَةً جَسْدَكَ مِنْ

العذاب الأليم الدائم في نار الجحيم. والله الهادي إلى سواء السبيل. وهو
حسبى ونعم الوكيل.

قول القسيس

إن شهادة القرآن بتحريف التوراة
هي لليهود المعاصرين له والمجاورين له
في زمانه

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل: "الثانية: إن القرآن لا يوبخ جميع أفراد طائفة اليهود على تحريف التوراة، بل التوبيخ إنما وقع على بعض قوم صدر منهم ذلك. وعلى ذلك لو فرضنا أن المراد بالتحريف هو التحريف اللفظي لبقي أكثر نسخ التوراة عند أكثر اليهود صحيحاً من دون تحريف لأنها لم تحرف عند الجميع، بل عند بعض أناس قليلين وبخوا على ذلك، كما أنه لو فرض أن فرقة من المسلمين غيروا نسخ القرآن التي في أيديهم فلا يجوز أن يقال: إن جميع طائفة المسلمين قد غيروا القرآن، وأن القرآن أصبح مغيراً ومبدلاً"

أقول وبالله التوفيق وبه الهدایة إلى أقوم طريق: إن من يمعن النظر ويدقق الفكر في هذه النتيجة يظهر له جهالة هذا القسيس في إقامة الدليل والحججة فإنه لا يوجد في العقلاء من يقول إن تحريف التوراة وقع من جميع أفراد طائفة اليهود لعدم امكان ذلك، وإنما وقوعه بالزيادة والنقصان كان من كھانهم وأحبارهم. وهؤلاء هم الواقع عليهم توبيخ القرآن المجيد، ولا يمكن صدور التحريف من عوامهم. فإذا صدر ذلك من علمائهم يتلقاه العوام بالقبول، وذلك لعدم حفظهم إياها

في الصدور. بخلاف القرآن المجيد فإنه مسطور في السطور ومحفوظ في صدور الملائين من المسلمين ولا فرق في ذلك بين العلماء منهم والعام. وبرهان ذلك: الحس والمشاهدة. وكذلك لا يوجد من يقول إن سائر فرق اليهود اتفقت على تحريف التوراة. حاشا للاختلاف والعداوة الواقعين فيما بينهم، وإنما نقول: إن كل فرقة من اليهود كانت تحريف التوراة على حسب أهوائها وأغراضها. ولهذا ترى كل نسخة من نسخ التوراة بخلاف الأخرى؛ فإنك قد علمت فيما مر غير مرة أن نسخ التوراة المشهورة ثلاثة: السامرية وهي التي عليها السامرية، واليونانية وهي التي عليها بعض اليهود والأرثوذكس والكاثوليك النصارى، والعبرانية وهي التي عليها اليهود والنصارى البروتستانت وبين هؤلاء النسخ الثلاثة اختلاف لا يخفى على الليب أمراً، حتى النسخ التي توجد من التوراة عند طائفة النصارى بعضها مختلف للبعض الآخر.

فإن النسخة التي عند طائفة الروم الكاثوليك تختلف التي عند طائفة بروتستانت، والتي عند طائفة بروتستانت تختلف التي عند طائفة أرثوذكس وهكذا. وكل نسخة من نسخ التوراة توجد عند فرقة من فرق أهل الكتاب تختلف التي عند الفرقة الأخرى، بل النسخ التي توجد عند فرقة واحدة من تلك الفرق يخالف بعضها البعض الآخر في موضع متعددة تكاد أن لا تحصى، سيما إذا أضفنا ذلك إلى فرقة بروتستانت؛ فإن التغيير والتبدل عندهم بمنزلة الأمر الطبيعي. ولذلك تراهم إذا طبعوا كتاباً من كتبهم مرة أخرى يوقعوا فيه غالباً التغيير والتبدل

بالنسبة إلى المرة الأولى إما بتبدل الألفاظ أو بزيادتها أو نقصانها أو تقديم العبارات أو تأخيرها ويوجد في خزانة كتبى من كتبهم المقدسة سخنان عربيتان بينهما اختلاف كثير وقد حصل لك أيها الليب الاطلاع على بعض منها فيما نقدم.

والأنساب أن أبين لك هنا أيضاً بعضها منها ولا أخشى من التطويل اليسير. فأقول: جاء في العدد السادس من الأصحاح التاسع من كتاب إنشعاء من الترجمة العربية المطبوعة في لندن سنة ألف وثمانمائة وثمانية وأربعين من الميلاد هكذا: "لأنه كان صبياً ولد لنا، وابنا أعطينا، وصارت رياسته على من Kirby، ويدعى اسمه عجيباً مشاوراً لله، جباراً، أبو العالم الآتى، رئيس السلام؛ ليكثر سلطانه وسلامه، ليس له فناء على كرسى داود. وعلى مملكته يجلس ليقيمها ويعضدها بالإنصاف والعدل، منذ الآن وإلى الأبد" انتهى. وجاءت هذه العبارة في الترجمة المطبوعة في بيروت سنة ألف وثمانمائة وسبعين من الميلاد هكذا: "لأنه يولد لنا ولداً ونعطي ابنًا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إليها قديراً أبو أبدياً رئيس السلام؛ لنمو رياسته وللسلام. لا نهاية له على كرسى داود وعلى مملكته. ليثبتها ويعضدها بالحق والبر، من الآن وإلى الأبد" انتهى.

فانظر أيها المتنطون إلى هذا التباين البين الواقع بين هاتين السخنتين. ولا يخفى عليك أيها المنتبه الفرق الحاصل بين قوله مشاوراً لله، وبين قوله مشيراً إليها. وتأمل في زيادة الفرق الحاصل بي، قوله

جباراً أبا العالم، وبين قوله قديرًا. والظاهر أن التحريف الواقع في الترجمة الثانية كان قصدياً ليوافق مزاعمهم في السيد المسيح عليه السلام من كونه ربا وإلها؛ فإنهم يزعمون أن هذا الخبر في حقه. وقد علمت أنه ليس في حقه وإنما هو في حق سيدنا ومواناً محمد عليه السلام للوجوه التي تلوتها عليك فيما تقدم صدر الكتاب، فتبه لذلك، ولا تكون من القوم الغافلين، الذين يحرفون الكلم من بعد مواضعه، ويقولون على الله ما لا يعلمون.

وقد جاء في العدد العشرين من الأصحاح السادس من سفر الخروج من النسخة المطبوعة سنة ١٨٧٠ هكذا: "وأخذ عمران يوكابد عمه زوجة له، فولدت له هرون وموسى" انتهى.

وجاءت هذه العبارة في النسخة المطبوعة في لندن سنة ألف وثمانمائة وثمانية وأربعين هكذا: "فتزوج عمران يوكابد ابنة عمه فولدت له هارون وموسى" انتهى. فانظر أيها الليبيب إلى هذه المبانية الحاصلة بين قوله عمه وقوله ابنة عمه. والظاهر أن تحريف النسخة الثانية كان قصدياً لثلا يقع العيب في نسب موسى وهارون عليهما السلام لأن نكاح العممة حرام في شريعة موسى عليه السلام كما يدل عليه صريح العدد الثاني عشر من الأصحاح الثامن عشر من سفر الخروج وهذا التحريف موجود في الترجمة العربية المطبوعة سنة ألف وستمائة وخمسة وعشرين، والترجمة المطبوعة سنة ألف وثمانمائة وخمسة وتلathin. وقد سبق لهذا الكلام تتمة في مبحث النسخ؛ فراجع

إليه إن أحببت. وجاء في العدد الثالث من الأصحاح التاسع من سفر التكوين من الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٢٥ وسنة ١٦٤٧ هكذا: " وكل ما يتحرك على الأرض وهو حي يكون لكم مأكلولا كخضر العشب" انتهى. وجاءت هذه العبارة في النسخة المطبوعة سنة ألف وثمانمائة وإحدى عشر من الميلاد هكذا: " كل دبيب طاهر حي؛ يكون لكم مأكللا؛ كخضر العشب " انتهى. فزادوا في هذه النسخة لفظ "الطاهر" من جانبهم لثلا يشمل الحيوانات المحرمة في الشريعة الموسوية؛ فإنه ورد في التوراة أنها نجسة. ولذلك حرم على بني إسرائيل أكلها. ولنقتصر على هذه المخالفة ولا أذكر غيرها من الاختلافات هربا من التطويل. وذلك القدر يكفي الليبي، ومن لا يكتفى بذلك فليرجع إلى النسختين المذكورتين، ويجرى المقابلة بينهما أو بين غيرهما يجد من الاختلافات ما لا يقدر أن يحصيه.

إذا علمت هذا ظهر بطلان ما سلكه صاحب "البرهان" في هذه النتيجة، ومن كان مرتابا يزيل ارتيابه برهان الحسن والمشاهدة، فضلا عن ما نقلناه فيما تقدم من إجماع المؤرخين قديما وحديثا على وقوع التحريف في التوراة في كل زمان من الأزمان وهذا عدا ما ورد في ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدِهُ يُؤْمِنُونَ﴾؟

قول القسيس: إن توبيخ القرآن لليهود هو
في التحرير في الألفاظ الدالة على محمد

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل هكذا : " الثالثة: أن القرآن لا يوبخ اليهود على تحريف جميع التوراة، بل على تحريف بعض آيات، هي على حسب اعتقاد المسلمين تشير إلى محمد وصفاته، ولما كانت طائفه اليهود تنكر إشارة تلك الآيات إلى محمد وتحملها على غيره، قيل في حقهم إنهم قد حرروا كلام الله. فعلى ذلك يكون التحرير إنما وقع في بعض آيات من التوراة اتخاذها محمد إشارة إلى نبوته؛ فتكون سائر الآيات التي لم تذكر فيها الإشارات المتقدمة سالمة من التحرير، ولا شك أن تلك الآيات موجودة في التوراة، لم تنقص حرفاً إلى زمننا هذه. وقال البيضاوى في هذا الشأن تفسيراً للآية **﴿يَشْرُونَ الضَّلَالَةَ﴾** يختارونها على الهدى، ويستبدلونها بعد تمكّنهم منه، وحصوله لهم، بإنكار نبوة محمد ﷺ" أقول وبأ الله التوفيق وبه الهدایة إلى أقوم طريق: إن ما ادعاه صاحب البرهان على أهل الإسلام في هذه النتيجة؛ باطل البتة. فإنه لا يوجد في المسلمين -وقاهم الله- من يعتقد أن تحريف التوراة منحصر في الآيات التي تشير إلىبعثة سيدنا وموانا محمد ﷺ بل أجمعـت الأمة الإسلامية على تحريف غالب آيات التوراة لعموم لفظ الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في هذا الشأن. فإن قوله تعالى

﴿يَحِرِّفُونَ الْكِلَمَ مِنْ بَعْدِ مَوْاضِعِهِ﴾ عام لا يختص بآية دون غيرها، وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام من حديث طويل في حق النصارى واليهود: إن كتابهم محرف عام لا يختص بالأيات التي تشير إلى بعثة محمد ﷺ كما لا يخفى على من له أدنى رائحة من العقل. وأما تمثيل بعض المفسرين للتحريف اللغظى بقوله كتبت محمد ﷺ فلا يفيذ انحصر التحريف في ذلك كما توهمه هذا القسيس؛ لأن الكاف للتمثل وليس للاستقصاء كما يشهد لذلك مخالفة القرآن المجيد لغالب مضامين هذه التوراة. وما اشتملت عليه من الأغلاط والاختلافات والعبارات المضحكة التي تلوت عليك بعضاً منها فيما تقدم؛ هو أدلى دليلاً على كثرة وقوع التحريف فيها بالزيادة والنقصان والتغيير والتبدل. فمن هنا وما تقدم تعلم فساد ما سلكه صاحب "البرهان" في هذه النتيجة. ولنقصر على هذا خوف الإطالة. والله ولـى التوفيق. لا رب غيره ولا معبد سواه.

كلام القسيس في التحرير المعنوي واللفظي

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل: "الرابعة - وهي نتيجة النتائج -: ليس المراد بالتحرير التحرير اللفظي فقط، بل يحتمله ويحتمل التحرير المعنوي أيضاً. أى التأويل بدون تبديل الألفاظ أصلاً. لأن الفقهاء وأئمة المفسرين اختلفوا في معنى التحرير. هل هو التحرير اللفظي أو المعنوي؟ وكلا المذهبين مقبول عندهم. لأنه لم يطعن الذي ذهب إلى التحرير اللفظي في الذي ذهب إلى التحرير المعنوي. وبالعكس. بل خيروا بين المذهبين. لأن كل واحد منهم ذكر في تفسيره القولين. هكذا قالوا. وأقول: إن تأملت معانى الآيات التي أوردناها بعين الإنصاف يتحقق لك أن المراد بها التحرير المعنوي لا التحرير اللفظي^(١).

أقول وبالله التوفيق وبه الهدایة إلى أقوم طريق: قد علمت فيما أسلفنا لك أن التحرير اللفظي والتحرير المعنوي؛ كلاماً واقعاً من

(١) إن كلام الله له معنى واحد. وينشأ الاختلاف في الفهم من قلة العلم ومسألة تحرير اليهود للتوراة مسألة خلافية من قلة العلم، وأيضاً من خدع الرواية. والراسخون في العلم المقيم الصلاة لا يرون أن المسألة خلافية لأن النصوص القرآنية واضحة في إثبات التحرير اللفظي والمعنى. فليس الحق بالباطل يدل على التحرير اللفظي ونفيه. حظا ما ذكروا به يدل على التحرير اللفظي. ولو لم تكن عندهم نية التحرير وإعادة الكتابة؛ ما نسوا. ثم إنهم في عصرنا هذا يقولون النص تأويلاً فاسداً. ولا يقدرون على إعادة كتابة النصوص. وجاء عن ذلك: **«يَحَرِّفُونَ الْكَلِمَاتَ عَنْ مُرَاضِعِهِ»** وعلى ما قدمنا لا تكون هذه المسألة خلافية إلا عند الجهلاء والمغرضون.

أهل الكتاب وعليهم مishi آئمة المفسرين. وهذا القسبي قد اعترف بأن كلا المذهبين مقبول عندهم، وما ذكرناه لك أيها المنصف في الأبحاث المتقدمة من النصوص الشرعية والأقوال التاريخية الدالة على وقوع التحرير اللغطي؛ كاف للميز من الصبيان. وتأمل أيها الموفق قوله عليه الصلاة والسلام: "لَمْ تَسْأَلُنَّ أَنْتُمْ مِنْهُمْ" أى من أهل الكتاب مع علمكم بأن كتابهم" محرف وإنك قد عرفت فيما تلى عليك: أن الكتاب لا يوصف بالتحرير المعنوي، وإنما يوصف بالتحرير اللغطي. وحيث كان الأمر كذلك تعين حمل الآيات القرآنية الواردة في هذا الشأن المحتملة للمعنىين المذكورين على التحرير اللغطي كما هو مقتضى قواعد التفسير. وهذا ما عليه السلف والخلف من آئمة المسلمين. وقد اعترف به المحققون من المسيحيين، ونبه عليه جميع المؤرخين من الموافقين والمخالفين. ولا وجه للإنكار بعد المشاهدة والعيان. والله المرشد لاعتقاد الصواب، والتخلى عن شؤم العصبية والارتياح.

قول القسيس إن المراد من
التحريف هو التحريف المعنوي

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل هكذا: "فما يؤيد زيادة تأييد أن المراد بالتحريف المذكور في القرآن هو التحريف المعنوي، لا التحريف اللفظي بالزيادة والنقص، والمراد بالتحريف المعنوي؛ التأويل. أى تفسير الآية على خلاف تفسير المسلمين: ما يذكر في بعض آيات القرآن من أن أهل الكتاب يكتمون الحق، وما يذكر في بعض آيات آخر منه أنهم كانوا يخفون بعض أشياء من الكتاب. وما يوضح لك غاية الإيضاح أن المراد بالتحريف التحريف المعنوي: إثباته في هذه الآيات بالكتم والإخفاء فإنها لا يدلان على أن التحريف المذكور فيها هو التحريف المعنوي لا مطلق التحريف. كما رأينا. وعبر عنه في هذه الآيات بالكتم والإخفاء ليحمل التحريف عليهما لأنهما مرادفين للتحريف المعنوي لا لمطلق التحريف، وإنما ساع له أن يأتي بالكتم في آيات والإخفاء في آيات. والإخفاء لبعض آيات الكتاب لا يستلزم تغيير تلك الآيات وتبدلها بل ينفي هذا القول في الكتاب فمن هذه الآيات قوله في سورة البقرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهَدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَاهُ لِلتَّائِمِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ وقال البيضاوي تفسيراً لهذه الآية: إن الذين يلعنهم الله كأحبكار اليهود ﴿أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ كالآيات الشاهدة على أمر محمد ﷺ (والهَدَى) وما

يُهدي إلى وجوب اتباعه والإيمان به من بعده **(مِنْ بَعْدِ مَا يَتَّبِعُ الْأَنَاسُ فِي الْكِتَابِ)** في التوراة. وقال ابن إسحاق في سبب نزول هذه الآية: سأله معاذ ابن جبل أخو بنى سلمة وسعد بن معاذ أخو بنى عبد الأشهل وخارجية ابن زيد أخو الحارث ابن الخارج نفراً من أخبار اليهود عن بعض ما في التوراة فكتموهم إياه، وأبوا أن يخبروهم عنه؛ فأنزل الله فيهم **(إِنَّ الَّذِينَ يَكُونُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي مِنْ بَعْدِ مَا يَتَّبِعُ الْأَنَاسُ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ)**

والظاهر: أن الآيات التي كان أهل الإسلام يظنونها أنها تشهد لنبوة محمد كانت باقية في التوراة، غير أن اليهود كتموها عنهم، إما بعدم إظهارها وإنكار وجودها في كتابهم، وإما بتأويلهم إياها بغير معتقد المسلمين. ومنها قوله في سورة البقرة أيضاً: **(إِنَّ الَّذِينَ يَكُونُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْرُونَ بِهِ شَيْئاً قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا تَارِ)** ومنها قوله في سورة البقرة أيضاً: **(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَلَئِنْ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكُونُوا حَقَّ وَهُمْ يَلْمُعُونَ)** ومنها قوله في سورة آل عمران: **(يَا أَمْلَأْنَا الْكِتَابَ لَمْ تَبْسُطُنَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَلَكُمْ حَقُّكُمْ وَأَنَّمَا تَعْلَمُونَ)** ومنها قوله في سورة المائدة: **(يَا أَمْلَأْنَا الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يَبْيَنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِنَّا كُنْتُمْ تُخْفِونَ مِنَ الْكِتَابِ)** ومنها قوله في سورة آل عمران: **(وَلَئِنْ مِنْهُمْ)** أي من أهل

الكتاب ﴿لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَسْنَاهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسِبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذَبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ومنها في سورة الأعراف: ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسًا تُدْوِهَا وَمَخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا إِنَّمَا لَا يَأْكُمُ قُلِ اللَّهُ مُمْذَرٌ مِّنْ خَوْضِهِمْ يَلْبَسُونَ﴾ قال البيضاوي في تفسيره لهذه الآية: إن اليهود كانوا يكتبون التوراة في أوراق متفرقة، أي كراريس أبدوا بعضها وأخروا بعضها لا يشهونها. فحاصل المعنى: أنهم كتبوا جميع أجزاء التوراة بتمامها وحفظوها عندهم، وإنما وبخوا على إخفاء بعض أجزاء منها ولو حصل من القرآن شك بصحة التوراة، وكان المراد منه توبيخ اليهود على إفساد كتابهم؛ لبين في هذه الآية لا محالة، ولما نص فيه على إخفاء بعض الأوراق والكراريس فقط. وهذه الآية تشهد بصريح اللفظ بأن التوراة التي كانت في أيام محمد في أيدي اليهود والتي كانت ينسخونها في كراريس هي من الله لا محالة. فمفاد هذه الآيات جميعها: أن آيات التوراة التي ظنها محمد شاهدة لنبوته كانت باقية فيها، وأنه لم يتجرأ أحد على تغييرها أو تبدلها أو زيادة عليها أو نقص منها، وأنهم حرفوها بالتأويل وكتم وإخفاء بعض آيات منها وتلبيس الحق بالباطل. أي تفسيره بالباطل. وبما ليس المقصود منها. وهذا هو التحرير المعنوي الذي يكون بالتأويل والكتم والإخفاء".

أقول وبالله التوفيق وبه الهدایة إلى أقوام طريق: إن هذا القسیس قد أطال الكلام في هذه القضية وأفرط في التطويل المذور والذي يعلم من كلامه هذا عدم النزاع في وقوع التحریف المعنوي، وإنما النزاع في التحریف اللغوی بالتغيير والتبدیل والزيادة والنقسان. ولقد ثبت فيما قدمناه لك: أن التحریف بسائر أنواعه قد وقع من أخبار اليهود في جميع أجزاء التوراة فكتموا بعضها وأخفوا بعضها وأوتوا بما يشتهون بعضها، وحرقوا بعضها ومزقوا بعضها وحرفوها بعضها تحریفاً معنویاً والبعض الآخر تحریفاً لغویاً بأنواعه الثلاثة. وهذا لا سبیل إلى إنکاره بعد ثبوت وقوعه فيها بالحس والمشاهدة. وماذا يقول هذا القسیس في ذلك بعد اعتراف المحققین من مفسریهم ومؤرخیهم في وقوع التحریف اللغوی في غالب أصحاحات التوراة وعباراتهم في هذا المقام طولیة الذیل لا يجعلها المعنیون بالاطلاع على ما تكشفه الأفکار من غرائب الفوائد وقت سیاحتها العلمیة ويكفى من ذلك ما أسلفناه لك أيها الليب صدر الكتاب فرارا من التطويل المذور في هذا المختصر؛ لكنني أذكر لك لزيادة الإيضاح عن صاحب إظهار الحق قوله واحدا نقله عن علماء كاتلک فى الشاهد التاسع عشر من المقصد الثالث في إثبات التحریف بالنقسان. وهو هکذا: "إن اليهود ضیعوا كتابا كثیرة من كتب الأنبياء قصدا لعناد الدين المسيحي" انتهى ملخصا. ثم قال: "وقد ألف بمفرد کاتلک كتابا سماه بسؤالات السؤال. وطبع هذا الكتاب في مدينة لندن سنة ألف وثمانمائة وثلاث وأربعون من الميلاد.

فقال في السؤال الثاني هكذا: "الكتب التي كان فيها هذا يعني ما نقله متى الإنجيلي من أن المسيح سيدعى ناصرياً انمحط لأن كتب الأنبياء الموجودة الآن لا يوجد في أحد منها أن عيسى يدعى ناصرياً. قال كريزاستم في تفسيره التاسع على متى: "انمحى كثير من كتب الأنبياء لأن اليهود ضيعوا كتاباً لا لأجل غفلتهم، بل لأجل عدم دياناتهم ومزقوا بعضها وأحرقوا بعضها" انتهى قول كريزاستم. قال مفرد: "وهذا هو الأغلب جداً أنهم مزقوا الكتب وحرقوها لأنهم لما رأوا أن الحواريين يتمسكون بهذه الكتب في إثبات مسائل الملة المسيحية فعلوا هذا الأمر. ويعلم هذا من إعدامهم كتاباً نقل عنها متى. انظروا إلى جستن يقول في المناظرة لطريفون: "اليهود أخرجوا كتاباً كثيرة من العهد العتيق ليظهر أن العهد الجديد ليس له موافقة تامة بالعهد العتيق. ويعلم من هذا: أن الكتب الكثيرة انمحط" انتهى كلام مفرد.

قال الشيخ رحمة الله: "ويظهر منه أمران: الأول: أن اليهود مزقوا بعض الكتب وأحرقوا البعض لأجل عدم دياناتهم. والثاني: التحريف كان سهلاً في سالف الأزمان. ألا ترى كيف انمحط هذه الكتب بإعدامهم عن صفحة العالم". قال: "وإذا عرفت ديانة أهل الكتاب بالنسبة إلى الكتب الإلهية وعرفت سهولة وقوع التحريف في الزمان السالف فأى استبعاد عقلى أو نقلى لو قلنا إنهم فعلوا مثله بالكتب أو بالعبارات التي كانت تشهد صراحة لنبوة محمد ﷺ؟"

قلت: ومن يطلع على أصحاحات سفر أخبار الأيام الأول والثاني وأسفار الملوك من كتبهم المقدسة يقف على حال ديانة بنى إسرائيل وقبائحهم التي أجروها في سالف الأزمان بالنسبة إلى التوراة وأحكامها، وإذا كان حالهم في تلك الأيام كما ذكر هناك، فكيف يكون حالهم مع التوراة فيما بعدها؟ ولعمري إن داءهم هذا لفي ازدياد في كل زمان بعده زمان، حتى سرى ذلك الداء في أعضاء علماء المسيحيين. غير أن هذا الداء في علماء ملة بروتستانت أشد، لا يرجى شفاؤهم منه، كما قد عرفت ذلك فيما تقدم بما لا مزيد عليه. وما أطربنى من قوله عن شأنه في معرض التحرير **«ولَا تَرَأَلْ تَلْمِعُ عَلَىٰ خَاتَمَتِهِمْ»** أى من أهل الكتاب **«إِلَّا قَلِيلًا كَمِتْهُمْ»** أى لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم . فهذا البحث مع ما أسلفته فيما تقدم يكفى البالغ حد التمييز في إثبات وقوع التحرير اللفظي في التوراة. والآيات القرآنية التي ذكرها هذا القسيس هنا ليستدل بها على أن المراد بالتحرير المذكور في آيات القرآن إنما هو التحرير المعنوي لا التحرير اللفظي؛ فليس بشئ بل هو غلط منه أو تغليط منشأه شدة التعصب وعدم الإنصاف.

فإن الآيات الواردة في كتم اليهود كلام الله وإخفائه لا يتعين حملها على التحرير المعنوي، كما زعم، وإنما هي تحتمل المعنيين المذكورين -أعني التحرير المعنوي والتحرير اللفظي- إذ من المعلوم للمتبحر في العلوم بل لا يخفى على من له أدنى إطلاع على كتب اللغة أن الكتم والإخفاء في لغة العرب هو ترك إظهار الشئ

قصدا مع مسيس الحاجة إليه، وتحقق الداعى إلى إظهاره، لأنه متى لم يكن كذلك لا يعذر من الكتم والإخفاء وذلك قد يكون بمجرد ستره وإخفائه، وقد يكون بازالته عن موضعه بالكلية أو وضع شئ آخر موضعه. وهذا هو التحريف اللغوى بعينه. وحيث تبين لك أيها العاقل الليبب ورود آيات قرآنية وأحاديث نبوية تدل صراحة على وقوع التحريف اللغوى؛ تعين حمل هذه الآيات عليه لا محالة، كما هو قواعد التفسير. وبرهان الحس والمشاهدة يؤكّد ذلك. وعليه جرى أكثر المفسرين في تفسيرهم لأيات الكتم والإخفاء. ففى الجلايين تفسيرا للآلية الأولى التي نقلها من سورة البقرة ما لفظه: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسُبُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهَدَى﴾** كآية الرجم ونعت محمد ﷺ **﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَنْزَلْنَا لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾** أى التوراة **﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾** أى يبعدهم من رحمته **﴿وَيَلْعَنُهُمُ الْلَّاعِنُونَ﴾** الملائكة والمؤمنون، أو كل شئ بالدعاء عليهم باللعنة **﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾** رجعوا عن ذلك وأصلحوا علهم وبينوا ما كتموا **﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾** بالمؤمنين. وقال أبو السعود فى تفسيره: المراد من قوله تعالى: **﴿وَيَلْعَنُهُمُ الْلَّاعِنُونَ﴾** بيان دوام اللعن واستمراره، وعليه يدور الاستثناء المتصل فى قوله تعالى **﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾** أى عن الكتمان **﴿وَأَصْلَحُوا﴾** أى ما أفسدوه بأن أزالوا الكلام المحرف وكتبوا مكانه ما كانوا أزالوه عند التحريف. فانظر أيها الموفق إلى هذه

الأقوال فإنها تفيد بصریح اللفظ أن المراد بالکتم ها هنا التحریف اللغظی. وهو الحق بدلیل: ذکر الإصلاح والتبيین. وكذلك فسرها غيرهم من محقق المفسرين. وأما الکتم في الآية الثانية. فقد فسره صاحب الجللين وغيره من المحققين بما فسروا به الآية الأولى و قالوا في تفسیر الآية الثالثة الى أوردها القسیس وهي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ هم علماء اليهود والنصاری ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ أي محمدًا ﷺ بأوصافه ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ فإنهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم. روى عن عمر العطیة أنه سأله عبد الله ابن سلام ﷺ عن رسول الله ﷺ فقال: أنا أعلم به مني بابنی قال ولم قال؟ لأنی لست أشك في محمد أنه نبی. فاما ولدی فعل ووالدته كذلك خانت . فقبل رأسه ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ﴾ أي من أهل الكتاب وهم علماؤهم ﴿لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ نعت محمد ﷺ وغيره ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي أنهم كاتمون وتنکر ما تلوناه عليك في تفسیر الآية الأولى.

قال صاحب الجللين في تفسیر الآية الرابعة التي ذكرها القسیس من سورة آل عمران: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ أي من اليهود والنصاری ﴿لَمْ تُبَلِّسُونَ﴾ أي تخلطون ﴿الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ أي بالتحریف والتزویر ﴿وَلَكُمْنَ الْحَقَّ﴾ أي نعت النبي ﷺ وغيره ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه حق. وفي تفسیر البيضاوی: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تُبَلِّسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ بالتحریف وإيراز الباطل

في صورته (وَتَكُنُونَ الْحَقَّ) نبوة محمد ﷺ (وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) عالمين بما تكتمونه. وفي تفسير النسفى: ولبس الحق بالباطل خلطه والباء فى قوله بالباطل إن كانت صلة متنها فى قوله لبست الشئ بالشئ خلطته به؛ كان المعنى ولم تكتبون فى التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزلى بالباطل الذى كتمتوه حتى لا يميز بين صحيحها وباطلها؟ وإن كانت باء الاستعانة كالتي فى قوله كتب بالقلم؛ كان المعنى لم يجعلون الحق ملتبسا مشتبها بباطلهم الذى تكتبونه بأيديكم وتكتمون الحق وأنتم تعلمون أنكم لا بسون وكاتبون؟ ولعمرى أن اللبس والخلط الواقع فى التوراة والإنجيل لا يخفى على المميز من الصبيان بل لا يخفى على من له أدنى درجة من العقل وذرة من الذوق.

وأما تفسير قوله تعالى فى سورة الأنعام: «إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرًِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ فُرَّا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسٌ تُبَدِّلُونَهَا وَتَخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ تَأَلَّمَ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آباؤُكُمْ قُلِ اللَّهُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ» ففى الجاللين (تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسٌ) أى تكتبونه فى دفاتر مقطعة (تُبَدِّلُونَهَا) أى ما تحبون إبداعه منها ومما (وَتَخْفُونَ كَثِيرًا) فيها كنعت محمد ﷺ (وَعَلِمْتُمْ) أيها اليهود فى القرآن (مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آباؤُكُمْ) من التوراة ببيان ما اختلفتم فيه (قُلِ اللَّهُمَّ) أى الله أنزله. إن لم يقولوه. لا جواب غيره (ثُمَّ ذَرْهُمْ) أى اتركهم فى (خَوْضِهِمْ) أى أباطيلهم (يَلْعَبُونَ) وفي حاشية

الجمل على الجلالين ما لفظه: "إِنَّمَا جَعَلُوا التُّورَةَ فِي كَرَارِيسْ مُفْرَقةً
لِيُتَمْكِنُوا مِنْ إِخْفَاءِ مَا أَرَادُوا إِخْفَاءً بِخَلْفِ مَا لَوْ جَعَلُوا الْكُلُّ فِي مَجْدِ
وَاحِدٍ، كَالْمَصْحَفِ". فَرَبِّمَا اطَّلَعَ غَيْرُهُمْ عَلَى جَمِيعِ مَا فِيهَا" انتهى. قَلْتَ:
وَعِبَارَةُ الْبَيْضَاوِيِّ الَّتِي نَكَرَهَا هَذَا الْقَسِيسُ صَاحِبُ الْبَرْهَانِ فِي ذِيلِ
هَذِهِ الْآيَةِ لَيْسَتْ هِيَ كَمَا نَكَرُهَا، وَإِنَّمَا هِيَ فِي سَائِرِ النُّسُخِ هَكَذَا:
وَتَضَمِنُ ذَلِكَ، أَىْ قَوْلِهِ **«قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ»** إِلَخْ تَوْبِيَخُهُمْ عَلَى سَوءِ
جَهَلِهِمْ بِالْتُّورَةِ، وَذَمِّهِمْ عَلَى تَجْزِئَتِهَا بِأَيْدِيهِمْ بَعْضُ مَا انتَخَبُوهُ وَكَتَبُوهُ
فِي وَرَقَاتٍ مُتَفَرِّقةٍ وَإِخْفَاءٍ بَعْضٍ لَا يَشْتَهِونَهُ"

قلت: وهذه العبارة تقتضى بصرىح اللفظ أن البعض الذى يخونه هو الذى لم يجعلوه فى القرطاسى، وعليها يكون قول المفسر صاحب الجاللين. مما فيها معناه مما فى التوراة. وذلك الكثير هو الذى لم يكتبوا فى القرطاسى. فما أحبوا إظهاره كتبوا وما لم يحبوا إظهاره لم يكتبوا ولم ينقوله منها. كذا فى حاشية الجمل على الجاللين. وعليه تكون هذه الآية نص صريح فى إثبات التحرير بالنقسان، والآيات التى قبلها تدل على إثبات التحرير والتغيير والتبدل، عدا قوله تعالى فى سورة آل عمران: **(وَإِنَّ مِنْهُمْ أَيُّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَفَرِيقًا يَلْوَزُهُنَّ أَسْنَهُمْ** بالكتاب لتجسيده من الكتاب وما هؤلء من الكتاب **وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ** ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) فإن ظاهر هذه الآية الشريفة يدل على التحرير بالمعنى. والذى تدل على إثبات التحرير بالزيادة قوله تعالى

في حق أهل الكتاب: **(فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكُتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
لَيَشْرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُمْ مَمَّا كَبَّتُ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مَمَّا يَكْسِبُونَ)** فظاهر هذه الآية
يدل على التحريف، بالإضافة إلى أن كلام المفسرين يفيد أنها عامة في
التحريف والأكثر على أنها واردة في التغيير والتبدل. والحاصل أن
قبائح أهل الكتاب تتواترت بالنسبة إلى كلام الله تعالى فأخذوا بعضه
وكتموا بعضه وزادوا في بعضه ونقصوا من بعضه وحرفوا بعضه
تحريفاً معنوياً والبعض الآخر تحريفاً لفظياً بالتغيير والتبدل. وبرهان
الحس والمشاهدة يؤكد ذلك. ومن اطلع على كتبهم المقدسة لا يخفى
عليه هذا الأمر البديهي، ويعلم أن ما ادعاه صاحب البرهان غلط منه
وافتراه محض لا يلتفت إليه **(وَمَنْ أَحْلَمُ مِنْ اقْرَئِي عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ
لَا يَنْلِعُ الظَّالِمُونَ)**

الأيات القرآنية التي نزلت في تحريف التوراة
قد نزلت في المدينة المنورة ولم تنزل في مكة

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل " ثم مما يستحق الاعتبار في هذا الم محل أن تحريف أهل الكتاب كتابهم ليس له ذكر في آية من الآيات المكية، بل يذكر فيها التوراة والإنجيل بغاية التعظيم والتوقير، ككونهما كتابين منزلين من عند الله، وأن القرآن أنزل مصدقاً لهما. والسبب في ذلك: أن محمداً كان في بداية أمره يرجو إمالة اليهود والنصارى إليه ويشوّقهم إلى قبول نبوته قائلاً: إن اسمه وصفاته موجودة في كتابهم. ولما قرر لهم ذلك انضم إليه بعض منهم؛ فأسلم. وأكَّد ذلك.

وأما أكثرهم فامتنع من تصديق نبوته وأنكر وجود ذكره في الكتابين. فلما انقطع أمره من دخول اليهود والنصارى في دينه؛ أخذ يلومهم على تحريف كلام الله. أى أنهم مع وجود ذكره في كتابهم، ومع أنهم يعرفونه بسبب هذه الدلائل كما يعرفون أبنائهم؛ لم يقبلوه مُؤْلِين تلك الآيات الشاهدة له تأويلاً مغايراً لمعناها الحقيقى. فإذا ثبت أن محمداً سلم بصحبة التوراة والإنجيل كامل مدة إقامته في مكة، كما يظهر من سور المكية. أفنقول إنه كذب نفسه لما انتقل إلى المدينة وأنكر في المدينة ما أثبته في مكة؟ والخلاصة: إن الآيات القليلة الواردة في سور المدنية هي التي يذكر فيها تحريف أهل الكتاب لبعض ما في كتابهم. فليس المقصود منه التحريف اللفظي، بل

كما أوضحتنا آنفاً. فخلاصة ما تقدم: أن القرآن لم يقع فيه شك بصحة التوراة والإنجيل أصلاً فضلاً عن أن يشهد بتبديل وتحريف وقعاً فيهما"

أقول الله در من قال:

إذا عجز الغبي؛ أتى السفاهة

فإن هذا القيس لما استضعف أدلته التي أوردها على عدم تحريف التوراة والإنجيل؛ أخذ يطعن في الحضرة النبوية بما لا يليق بحضره جنابه الشريف ومقامه المنيف. لكن مثل هذا لا يعول على ما يقوله لشدة حماقته وجهله وفرط تعصبه بل وكفره. فكلام مثل هذا لا يوجب نقصاً في مقامه الرفيع. وهذه عادة الله سبحانه في أنبيائه وأوصيائيه. كما ورد في كتابه العزيز: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ يُوحِي بِعَضُّهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غَرُورًا﴾ فما أرسل من نبى إلا وجعل له أعداء من المجرمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة. ولقد أتى اليهود أهل الكفر والجحود بما هو أعظم من هذا فنسبوا إلى سيدنا ومولانا المسيح عليه السلام وإلى أمه العذراء البطل ما هو أشد في المقال وأعظم في البهتان، ولا ضرر عليهم في ذلك وما أطربنى من قول من قال:

ما ضر شمس الضحى في الأفق طالعة

أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

وكفى بجهنم جزاءً وافياً لمن كفر برسول الله الطاهارين، المؤيدين بالمعجزات الباهرات والآيات البينات. ولو لا أن القصد من هذه الرسالة تبيين غلط هذا القسيس لبني جلتته لاكتفيت بالضحك من كلامه عن الجواب، لكنى جمعت بين الضحك والاعتناء على ضد ما استحسنته الأفكار.

فأقول: أما الجواب عن قوله إن تحريف أهل الكتاب كتابهم ليس له ذكر في الآيات المكية... إلخ فهو ما سبقتى عليك. أعلم: أن الآيات المكية هي ما نزلت على النبي ﷺ قبل هجرته إلى المدينة، والآيات المدنية هي ما نزلت عليه بعدها، وحيث من المعلوم أن مكة المشرفة لم تكن مسكنًا لأهل الكتاب، وإنما كانت مسكنًا لمشركي العرب الذين كانوا على رسوم فاسدة؛ نزلت الآية المكية للرد عليهم وإزاحة شبههم الداحضة، مع قيام الحجة عليهم، وتقرير دلائل التوحيد والنبوة بأبلغ عبارة وأوضح بيان، ولم يكن فيها ذكر قبائح أهل الكتاب التي تنوّعت بالنسبة إلى تحريفهم كلام الله تعالى وقتلهم الأنبياء بغير حق وغلوطهم في السيد المسيح وأمه العذراء البتول؛ لما عرفت أنهم لم يكونوا من سكان مكة المشرفة، وإنما كانوا من سكان المدينة المنورة.

ولا يخفى أن آيات القرآن المجيد كانت تنزل نجوماً بحسب الواقع والأحوال. ولما أمر الله ﷺ نبيه الأكرم ورسوله الأفخم بالهجرة من مكة المشرفة إلى المدينة المنورة اجتمع ﷺ مع أهل الكتاب بلغتهم رسالته ودعاهم إلى الإيمان به وبشريعته الغراء؛ فأمن بعضهم وهو

أجلهم علما وأعظمهم قدرأً. كعبد الله ابن سلام، وتبعه على ذلك جماعة من أكابر أخبارهم وأعز أمرائهم. ولم يكن إسلامهم عن رغبة في شيء من حطام الدنيا الفاني، بل رغبة منهم في الآخرة الدائم نعيمها عن بصر وبصيرة ومعرفة تامة بعلامات النبوة التي كانوا يعلمونها. وما كفر به إلا أجهلهم عناداً أو حسداً منه أو طمعاً ورغبة في رياستهم وإمارتهم التي كانوا عليها. وهؤلاء الذين عمدوا إلى اسمه الشريف فحذفوه من التوراة وجاؤوا إلى صفاتيه الشريفة فحرفوها بعضها تحريفاً لفظياً كعادة أسلافهم المستحسنة عندهم. فنزلت الآيات المدنية توبخهم على هذا الفعل الشنيع وتذمهم على هذا الداء الموروث عن أسلافهم. قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَئِنُّ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ أي من أسلافهم ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرُفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الواردة في ذم اليهود أهل الكفر والجحود. فلو نزلت تلك الآيات الكريمة بمكة المشرفة لم يكن في إنزالها كبير فائدة^(١) لما

(١) كان يجب على المؤلف سرحه الله - أن يجيب بقوله: إن القرآن المكي والقرآن المدنى. ليس من دليل قوى من القرآن على التفرقة بينهما. حتى نقول بالمعنى والمدنى. والتفرقة بينهما من روایات غير موثقة. ويدل ذلك على ذلك: قراءة كتب التفاسير فإنها غير متفقة على المكي والمدنى، وغير متفقة أيضاً على عدد بعض آيات السور.

١- فسورة الأنفال قيل مدنية إلا سبع آيات منها نزلت بمكة. والأصح أنها نزلت بالمدينة. هكذا في الخازن والبغوى.

٢- وسورة الرعد قيل إنها مكية، وقيل إنها مدنية. والقولان مرويان عن واحد هما ابن عباس. هكذا في الخازن.

عرفت أن مكة المشرفة لم تكن مسكنًا لأهل الكتاب، الصادر منهم تلك القبائح، بل كانوا من سكان المدينة المنورة. ولهذا كان بالأيات المدنية توبیخهم مع ذم النصارى وبيان غلطهم في حق السيد المسيح وأمه العذراء البتول، وأنه رسول الله إلى بنى إسرائيل وأنهم ما قتلواه وما صلبوه بل رفعه الله إليه طاهراً مطهراً من كل دنس وسوء، مع تقرير دلائل نبوة نبينا ﷺ وأن اسمه وصفاته موجودة في التوراة والإنجيل، وأنهم بسبب تلك الدلائل يعرفون أبنائهم بل معرفتهم به أشد. وأن من يبتغ غير دين الإسلام ديناً؛ فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين. إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة. وكلها مدنية نزلت بعد اجتماعه ﷺ بأهل الكتاب.

فما سلكه صاحب البرهان في مقالته هذه؛ غلط منه من شأه التعصب من سوء الاعتقاد. وأما قوله: "إذا ثبت أن محمدًا ﷺ سلم بصحة التوراة والإنجيل كامل مدة إقامته بمكة كما يظهر من السور المكية. فنقول أنه كذب نفسه لما انتقل إلى المدينة وأنكر في المدينة ما ثبته بمكة؟" فلا يخفى ما فيه من الغلط وسوء الأدب مع الصادق الأمين. لكن مثل هذا لا يعول على ما يقوله - كما عرفت - وما رأينا آية من الآيات المكية ولا آية من الآيات المدنية يفهم منها ذم التوراة والإنجيل والنبي ﷺ مازال مدة إقامته بمكة المشرفة ولم يزل مدة إقامته بالمدينة المنورة يسلم بصحة نزول التوراة والإنجيل على موسى

٣ - وسورة الإسراء هي مكية في قول الجماعة. إلا أن بعضهم يقول فيها مدنية.

وعيسى -عليهما السلام- وأنهما كتابان كريمان جليلان نزلان من عند الله نوراً وهدى للناس، غير أنه ما شهد لهما بالحفظ من وقوع التغيير والتبدل فيما بل صرحاً بوقوعه في مواضع متعددة. فوبخ أهلهما على إحداث ذلك فيما وناقضهم بل كذبهم فيما دسواه فيما من نسبة الكذب والخيانة والكفر والزنا إلى أنبياء الله الكرام ورسله الفخام، ونفهم على خلطهم الحق بالباطل وكتمانهم الحق وهو يعلمون.

فالتوبيخ والذم واردان في القرآن المجيد إنما وقع على أهلهما المحرفين لهم لا عليهم. كما فهم القسيس حتى نسب للنبي ﷺ ما لا يليق بجنبه الرفيع ومقامه المنيف. ولقد ذكرني هذا ما تكرر التصريح به من علماء المسيحيين سيمافرقة بروتستنت وإنجيلهم في ذمة التوراة وموسى وسائر أنبياء إسرائيل عليهم السلام.

وأنا أنقل لك هنا بعض أقوالهم في ذلك ولا أخشى من التطويل اليسير فأقول: قال وارد كاتلوك في الصفحة الثانية والثلاثين من كتابه المطبوع سنة ألف وثمانمائة وإحدى وأربعين ميلادية هكذا: "قال لوطر في الصفحة الأربعين وإحدى وأربعين من المجلد الثالث من كتابه: "لا نسمع من موسى ولا ننظر إليه؛ لأنَّه كان لليهود فقط ولا علاقة له بما في شيء ما" وقال في كتاب آخر: "نحن لا نسلم موسى ولا توراته لأنَّه عدو عيسى" ثم قال: "إنه أستاذ الجنادين" ثم قال: "لا علاقة للأحكام العشرة بالمسحيين" ثم قال "لنخرج هذه الأحكام العشرة لنقول كل بدعة حينئذ لأنها منابع البدعات بأسرها" وقال استلني بيس تلميذه:

"هذه الأحكام العشرة لا تعلم في الكنائس" وخرجت فرقة انتى نوميس من هذا الشخص وكانت عقيدتهم أن التوراة ليس بلائق أن يعتقد أنها كلام الله، وكانوا يقولون إن أحداً لو كان زانياً أو فاجراً أو مرتكباً ذنوباً أخرى؛ فهو في سبيل النجاة البتة وإن غرق في العصيان بل في قعرها وهو يؤمن فهو في سرور الذين يصرفون أنفسهم في هذه الأحكام العشرة. فعلاقتهم بالشيطان صلب هؤلاء بموسى" انتهى.

قلت يلزم من هذه الأقوال المنقوله عن إمام فرقه بروتسست وתלמידه الرشيد؛ كذب موسى وتوراته عند هذه الفرقة. فإن إمامهم صرّح بأنه لا علاقة لهم بموسى في شيء ولا يسمعون منه ولا ينظرون إليه ولا يسلمون توراته؛ لأنّه كان لليهود فقط، وعدواً ليعسى وأستاذ الجلادين، وأنه لا علاقة لهم بالأحكام العشرة، ويلزم إخراجها من التعاليم المسيحية لنزول كل بدعة لأنها منابع سائر البدع. وصرّح تلميذه الرشيد بأن من يعرف نفسه بأحكام التوراة العشرة يكون علاقته بالشيطان ومصلوب بموسى. فعلى هذا يلزم أن يكون تكذيب موسى الظاهر وعبادة الأوّثان وعدم تعظيم الأبوين وإيذاء الجار والسرقة والزنا والقتل وشهادة الزور من أعظم أركان ملة بروتسست؛ لأن جميع هذه الأمور على خلاف أحكام التوراة العشرة التي هي منابع سائر البدعات عندهم. قال الشيخ رحمة الله: قال لي البعض من هذه الفرقة أيضاً: إن موسى عندنا ما كاننبياً، بل كان عاقلاً مدوناً للقوانين. ثم قال: وقال لي البعض الآخر من هذه الفرقة أيضاً: إن موسى عندنا كان سارقاً

لصا. قال: فقلت له: اتق الله تعالى. قال: لم؟ وأن عيسى قال: "جميع الذين أتوا قبلى هم سراق ولصوص، ولكن الخراف لم تسمع لهم" كما صرخ بذلك يوحنا الإنجيلي في العدد الثامن من الأصحاح العاشر من إنجيله. قال: فأشار بقوله: "جميع الذين أتوا قبلى" إلى موسى وغيره من أنبياء بنى إسرائيل".

قلت: والظاهر أن هذا القول هو الدليل لإمام فرقـة بروتستـت وـتلميـذه في ذـم مـوسى وـتورـاته. ولـقد جـاء مـثلـه في هـذا الإـنجـيل كـثـيرـ. فـفي العـدـد الـحـادـي وـالـعـشـرـين من الأـصـحـاحـ الثـانـيـ من رسـالـة بـولـسـ إـلـىـ أـهـلـ غـلاـطـيـهـ هـكـذـاـ: "إـنـ كـانـتـ العـدـالـةـ بـالـنـامـوـسـ؛ فـقـدـ مـاتـ المـسـيـحـ عـبـثـاـ"ـ اـنـتـهـىـ. وـالـمـرـادـ بـالـنـامـوـسـ: تـورـاةـ مـوسـىـ وـمـاـ بـعـدـهـ مـنـ كـتـبـ الـأـنـبـيـاءــ عـلـيـهـمـ السـلـامــ. قـالـ دـاـكـتـرـ هـمـنـدـ فـيـ شـرـحـ هـذـاـ المـقـامـ هـكـذـاـ: "لـاـ أـسـتـعـمـلـ هـذـاـ عـتـيقـ لـأـجـلـ ذـلـكـ وـلـاـ أـعـتـدـ فـيـ النـجـاهـ عـلـىـ شـرـيعـةـ مـوسـىـ وـلـاـ أـفـهـمـ أـنـ حـكـامـ مـوسـىـ ضـرـورـيـةـ لـأـنـهـ يـجـعـلـ المـسـيـحـ كـأـنـهـ بـلـاـ فـائـدـةـ"ـ اـنـتـهـىـ. وـجـاءـ فـيـ الـأـصـحـاحـ الثـالـثـ مـنـ رسـالـةـ بـولـسـ الـمـذـكـورـةـ هـكـذـاـ: "جـمـيعـ ذـوـىـ أـعـمـالـ الشـرـيعـةـ مـلـعـونـونـ. لـاـ يـتـزـكـىـ أـحـدـ عـنـدـ اللـهـ بـالـنـامـوـسـ؛ فـإـنـ النـامـوـسـ لـاـ يـتـعـلـقـ بـالـإـيمـانـ وـأـنـ المـسـيـحـ اـفـدـانـاـ مـنـ لـعـنـةـ النـامـوـسـ؛ إـذـ صـارـ لـعـنـةـ لـأـجـلـنـاـ"ـ اـنـتـهـىـ مـلـخـصـاـ. وـقـدـ صـرـحـ فـيـ هـذـاـ الـأـصـحـاحـ الـمـذـكـورـ بـأـنـ لـاـ طـاعـةـ لـأـحـكـامـ التـورـاةـ بـعـدـ الـإـيمـانـ بـعـيـسـىـ عـلـيـهـ السـلـامـ وـقـالـ فـيـ العـدـدـ الـخـامـسـ عـشـرـ مـنـ الـأـصـحـاحـ الثـانـيـ مـنـ رسـالـتـهـ إـلـىـ أـهـلـ أـفـسـسـ هـكـذـاـ: "وـنـقـضـ حـائـطـ السـيـاجـ. أـيـ العـداـوةـ. مـبـطـلـاـ بـجـسـدـهـ نـامـوـسـ الـوـصـاـيـاـ فـيـ فـرـائـضـ"ـ اـنـتـهـىـ.

فإنظر أيها الليب إلى قدس المسيحين بولس. كيف أطلق على التوراة لفظ العداوة وأنها بطلت بمجيء جسد المسيح عليه السلام. وقال في العدد الثامن عشر من الأصحاح السابع من رسالته إلى العبرانيين هكذا: "فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها. إذ الناموس لم يكمل شيئاً" فهذه العبارة تدل بصرىح اللفظ أنه يلزم إبطال التوراة لأجل ضعفها وعدم نفعها وأنها لم تكمل شيئاً. وقال في العدد السابع من الأصحاح الثامن من رسالته العبرانية هكذا: "فإنه لو كان ذلك الأول يعني التوراة - بلا عيب؛ لما طلب موضع لثان يعني الإنجيل. ثم قال في العدد الثالث عشر من نفس الأصحاح: "فإذا قال جديداً عَنِّي الأول، وأما ما عَنِّي وشاخ؛ فهو قريب من الأض محلل" كذا في النسخة المطبوعة سنة ألف وثمانية وأربعين هكذا: "فلو كان العهد الأول غير معترض عليه؛ لم يوجد للثاني موضع" ثم قال: "فبقوله عهداً جديداً صَيَّرَ الأول عتيقاً. والشيء العتيق والبالي؛ قريب من الفناء" انتهى.

فهذه الأقوال جميعها صريحة اللفظ في الدلاله على ذم التوراة وموسى أيضاً بل وجميع أنبياء بنى إسرائيل. وأي ذم أيها العاقل الليب أعظم من قول لوطر إمام فرقه بروتستنت وتلميذه أن موسى كان عدواً ليعسى، وأنه كان إمام الجلادين، وإن أحكام التوراة العشرة يلزم إخراجها من تعاليمهم لتزول كل بدعة؛ لأنها منبع سائر البدع، وأن من يصرف نفسه في أحكامها العشرة فعلاقته في الشيطان، ومصلوب بموسى. وأنه لا يليق بالعقل أن يعتقد بالتوراة أنها كلام الله. وأي قول في ذم موسى وأنبياء بنى إسرائيل أشد من قول الإنجيل إن جميع الأنبياء الذين أتوا قبل المسيح هم سراق ولصوص. وأي ذم للتوراة أشد من قول بولس قدس المسيحين: لو

كان بالتوراة عدالة؛ لكان المسيح مات عبئاً، وإنه لا يعتمد عليها في النجاة، وإن جميع من يعمل بها ملعون لا يتزكي بها عند الله أحد؛ لأنها لا علاقة لها بالإيمان، وإنها عداوة بطلت بجسد المسيح، وإنها ضعيفة عديمة النفع ولم تكمل شيئاً، وإنها قريبة من الفناء والاضمحلال، وإنها لو لم يكن بها عيب لم يوجد للإنجيل موضع. فالعجب كل العجب من هذا القسيس صاحب البرهان كيف ينسب لحضررة النبي ﷺ ما هو واقع من إنجيلهم وأشهر علمائهم، لكن هذا لا يستغرب على ملة بروتستانت. فإن عادتهم ذلك، والحاصل: أن ذم التوراة إنما وقع من إنجيل النصارى ومقدساتهم وعلمائهم المعتبرين. وما وقع من القرآن المجيد شيء من ذلك. والذم والتوجيه الواردان فيه إنما وقعا على أهل التوراة والإنجيل المحرفين لهما لا عليهم.

شبهة إقامة التوراة والإنجيل

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل: "وفضلاً عن عدم وجود إشارة في القرآن إلى تغيير وتبدل التوراة والإنجيل؛ تراه يذكرهما بغاية الوقار والتعظيم على أسلوب لا يظهر أدنى شك من جهتهما فتراه دائمًا يحرض اليهود والنصارى على أن يقيموا^(١) التوراة والإنجيل. يعني يعملوا بأحكامهما ولو كانوا مغيرين أو مبدلین؛ لما أمر باتباعهما. كيف؟ وأن القرآن يطلب منهم أن يقيموهما ويعملوا بما فيهما. ولو كان فيهما تغيير أو تبدل لأمرهم أو لا بإصلاح ما أفسدوه وتصحیح ما غيروه وبدلواه. وبعد ذلك يحثّهم على العمل به. فمن الآيات المشار إليها: قوله في سورة الأنبياء: (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) وفي سورة يونس: (فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍ مَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَرْقَوْنَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ) وفي سورة المائدة: (وَلَيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ

(١) في الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية: "يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلًا لا أعود اسمع صوت الرب الهي ولا أرى هذه النار العظيمة أيضًا لئلا أموت قال لي الرب قد أحسنوا فيما نكلموا أقيم لهمنبيا من وسط إخوتهم مثلك و اجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاما لم أوصه ان يتكلم به أو الذي يتكلم باسم الله آخر فيموت ذلك النبي وإن قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه"

يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ》 وقوله في المائدة أيضاً: «يَا أَمْلَأُ الْكِتَابِ لَسْمُ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقْسِمُوا التُّورَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رِبِّكُمْ» وقوله في سورة القصص: «قُلْ فَاتُوا بِكِتَابَ مَنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا» أي من التوراة والقرآن «أَتَبِعْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فهذه الآية تعظم التوراة كالقرآن على حد سواء، من دون تمييز بينهما. أي تفضيل أحد هما على الآخر. وقوله في سورة الأنعام: «ثُمَّ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَخْسَنَ وَنَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً» - «إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ» (أي اليهود والنصارى) «مِنْ قِبْلَتَا وَكَانَ كُلُّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ»

أقول وبالله التوفيق وبه الهدایة إلى أقوم طريق: إن من راجع ما تقدم من الأبحاث واطلع على الآيات القرآنية المصرحة بوقوع التغيير والتبدل في التوراة والإنجيل؛ علم بالبداوة واليقين أن دعوى القسيس هنا بعدم وجود إشارة في القرآن المجيد إلى تغيير وتبدل التوراة والإنجيل؛ غلط منه ودعوى باطلة، بل عاطلة قطعاً. والآيات التي أوردها هنا ليستدل بها على صحة دعواه في غير محلها ولا تدل بوجه ما على ذلك، بل يفهم من إيرادها في هذا المقام أن هذا القسيس لا يدرى ماله وما عليه. فيياك وإياه. أيها المتتبه.

لكني أشرح لك مبانيها وأبين معانيها لتكون على بصيرة تامة فأقول: أما معنى قوله تعالى في سورة الأنبياء: «وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ

فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» فهذه الآية مكية نزلت جواباً لمشركي العرب عن قولهم في حق النبي ﷺ: «هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ؟» فأمرهم الله سبحانه أن يسألوا أهل الكتاب عن حال الرسل المنتقمة لتزول عنهم الشبهة^(١). كذا في

(١) المؤلف نقل عن المفسرين. وهم مخدوعون مثله من الرواية. وذلك لأن «فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ» لليهود الأميين أن يسألوا علماء بنى إسرائيل إن كانوا لا يعلمون بالبيانات والزبر. فالوقف على لا يعلمون خطأ. وصحته الوقف على الزبر. ويدل ذلك على أن المخاطبين بالسؤال هم اليهود: ما قبل الكلام وما بعده والبيانات والزبر عند علماء بنى إسرائيل. والعرب ليسوا هم السائلون؛ لأنه قال «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمْ» والناس هم اليهود لقوله: «إِنَّمَا الْقُرْآنُ يَعْصُمُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرُ الَّذِي مُمْفِي بِخَلْقِنَّ

وفي التوراة في نبوة عن محمد ﷺ يقول لليهودي إذا شكت فاسأل أبيك فيخبرك، وشيوخك فيقولوا لك يعني بالأباء والشيوخ؛ علماء بنى إسرائيل. وما جاء في هذه النبوة: «أنصتي أيتها السماوات فأنكلم ولتسمع الأرض أقوال فمي يهطل كالملط تعليمي ويقطر كالندى كلامي كالطل على الكلاب وكالوابل على العشب إني باسم رب آنادي أعطوا عظمة لإلهنا هو الصخر الكامل صنعيه أن جميع سبله عدل الله أمانة لا جور فيه صديق وعادل هو أفسد له الذين ليسوا أولاده عبيهم جيل اعوج ملتو الرب تكافئون بهذا يا شعباً غبياً غير حكيمليس هو أبيك ومقتتك هو عملك وانشاك اذكر أيام القدم وتأملوا سني دور فدور اسأل أبيك فيخبرك وشيوخك فيقولوا لك

وليعلم علماء المسلمين جميعاً أن العرب لم يشركوا بالله، ولم يعبدوا الأصنام. والذين أصقروا بهم تهمة البعد عن الله هم اليهود. واليهود هم الموصوفون في القرآن بالشرك. ولكنهم فسروا عن طريق الرواية لفظ الشرك على العرب. واليهود مشركون حقاً لأنهم يسمعون من الأخبار الذين يحلون لهم ويحرمون. فيكونون مشركين الأخبار مع الله في التشريع. أما العرب فإن الله قد استجاب لهم دعاء إبراهيم عليه السلام

وهو (واجئنِي وَنِي أَنْ يُبَدِّلَ الْأَصْنَامَ) ولم يكن له وقت الدعوة إلا ولده إسماعيل عليه السلام.

وليعلم علماء المسلمين جميعاً: أن العرب لم يبنوا البناء. وفي كتاب التوراة أن اليهود نجروا بنיהם وبناتهم لرضاء للأصنام. ففي سفر إشعيا: "باد الصديق وليس أحد يضع ذلك في قلبه ورجال الإحسان يضمون وليس من يفطن بأنه من وجه الشر يضم الصديق يدخل السلام يستريحون في مضاجمهم السالك بالاستقامة أما انت فتقدمو إلينا يا بني الساحرة نسل الفاسق والزانية بمن تسخرون وعلى من تغرون الفم وتدعون اللسان أما انت أولاد المعصية نسل الكذب المتقدون إلى الأصنام تحت كل شجرة خضراء القاتلون الأولاد في الأودية تحت شقوق المعاقل في حجارة الوادي الملمس نصيبك تلك هي قرعتك لتلك سكبت سكيناً واصعدت تقدمه اعن هذه أنعزى على جبل عال ومرتفع وضعت مضغوك وإلى هناك صعدت لتدبحي ذبيحة وراء الباب والقائمة وضعت تذكارك لأنك لغيري كشفت وصعدت أوسعت مضغوك وقطعت لنفسك عهداً معهم أحببت مضغوم نظرت فرصة وسرت إلى الملك بالدهن وأكثرت اطيابك وأرسلت رسالك إلى بعد ونزلت حتى إلى الهاوية بطول أسفارك أعييت ولم تقولي يئست شهوتك وجدت لذلك لم تتضفي ومن خشيت وخفت حتى خنت وإيابي لم تذكرني ولا وضعت في قلبك أما أنا ساكت وذلك منذ القديم فليابي لم تخافي أنا أخبر بيرك وبأعمالك فلا تفديك إذ تصرخين فلينفذك جموعك ولكن الريح تحملهم كلهم تأخذهم نفحة أما المتوكل على فيملك الأرض ويرث جبل قدسي"

ومعنى آية سورة يونس: ليس كما ذكر المؤلف والمفسرون. فإن المعنى الصحيح فإن كنت أيها اليهودي الأممي المعاصر لنزول للقرآن في نبوة محمد ﷺ فأسأل علماء أمتك الذين كانوا معاصرين لموسى عليه السلام فإن المأثور عنهم مدون في التوراة التي معك. والدليل على أن الشاك هو اليهودي المعاصر، لا محمد وأى مسلم من العرب أو من غير العرب: قوله قبل آية الشك: (وَلَقَدْ بَوَأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) وبعد آية الشك: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُلُّمُ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي) والمراد بالناس في جميع سور القرآن اليهود. وغيرهم مخاطب من

البيضاوي. وفي حاشية الجمل على الجلالين نقلًا عن أبي السعود. والمعنى: وما أرسلنا إلى الأمم قبل إرسالك إلى أمتك إلا رجالاً مخصوصين من أفراد جنسك نوحي إليهم، فاسألوها أهل الذكر توجيهه هذا الخطاب إلى الكفارة لتذكيتهم واستنزالهم عن رتبة التكبير. أي اسألوا أيها الجماليون أهل الكتاب الواقفين على أحوال الرسل السالفة فإنهم يخبرونكم بحقيقة الحال إن كنتم لا تعلمون ذلك. فإنهم يعلمون ولا يخفى أن هذا ليس مما نحن فيه، بل كلامنا في حدوث التغيير والتبدل في التوراة والإنجيل. فلما ذكرنا هذا من ذاك؟ والعجب أن هذا القيسيس لا يعرف الدليل من المدعى. ثم قال ما قال **﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾** ومعنى آية سورة يونس: قل يا محمد للشاك فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك من القصص وأخبار نبواتك؛ فاسأله الذين يقرؤون الكتاب من قبلك؛ فإنه محقق عندهم. على الجلالين. ثم قال: والمراد إظهار نبوته عليه السلام بشهادة الأحجار حسبما هو المسطور في كتبهم، وإن لم يكن له حاجة إلى سؤالهم. قلت: وعلى هذا يكون المراد بالخطاب النبي ﷺ وذلك لزيادة تثبيته ﷺ وليس لإمكان وقوع الشك له؛ فإنه محال في حقه. ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: "لا أشك ولا أسأل" وعلى هذا قيل الخطاب للنبي ﷺ والمراد: أمة الدعوى. وفي السورة ما يدل على هذا التأويل. قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍ مِّنِ دِينِي﴾**

خلالهم. وقد جاء الشك عن اليهود في سور كثيرة: **(بل هم في شك من ذكري)- (بل هم في شك يلعبون)**

وقيل: المراد غير النبي ﷺ كما في قوله تعالى ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبِطَنَ
عَمَّا كُنْتَ تَعْمَلُ﴾ الخطاب له. والمراد غيره. ونظائره كثيرة. وقيل: المراد كل من
يسمع. أي إن كنت أيها السامع في شك مما أنزلنا على لسان نبيك إليك
فأسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك. وفي هذا تتباه على أن كل من خالجته
شبهة في الدين ينبغي أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى أهل العلم. كذا قال
البيضاوي مع زيادة من غيره.

والحاصل: أن الاستدلال بهذه الآية الشريفة على عدم تحريف التوراة
والإنجيل في غير محله. فإنه لا يلزم من سؤال أهل الكتاب عن شيء من
كتبهم؛ عدم تحريفها. سيما إذا كان المراد سؤالهم عن علامات نبوة محمد
ﷺ فإن اعتقادنا بهم أنهم ما غيروها إلا بعد ما علموا صدقه بنعمته وظهوره
معجزاته. كما قال تعالى قبيل هذه الآية الشريفة: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمْ
الْعِلْمُ﴾ وقال في سورة لم يكن: ﴿وَمَا تَنَزَّقَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾ في الإيمان به
﴿إِلَّا مَنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ أَبْيَنَهُ﴾ أي إلا من بعد ما جاءهم محمد ﷺ فإنهم كانوا قبل
مجيئه مجتمعين على الإيمان به إذا جاء، ولما جاء حسده من كفر به منهم.
كذا في الجلالين. وأما معنى قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿وَلَيَحْكُمُ أَهْلُ
الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ فقد قدمنا لك
معناها فيما تقدم صدر الكتاب بما يشفى العليل ويروي الغليل. وإذا رجعت
إلى هناك ترى أنه غير لائق بعلم هذا القسيس الاستدلال بها على صحة
دعواه؛ فإن منطوقها صريح في أنها خبر من الله سبحانه وتعالى لنبيه

المصطفى بما فرضه على أهل الإنجيل من الحكم بما تضمنه الإنجيل في وقت نزوله. فعليه لا تكون مما نحن في صدده. ومعنى قوله تعالى: «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تَقْبِيمُوا التُّورَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ رِّبِّكُمْ» قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم: سبب نزول هذه الآية أنه جاء لرسول الله ﷺ رافع بن حارثة وسلم بن مشكم ومالك بن الصيف ورافع ابن حرملة وقالوا: يا محمد ألسنت تزعم أنك على ملة إبراهيم وتؤمن بما عندنا من التوراة؟ فقال: بل ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها وكتتم منها ما أمرتم أن تبيئوه للناس. فأنا بريء من إحداثكم. فقالوا: فإنما نأخذ بما في أيدينا. فإنما على الحق والهدى ولم نؤمن لك ولا نتبعك فأنزل الله سبحانه وتعالى: «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ» أى على دين يعتقد به ويصح أن يسمى شيئاً لفساده وبطلانه «حَتَّى تَقْبِيمُوا التُّورَةَ وَالْإِنْجِيلَ» المنزلين على موسى وعيسى عليهما السلام «وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ رِّبِّكُمْ» أى سائر الكتب الإلهية. قال البيضاوى: ومن إقامتها^(١) الإيمان بمحمد ﷺ والإذعان لحكمه. فإن الكتب الإلهية بأسرها آمرة بالإيمان به ومن

(١) معنى إقامة التوراة والإنجيل: أن اليهود لو أقاموها حقاً، فإن الإقامة لاتكون حقة ومتبرة شرعاً إلا بالإيمان بمحمد ﷺ إذا ظهر. وذلك لأنه مكتوب فيها: "يقيم لك رب الهلك نبياً من وسطك..." فالنبي محمد هو الذي أقامه الله وأوقفه لليهود ليسمعوا منه، وليرعلموا بكلامه. ونفس المعنى في الإنجيل. فإن المسيح بشر بمقدمه بقوله "اقرب ملوك السموات" وبكلامه عنه بأنه سوف يخبر عن أمور آتية.

صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له. قال: والمراد: إقامة أصولها
وما لم ينسخ من فروعها". انتهى.

قلت: ومن هذا يعلم عدم صحة دعوى صاحب البرهان من عدم
تحريف التوراة والإنجيل، ولا يفهم من هذه الآية الشريفة إلا الحث
على الإيمان بنبوة محمد ﷺ المشار إليه تصريحاً وتلويحاً في كثير من
أصحاحات كتبهم. فإذا آمن أهل الكتاب به وبما أنزل عليه من عند الله
وصدقوه واتبعوه؛ فقد آمنوا بما أنزل الله في التوراة والإنجيل وعملوا
بأحكامها المنزلة، وحينئذ لا حاجة لهم فيما بشّع، فإن القرآن العظيم
الذى أنزله الله على هذا النبي الكريم جاء وافياً كافياً مغنياً عن
الاستعانة بغيره. فالامر بإصلاح ما أفسدوه وتصحيح ما غيروه
وبدلواه؛ ليس بالازم ضروري. ألا ترى يا صاحب البرهان أن المسيح
القطبنة ما بين الاختلافات المتعددة الواقعة فيما بين النسخة العبرانية
والنسخة السامرية، ولا شك أن تلك الاختلافات الكثيرة كانت واقعة
فيهما قبل مجئ المسيح القطبنة? فلقد علمت أنه ورد في هذا الإنجيل
المتداول أن امرأة من طائفة السامرة سالت المسيح القطبنة عن الاختلاف
الواقع بين توراتهم وتوراة اليهود في الموضع الذي ينبغي السجود فيه؛
فلم يبينه ^(١) لها بل سكت عن البيان. وإنما قال لها: ستأتى أيام لا

(١) المسيح لم يسكت عن البيان لأنه قال لها: سوف يأتي قوم يسجدون لله بالروح
والحق لأن الله طالب مثل هؤلاء الساجدين. وهم المسلمون. وأما السؤال عن العبادة
الماضية وكونها مقبولة أو ليست مقبولة؛ فإن الإجابة عن الماضي لا تفيد. وهذا هو

تسجدون في هذا الجيل. يعني جِرْزِيْم ولا في أورشليم. قوله هذا وسكته عن البيان؛ يدل على أن البيان ليس بلازم ضروري بعد نزول الإنجيل فكذلك إصلاح ما أفسدوه وتصحيح ما غيروه وبدلوه في التوراة والإنجيل ليس بلازم ضروري بعد نزول القرآن. ومع هذا فقد

النص من إنجيل يوحنا: **فَلَمَّا عَلِمَ الرَّبُّ أَنَّ الْفَرَسِيْنَ سَمِعُوا أَنَّ يَسُوعَ يُصِيرُ وَيَعْمَدُ تَلَامِيْدَ أَكْثَرَ مِنْ يُوْحَنَّا، مَعَ أَنَّ يَسُوعَ كَفْسَهُ لَمْ يَكُنْ يَعْمَدُ بَلْ تَلَامِيْدُهُ، تَرَكَ الْيَهُودِيَّةَ وَمَضَى أَيْضًا إِلَى الْجَلِيلِ. وَكَانَ لَا يُؤْتَدُ لَهُ أَنْ يَجْتَازَ السَّاِمِرَةَ.** فَأَتَى إِلَى مَدِيْنَةِ مِنَ السَّاِمِرَةِ يَقَالُ لَهَا سُوْخَارٌ، يَقْرُبُ الضَّيْقَةَ الْيَتِيَّةِ وَهَبَّهَا يَغْقُرُ بِلِيُوسُفَ ابْنِهِ. وَكَانَتْ هَنَاكِ بَقْرَ يَغْقُرُوبَ. فَإِذَا كَانَ يَسُوعُ قَدْ تَعَبَّرَ مِنَ السَّفَرِ، جَلَسَ هَكُذا عَلَى الْبَرِّ، وَكَانَ تَحْوَ السَّاعَةَ السَّادِسَةَ. فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ مِنَ السَّاِمِرَةِ لِتَسْتَقِيْعَ مَاءً، فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: أَعْطُونِي لِأَشْرَبَ لَأَنَّ تَلَامِيْدَهُ كَانُوكُوا قَدْ مَضَوْا إِلَى الْمَدِيْنَةِ لِيَتَاغُوا طَعَامًا. فَقَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ السَّاِمِرَيَّةُ: كَيْفَ تَعْطِلُبُ مِنِي لِتَشْرَبَ، وَأَتَتْ يَهُودِيَّةً وَأَتَتْ امْرَأَةً سَاِمِرَيَّةً؟ لَأَنَّ الْيَهُودَ لَا يَعْمَلُونَ السَّاِمِرِيْنَ. أَحَابَ يَسُوعَ وَقَالَ لَهَا: لَوْ كُنْتَ تَعْلَمِي عَطْلَةَ اللَّهِ، وَمَنْ هُوَ الَّذِي يَقُولُ لَكَ أَعْطِيْنِي لِأَشْرَبَ لَطَبَّتَ أَنْتَ مِنْهُ فَأَعْطَاكَ مَاءً حَيَا. قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: يَا سَيِّدُ، لَا دَلُو لَكَ وَالْبَقْرُ عَمِيقَةٌ. فَمَنْ أَنْتَ لَكَ الْمَاءُ الْحَيُّ؟ الْكُلُّ أَعْظَمُ مِنْ أَيْمَنَا يَغْقُرُوبَ، الَّذِي أَعْطَانَا الْبَرِّ، وَشَرَبَ مِنْهَا هُوَ وَبَنْتُهُ وَمَوَاحِشِهِ؟ أَحَابَ يَسُوعَ وَقَالَ لَهَا: كُلُّ مَنْ يَشَرَبُ مِنْ هَذَا السَّاءِ يَغْطَشُ أَيْضًا. وَلَكِنْ مَنْ يَشَرَبُ مِنْ الْمَاءِ الَّذِي أَعْطَيْهُ أَنَا فَلَنْ يَغْطَشَ إِلَى الْأَبَدِ، بَلِ الْمَاءُ الَّذِي أَعْطَيْهُ يَصْرُمُ فِيهِ يَتَبَرُّعُ مَاءٌ يَتَبَرُّعُ إِلَى حَيَاةَ أَبَدِيَّةٍ. قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: يَا سَيِّدُ أَعْطِنِي هَذَا الْمَاءَ، لَكِنَّ لَا أَغْطَشَنَّ وَلَا أَتَيَ إِلَى هَذَا لِاسْتَقِيْعِ. قَالَ لَهَا يَسُوعُ: أَذْهَبِي وَادْعِي زَوْجَكَ وَتَعَالَى إِلَى هَهُنَا أَحَبَّاتِ الْمَرْأَةِ وَقَالَتْ: لَئِسَ لِي زَوْجٌ. قَالَ لَهَا يَسُوعُ: حَسَنًا قُلْتَ: لَئِسَ لِي زَوْجٌ، لَأَكَّهُ كَانَ لَكَ خَمْسَةُ أَزْوَاجٍ، وَالَّذِي لَكِ الْآنَ لَئِسَنْ هُوَ زَوْجُكَ. هَذَا قُلْتَ بِالصَّدْقِ. قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: يَا سَيِّدُ، أَرَى أَنَّكَ تَبِيُّ أَبْأَبِنَا سَجَدُوا فِي هَذَا الْجَبَلِ، وَأَثْمَنُوْنَ إِنْ فِي أُورُشَلِيمَ الْمَوْضِيْعَ الَّذِي يَتَبَغِي أَنْ يَسْجُدَ فِيهِ. قَالَ لَهَا يَسُوعُ: يَا امْرَأَةُ، صَدِيقِي أَللَّهُ تَعَالَى سَاعَةً، لَا فِي هَذَا الْجَبَلِ، وَلَا فِي أُورُشَلِيمَ يَسْجُدُونَ لِلَّآتِيَّةِ. أَثْمَنُ تَسْجُدُونَ لَمَا لَشَمَ تَعْلَمُونَ، أَثْمَنُ تَخْسِنُ فَتَسْجُدُ لَمَا تَعْلَمُ، لَأَنَّ الْخَلَاصَ هُوَ مِنَ الْيَهُودِ. وَلَكِنَّ ثَالِثَيْ سَاعَةَ، وَهِيَ الْآنَ، حِينَ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلَّآتِي بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ، لَأَنَّ الَّآتِي طَالِبٌ مِثْلَ هُؤُلَاءِ السَّاجِدِيْنَ لَهُ. اللَّهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فِي الرُّوحِ وَالْحَقِّ يَتَبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا. قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ مَسِيْسِيَا، الَّذِي يَقَالُ لَهُ الْمَسِيْحُ، يَأْتِي. فَمَتَّ حَيَاءَ ذَلِكَ يُخْبِرُنَا بِكُلِّ شَيْءٍ. قَالَ لَهَا يَسُوعُ: أَنَا الَّذِي أَكْلَمْتُ هُوَ

عرفت فيما تقدم أنه بين تحريفهما وأظهر الغلط الواقع فيهما في مواضع كثيرة لا يمكن حصرها إلا بكلفة. ولقد أسلفت لك بعضًا من ذلك فارجع إليه إن شئت.

والحاصل: أن هذه الآية لا دليل فيها لصاحب البرهان على عدم تحريف التوراة والإنجيل، وكذلك آية سورة القصص لا تدل على عدم تحريف التوراة والإنجيل، وإنما هي نزلت للرد على مشركي العرب حين قالوا: إن موسى و Mohammad عليهما الصلاة والسلام ساحران تظاهرا وتعاونا بإظهار الخوارق، وتوافق الكتابين في الهدایة، وبتصديق كل منها للأخر. وذلك أنهم أى كفار مكة بعثوا رهطاً منهم إلى رؤساء اليهود وأخبارهم بالمدينة في عيد لهم فسألوهم عن شأنه عليه الصلاة والسلام فقالوا إنا نجده في التوراة بنعته وصفته. فلما رجع الرهط وأخبروهم بما قالت اليهود قالوا ما ذكر. **«وقالوا إنا بِكُلِّي»** أى بموسى ومحمد **«كَافِرُونَ»** وعليه قال تعالى: **«قُلْ أَيْ يَا مُحَمَّدَ إِلَزَاماً لَهُمْ فَأَتَوْ بِكَابَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا»** أى من التوراة والقرآن **«أَتَبْغُهُ إِنْ كُتُمْ صَادِقِينَ»** أى في قولكم أنى وموسى ساحران. وليس في هذا ما يدل على عدم حدوث التحريف في التوراة والإنجيل. كما لا يخفى على المنتبهين، وكذلك آية سورة الأنعام لا تدل على عدم وقوع ذلك فيهما. فإن معناها **«ثُمَّ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا»** أى لأجل تمام نعمتنا **«عَلَى الَّذِي أَخْسَنَ»** أى على

الذى أحسن تبليغه وهو موسى عليه السلام أو تماما على ما أحسنه. أى أجاده من العلم والشرائع. أى زيادة على علمه تماما له «وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ» أى وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج إليه فى الدين وهدى ورحمة «لَعَلَّهُمْ» أى لعل بني إسرائيل «بِلَقَاءَ رَبِّهِمْ» وهو البعث «يُؤْمِنُونَ وَهَذَا كَابُ» وهذا كتاب يعنى القرآن «أَنْزَلْنَاهُ مِبَارَكًا» أى كثير النفع «فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَمَّ تَرَحَّمُونَ» بسبب اتباعه وهو العمل بما فيه «أَنْ تَقُولُوا» أى لئلا تقولوا «إِنَّا أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ عَلَى طَافِئَتِنِ مِنْ قَبْلِنَا» وهم اليهود والنصارى «وَإِنْ كَانَ عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ» لا ندرى ما هى لغتهم، ولا نعرف مثلاها. وليس فى هذا ما يدل على صحة دعوى صاحب البرهان من عدم تحريف التوراة والإنجيل، ولا يلزم من إخباره تعالى بإنزال التوراة على موسى والإنجيل على عيسى؛ عدم تحريفهما بعد ذلك. كيف وأن آيات القرآن المجيد صريحة بذلك يدركها كل من له أدنى درجة من العقل، وذرة من الذوق^(١).

(١) قول المؤلف سرحه الله- إن آية سورة القصص نزلت للرد على مشركي العرب حين قاتلوا ابنه موسى ساحران. قوله باطل. وذلك لأن الكلام فى اليهود وهو: «وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ...» إلخ «شَذَّرْ قَوْمًا مَا أَكْثَمْ مِنْ ثَدِيرٍ» من العرب «مَنْ فَتَّكَ لَعْنَهُمْ تَذَكَّرُونَ» والتذكر يدل على أن المخاطبين هو اليهود. لأن التوراة معهم وغفلوا عما فيها وهو يذكرون به. أما العرب فإنهم لا يذكرون لأن التوراة ما كانت معهم. ثم قال عن اليهود: «فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحُقْقُ مِنْ عِنْدِنَا قَاتَلُوا لَوْلَا أُوتَيْ مِثْلَ مَا أُوتَيَ مُوسَى» أى التوراة وفتح البلاد والملك على الأمم. ورد بقوله: «أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتَيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ؟» وفي القرآن كلام كثير عن كفر اليهود ثم قال: «وَلَقَدْ وَصَّلَنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ

لو كانت التوراة محرفة ما
قال محمد إنى مصدق لها

ثم قال القيسس النبيل صاحب البرهان الجليل: " ولا شك أنه لو فرض اتيان نبى فى يومنا هذا، ومعه كتاب وشهد أن كتابه مصدق للقرآن. ويقول إن القرآن منزل من عند الله هدىً ونوراً للناس، وطلب من أهل القرآن أن يقيموا القرآن. أى يجرعوا أحكامه، ويعملوا بها؛ لم يظن أحد أن ذلك النبى يشهد بأن القرآن كتاب مُوحى به من الله ويسلم بصحته، ومع ذلك يشك فيه أو يقول إنه مغير ومبدل، وإلا كان كلامه متناقضاً. وكذلك لو كانت التوراة والإنجيل فى أيام محمد غير باقين على أصلهما بل اعتراهما تغيير وتبدل؛ لما وسع القرآن أن يشهد أنه منزل لتصديقهما. كما رأينا فى الآيات السابق ذكرها. فهل الله سبحانه وتعالى يصدق الكذب ويثبت الغش ويشهد بالزور. تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا"

يَتَذَكَّرُونَ) والقول هو أن موسى واليهود وهم على جبل الطور طلبوا من موسى إذا أراد الله أن يكلمهم فليكن عن طريق موسى. وقد رد الله بقوله سأرسل إليكم من يوصل إليكم كلامي من بين إخوتكم. وقد أرسل الله محمداً إلى العرب. ووصل القول أى كلام الله وهو القرآن إلى اليهود (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) هذه النبوءة عنه. الموجودة فى

سفر التثنية ١٨: ٢٢-١٥ وأخطأ المؤلف فى قوله إن الطائفتين هما اليهود والنصارى. والصحيح أنهما هم العبرانيون والسامريون.

أقول: إن شدة التعصب وعدم الإنصاف قد جعلها هذا القسيس مسلوب الفهم؛ فإنه لا يوجد آية من آيات القرآن المجيد يفهم منها الشك بصحة نزول التوراة والإنجيل، بل لا يوجد مسلم يؤمن بـالله واليوم الآخر يقول بأنهما غير موحى بهما من الله تعالى. كيف وأن القرآن الكريم سلم بصحة نزولهما على موسى وعيسى عليهما السلام ولا يلزم من هذا عدم تحريفهما. فإن الإخبار بإنزالهما من عند الله كذلك نوراً وهدى للناس لا يستلزم عدم تحريفهما حتى يقتضي التناقض - كما زعم القسيس - . كيف وأن التحرير ثبت وقوعه فيهما ببرهان الحس والمشاهدة^(١) واعترف به المواقف والمخالف من المؤرخين فضلاً عن

(١) القسيس يغالط في إيراد هذه الشبهة. وذلك لأن أنبياء بنى إسرائيل قد اعترفوا بتحريف التوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام. والمسيح نفسه قد اعترف بتحريفها. ومع هذا قال المسيح: اعملوا بالتوراة إلى أن يأتي النبي الذي أبشر به. ومحمد صلوات الله عليه قال: إن التوراة محرفة، وصرح بنسخها؛ لأنه مهيمن عليها. وهذا هو نص من أسفار الأنبياء تدل على التحرير: "لِمَامُ الْمُغَنِّينَ عَلَى الْحَمَامَةِ الْبَكَامَةِ بَيْنَ الْعَرَبَاءِ مَذْهَبَةِ الْأَنْبِيَاءِ تَدْلِي عَلَى التَّحْرِيفِ": "لِمَامُ الْمُغَنِّينَ عَلَى الْحَمَامَةِ الْبَكَامَةِ بَيْنَ الْعَرَبَاءِ مَذْهَبَةِ الْأَنْبِيَاءِ تَدْلِي عَلَى التَّحْرِيفِ". لذا دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى إنشاء كتاب مكتوب على قلبه بروحه، حيث قال: "إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي الْأَفْوَاهِ إِنَّمَا يَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ مَا يَرَوْنَ" [الأنفال: 29].

نجيت نفسي من الموت نعم ورجلٍ من الزلق لكي أسير قدام الله في نور الأحياء

وهذا هو نص للمسيح من إنجيل برنابا: "قل لي أيها الأخ : أخطر في بالك ما أتيت لسؤال في الميكل ؟ أن الله قد بعثني لأبيد الشريعة والأنبياء؟ من المؤكد أن الله لا يفعل هذا لأنه غير متغير. فإن ما فرضه الله طريقاً خلاص الإنسان هو ما أمر الأنبياء بالقول به.

لعم الله الذي تعرف نفسى في حضرته لو لم يفسد كتاب موسى مع كتاب أبينا داود بالتقاليد البشرية للفريسيين الكذبة والفقهاء ؛ لما أعطان الله كلته ولكن لماذا أتكلم عن كتاب موسى وكتاب داود؟ فقد فسّدت كل نبوة حتى أنه لا يطلب اليوم شئ لأن الله أمر به بل يُنظر إذا كان الفقهاء يقولون به والفريسيون يحفظونه . كان الله على ضلال البشر لا يضلُّون .

فويل لهذا الجيل الكافر لأنهم سيحملون تبعة دم كل نبي وصديق مع دم زكريا بن يَرْحِيَا الذي قتلوه بين الميكل والمذبح أى نبي لم يضطهدوه ؟ أى صديق ترکوه بموت حتف نفسه ؟ لم يكادوا أن يترکوا واحداً وهم يطلبون الآن أن يتخلو يفخرون بأنهم أبناء إبراهيم وأن لهم الميكل الجميل ملكاً لعمر الله إنهم أولاد الشيطان فلن ذلك ينفذون إرادته ولذلك سيتهدّم الميكل مع المدينة المقدسة هدماً لا يبقى معه حجر على حجر من الميكل .

قل لي أيها الأخ وأنت الفقيه المتضلّع من الشريعة : بأى ضرب موعد مسياً لأبينا إبراهيم ؟ أيا سحق أم بإسماعيل ؟ أصحاب الكتاب : يا معلم أخشى أن أخبرك عن هذا بسبب عقاب الموت حينئذ قال يسوع : إن آسف أيها الأخ ألى أتيت لاكل خبراً في بيتك لأنك تحب هذه الحياة الحاضرة أكثر من الله خالقك وهذا السبب تخشى أن تخسر حياتك ولكن لا تخشى أن تخسر الإيمان والحياة الأبدية التي تضيع من تكلم اللسان عكس ما يعرف القلب من شريعة الله .

حينئذ بكى الكاتب الصالح وقال : يا معلم لو عرفت كيف ألمت لكت قد بشرت مراراً كثيرة بما أعرضت عن ذكره لولا يحصل شغب في الشعب أصحاب يسوع : يجب عليك أن لا تخترم الشعب ولا العالم كله ولا الأطهار كلامهم ولا الملائكة كلامهم إذا أغضبوا الله فغير أن يهلك العالم كله من أن تغضب الله خالقك ولا تحفظه في الخطيبة لأن الخطيبة مملوك ولا تحفظ أبداً الله فقديراً على خلق عوالم عدّد رمال البحر بل أكثر .

حينئذ قال الكاتب : عفوا يا معلم لأن قد أخطأت قال يسوع : الله يغفر لك لأنك إليه قد أخطأت فقال من ثم الكاتب : لقد رأيت كثيّاً قدّمك مكتوباً بيد موسى ويشوع الذي أوقف الشمس كما قد فعلت خادمي ونبي الله وهو كتاب موسى الحقيقي ففيه مكتوب : أن إسماعيل هو أباً لمسياً وإسحق أبا

ما ورد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. وفيما قدمناه كفاية لأولى الأ بصار.

رسول مسيا وهكذا يقول الكتاب : إن موسى قال : "أيها الرب إله إسرائيل القدير الرحيم أظهرْ لي عبديك في سناء مجده"

فأراه الله من ثم رسوله على ذراعي إسماعيل، وإسماعيل على ذراعي إبراهيم ووقف على مقربة من إسماعيل إسحق وكان على ذراعيه طفل يشير بأصبعه إلى رسول الله قائلاً : هذا هو الذي لأجله خلق الله كل شيء .

فصرخ من ثم موسى بفرح : يا إسماعيل إن في ذراعيك العالم كله والجنة اذكرن أنا عبد الله لأحد نعمه في نظر الله بسبب ابنك الذي لأجله صنع الله كل شيء .

لا يوجد في ذلك الكتاب : أن الله يأكل لحم الماشي أو الغنم لا يوجد في ذلك الكتاب : أن الله قد حصر رحمته في إسرائيل فقط بل إن الله يرحم كل إنسان يتطلب الله خالقه بالحق لم يمكن من قراءة هذا الكتاب كله لأن رئيس الكهنة الذي كتب في مكتبه نهان قائلاً : إن إسماعيليا قد كتبه فقال حينئذ يسوع : انظِرْ أَنْ لَا تعود أَبْدًا فتحجزُ الْحَقَّ

القرآن يشهد للتوراة المتدولة بالصحة

ثم قال القيسن النبيل صاحب البرهان الجليل "فَإِنْ قَاتَلُوا إِنْ" التوراة والإنجيل المذكورين في القرآن ليسا هما الأصليين الذين أنزلوا على موسى وعيسى عليهما السلام وليس المراد بهما اللذان كاتا في أيدي اليهود والنصارى زمن النبي محمد؛ يكون كلامه هذا عند المنصفين من العقلاة إما جهلاً وإما تعصباً؛ لأنه لا سبيل إلى إنكار أن الإشارة الواردة في القرآن هي دالة على صحة نسخ التوراة والإنجيل التي كانت في أيدي اليهود والنصارى وقت محمد، التي كانوا ينسخونها ويدرسونها ويستعملونها في عباداتهم، والتي كان موجوداً منها في ذلك العصر ألوف من النسخ التي لا تحصى منشورة في بلاد الحجاز وسائر البلدان في اللغتين الأصليتين. أي العبرانية واليونانية. وفي الترجمات العديدة في غيرهما من اللغات. فهذا هو الإنجيل الذي أراده القرآن لما شهد للنصارى أنهم **(يَتَلَوُنَ الْكِتَابَ)** وهذه هي التوراة المذكورة في القرآن التي رأها محمد عند اليهود ولمسها بيديه. وهم أيضاً اللذان كان يطالعهما ورقة بن عم خديجة زوج النبي وينسخ منها. على ما روى ابن إسحاق في سيرة الرسول، والبخاري في صحيحه. فعلى ذلك قد ثبت أن القرآن يشهد

بصحة التوراة والإنجيل **الذين كانوا متداولين عند اليهود والنصارى في أيام محمد. أى فى القرن السابع بعد المسيح^(١)**

(١) يقول القسيس: إن الإنجيل كان منتشرًا في بلاد الحجاز، وقت بعثة محمد، وأن القرآن شهد بالصحة لهذا الإنجيل الذي كان منتشرًا في بلاد الحجاز. وتقول القسيس باطل. لأن أرض الحجاز لم يكن فيها مسيحيون مقيمون ولا مسيحيون زائرون. ولا أحد من العرب اعتنق الديانة المسيحية. وذلك لأن المسيحية تختلف عن النصرانية. فالنصرانية دعوة تبشيرية بمجيء محمد^ﷺ وكان منهم نصارى نجران. والإنجيل الذي كان معهم هو الإنجيل الصحيح وفيه اسم محمد وأوصافه وحث العرب وغيرهم على الإيمان به إذا جاء. أما المسيحية فهي دعوة معمولة بقوة الرومان لإظهار أن عيسى عليه السلام هو النبي المنتظر، وسوف يأتي في مجده الثاني لتأسيس ملوك السموات وأن النبي المنتظر لن يظهر من العرب. ومن أوصاف النبي المنتظر المماثلة لموسى. وقد جعل المحرفون للإنجيل عيسى مكان محمد. وعرضوا دعوتهم المحرفة على العرب فلم يقبلوها. وذلك لأن مهما إذا ظهر سوف يكون لهم به ملك على العالم. وقد جاء في القرآن عن أن المحرفين عرضوا دعوتهم المحرفة على العرب ولم يقبلوها: **﴿وَلَمَّا ضُرِبَ أَيْنُ مَرِيمَ مَتَّلَا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصْدُونَ﴾** أى أن العرب لم يقبلوا المسيحية التي تدعوا إلى أن عيسى حل محل محمد. وإذا لا يوجد في العرب مسيحيون. لا توجد أناجيل محرفة أو غير محرفة. وإذا لا توجد أناجيل؛ لا يوجد شخص ورقة بن نوفل الذي زعموا أنه كان يقرأ الإنجيل بالعبراني. وزعمهم أيضاً باطل فإن الإنجيل كان في الأصل باللغة اليونانية.

هذا عن الإنجيل واليسوعيين. وأما عن توراة اليهود. فإن التوراة لم تكن في أيدي المؤمنين باليهودية كلهم. وإنما كانت في أيدي العلماء الهازوبيين واللاويين فقط. وهم باعتبارهم المفسرون للدين لم يكونوا يسمحون لغيرهم باقتداء نسخ منها. والقرآن لم يشهد بصحة التوراة التي كانت في زمن محمد أو في أى زمن من بعد تحريفها عمداً

أقول وبالله التوفيق وبه الهدى إلى أقوم طريق: إن ما أتى به صاحب البرهان في هذا المقالة ليس بشئ يعتمد به. ولقد عرفت فيما مر غير مرة أن هذه التوراة وهذا الإنجيل الموجودين الآن، بل والموجودين في زمن النبي محمد ﷺ ليسا هما الأصليان، اللذان جاء ذكرهما في القرآن، فإنك قد عرفت أنهما في اصطلاح هذا الكتاب المبين: ما أوحى إلى موسى وعيسى عليهما السلام لا تعدد فيهما ولا اختلاف. على خلاف ما نراهما الآن. فإن التوراة يوجد منها ثلاثة نسخ

في بابل. وكيف يشهد لها بالصحة وفيها خبر موت موسى ودفنه في أرض موآب، ولا أحد يعرف قبره؟ أليس خبر موته فيها يدل على الإضافة فيها؟

اقرأ هذا النص: "و صعد موسى من عربات مواب إلى جبل نبو إلى رأس الفسحة الذي قبالة أريحا فارأه الرب جميع الأرض من جلعاد إلى دان وجميع نفتالي ولرضا افرايم ومنسى وجميع أرض يهوذا إلى البحر الغربي والجنوب والدائرة بقعة أريحا مدينة النخل إلى صوغر وقال له الرب هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم واسحق ويعقوب قائلا لنسلك أعطيها قد أريتك إياها بعينيك ولكنك إلى هناك لا تعبر فمات هناك موسى عبد الرب في أرض مواب حسب قول الرب ودفنه في الجواء في أرض مواب مقابل بيت فغور ولم يعرف انسان قبره إلى هذا اليوم وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته فبكى بنو إسرائيل موسى في عربات مواب ثلاثة أيام بكاء مناحة موسى ويشوع بن نون كان قد امتلا روح حكمة إذ وضع موسى عليه يديه فسمع له بنو إسرائيل وعملوا كما أوصى الرب موسى ولم يقم بعدنبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجها لوجه في جميع الآيات والعجائب التي أرسله الرب ليعملها في أرض مصر بفرعون وبحبيع عبيده وكل أرضه وفي كل اليد الشديدة وكل المخاوف العظيمة التي صنعتها موسى أمام أعين جميع إسرائيل".

العبرانية واليونانية والسامرية والاختلافات ما لا يخفى على من له أدنى درجة من الفهم وندرة من الذوق. وكذلك الإنجيل أربعة نسخ تنسب إلى بعض أشياخ النصارى. وهي تختلف اختلافاً كثيراً حتى في صفة المسيح الكتاب وأيام دعوته وفي نسبة الشريف وقت الصليب - على زعمهم - بل يوجد في كل إنجيل من الأغلاط والاختلافات ما لا يحتمل وقوع مثلها من غيرهم. فهذا برهان قاطع على أن هذه التوراة وهذا الإنجيل ليس هما اللذان جاء ذكرهما في القرآن، بل لا يوجد فيه إشارة إلى صحتهما كيف وهو يكذب أكثر مضمونيها ويذم أهلها على تحريفهما وتغييرهما. ومن طالعهما ولم يكن من أهل المكابرة والعناد لا يُنكر سريان هذا الداء في أعضائهما الرئيسية بعد ظهوره في عالم عباراتهم. ولا يلزم أيها الليبيب من انتشار نسختها وكثرتها فيسائر البلدان على تقدير صحته عدم تحريفهما بالتبديل والتغيير؛ لما قد عرفت فيما سلف. إذا أضفنا ذلك إلى ملة بروتستانت وإنهم لا يبالغون بذلك بعد وجود صناعة الطبع أيضاً. مما بالك به في سالف الأزمان. مما سلكه صاحب البرهان ساقط عن الاعتبار. وكذلك قوله: إن أهل الكتاب كانوا في زمن الحضرة النبوية يتلون نسخ التوراة والإنجيل ويدرسونها ويستعملونها في عباداتهم؛ لا يلتفت إليه. فإن ذلك لا يستلزم عدم تحريفهما. وكذلك لمس النبي لهما بيديه - على تقدير صحته ومطالعة ورقة ابن عم خديجة لهما ونسخه منها - لا يقتضي عدم تحريفهما. كما لا يخفى على المميز من الصبيان.

وإعلم أن ورقة هذا هو ابن نوفل بن أسد بن عبد العزّى ابن عم خديجة رضي الله عنها كان من العرب وقد ترك^(١) عبادة الأوّلاني وتصرّ في الجاهلية. لما كره طريقها للقيه من هو ماش شريعة المسيح الظلة ولم يبدلها. وكان يكتب الكتابة العبرانية في حال كهوليته فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب. وكان شيخاً كبيراً قد عمي. كذا في صحيح البخاري وشرحه للقططاني. وفي زيادات المغازى عن ابن إسحاق: أن ورقة قال للنبي ﷺ: أبشر ثم أبشر. فأنا أشهد أنك الذي بشر به ابن مريم. وأنك على مثل ناموس موسى وأنك نبي

(١) قول المؤلف: إن ورقة بن نوفل ترك عبادة الأوّلاني وتصرّ في الجاهلية. هو قول باطل لأنّ العرب ما عبدوا الأوّلاني وما قبّلوا المسيحية. والتصرّ معناه: أنه يعمل بالتوراة ويدعو إلى اقتراب زمان محمد ﷺ والإيمان به إذا جاء. وكل العرب كانوا يعلمون بالتوراة ويدعون إلى اقتراب زمانه ﷺ للإيمان به. فما فائدة قوله ترك عبادة الأوّلاني؟ ولأن المسلمين لم يفرّقوا إلى اليوم بين النصرانية والمسيحية وقعوا في أهداف الرواية. والذين عبدوا الأصنام هم اليهود، وهم الذين استخدمو السحر، وهم الذين وأدوا البنين والبنات، وهو الذين استشاروا الموتى.

والنص التالي يوضح ذلك: "كان منسى ابن النبي عشرة سنة حين ملك وملك خمساً وخمسين سنة في أورشليم باسم أمه حفصية وعمل الشر في عيني الرب حسب رجاسات الأمم الذين طردتهم الرب من أمام بني إسرائيل وعاد ببني المرتفعات التي أبادها حزقيا أبوه وأقام مذابح للبعل وعمل سارية كما عمل أخاب ملك إسرائيل وسجد لكل جند السماء وعبدوها وبنى مذابح في بيت الرب الذي قال الرب عنه في أورشليم أضع اسمي وبني مذابح لكل جند السماء في داري بيت الرب وعبر ابنه في النار وعاف وتفائل واستخدم جانا وتوايع وأكثر عمل الشر في عيني الرب لاغاظته"

مرسل. الحديث. وفي البخارى أنه فى بدء الوحي أخبر بهجرة النبى ﷺ وإخراجه من مكة بقوله: يا ليتني فيها. أى فى مدة النبوة جذعاً أى شاباً قوياً. لأنصرك. ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: أَوْ مُخْرِجٍ هُمْ؟ قال: نعم. لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي وإن يدركنى قومك أنصرك نصراً مؤزراً. أى قوياً بلينا. ثم لم ينشب. أى لم يلبث ورقة أن توفي. قال القسطلاني: وهذا ظاهره أن ورقة أقر بنبوة محمد ﷺ ولكنه مات قبل الدعوة إلى الإسلام. فيكون مثل بحيراً. يعني أنه شهد له بالنبوة والرسالة قبل الدعوة إلى الإسلام، بل شهد بنبوته قبل البعثة. وما اجتمع به إلا مرة واحدة. وذلك أنه لما بلغ النبي ﷺ سبع سنين - على الراجح - أراد عمّه أبو طالب الخروج إلى الشام للتجارة وتهيأ للرحيل؛ فهَبَ له النبي عليه الصلاة والسلام وأخذ زمام ناقته وقال: يا عم إلى من تكلني؟ لا أب لى ولا أم. فَرَقَ له عمّه. وقال: والله لأخرجن به معى ولا أفارقه أبداً. فخرج به معه.

فلما بلغ الركب بصرى من أرض الشام رأى راهب بها. يقال له بحيراً واسمـه جرجس. وهو في صومعته غمامـة تسـاير ذلك الركب، حتى إذا نزلوا تحت شجرة هناك اخـضرت وتهـصرت أغـصانـها ووقفـت الغـمامـة ولم تـبارـح مـنـزـلـهـمـ. فأـمـرـ بـحـيـراـ منـ عـنـهـ أـنـ يـصـنـعـوا طـعامـاـ وـنـزـلـ منـ صـومـعـتـهـ وـأـتـى إـلـيـهـمـ. وـقـالـ: يـاـ مـعـشـ قـريـشـ إـنـيـ قدـ صـنـعـتـ لـكـمـ طـعامـاـ وـأـحـبـ أـنـ يـحـضـرـهـ كـلـكـمـ صـغـيرـكـمـ وـكـبـيرـكـمـ حـرـكـمـ وـعـبـدـكـمـ. وـكـانـواـ كـثـيرـاـ مـاـ يـمـرـونـ عـلـيـهـ قـبـلـ ذـلـكـ؛ فـلـاـ يـكـلـمـهـمـ وـلـاـ يـعـرـضـ لـهـمـ.

فاجتمعوا إليه وتختلف النبي عليه الصلاة والسلام لحداثة سنه في رحال القوم تحت الشجرة فلما نظر بحيرا إلى القوم لم يرَ الصفة التي يعرفها ويجدها عنده، وجعل ينظر فلم يرَ الغمامه على أحد من القوم، بل رأها متخلفة على الشجرة. فلما نظر بحيرا قال يا معاشر قريش لا يتخلfenْ أحد منكم عن طعامي. قالوا: ما تخلف أحد إلا غلاما هو أحدث القوم سنا. فقال بحيرا: إنني أحب أن لا يتخلف أحد منكم أصلا. فذهب من أحضره فأتى رسول الله والغمامه تسير على رأسه حتى وصل إليهم فأجلسوه معهم. فجعل بحيرا يلحظه شديداً وينظر إلى أشياء في جسده قد كان يجدها عنده من صفتة. فلما تفرقوا عن طعامهم قام إليه الراهب فقال يا غلام: أسائلك بحق اللات^(١) والعزى ألا أخبرتني بما أسائلك. فقال رسول الله ﷺ: لا تسألني باللات والعزى. فإني لا أبغض بغضهما شيئاً قط. قال بحيرا: فبأله أخبرني بما أسائلك. قال: سلني بما بدا لك. فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهبته وأموره؛ فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ما عنده. ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على الصفة التي هي عنده. فقبل موضع الخاتم. فقال قريش: إن محمد عند الراهب قدرًا عظيمًا. ثم قال الراهب لأبي طالب: ما هذا الغلام منك؟ فقال: هو ابني فقال بحيرا: ما ابنيك ولا ينبغي لهذا الغلام أن يكون أباً حيا. فقال أبو طالب: هو ابن أخي فسر بحيرا سرورا

^(١) الذين عبدوا اللات والعزى ومناه هم اليهود [كتاب الأحكام الشرعية تأليف نادي فرج درويش العطار]

عظيما لاصابة فراسته ولفوزه بنظره، ثم قال لأبي طالب: إن هذا سيفعثه الله رحمة للعالمين، ويكون خاتم النبيين والمرسلين. وسأله أن يرده إلى بلده خوفا عليه أن يراه بعض كهنة اليهود فيقصدوه بسوء ويهينوه ^(١) لعلهم بأنه هو الغرس الذي سيخرج في البرية فتخرج منه نار تهلك اليهود. كما كان يعلم عندهم من كتبهم المقدسة. فباع أبو طالب ما عنده من البضاعة هناك، وعاد به مسرعا إلى مكة المشرفة. ولم يخرج رسول الله ﷺ إلى الشام إلا هذه المرة.

(١) أما أنت فارفع مرثاة على رؤساء إسرائيل وقل ما هي أمك لبوة ربضت بين الأسود وربت جراءها بين الأشبال ربت واحدا من جرائها فصار ش بلا وتعلم افتراس الفريسة أكل الناس فلما سمعت به الأمم أخذ في حفرتهم فاتوا به بخزائم إلى أرض مصر فلما رأت أنها قد انتظرت وهلك رجاؤها أخذت آخر من جرائها وصبرته ش بلا فتمشي بين الأسود صار ش بلا وتعلم افتراس الفريسة أكل الناس وعرف قصورهم وخرب مندهم فأفقرت الأرض وملوها من صوت ز مجرته فاتفق عليه الأمم من كل جهة من البلدان وبسطوا عليه شبكتهم فأخذ في حفرتهم فوضعوه في قفص بخزائم وأحضروه إلى ملك بابل وأتوا به إلى القلاع لكيلا يسمع صوته بعد على جبال إسرائيل أمك ككرمة مثلك غرست على المياه كانت مثمرة مفرخة من كثرة المياه وكان لها فروع قوية لقضبان المتسطلين وارتفع ساقها بين الأغصان الغبياء وظهرت في ارتفاعها بكثرة زراجينها لكنها اقتلعت بغيط وطرحت على الأرض وقد يبست ريح شرقية ثمرها قصفت ويبست فروعها القوية أكلتها النار والآن غرست في القر في أرض يابسة عطشانية وخرجت نار من فرع عصيها أكلت ثمرها وليس لها الآن فرع قوي لقضيب تسلط هي رثاء وتكون لمرثاة

ومرة أخرى لما بلغ خمسة وعشرين سنة - على قول جمهور العلماء - وذلك لما عرضت عليه خديجة رضي الله عنها الخروج في تجارتها مع غلام لها. يقال له ميسرة لما بلغها من صدق رسول الله ﷺ وأمانته ودرايته. فأجابها إلى ذلك فخرج مع قافلة من قوافل الشام، ومعه ميسرة. فلما وصل إلى بصرى نزل مع ميسرة قرب صومعة بحيرا تحت شجرة هناك؛ فرأاه نسطورا الراهب. وكان بحيرا قد توفي وقام هو مقامه؛ فأتى إلى ميسرة وكان بينهما مودة وتعارفا، فتحدثا برهة. ثم شهد نسطورا الله بالوحدانية ولمحمد ﷺ بالرسالة، ثم التفت إلى ميسرة. وقال له ميسرة: هذا خاتم الأنبياء الذي بشر به عيسى عليه السلام وأوصيتك أن لا تقدم به دمشق خوفاً من اعتداء بنى إسرائيل عليه، لمعرفتهم إياه بأوصافه سيما لتقنهم بزوال دولتهم على يده فأجاب ميسرة سؤال نسطورا بالسمع والطاعة، فباعوا تجارتهم هناك، وربحوا ضعف ما كانوا يربحون، وعادوا إلى مكة، ودخلوا إليها وقت الظهيرة. وكانت خديجة جالسة في عليّة لها هي ونساء كن عندها، فرأين من بين الركب رجلاً يُظَلَّ عليه ملكان بأجنحتهما. فعجبن لذلك وصرن يقلن: من هذا؟ وبينما هن في ذلك إذ دخل عليهن ميسرة. فسألنه فقال: هو محمد الأمين. وأخبر بأنه كان يشاهد ذلك وقت الحر، منذ خرجوا. ونقل ما قال نسطورا الراهب في حقه - عليه الصلاة والسلام - وما رأاه من أمانته وطهارته ووفائه وبالربح الذي ربحته تجارتهم ببركته. ولم يثبت خروجه إلى الشام قبل النبوة أزيد من هاتين

المرتين^(١). وبهذا تعرف فساد ما حكاه صاحب ميزان الحق ومنه تعرف افتراء صاحب رسالة الكندي. وعلمت مما تقدم غلط صاحب البرهان بما سلكه في مقالته السالفة، وأنه لا يلزم من كتابة ورقة بن نوبل في التوراة والإنجيل عدم تحريفهما. ولقد أسلفنا لك الجواب عن قوله: إن القرآن يشهد بصحة التوراة والإنجيل الموجوبين في زمان الحضرة النبوية بما لا مزيد عليه، لكنى هنا أسأل هذا القيسис سؤال استفهام وأطلب منه الإفاده هل كانت شهادة القرآن بالصحة للنسخة العبرانية من التوراة أم للنسخة اليونانية أم للنسخة السامرية؟ أم كانت هذه الشهادة لإنجيل متى دون غيره من الأنجيل أم لإنجيل مرقس عدا خلافه أم لإنجيل لوقا خاصة أم لإنجيل يوحنا أم لرسائل حضرة القديس بولس التي نقضت وخالفت سائر كتب العهد العتيق والجديد؟

أفادنا يا صاحب البرهان لأى كتاب كانت هذه الشهادة؟ فإنما نرى كل كتاب منها يخالف الآخر في الأخبار والأحكام والقصص والمواعظ وبنطاليم المسيح وحكياته وأخباره وانتقالاته وفي كيفية صلب المصلوب وقتله. كما علمت ذلك بما يشفى العليل ويروى الغليل.

(١) كان يجب على المؤلف أن يقول إن ت accus ورقه وبغيرها مكتوبة بروايات الآحاد الذى يفيدطن فى الثبوت وفى الدلاله. ومعلوم أن روایات الآحاد ليست حجة فى دين الله؛ لا فى التوراة ولا فى الإنجليل ولا فى القرآن. لأن شهادة الواحد مردودة فى شئون الدنيا، فهى شئون الدين أولى وأخرى. فإذا ردتنا روایات الآحاد فإنه لا يكون بحيرا ولا ورقه ولا غيرهما. ومعلوم أن الرواة من اليهود والمسيحيين ينسبون الكلام إلى غير أصحابه. وبعدما يثبت فى عقول الناس يطعنون به فى الدين.

والحاصل: أن تلاوة أهل الكتاب التوراة والإنجيل ودرسهم إياهما واستعمالهم أحكامهما لا يقتضي عدم تحريفهما. وكذلك لمس النبي ﷺ لهما بيديه الشريفتين على تقدير صحته ومطالعة ورقة لهما ونسخه منهم؛ لا يستلزم عدم تحريفهما وتبدلها كما لا يخفى على الممّيز من الصّبيان.

التحريف بعد زمان محمد ﷺ

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل: "فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَا نَسَلْمُ بِصَحَّةِ التُّورَاةِ وَالْإِنجِيلِ الَّذِينَ كَانُوا فِي أَيَّامِ النَّبِيِّ، وَلَكِنْ لَا نَسَلْمُ أَنَّ نَسْخَ التُّورَاةِ وَالْإِنجِيلِ الْمُتَدَاوِلَةِ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى إِلَيْهِ الْآنَ هِيَ بَاقِيَةٌ صَحِيحَةٌ مِنْ دُونِ تَغْيِيرٍ وَتَبْدِيلٍ، بَلْ رَبِّما وَقَعَ التَّحْرِيفُ وَالتَّغْيِيرُ فِيهِمَا بَعْدَ أَيَّامِ مُحَمَّدٍ. نَقُولُ لَهُ: إِنَّ هَذَا الْأَمْرُ لَا سَبِيلٌ إِلَى إِثْبَاتِهِ مِنْ وَجْهِينَ عَقْلٍ وَنَقْلٍ. أَمَّا الْعَقْلُ: فَلَأَنَّ تَغْيِيرَ الْكَاتِبِينَ بَعْدَ سَمْتَانَةٍ، وَبَعْدَ انتِشَارِهِمَا فِي سَائِرِ أَقْالِيمِ الْأَرْضِ وَإِخْفَاءِ هَذَا الْأَمْرِ؛ مِنَ الْمُحَالِّ الْمُحْضُ الَّذِي لَا يَتَصَوَّرُهُ الْعُقْلُ أَصْلًا. وَأَمَّا النَّقْلُ فَلَأَنَّهُ مَا سَمِعَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الدِّرَايَةِ مِنْ الْوَثَّابِيْنِ أَوِ الْمُسْلِمِيْنَ أَوْ بَعْضِ النَّصَارَى الْمُدَعِّيْنَ بِوَقْعَةِ تَحْرِيفٍ لَفْظِيْ فِي التُّورَاةِ وَالْإِنجِيلِ مَعَ بَعْضِهِمْ لِدِينِ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ وَتَصْدِيْهِمْ لِلطَّعْنِ فِي كِتَابِهِمْ؛ ادْعَى أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ بَعْدَ الْجِيلِ السَّادِسِ أَوِ السَّابِعِ مِنَ التَّارِيْخِ الْمُسْيِحِيِّ. أَى بَعْدَ مُحَمَّدٍ؛ فَلَا يَسْعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ هَذَا الْادْعَاءِ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا بِأَنَّ ذَلِكَ قَبْلَ ظُهُورِ مُحَمَّدٍ بِمَدْيَدَةٍ فِي الْقَرْنِ الْأَوَّلِ أَوِ الْثَّانِي أَوِ الْثَّالِثِ بَعْدَ ظُهُورِ الْمُسْيِحِ، وَلَا يَدْعُوا بِهِذَا الْأَمْرِ إِلَّا مِنْ كَانَ جَاهِلًا غَايَةَ الْجَهَالَةِ فِي التَّوَارِيْخِ وَالْفَنُونِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهِذِهِ الْقَضَايَا"

أَقُولُ: قَدْ تَكَرَّرَ التَّصْرِيْحُ غَيْرَ مَرَّةٍ أَنَّ تَحْرِيفَ التُّورَاةِ وَالْإِنجِيلِ كَانَ مِنْ قَبْلِ بَعْثَةِ نَبِيِّنَا ﷺ وَلَا يَوْجِدُ فِي أَهْلِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ الْمُبِينِ مِنْ يَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ. كَيْفَ وَأَنَّ الْآيَاتِ الْكَثِيرَةِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْأَحَادِيْثِ الْجَمِيْعَةِ

النبوية في هذا الباب صريحة. وهو ثابت بالشهادة من كلام القدماء من أجل مفسريهم وأعظم مؤرخيهم، وأشهر علماء اليهود السالفيين، ومن كلام الماديين والطبيعيين والوثنيين وسائر الأمم من سلف وخلف، مما لا يحتاج إلى استشهاد عليه، اختصاراً واقتصاراً على اشتهر العلم به. وهذا القيسис صاحب البرهان قد اعترف في مقالته هذه بأن أهل الدرائية من الوثنيين والمسلمين وبعض النصارى قد ادعوا وقالوا بوقوع التحرير اللفظي. وهو التغيير والتبدل في التوراة والإنجيل. غير أنه زعم أنهم ما عينوا وقت وقوعه فيهما. وهذا التبيين ليس بلازم ضرورة بعد وجوده فيهما مشاهدة زيادة على نقله متواتراً. ولقد عرفت أن الموافق والمخالف ينادون من القرن الثاني من القرون المسيحية أن التحرير قد وقع فيهما، ومحققوهم قد اعترفوا بوقوعه بأقسامه الثلاثة. وقد عرفت مما مر غير مرة: أن سلسلة سلسوس الذي كان من أجل العلماء في القرن الثاني من الميلاد كان يصبح بأعلى صوته: أن المسيحيين بدلو أناجيلهم ثلاثة أو أربع مرات، بل أزيد منها تبديلاً لأن مضامينها بدللت. وكذا فاستس من علماء فرقه مانى كيز من الفرق المسيحية كان ينادى في القرن الرابع من الميلاد بأن هذا الأمر محقق وهو أن هذا العهد الجديد ما صنفه المسيح ولا الحواريون، بل صنفه رجل مجهول الاسم ونسبة إلى الحواريين ورفاقهم، خوفاً من أن لا تعتبر الناس تحريره، ظانين أنه غير واقف على الحالات التي كتبها وأدى المریدين لعيسيٍّ إيداءً بليغاً بأن ألف الكتب التي توجد فيها

الأغلاط والتناقضات. وتقديم لك نقل هنرى واسكات فى تفسيره قول اكستاين: أن اليهود قد حرفوا النسخة العبرانية فى بيان زمان الأكابر الذين كانوا قبل زمن الطوفان وبعده إلى زمان موسى النبي وفعلوا هذا الأمر لتصير الترجمة اليونانية غير معتبرة ولعناد الدين المسيحى قال: "ويعلم أن القدماء من المسيحيين كانوا يعترفون بتحريف التوراة وكانوا يقولون إن اليهود حرفوا التوراة فى سنة مائة وثلاثين من الميلاد"

قلت: وهذا قول الموافق من قدماء أسلافهم والمخالفين من قدماء الوثنيين أفادنا أن تحريف التوراة كان فى سنة مائة وثلاثين من الميلاد، وأن تبديل الإنجيل وتغييره كان فى القرن الثاني والرابع من الميلاد. وأفادنا فائدة زائدة على المطلوب. وهى أن هؤلاء الأناجيل ما كتبهم الحواريون ولا رفقاؤهم وإنما الذى كتبهم وألفهم رجل مجهول الاسم. وهذا فضلاً عما وقع فيهما من التغيير والتبدل بعد انتشارهما في المشارق والمغارب من أيام محمد ﷺ إلى يومنا هذا. وقد علمت أنهم لا يبالغون من هذا الأمر في كل زمان حتى بعد صناعة الطبع أيضاً. ومن اطلع على الاختلاف الواقع بين نسخهما ونظر إلى ما اشتملا عليه من الأغلاط والاختلافات لا ينكر حقيقة هذا الأمر. فما سلكه صاحب البرهان في مقالته هذه يدل على فرط تعصبه وشدة جهالته في التوارييخ والفنون المتعلقة بهذه القضية.

زمان تحريف التوراة والإنجيل

ثم قال القسيس النبيل صاحب أنبرهان الجليل "والذى يظهر لك ذلك: أنا لو فرضنا تحريف القرآن بالزيادة والنقص وإزالة النسخ الأصلية في خلافة أبي بكر مثلاً لكان هذا الأمر مما يمكن وقوعه مع ما فيه من الصعوبة. وأما إجراء مثل هذا الفعل في أيام خلافة عثمان أو على فهو أصعب أقل احتمالاً، وفي أيام هارون الرشيد أصعب مما تقدم، نظراً لامتداد الإسلام وانتشار القرآن في سائر الأطراف وتکاثر الناس الحافظين له في تلك الأيام. وأما إفساد جميع نسخ القرآن الأصلية وتبدلها بنسخ حادثة مغيرة ونشرها في جميع البلدان عوضاً عن الأصلية بعد ظهور الإسلام بخمسة سنّة كأيام صلاح الدين لما كان دين الإسلام منشوراً في الشرق والغرب في آسيا وأفريقيا وأوروبا؛ فهذا مما لا يتصور وقوعه رجل سليم العقل. ولو سعى بمثل هذا الأمر أناس كثيرون فمن المحال إتمامه وكما أن اتفاق جميع المسلمين على تحريف القرآن وتبدلاته بعد خمسة سنّة من ظهور الإسلام هو أمر من المحال. فهكذا ومن باب أولى تحريف التوراة والإنجيل بعد خمسة أو ستة سنّة من ظهور المسيح مما لا يتصور؛ لأن نسخ الكتابين كانت حينئذ منتشرة في جميع أقطار الأرض وأيضاً: ليس حالها كحال القرآن من كونها في لغة واحدة بل كانت منقوله في جملة من اللغات. فمنها الأصلية ومنها المترجمة إليها، ولم تزل نسخ محفوظة في بعض مكاتب أوروبا من الإنجيل

كتبت فى القرن الرابع والخامس والسادس بعد ظهور المسيح ونسخ قديمة من التوراة إلى يومنا هذا، وهى مطابق بعضها لبعض وموافقة النسخ المتدولة عند جميع النصارى واليهود فى زماننا هذا أيضاً. وهذا دليل واضح على أنه لم يقع فى التوراة أو الإنجيل تغيير وتبدل من القرن الرابع بعد المسيح إلى يومنا هذا، وأن نسخ التوراة والإنجيل المتدولة عند اليهود والنصارى اليوم هى مطابقة للنسخ المتدولة عندهم فى أيام محمد ﷺ أى فى أوائل القرن السابع من التاريخ المسيحي".

أقول وبالله التوفيق وبه الهدایة إلى أقوم طريق: إن من طالع ما تقدم من الأبحاث وتأمل جوابنا على مقالتى القسيس اللتين قبل هذه؛ علم الجواب. فإذا ثبت تحريف التوراة والإنجيل بإقرار علمائهم ومفسريهم وعلم ببرهان المشاهدة والعيان؛ فأى محل لاستبعاده وعدم إمكانه؟ وقياس القسيس هذه الكتب على القرآن المجيد قياس مع الفارق فإنها قابلة للتحريف فى كل زمان قبل أيام نبينا وبعده حتى بعد صناعة الطبع أيضاً كما يظهر لك ذلك من تقابل نسخها، بخلاف القرآن المجيد؛ فإن اشتهره وتواته كانا فى كل زمان مانعين عن التحريف؛ فإنه كما كان محفوظاً فى السطور؛ فكذلك كان محفوظاً فى الصدور قال تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَرِزُّ الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ حَافِظُونَ» وقال: «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَكَا مِنْ خَلْفِهِ» كما كان عليه مدة ثلاثة عشر قرناً من أول نزوله إلى يومنا هذا؛ حجة قاهرة ومعجزة باهرة على مرور السنين والأيام.

مُيسَرٌ حفظه للغلمان في أقرب زمان قال عليه السلام: «ولقد يسرنا القرآن للذكر» فهو محفوظ في زماننا هذه في صدور كثير من المسلمين، ومن كان شاكاً في هذا الأمر فليجرب ويدخل في جامع الأزهر من جوامع محروسة مصر القاهرة؛ فيجد فيه في كل وقت من الأوقات أزيد من سبعة آلاف من حفاظ القرآن الذين حفظوه بالتجويد التام، ولو تبع كل قرية من القرى الإسلامية فضلاً عن المدن والأماكن سيما قرى مصر لا يجد قرية من قراها تكون خالية من حفاظ القرآن ولو نظر أيضاً إلى كثير من الحمارين والبغالين من أهل القطر المصري أيضاً؛ لوجودهم حافظين للقرآن حفظاً جيداً، بحيث يمكن كتابته من صدر أحدهم مع غاية صحة الألفاظ وضبط الإعراب. بخلاف التوراة والإنجيل فإنه لا يوجد في ديار أوربا بل ولا في في جميع الممالك في هذه الطبقة من أهل الكتاب مع فراغ بالهم وتوجههم التام إلى العلوم والصناعات في هذه الأيام خمسة أنفار يكونون حافظين للتوراة والإنجيل بل ما سمعنا أن أحداً من المسيحيين حافظ لإنجيل من الأنجلترا فضلاً عن أن يكون حافظاً لجميعها. فجميع ديار أوربا من المسيحيين في هذا الأمر ليسوا في مقابلة قرية صغيرة من القرى الإسلامية، وليس الكبار من الرهبان والشمامسة بل والقسسين في هذا الأمر خاصة في مقابلة الحمارين والبغالين من أهل الدين الإسلامي المبين. فهو لاء الحمارون والبغالون فائتون في هذا الباب على الأساقفة والشمامسة والقسوس والرهبان الذين يوجدون شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً في هذا الزمان الذي هو

زمن شيوخ العلم في أهل الكتاب فضلاً عن القرون السالفة من القرون المسيحية من الجيل السابع إلى الجيل الخامس عشر التي كان فيها منزلة شعار العلماء في هذه القرون. وهذا على اعتراف علماء بروتستانت. ويوجد والله الحمد والمنة في الأمة المحمدية في هذا العصر أيضاً من الحفاظ أزيد من مليون في جميع ديار الإسلام. وهذا هو الفضل البديهي لأمة محمد ﷺ ولكتابهم.

ولقد حكى صاحب إظهار الحق رحمه الله: "أن أميراً من أمراء الإنكليز جاء يوماً إلى مكتب في بلدة سهار تفور من أمراء بلاد الهند ورأى الصبيان المستغلين بتعليم القرآن وحفظه. فسأل المعلم أى كتاب هذا؟ فقال: القرآن المجيد. فقال الأمير: أحفظ أحد منهم القرآن كله؟ قال المعلم: نعم. وأشار إلى جملة منهم. فلما سمع الأمير ذلك استبعده. فقال: اطلب أحداً منهم وأعطيه القرآن امتحنه. فقال: أيهم شئت؟ فطلب واحداً منهم كان ابن ثلاثة عشر أو أربعة عشر سنة وامتحنه في مواضع. فلما تيقن أنه حافظ لجميع القرآن تعجب وقال أشهد: أنه ما ثبت تواثراً لكتاب من الكتب كما ثبت للقرآن؛ إنه يمكن كتابته من صدر صبي من الصبيان مع غاية صحة الألفاظ وحفظ الإعراب" انتهى.

وقد أورد بعد هذا في كتابه أموراً أزال بها استبعاد وقوع التحريف في التوراة والإنجيل وأثبت وجوده فيما بعبارة رائقة وإشارات فائقة تشفى العليل وتروى الغليل. فمن أراد الإطلاع فليرجع

إليه يجد ما يسره في هذا الشأن. ولو لا الإطالة لذكرت شيئاً من ذلك.
ويكفيك أيها الليب ما تقدم لك من الأبحاث.

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل: "إنما افترضنا على هذه الدلائل القليلة المبرهنة على عدم تحريف التوراة والإنجيل من أيام محمد ﷺ إلى اليوم خوفاً من التطويل، ولما كان قد صدرنا في هذه الرسالة البرهان على صحة التوراة والإنجيل وعدم تبديلهما بمجرد شهادة القرآن لا ببراهين تاريخية أو عقلية؛ اكتفينا بما تقدم. وإن شاء الله سنذكر الدلائل الخارجة عن القرآن التي لم نترك ذكرها هنا لضعفها بل لعدم احتياجنا إليها في هذه الرسالة، كما لا يخفى على ذي بصيرة. فإذا ثبت أن نسخ التوراة والإنجيل المتداولة عندنا اليوم هي مطابقة للنسخ المتداولة في أيام محمد ﷺ وأن القرآن يشهد بصحة تلك النسخ، كما أوضحنا ذلك؛ ثبت أن القرآن يشهد كذلك بصحة النسخ التي بين أيدينا الآن. والعجب كل العجب أن بعض المسلمين يشكرون بما سلم بصحته نبيهم، وينكرون ويدينون ما شهد لحقيقة قرآنهم، وذكره بالتبجيل والتعظيم. لا يرون أنهم بمخالفتهم هذه لا يخالفون اليهود والنصارى، بل يخالفون نبيهم، ولا يكذبون كتب اليهود والنصارى بل يكذبون قرآنهم"

أقول وبالله التوفيق وبه الهدى إلى أقوم طريق: إن من أمعن النظر فيما تقدم علم بالبداهة واليقين أنه لا دليل لصاحب البرهان على عدم تحريف التوراة والإنجيل لا من النقل ولا من العقل، وأن التحريف ثابت وقوعه فيهما البينة. ويكفيك أيها العاقل الليبيب في ثبوت ذلك؛

اعتراف مفسريهم وإقرار مؤرخيهم ومحققيهم وسائر التورايخ طافحة في إثبات هذا الأمر. وما أعرض هذا القسيس عن ذكر عباراتها إلا لكونها تصرح وتتادى بأعلى نداء في إثبات هذا الأمر. وهذا فضلاً عن ما أثبتناه لك من شهادة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. ولا توجد آية من آياته الكريمة تشهد بصحة هذه التوراة وهذا الإنجيل المداولين -كما زعم هذا القسيس- بل غالب آياته الشريفة تختلف ما في هذين الكتابين فضلاً عن ما فيه من التصريح بوقوع التحرير فيهما. ولكثره شواهد هذا الأمر لا حاجة إلى نقلها هنا زيادة عن ما أثبتناه لك فيما تقدم. والتبجيل والتعظيم الواردان فيه إنما هو إلى التوراة والإنجيل المنزلين على موسى وعيسى قبل تحريرهما ولا تعظيم فيه ولا تبجيل لهذه الكتب والرسائل المسممة بالتوراة والإنجيل، المشحونة بالأغلاط والاختلافات وأكاذيب الحكايات المفترىات. فما اعتقده المسلمون في هذا الأمر هو عين ما أثبتته قرآنهم بصحته إلى نبيهم. فتعجب صاحب البرهان من المسلمين في مقالته هذه؛ غلط محض، منشأه شدة التعصب من سوء الفهم.

اتصال السنن في كتب التوراة

ثم قال القسيس النبيل صاحب البرهان الجليل "فإن أدعى بعضهم كصاحب إظهار الحق أن الإنجيل ليس كتاباً موحى به من الله نظراً لاحتواه على بعض ألفاظ أو تعاليم يرونها هم غير لائقة بكتاب إلهي، أو لأن بعض أسفار التوراة والإنجيل لم تصل إلينا بأسانيد متصلة منبئة عن كونها منسوبة لرسول أونبي، ويوجد اختلاف من جهتها، أو لأن بعض علماء النصارى أيضاً اعترضوا على بعض الأسفار فنقول إن هذه دعوى بينهم وبين كتابهم، ويكفيانا أن القرآن يسلم بصحة الكتابين المذكورين وينذكرهما بغاية التعظيم والتوقير مع وجود تلك الألفاظ والأقوال فيها ومع وجود الاختلاف من جهة كاتبها بعض أسفارهما، ولا يعرض عليهما" ثم قال "ول يكن هذه آخر الرسالة"

أقول وبالله التوفيق وبه الهدایة إلى أقوم طريق: قد علمت فيما مر غيرة أن القرآن المجيد ما شهد لهذه الكتب بشئ من الصحة ولا فيه تعظيم لها ولا توقير وإنما جاء شاهداً عليها معتبرضاً، ومكذباً غالباً مضامينها ومبكتاً وموبخاً أهلها على تحريفها بتبدلها وتغييرها، ولبسهم الحق بالباطل، وكتمانهم الحق وهم يعلمون، وإرادتهم لإطفاء نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون. ومن أدعى أن بعض أسفار هذه التوراة وهذا الإنجيل ليست كتاباً موحى بها من الله ~~ذلك~~ فهو

مضطرب ومعذور؛ لأن الكلم الإلهي مصان الأغلاط والاختلافات، ونسبة ذلك إلى الله سبحانه وتعالى كفر، وكذا يصان عن تفسيق الأنبياء الكرام وتتقىصهم ونسبة الكذب والزنا واللعنة والكفر إليهم؛ لأن الله تعالى لما اختارهم وأصطفاهم لهذا المنصب الشريف؛ حفظ ظواهرهم وبواطنهم عن التلبس بمنهی عنه. نهى تحريم أو كراهة. وإنما نرى هذه الكتب فضلاً عن ما فيها من الأغلاط والاختلافات مشحونة بتفسيقهم وتتقىصهم وإهانتهم. وما نرى من نبی ذكر فيها من آدم إلى المسيح إلا ويكون فاسقاً أو كافراً أو كاذباً أو زانياً أو من أولاد الزنا، حتى أن بولس مقدس المسيحيين لم يكتف بذلك بل صرخ بلعن ربِّه وإلهِه المسيح، حيث قال في رسالته إلى أهل غلاطية: "الْمَسِيحُ افْتَدَاهُ مِنْ لَعْنَةِ النَّائُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لِأَجْنَابِنَا، لَأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: مَلَعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِقَ عَلَى خَشْبَةٍ" ومسيح النصارى علق على خشبة حين صلبه، فهو إذا ملعون -والعياذ بالله تعالى -

فهذه الحكايات وأمثالها لا تليق بالكتب الإلهية، بل لا يليق ذكر أمثالها بتواريخ أهل الصيانة والديانة على فرض وقوع ذلك من أمثالهم، بل لو وقع مثل ذلك من أحد الناس الراعي لا يليق ولا يجوز أن يتحدث به، فكيف يجوز أن تتسب هذه الرذائل إلى أعراض الأنبياء المنزهة أعراضهم عن عروض مثل هذه الأعراض. ولعمري أن ما نسب إليهم محض اختلاق وحاشا أن يكون من كلام الخلق. وهذا يا صاحب البرهان من أعظم الأعذار لمن ادعى أن هذه الكتب ليست كتبًا

موحى بها من الله -عز شأنه- وهو من أكبر الدلائل المقنعة والبراهين القاطعة على تحريفها وعدم اتصال أسانيدها. ولا يكفى أنها العاقل الليب فى إثبات الكتاب أنه موحى به من الله؛ اسناده ونسبته إلى شخص صاحب إلهام بمجرد الادعاء، وكذلك الظن والتخيّن والوهم لا يكفى في إثباته، بل لا بد في كون الكتاب سماوياً وأجب التسليم؛ أن يثبت أولاً بدليل تام أنه كتب بواسطة النبي الفلانى أو الحوارى الفلانى ووصل إلينا بالسند المتصل من غير تغيير ولا تبديل، وكذلك لا يكفى في إثبات الكتاب أنه موحى به؛ مجرد ادعاء فرقه من الفرق ألا ترى أن كتاب باروخ وكتاب طوبيا وكتاب وزنم وكتاب إيكليزيس يتكون من الكتاب الأول والثانى للمقابلين وعشرين آيات في الأصحاح العاشر وستة أصحاحات من الأصحاح الحادى عشر إلى الأصحاح السادس عشر من كتاب أستير وغناء الأطفال الثلاثة في الأصحاح الثالث من كتاب دانيال والأصحاح الثالث عشر والرابع عشر من هذا الكتاب قد بينت فرقة بروتستانت بالبيانات الشافية أنها ليست إلهية، وكذلك اليهود لا يسلمون إلهاميتها والسفر الثالث لعزرا جزء من أجزاء العهد العتيق عند كنيسة كرييك، وقد أثبتت فرقة كاثوليك وبروتستانت بأدلة واضحة أن ذلك الجزء ليس إلهامياً، وكذلك كتاب القضاة ليس إلهامياً على قول من قال إنه تصنيف فينحاس، وكذلك على القول بأنه تصنيف حزقيا، وكذلك كتاب راعوث ليس إلهامياً على قول من قال إنه تصنيف حزقيا، وكذلك على قول طابعى كتاب السبيل، وكذلك كتاب أیوب ليس إلهامياً

على قول الإمام الأعظم لفرقة بروتستنط لبودر، وكذلك الأصحاب الثلاثون والحادي والثلاثون من كتاب أمثال سليمان ليسا بإلهاميين، وكذلك كتاب الجامعة ليس إلهاميا على قول علماء التلمود، وكذلك كتاب نشيد الأنساد ليس إلهاميا على قول وسمين ووستام وسمير، وكذلك سبعة وعشرون أصحابا من كتاب إشعيا ليست إلهامية على قول كثير من علماء كيوسي بيس وغيرهم من المحققين الأفضل، وكذلك إنجيل متى ليس إلهاميا على قول القدماء وجمهور علماء المتأخررين الذين قالوا إنه لم يكن في اللسان العبراني وحروفه العبرانية فقدت، والموجود الآن ترجمته. وكذلك إنجيل يوحنا ليس إلهاميا على قول استاذن والمحقق برطشنيدر وفرقة الوجين التي كانت في القرن الثاني كانت تتكرر هذا الإنجيل وجميع تصانيف يوحنا، وكذلك الرسالة الثانية لبطرس، والثانية ليوحنا، ورسالة يهوذا، ورسالة يعقوب، ومشاهدات يوحنا؛ ليست إلهامية على قول الأكثرين من محققيهم، وكذلك رسائل بولس كلها ليست إلهامية على قول الفرقية الأبيونية التي تعد بولس صاحب هذه الرسائل من المرتدين الكاذبين، وكانت هذه الفرقية معاصرة له ومنكرة عليه أشد الإنكار، وكذلك كتاب المشاهدات، والسفر الصغير للتكونين وكتاب المعراج وكتاب الأسرار، وكتاب استمنت، وكتاب الإقرار؛ كلها منسوبة إلى سيدنا موسى، ومع هذه النسبة لم تعد إلهامية، وكذلك السفر الرابع لعزرا منسوب إلى عزرا، ولم يعد إلهاميا، وكتاب معراج إشعيا وكتاب مشاهداته منسوبان إليه،

وما أحد عَدَّهَا إِلَهَامِيْن سُوَى الْكِتَابِ الْمُشْهُورِ لِإِرْمِيَّاء، وَكِتَابٌ آخَرٌ مُنْسُوبٌ إِلَيْهِ، وَلَمْ يُعَدْ إِلَهَامِيَا، وَكَذَّلِكَ عَدَّةٌ مُنْفَوَظَاتٌ مُنْسُوبَةٌ إِلَى حَبَّقُوقٍ وَلَمْ تَعْدِ إِلَهَامِيَّة، وَعَدَّةٌ زُبُورَاتٌ مُنْسُوبَةٌ إِلَى سَلِيمَانَ التَّعْبِيَّةِ لَمْ تَعْدِ إِلَهَامِيَّة. وَسُوَى الْكِتَابِ الْمُشْهُورِ الْمُتَداوَلَةِ مِنْ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ كَتَبَ جَاؤَزَتْ سَبْعِينَ كَتَابًا مُنْسُوبَةً إِلَى سَيِّدِنَا عِيسَى التَّعْبِيَّةِ وَالسَّيِّدَةِ مَرِيمَ وَالْحَوَارِبِينَ وَتَابِعِيهِمْ، وَمَعَ هَذِهِ النِّسْبَةِ لَا يَعْدَّهَا مُسْكِيْحِيُّونَ إِلَهَامِيَّة، وَيَدْعُونَ أَنَّهَا مِنَ الْأَكَانِيْبِ الْمُصْنُوعَةِ، وَاتَّفَقَتْ عَلَى هَذِهِ الدَّعْوَى كُنِيْسَةُ كَرِيكِ وَكَاثُولِيكِ وَبِرُوتُسْتُنْتِ، وَحِيثُ كَانَ كَذَّلِكَ فَلَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَعْتَقِدُ بِمَجْرِدِ إِسْنَادِ الْكِتَابِ إِلَى نَبِيٍّ أَوْ حَوَارِيٍّ أَنَّهُ كَتَابٌ إِلَيْهِ، وَاجِبُ التَّسْلِيمِ. وَكَذَّلِكَ بِمَجْرِدِ ادْعَائِهِمْ ذَلِكَ؛ لَا يَجُوزُ أَنْ يُسْلَمَ بِلٍ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَمْرٌ إِلَى تَلِيلٍ، كَمَا عَرَفْتُ. قَالَ صَاحِبُ إِظْهَارِ الْحَقِّ: "وَكَثِيرًا مَا طَلَبْنَا مِنْ عَلَمَائِهِمُ الْفَحْولِ السَّنَدَ الْمُتَصَلِّ لِهَذِهِ الْكِتَابِ فَمَا قَدَرُوا عَلَى بَيَانِهِ، وَقَدْ اعْتَذَرَ بَعْضُ الْقَسِيسِيْنَ -يَعْنِي الْقَسِيسِ فَنْدَرُ صَاحِبِ مِيزَانِ الْحَقِّ وَغَيْرُهُ مِنْ كَانَتِ الْمَنَاظِرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ- فَقَالُوا: إِنْ سَبَبَ فَقْدَانَ ذَلِكَ عَنْدَنَا: وَقْوَعُ الْمَصَائِبِ وَالْفَتْنَةِ عَلَى الْمُسْكِيْحِيِّيْنَ إِلَى مَدَةِ ثَلَاثَةِ وَثَلَاثَةِ عَشَرِ سَنَةً مِنَ الْمِيلَادِ" قَالَ: "وَقَدْ تَفَحَّصْنَا فِي كِتَابِ الإِسْنَادِ فَمَا رَأَيْنَا فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ الظُّنُونِ وَالْتَّخَمِينِ"

قلت: ومن المعلوم أن غير اليقين في باب الإعتقدات لا يغني من الله شيئاً. فما سلكه صاحب البرهان في هذه المقالة يدل على قلة علمه وسوء فهمه، ولا يخفى على المتتبه ما تضمنته هذه المقالة من

الإقرار والتسليم بوقوع التحريف في كتب التوراة والإنجيل وعدم اتصال أسانيدها وكونها ليست كتاباً موحى بها من الله، حيث قال: "إن هذه دعوى بينهم وبين كتابهم" ولم يعلم أن الإقرار أحق ما يؤخذ به الرجل فإنه أقوى من البينة، ولا حاجة إلى البينة بعد الإقرار. ويكتفى في إثبات هذه القضية: برهان الحس والمشاهدة، فضلاً عما ورد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في ثبوت ذلك. فالذى ينبغي للإنسان: أنه متى عرف قضية أو استيقن أمراً أن يصدع به؛ **﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾** - **﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾**

ول يكن هذا آخر ما أردنا إيراده في هذا المختصر، ونسأله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، ومحجاً للفوز لديه بجنت النعيم. والله ولـى التوفيق. لا رب غيره ولا معبد سواه.

وكان الفراغ من تسويد هذا المؤلف في اليوم الثامن والعشرين من شهر ذى الحجة المبارك من سنة ثمان وثلاثمائة بعد الألف، من هجرة من له العز والشرف ﷺ وعلى آلـه الطاهرين، وأصحابـه الفائزـين المؤيـدين. آمين.

انتهى كتاب السيف الصقيل

فهرس كتاب السيف الصقيل

الصفحة الموضع

التعريف بكتاب السيف الصقيل	-٣
التعريف بكتاب الهدایة تأليف المرسلون الأميركيان بمصر	-٩
نماذج من كتب إظهار الحق، والهدایة، والرد على الهدایة	-١٠
أسفار التوراة العبرانية	-١٢
أسفار التوراة اليونانية	-١٥
اختلاف نسخ التوراة في أعمار أبناء آدم	-١٧
اختلاف التوراة في أنساب سام ابن نوح إلى إبراهيم عليه السلام	-١٨
إبراهيم والكواكب	-٢٦
الرد على شبهة إبراهيم والكواكب	-٢٩
الأحكام الفقهية في التوراة	-٣١
التوراة تؤدب الناس إلى مجبي محمد عليه السلام	-٣١
مقدمة المؤلف. وهو الشيخ عمر بن أحمد بن موسى التميمي الداري	-
النابلسي الفلسطيني رد على كتاب البرهان الجليل في صحة التوراة	-
والإنجيل	-
التحريف في التوراة والزبور والأناجيل الأربع	-٣٥
تقسيم التحريف إلى لفظي ومعنى	-٣٥
كلام حزقيال النبي في المسؤولية الفردية	-٣٧
كلام التوراة في أن إبراهيم تاجر بأمر الله سارة	-٤٠
خداع يعقوب لأبيه إسحق	-٤٢
شرب لوط للخمر وزناه بابنتيه.	-٤٣
زنا يهوذا بثamar	-٤٧

قول اليهود إن عيسى من الزنا	-٤٩
قول النصارى إن مريم تزوجت بعد ولادتها للمسيح	-٥٠
قول التوراة إن سليمان كفر بالله وعبد الأصنام	-٥٢
أبشالوم بن داود زنا بجوارى أبيه	-٥٤
تحريم مطالعة كتب التوراة المشتملة على هذه المفاسد	-٥٦
قول القيسىس: ليس فى القرآن ما يدل على أن التوراة غير محرفة	-٥٨
أقسام تحريف التوراة في القرآن	
اليهود يلون ألسنتهم بالكتاب بألحان الموسيقى	-٥٩
اليهود حرفوا أسفار الأنبياء بعد الميلاد	-٦١
قصة الملك إسترواج والصنم يال	-٦٣
اعتراف علماء النصارى بأن التوراة محرفة	-٦٦
حجة الله البالغة	-٧١
معجزات الأنبياء	-٧٢
أخلاق أهل الإسلام	-٧٤
التوراة تعلم بنى إسرائيل سوءخلق	-٧٧
سجود المسيحيين لصور القديسين والقدیسات	-٧٨
نحن المسلمين لا نعتقد أن داود زنا بأمرأة أوريا ولا أن ابنه آمنون	-٧٩
زنا بأخته، ولا أن شمشون زنا بليلة	-٨٢
مصارعة الله ليعقوب، وأن يعقوب غلب الله	-٨٣
الوحى الإلهي	-٨٤
كلام القيسىس في خاصية الوحى	-٩٩
انتشار الإسلام في العالم بشهادة علماء فرنسا	-١٠٠
أقسام الدين-	
كلام القيسىس في أقسام الدين	

الهداية الإلهية/ رد المسلم على القسيس في موضوع جصمة الأنبياء	-١٠١
قصة النبي الذي كذب	-١٠٢
شك المسيحيين في الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى <small>(عليه السلام)</small>	-١٠٥
كلام المسيحيين عن النبي المنتظر	-١٠٩
الهدى والنور في التوراة والإنجيل/ رد المؤلف على القسيس	-١١٣
كتب الإنجيل مشكوك فيها	-١١٥
تفسير المؤلف لقوله: (وَأَنْزَلَ اللَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلِ مُدَيِّنِ النَّاسِ)	-١١٦
تفسير قوله تعالى: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابَ إِلَّا بِمَا هِيَ أَحْسَنُ)	-١٢٢
تفسير قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يُحَاجِجُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجَبْنَا لَهُ)	-١٢٢
تفريق المسيح بين الأنبياء الكتبة والأنبياء الصادقين	-١٢٥
إطلاق لفظ الأنبياء على علماء بنى إسرائيل	-١٢٧
محمد ﷺ في التوراة/ شرح المؤلف لنص التوراة عن محمد ﷺ	-١٣٣
المسيح يذم علماء بنى إسرائيل	-١٣٧
محمد ﷺ يخبر بغيوب وتحدث من بعده	-١٤٢
أحاديث علامات الساعة	-١٤٧
تعظيم المسلم للتوراة والإنجيل	-١٥٣
السفر الذي يدل على موت سليمان مفقود	-١٥٣
سبب القول بالأقانيم الثلاثة	-١٦١
الوحى ينزل شبه الحمامة	-١٦٤
الله واحد في التوراة	-١٦٧
مسألة صليب المسيح وقتله	-١٨٥
(أَتُؤْمِنُونَ بِيَعْنَى الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِيَعْنَى)	-١٨٨
نسخ القرآن للتوراة	-١٩١
المحددون يطعنون في التوراة وفي الإنجيل	-١٩٢

- نسخ الشرائع/ الرد على دعوى القسيس أن القرآن قد نسخ التوراة -٢٠٧
 بولس يقول: إن المسيح ملعون من الله -٢٠٨
 مناقشة المؤلف في قوله: إن الديّة ليست في شريعة التوراة ومناقشة المؤلف أن الغنيمة ليست في التوراة -٢١٠
 سارة أخت إبراهيم -٢١٤
 الأطعمة كلها كانت حلالاً في عهد نوح -٢١٥
 يعقوب جمع بين الأخرين -٢١٥
 كلام المؤلف عن النسخ في الأنجليل -٢١٧
 نسخ الختان -٢٢٠
 كلام القسيس في عدم نسخ القرآن للتوراة والرد عليها -٢٢٣
 النسخ في الأمر والنهي -٢٢٦
 في سفر إرمياه أن كل مسلم سيكون إماماً ومقيم شعائر. وهذا يدل على نسخ التوراة -٢٢٨
 اعتراف علماء النصارى بأن الشريعة الموسوية كانت تزداد وتنقص على وفق أحوال بني إسرائيل -٢٣٢
 مناقشة موضوع هل رسالة المسيح خاصة أو عامة؟ -٢٣٧
 الطرق الثلاث في نسخ الشريعة—الرد على القسيس في الطرق الثلاث -٢٤٢
 إنكار القسيس للتحريف في التوراة والإنجيل -٢٤٨
 مخطوط عبرى في قمران يُظهر تحريف التوراة -٢٤٩
 سؤال المسلمين لأهل الكتاب -٢٥٠
 ثلاثون غلطاً في التوراة -٢٥١
 الاختلافات الثلاثون في التوراة والأنجليل -٢٨٢
 المسيح يلعن شجرة التين -٢٨٩
 تسليم المسلم بصحة التوراة والإنجيل -٣٠٥
 ترجم التوراة العبرانية والساميرية واليونانية -٣١٣

- ٣١٤ - اختلافات بين ترجم التوراة
- ٣١٥ - يُوسِيفُوس المُؤرخ يشك في توراة موسى
- ٣١٧ - إنجيل ابن ديصان
- ٣٢١ - تفسير المسلمين للتحريف
- ٣٢٢ - وفـ اليهود الذى تكلـ فى تحـيف التورـة
- ٣٢٤ - تفسـير (رأـ عـناـيـاـ بـالـسـنـتـهـ)
- ٣٢٧ - أدلة الخوارج التي ذكرـها الإمام فـخر الدين الرـازـى على نـفي بالـرـجـم
- ٣٣٢ - شهـادـةـ القرآنـ بـعـدـ تـحـرـيفـ الإـنـجـيلـ فـيـ نـظـرـ القـسـيسـ
- ٣٣٣ - كتاب تخـبـيلـ منـ حـرـفـ الإـنـجـيلـ
- ٣٣٥ - كتاب المـطـالـبـ الـعـالـيـةـ مـنـ الـعـلـمـ الـإـلـهـيـ لـفـخرـ الدينـ الرـازـىـ
- ٣٣٦ - رـفعـ المـسـيحـ إـلـىـ السـمـاءـ
- ٣٤٢ - منـاقـشـةـ قولـ القـسـيسـ: إنـ شـهـادـةـ القرآنـ بـتـحـرـيفـ التـورـةـ هـىـ لـليـهـودـ
- الـمـعاـصـرـينـ لـمـحـمـدـ ﷺـ وـالـمـجاـوـرـينـ لـهـ فـيـ زـمـنـهـ .
- ٣٤٧ - منـاقـشـةـ قولـ القـسـيسـ إنـ توـبـيـخـ القرآنـ لـليـهـودـ هوـ فـيـ التـحـرـيفـ فـيـ
- الأـلـفـاظـ الدـالـلـةـ عـلـىـ مـحـمـدـ ﷺـ
- ٣٤٩ - كـلامـ القـسـيسـ فـيـ التـحـرـيفـ الـمـعـنـوـيـ وـالـلـفـظـيـ
- ٣٥١ - قولـ القـسـيسـ إنـ المرـادـ مـنـ التـحـرـيفـ هـوـ التـحـرـيفـ الـمـعـنـوـيـ
- ٣٥٥ - اليـهـودـ مـزـقـواـ بـعـضـ كـتبـهمـ الـمـقـدـسـةـ
- ٣٦٢ - الآـيـاتـ الـقـرـآنـيـةـ الـتـيـ نـزـلـتـ فـيـ تـحـرـيفـ التـورـةـ
- ٣٦٥ - قدـ نـزـلـتـ فـيـ الـمـدـيـنـةـ الـمـنـورـةـ، وـلـمـ تـنـزلـ فـيـ مـكـةـ
- الـقـرـآنـ الـمـكـىـ وـالـمـدـنـىـ
- ٣٦٧ - البرـوـتـسـ坦ـتـ النـصـارـىـ يـنـمـونـ التـورـةـ وـمـوـسـىـ وـأـنـبـيـاءـ بـنـىـ إـسـرـائـيلـ
- ٣٧٢ - شـبـهـ إـقـامـةـ التـورـةـ وـالـإـنـجـيلـ
- ٣٧٤ - معـنىـ سـؤـالـ الـيـهـودـ الـأـمـىـ لـعـلـمـاءـ الـيـهـودـ
- ٣٧٩ - قـصـةـ الـمـسـيحـ مـعـ الـمـرـأـةـ السـامـرـيـةـ

- قول القسيس: لو كانت التوراة محرفة ما قال محمد إنى مصدق لها -٣٨٣
- قول القسيس: القرآن يشهد للتوراة المتدولة بالصحة -٣٨٧
- قصة ورقة بن نوفل -٣٩١
- ملوك اليهود كانوا يعبرون أولادهم في النار -٣٩١
- الغرس الذى سيخرج فى البرية فتخرج منه نار تهلك اليهود -٣٩٤
- نسطور الراهن -٣٩٥
- التحريف بعد زمان محمد ﷺ -٣٩٨
- زمان تحريف التوراة والإنجيل -٤٠١
- قول القسيس: مخالفة المسلمين لنبيهم -٤٠٦
- اتصال السند في كتب التوراة -٤٠٨

المصادر والمراجع

- ١ القرآن الكريم
- ٢ تفسير القرطبي
- ٣ تفسير شيخ الإسلام فخر الدين الرازي
- ٤ تفسير ابن كثير
- ٥ تفسير الخازن
- ٦ التوراة والزبور والإنجيل (تراجم مختلفة)
- ٧ تفسير الكتاب المقدس لجماعة من اللاهوتيين
- ٨ تفسير السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم
- ٩ تفسير الإنجيل لمعتى هنري أربعة أجزاء
- ١٠ الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام للقرطبي
- ١١ أقانيم النصارى بيان ونقد
- ١٢ إظهار الحق لرحمت الله الهندى
- ١٣ شرح الأحكام الشرعية في التوراة تأليف نادى فرج درويش العطار
- ١٤ الهدایة ٤ جزء تأليف المرسلون الأميركيان بمصر ضد إظهار الحق وضد السيف الصقلي
- ١٥ تهافت الهدایة ٤ جزء رد على كتاب الهدایة تأليف نادى فرج درويش العطار
- ١٦ حروب الرد - تأليف نادى فرج درويش العطار
- ١٧ مقام الصليبان ومراتع روضات أهل الإيمان للخزوخي القرطبي
- ١٨ نقد التوراة / أسفار موسى الخمسة السامرية والعبرانية واليونانية - تأليف الدكتور أحمد حجازي السقا
- ١٩ إنجيل برنابا
- ٢٠ إنجيل الديداكي تحقيق وطبع الدكتور أحمد حجازي السقا